«التَّكْمِلَةُ»

صَلَاحُ الأُمَّةِ فِي عُلُوِّ الهِمَّةِ

المجلد الثانى عشر

تأليف

دكتور/سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ أبو بكر الجزائري
الشيخ محمد صفوت نور الدين
الشيخ محمد إسماعيل المقدم
الشيخ أحمد فريد
الشيخ سعيد عبد العظيم
الشيخ ياسر برهامي
الشيخ محمد عبد المقصود
الشيخ عائض القرني
الشيخ أحمد عيسى
الشيخ أبو إسحاق الحويني
د. حمزة بن يافع الفتحي
أ.د. عبد الرحمن فوده

دار العفاني

بسم الله الرحمن الرحيم

صلاح الأمة في علو الهمة

المجلد الثانى عشر

الطبعة السابعة

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتاب المصرية

٢٠٦١٢ / ٢٠٠٧

دار العفاني

٣ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر- القاهرة

ت/ ٠٢/٢٥١٠٨٢٥٧ - ٠١٢/٢٥٧٧٥٧١١

فرع بني سويف - برج الري- حي الرمد- بجوار مجمع المحاكم-بني سويف

ت/ ٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤



تكملة علوهمة النساء

تكملة علو همة النساء

وداعًا أم السعد:

□ قال الشيخ الدكتور محمد في محاضرة تحت عنوان وداعًا أم السعد: «ممن رفعه القرآن الكريم - في زماننا- هذه الشيخة المقرئة المتقنة الحافظة المُعَمَّرَة، الشيخة التي فقدتها الأمة الإسلامية ولم يحسَ بِذلكَ أحدٌ إلَّا النذر القليل؛ وهي الشيخة/ أم السعد - رحمها الله تعالى، وغفر الله لها-، فموقف الإسلام من تعظيم العلم وأهلِهِ، وخاصةً: «أهل القرآن الكريم» معروفٌ جدًا، بل مكانة المرأة في خدمة العلم الشريف مكانة متميزةٌ جدًّا، فلا شك أن ممن يتربع على أعلى مقامٍ علمي في الإسلام - بالنسبة للنساء - أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق المبرئة من فوق سبع سموات عائشة رضي الله عنها، التي فيها الإمام الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة لها وزنها: «ولا أعلم في أمةِ محمدٍ ﷺ، بل ولا في النساءِ مطلقًا امرأةً أعلمَ منها!» اهـ.

إعلامُ النبيل بصيانة النساء للدين:

□يقول حافظ إبراهيم:

صنعْتُنَّ ما يُعْيي الرجال صنيعُهُ ... فـزدْتُنَّ في الخيـراتِ والبركـاتِ

أدت النساء في حمل العلم الشريف: القرآن أو السنة دورًا عظيمًا جدًّا، وحقيقة المقام لا يسع للتفصيل ولكن نشير إلى إشارات النساء العالمات على مسيرة العلم الشرعي في الإسلام، فالإمام محمد بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَعقِدُ جُزءًا في كتابِهِ المَاتع الموسوم بـ : «كتاب الطبقات الكبير» لراويات الحديثِ من النساءِ؛ أتى فيهِ على نيفٍ وسبعمئة امرأة روينَّ عن رسول الله

ﷺ أو عن صحابتهِ -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، وروى عنهم أيضًا أعلام الدين وأئمة المصنفين، وكذا فعل غيره من الأئمةِ في تصانيفهم أفردوا مواضعِ معينة لذكرِ الراويات من النساء، بل هذا علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يتلق الحديث عن مولاة لرسول الله ﷺ كانت تقوم على خدمتهِ، وهي ميمونة بنت سعد رضي الله عنها يتلقى عنها الحديث النبوي وهو من هو في العلم!!، فكيف كان حال من هو دون علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟، وأيضًا الحافظ الذهبي الذي ألف كتاب: «ميزان الاعتدال في نقد أحوال الرجال» خرج في هذا الكتاب عدة آلاف متهم من المحدثين اتهموا وضعفوا، ثم قال الذهبي رحمه الله وهو من أئمة الاستقراء في علم الحديث وعلم الرجال: «وما علمتُ من النساء.. من اتهمت، ولا من تركوها!»، وفي ترجمة حافظ الأمة ابن عساكر رحمه الله أنه: كان له من شيوخهِ وأساتذتهِ بضعٌ وثمانون من النساء. اهـ.

□ وأيضًا الإمام أبي مسلم الفراهيدي رحمه الله المحدث: «يكتب عن سبعين امرأة، بل كان هناك أستاذات ومدرسات وشيخات لأمثال الإمام الشافعي، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري، والإمام بن خلكان، والإمام ابن حبان، وللإمام ابن القيم.. ولكثير من أئمة السلف، وهذا شيء معروف في علم التراجم..

لـئنْ كـان النسـاءُ كـما ذكرنـا لفُـضِّلتِ النسـاءُ علـى الرجـالِ

الكَنزُ المفقود

نقولُ أن هناك كثيرًا من الكنوز لا نُحِسُ بها -للأسف- إلَّا بعد أن نفقدها، ففي ليلة السابع عشر من رمضان للعام الهجري ١٤٢٧هـ،

الموافق بالميلادي ٩/ ١٠/ ٢٠٠٦م، فقدت الأمة الإسلامية أشهر امرأة في – عالم قراءات القرآن الكريم- العالم؛ لأنها الوحيد التي تعرف على مستوى العالم كله من النساء بتخصصها وإتقانها للقراءات العشر، وظلَّت طوال نصف قرن – بل حولي ٦٠ عامًا- تمنح إجازاتها في القراءات العشر للنساء والرجال؛ كبار وصغار، وقد تجاوزت الثمانين عامًا.

لها نصيبٌ من إسمِها!

ولدت الشيخة الحافظة القارئة/ أم السعد محمد علي نجم – رحمها الله تعالى- في ١١/ ٧/ ١٩٢٥م وكانت بصيرة بقلبها، وتوفيت العالمة الضريرة – رحمها الله- وقد تجاوزت الثمَانين عامًا، وكانت الشيخة أم السعد –رحمها الله تعالى- اسمًا على مسمى، كمَا تنبأ لها بذلك شخص له تأثيرٌ عظيمٌ في حياتها؛ وهو ناظر المدرسة التي كانت تدرس فيها.

وسنذكر شيئًا من ترجمة هذه العالمة المتقنة المقرئة الحافظة –رحمها الله تعالى- تحفيزًا لكل من يقرأ هذه الترجمة، كي يستغفروا الله ﷻ لها، وأداءًا لبعض الدَين لهذه المقرئة الجليلة على أبنائها وتلاميذها، وهم كثرٌ في مدينة الإسكندرية بالذات؛ عامة القراء في الإسكندرية تلاميذتها وقرؤوا عليها – رحمها الله تعالى-، أو على الآخذين منها.

الخصيصة العجيبة لأم السعد – رحمها الله تعالى – أنها أشهر امرأة في العالم تجمع القراءات العشر، وتجيز المقرئين بالقراءات.

أم السعد وعلو الإسناد:

هل الشيخة أم السعد أعلى إسناد في العالم؟ نجيب: بأن المسألة فيها نوع من التفصيل.

ونقول: بأن أعلى إسناد فيمَا يعلم – من طريق الدرة – فضيلة الشيخ المقريء/ عبد الباسط هاشم –حفظه الله تعالى–، وأيضًا في نفس درجتهِ فضيلة الشيخ المقريء الجليل/ محمد عبد الحميد عبد الله –حفظه الله تعالى– وهو كبير قراء مدينة الإسكندرية، أما من طريق الشاطبية فأعلى أهل العصر إسنادًا.. هو فضيلة الشيخ المقريء/ بكري بن عبد المجيد الطرابيشي –حفظه الله تعالى– وهو أعلى القراء سندًا في الدنيا.. والله تعالى أعلم.

لكن الشيخة أم السعد – رحمها الله – في درجة المشايخ المذكورة في العشر الصغرى، في درجة الشيخ/ محمد عبد الحميد، والشيخ/ عبدالباسط هاشم.. والله تعالى أعلم.

فهي بينها وبين النبي ﷺ براوية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية سبعةٌ وعشرون راويًا[1]، سلسلة تبدأ بها وتنتهي إلى النبي ﷺ

---

(١) هذه سلسلة إسناد المقرئة الشيخة أم السعد الإسكندرانية –رحمها الله تعالى– ، تلقت الشيخة المسندة المعمَّرة المقرئة أم السعد الإسكندرانية القراءات العشر من الشاطبية والدرة عن: (١) الشيخة نفيسة بنت أبو العلا وهي عن، (٢) عبد العزيز علي كحيل وهو قرأ علىٰ، (٣) عبد الله الدسوقي وهو عن، (٤) شيخه علي الحدادي، (٥) شيخ القراء بالديار المصرية الشيخ إبراهيم العبيدي الذي قرأ علىٰ، (٦) شيخ الجامع الأزهر محمد بن حسن السمنودي المنير الذي قرأ علىٰ علىٰ (٧) علي الرميلي الذي قرأ علىٰ (٨) شيخ قراء زمانه محمد بن قاسم البقري الذي قرأ علىٰ، (٩) شيخ قراء مصر عبد الرحمن ابن شحاذة اليمني الذي قرأ علىٰ، (١٠) عليّ بن غانم المقدسي الذي قرأ علىٰ (١١) محمد بن إبراهيم السمديسي الذي قرأ علىٰ، (١٢) الشهاب أحمد بن أسد الأميوطي الذي قرأ علىٰ (١٣) الإمام الحافظ حجة القراء محمد بن محمد بن محمد بن =

الذي تلقى القرآن عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جلَّ شأنه، فهل هناك نسب أشرف من هذا النسب العلمي الجليل؟!.

رحلة التحدي:

الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- عُمِّرَتْ، تقريبًا تجاوزت الثمَانين عامًا، بعد ما أتمت حفظ القرآن في الخامسة عشرة من عمرها: ذهبت إلى شيختها الشيخة/ نفيسة بنت أبو العلا – رحمها الله تعالى- شيخة أهل زمانها (كمَا توصف بذلك)، فذهبت إليها الشيخة لتطلب منها تعلم القراءات العشر، فاشترطت عليها – الشيخة نُفَيسة- شرطًا عجيبًا؛ وهو: أن تعلمها، لكن ألا تتزوج أبدًا، فقد كانت ترفض بشدة

الجزري الشافعي مؤلف النشر والطيبة وغيرهما من المؤلفات المباركة وهو قد قرأ علىٰ، (١٤) عبد الرحمن ابن أحمد البغدادي الذي قرأ علىٰ، (١٥) شيخ القراء بمصر محمد بن أحمل الصائغ الذي قرأ علىٰ، (١٦) علي بن شجاع الكمال الضرير صهر الإمام الشاطبي الذي قرأ علىٰ، (١٧) الإمام أبي القاسم الشاطبي الذي قرأ علىٰ، (١٨) الإمام علي بن محمد بن هذيل البلنسي الذي قرأ علىٰ (١٩) أبي داود سليمان بن نجاح الذي قرأ علىٰ (٢٠) الإمام أبي عمرو الداني الذي قرأ برواية حفص علىٰ (٢١) طاهر بن غلبون قال: قرأت علىٰ (٢٢) عليّ بن محمد الهاشمي قال: قرأت علىٰ (٢٣) أحمد بن سهل الأشناني قال: قرأت علىٰ (٢٤) أبي محمد عُبيد بن الصباح قال: قرأت علىٰ (٢٥) حفص بن سليمان الذي قرأ علىٰ، (٢٦) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الذي قرأ علىٰ، (٢٧) أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الذي أخذ عن، (٢٨) عثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأخذ هؤلاء رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ الذي تلقىٰ القرآن عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل شأنه.

تعليم البنات؛ لأنهن بعد الجهد الجهيد في تعليمهن، يتزوجن وينشغلن فيهملن القرآن الكريم، فكانت ترى أنهن لسن أهلن لذلك؛ لذلك كانت تزهد في تعليمهن!، قبلت الشيخة أم السعد -رحمها الله تعالى- هذا الشرط من شيختها التي كانت تعرف بصرامتها وقسوتها على السيدات ككل اللواتي لا يصلحن - في رأيها -لهذه المهمة الشريفة!، وممَا شجعها على ذلك أن الشيخة نفيسة - رحمها الله تعالى- نفسها لم تتزوج رغم كثرةِ من طلبوها للزواج من الأكابر، وماتت وهي بكرٌ في الثمَانين، انقطاعًا للقرآن الكريم...!.

حديثٌ أجري مع الشيخة قبل وفاتها:

□ تقول الشيخة أم السعد في حديث مع الأخ حسام تمَام - وفقه الله-: «من فضل ربي أن كل من نال إجازة في القرآن في مدينة الإسكندرية بأي قراءة إما أن يكون قد حصل عليها مني مباشرة - أي: مناولةً- أو من أحد الذين منحتهم إجازة.

وتؤكد اعتزازها بأنها السيدة الوحيدة - في حدود علمها- التي يُسافر إليها القراء وحفظة القرآن من أجل الحصول علي: «الإجازة» في القراءات العشرة.

أكثر ما كان يسعدها - رحمها الله تعالى - أن مئات الإجازات التي منحتها في القراءات العشرة يبدأ سندها «تسلسل الحفاظ» باسمها، ثم اسم شيختها «نفيسة أبو العلا» ليمتد عبر مئات الحفاظ وعلمَاء القراءات بمن فيهم القراء العشر: «عاصم، نافع، حمزة، ابن كثير، الكسائي، ابن عامر، أبو جعفر، يعقوب، خلف» إلى أن ينتهي بالرسول المصطفى محمد ﷺ.

من تواضع لله رفعه:

كانت تعيش الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- في أعرق حي في مدينة الإسكندرية، وهو حي «بحري» في حارة الشمرلي، وما إن دخلت هذا الحي وسألت عن الشيخة، يتسابق الجميع – الكبير والصغير- ليدلوك عن شقتها المتواضعة؛ لأنها كانت هناك: «أشهر من نارٍ على علم»..

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يرفع نفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

أفواج صغيرة تدخل وتخرج ممن يحلمون بختم القرآن الكريم من مختلف الأعمَار ومن الجنسين، ومن مختلف الطبقات الاجتمَاعية؛ الفقير والغني، الطبيب، والمهندس، والمدرس، والمليونير، وأستاذ الجامعة، وطلاب الثانوية، رجالٌ كانوا أو نساء.. من كل طبقات المجتمع، يتوافدون على بيتها، ومن قبل كانوا يتعلمون على يديها ويد زوجها فضيلة الشيخ المقريء/ محمد فريد النعمَان – رحمه الله تعالى- شيخ قراء ثغر الإسكندرية في زمانِهِ.

تبدأ دروس النساء والبنات من الثامنة صباحًا وتمتد إلى الثانية ظهرًا، ثم تبدأ دروس الرجال حتى الثامنة مساءًا لا يقطعها سوى أداء الصلوات، وتناول الوجبات الخفيفة لتتمكن الشيخة من الاستمرار.

قصة العمى وخرافات الريف:

من وجد الله فماذا فقد؟!.. ومن فقد الله فماذا وجد؟!

متى صحّ مِنكَ الودُّ فالكل هَيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ

نشأت أم السعد ابنةً لأسرةٍ فقيرة انحدرت من قرية البندارية إحدى قرى مدينة المنوفية «شمَال القاهرة».

داهم المرض عينيها ولم تتجاوز عامها الأول، ولم يكن لدى أهلها القدرة – وربمَا أيضًا الوعي – لعلاجها لدى الأطباء فلجؤوا إلى الكحل والزيوت وغيرها من صفات العلاج الشعبي التي أودت – في النهاية- ببصرها مثلما حدث مع آلاف الأطفال آنذاك.

والشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- لها ذكريات أليمة، وقد أخبرتني ببعضها ومن ذلك مثلًا: هذا الموقف الذي أثر في حياتها كلها، عندما كانت في المدرسة.. في أوائل السنوات، استأذن المدرس أن يخرج من الفصل لدقائق معدودة، ووقتها حذر التلميذات في الفصل على أن لا يصدروا أيةِ صوت، فقبل خروجهِ سمعت أم السعد – رحمها الله- أن التلميذات أحدثن شيئًا من الضوضاء، فحسبت أن المدرس خرج بالفعل، فقامت وقفزت على المكتب وقالت: هيه هيه هيه – تعبيرًا بالفرح وقت ما كانت طفلة-، وصاحت بهذه التعبيرات باعتبار أن المدرس خارج الفصل، فضحكت التلميذات!، وإذ بالمدرس يضربها ويقول لها: إن لم تكوني عمياء.. فماذا تصنعي؟ فضربها المدرس، وفي الحقيقة أنها ظلت تبكي، واستغربت جدًّا وصفها بالعمى، وظلت تبكي طوال اليوم، وقالت: لمَا علمتُ بمصيبتي؛ يبدو أنها نتيجة إهمال الناس لها من حولها لم تكن تعرف في يومٍ من الأيام أنها عميت، أو أن الأولاد بتولد بنظير صحيح، ثم بعد ذلك بيطرأ عليهم العمى، فهي لم تكن تعرف حقيقة هذا الأمر فصدمتها كلمة هذا المدرس، وظلت تبكي طوال اليوم على المصيبة التي اكتشفتها، وعَلِمَ ناظر المدرسة – رحمه الله تعالى-

بالواقعة فقام بفصل المدرس من المدرسة.

ناظر المدرسة ونشأة أم السعد:

□ تقول أم السعد: «كنت الوحيدة بالمدرسة الضريرة، فكان ناظر المدرسة يتلطف معي ويقول لي: «يا أم السعد.. أنتِ بنت ممتازة، لذلك لا تحضري دفاتر، سوف تعطيك المدرسة من دفاترها»، وبدأت الروح تعود إلى الجسد من جديد، لمَا فهمته أم السعد من الناظر – رحمه الله تعالى- أنها ستعامل معاملة متميزة وسط الطالبات في المدرسة لأنها كانت ذكيةٌ جدًّا، وهذا دور الرجل التربوي الناجح؛ فنحسبه أنه هو السبب في إخراج مثل هذه المرأة إلى الدنيا كلها، وكان يعطيها كراسات السنة المَاضية، وتقول: كنتُ أشعر بسعادة لتمييزهِ لي على أقراني بتلك الدفاتر، وقال لي ذات يوم –هذا الكلام مباشرةً من الشيخة للدكتور/ المقدم-: «يا أم السعد ستكونين أم السعد حقيقة، انتظري بعد المدرسة سوف تحفظين كتاب الله تبارك وتعالى أنتِ الوحيدة لأنكِ أحسن بنت، تقول: سعدت بكلمَاتهِ كثيرًا، وكان يجلس معي يوميًا بعد الدراسة يحفظني ما يتيسر له فإذا أتممتُ رُبعًا كافئني ببعض الحلوى من: «المعمول وكعب الغزال»، وكان لا يتخلف عن الجلوس معي بعد انتهاء اليوم الدراسيِّ إلَّا لعذرٍ قاهر كـ: «حضور اجتمَاع، أو الذهاب للمنطقةِ التعليمية»، وكان إذا تخلَّف أمر بعض المدرسات بالجلوسِ معي حتى لا أتأخر عن وردي اليوميّ – فجزاه الله عني خيرًا-.

وكان تحفيظُ الناظر لي بمثابةِ بداية لم أحفظ فيها إلَّا أجزاءً قليلة وفرقت بيننا الأيام.

أم السعد: الوقار وخفة الظل:

الشيخةُ أمُّ السعد – رحمها الله تعالى- كانت خفيفةُ الظل جدًّا مع وقارها الشديد لكنها كانت مرحة، وإذا جالستها تحسُّ وكأنَّ الملائكة تزاحمك في المكان؛ وهذا شعورٌ غريب يحسه كل من يجلس إليها – رحمها الله تعالى- لأن حياتها كلها ليل نهار في القرآن لا غير على الإطلاق.

تعبوا قليلًا واستراحوا دائمًا يا عِزَّة التوفيقَ للإنسانِ

لطائف الحكايات:

من طرئف الشيخة – رحمها الله تعالى- التي كانت تحكيها كثيرًا:

كانت التلميذات الصغار اللواتي معها في الفصل يتحاكمن إليها في «الشَعرِ الناعم المميز» وكانت – رحمها الله- متميزةُ في هذا الموضوع فكن البنات يتحاكمن إليها عند الاختلاف، في ذاتِ مرة من المرات حصل مثل هذا، فكانت تمسك بالشعر وتقول: هذا ناعم، هذا خشن.. وهذا كذا، دخلت المدرسةُ وهنَّ متزاحمات أمامها حتى تحكم هي على شعورهن، فالمدرسة تظاهرت بأنها تلميذة واندسَّت في وسط التلميذات ومدت لها شعرها، وقالت لها: ما رأيك في شعري، فقالت الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- بعد ما لمسته: أو هذا شعر! هذه فروة خروف!؛ فضحكت المعلمة وضحكت البنات، فقالت لها المعلمة: أو هكذا يا أم السعد، فقالت: لا والله يا أستاذة.. هو جميل وناعم ومحتاج قليل من الزيت – كي ينعم-.

من حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير كلَّه!:

□ كانت الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- في غاية الرفق بمن

تُحفظُهن بالذات من الأخوات حتى لفت هذا بعض تلميذاتها، وقالت لها بعض تلميذاتها: ما رأيتُ شيخةً في لطفكِ ورحمتكِ ورأفتكِ بنّا ونحن نقرأ عليك القرآن، فقالت الشيخة – رحمها الله تعالى- لقد عانيتُ وذقتُ الأمرَّين في حِفظي على يدِّ المشايخ؛ فكانوا يضربوننا بالخيزران على رؤوسنا، ويَغلظون في القول وكنتُ أرتاعُ منهم، لذلك أنا أرحمُ من يحفظُ معي..

عليكِ بأمرِ الرفقِ فهو محببُ	وكوني لا لاهيةً ذاكرةً مخبتة
وكوني طيبةً كالنحلِ يخرجُ طيبًا	وتخرجُ شهدًا صافيًا ومعسلة

□ وكان من رفقها – رحمها الله- بأن تكثر من نصيحة تلاميذها وتلميذاتها.. بأن يُعجِّلن حفظ القرآن الكريم حتى لا تفوتهم الفرصة؛ وكأنها كانت تشير إلى اختطافِ الموت إياها، فكانت تنصح بعدم التخلُّف عن الحضور ليختم التلميذ أو التلميذة بسرعة، وكانت تستدل بقصتها مع شيختها المقرئة/ بنفيسة بنت أبي العلا – رحمها الله تعالى-.

□ وفي هذا الباب يقول الشيخ عائض القرني:

أيا داعيا لله هاك وصيتي	عليك بتقوى الله يا صاح أولًا
وكن طلبًا للعلم في كل ساعةً	حريصًا عليه مجملًا وفصلًا

□ تقول أمُّ السعد – رحمها الله-: «قالت لي الشيخة نفيسة – رحمها الله- وانا صغيرة وذكية: يا أمَّ السعد سوف أُحوِّل بيتي – إن شاء الله- إلى دارٍ لتحفيظ القرآن الكريم، ولسوف أجعلكِ المسؤولة عنها في حياتي وبعد مماتي، وشرعت شيختها نفيسة في أخذ خطواتٍ عملية في سبيل تحقيق ذلك، وكان من المفروض أن أتسلَّم الدارُ يوم السبت، لكن قالت

لي الشيخة نفيسة – رحمها الله تعالى-: يوم الخميس «وهو الفائت عن السبت» أن أخي مريض وهو بيحتضر، فأحشى أن يتأخر استلامُكِ للدار بسببِ ذلك، ويوم الجمعة جاءها طارقٌ بالليل – أتى الشيخة أم السعد- تقول أمّ السعد: «فمَا شككتُ أنه أخو الشيخة نفيسة قد مات، فلمَّا تبينَّا الأمر إذا بالشيخة نفيسة هي التي ماتت، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله».

الطفولة القرآنية:

وكعادتِ أهل الريف مع العُميان نذرها أهلها لخدمة القرآن الكريم حتى حفظت القرآن الكريم في مدرسة: «حسن صبحي» بالإسكندرية في الخامسةَ عشرةَ من عمرها، وأتمت هذه المهمة الشريفة وحصلت من شيختها نفيسة – رحمها الله- على إجازاتٍ في القراءاتِ العشر وهي في الثالثةِ والعشرينَ من عمرها – رحمها الله-، وكانت الوحيدة في عصرها من النساء في مصر من يحمل هذا العلم، وكانت تفتخرُ بذلك، وكان بيتها لا يكاد يُغلق من كثرةِ الوفود التي تصل إليها لتأخذ علم القراءات عنها من كل طبقات المجتمع: أساتذة جامعات، أطباء، مهندسين، مدرسون، رجال أعمال، طلاب علم، نساء، رجال، شباب. وكانت تبدأ الدروس من الثامنة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر وهذه كانت فترة النساء، وكانت تبدأ فترة الرجال من الثانية بعد الظهر إلى الثامنة مساءًا.

ستون عامًا من حفظ القرآن وقراءته ومدارسته ومراجعته لم تنسى منه حرفًا لأنها لم تكن تعرف علمًا آخر غير القرآن؛ فلا تجد عندها مثلًا: علم الفقه، ولا علم اللغة، ولا علم الحديث.. ولا أية شيء؛ لأنها لم تتعلم أي علم آخر سوى علم القراءات؛ وكانت فيه متقنةً جدًّا، فمَا تعرف إلَّا علم

القرآن ومتونه في التجويد والقراءات، لم ينشغل عقلها ولا قلبها بشيءٍ إلَّا القرآن الكريم.

□ تقول الشيخة أم السعد – رحمها الله – في حديثها مع الأخ/ حسام تمَام: «ستون عامًا من حفظ القرآن وقراءته ومراجعته جعلتني لا أنسى فيه شيئًا، فأنا أتذكرُ كل آيةٍ وأعرف سورتها وجزءها وما تتشابه فيه مع غيرها، وكيفية قراءتها بكل القراءات.

أشعر أنني أحفظ القرآن كاسمي تمَامًا، لا أتخيل أن أنسى منه حرفًا أو أخطئ فيه، فأنا لا أعرف أي شيء آخر غير القرآن والقراءات، لم أدرس علمًا أو أسمع درسًا أو أحفظ شيئًا غير القرآن الكريم ومتونهِ في علوم القراءات والتجويد، وغير ذلك لا أعرف شيئًا آخر».

علاقتها بطلابها – رحمها الله -:

ولمَّا سئلت الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- عن تلاميذتها وعلاقتها بهم، وهل تتذكرهم قالت – رحمها الله -: «أتذكر كلَّ واحدٍ منهم: هناك من أعطيته إجازة بقراءة واحدة. وهناك – وهم قليلون- من أخذوا إجازات بالقراءات العشر مختومة بختمي الخاص الذي أحتفظ به معي دائمًا، ولا أسلمه لأحد مهمَا كانت ثقتي فيه.

وهي تشير بهذا إلى أنها لا تختم الإجازة لأحدٍ ألا إذا قرأ عليها القرآن ووثقت بقراءته.

□ وتقول الشيخة أم السعد أيضًا: «بعضهم انشغل ولم يَعُد يزرني؛ لكن معظمهم يتصل بي أو يأتي لزيارتي والاطمئنان عليَّ بين الوقت والآخر».

وتذكر منهم بفخر عددًا من القراء والدعاة، وحفظة القرآن الكريم،

أحدهم نال المركز الثاني في المسابقة العالمية لحفظ القرآن الكريم التي تنظمها السعودية سنويًّا، وأشهرهم القارئ الطبيب «أحمد نعينع» الذي قرأ عليها وأخذ عنها إجازة.

□ يقول ابن رحال: «وممن أخذ عنها أيضًا شيخنا العلامة؛ مسند العصر/ عبد الله بن صالح بن محمد العبيد – حفظه الله تعالى–، ختم عليها ختمة كاملة للقراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة بثغر الإسكندرية، كمَا ذكر ذلك في كتابه: «الإمتاع بذكر بعض كُتُبِ السمَاع».

وأيضًا قرأ عليها الشيخ القاريء/ هشام عبد الباري، وحصل منها على إجازة في أربع قراءات – كمَا أخبرني بذلك وفقه الله–، وفضيلة الشيخ المقريء/ عبد الحميد منصور –حفظه الله–، والداعية الربانية/ د: فاطمة الإسكندرانية – حفظها الله–، وكذا عدد من أساتذة وشيوخ معهد القراءات بالإسكندرية والذين لا يعطون إجازة في حفظ القرآن إلَّا ويضعون اسمها في أول السند المتصل إلى النبي ﷺ.

أسعد أيام أم السعد:

□ وتتابع أم السعد فتقول: «أسعد أيام أم السعد هو يوم: «الختمة» الذي تمنح فيه الطالب الإجازة، ورغم أنه مر عليها هذا اليوم أكثر من ثلاثمئةِ مرة، فإنها تحتفظ بصورة لكل إجازة، وكانت آخرها لسيدة في قراءة قالون عن نافع، وفي يوم: «الختمة» تقام وليمة، أو حفل يوزع فيه شاي وقهوة مع قطع الحلوى أو الكيك، ويقدِّم لها صاحب الختمة هدية: «جلابية، خاتم، حليةٌ ذهبية» كلٌّ حسب استطاعته.

أمَّا أجمل هدية فكانت رحلة حج وعمرة واستضافة سنة كاملة في

الأراضي الحجازية قدَّمها لها بعض تلامذتها، وأجملُ ما في هذه الهدية بَعْدَ الحج والعمرة: أنها راجعت حفظ القرآن الكريم، ومنحت إجازات في القراءات المختلفة لعشرات الحفاظ من كل البلاد الإسلامية: السعودية، باكستان، السودان، فلسطين، لبنان، تشاد، أفغانستان، بل عندما انتقلت إلى الكويت والمملكة العربية السعودية أنتشر تلاميذاتها أكثر وأكثر.

وأحبُّ إجازة منحتها الشيخة أم السعد – رحمها الله- إلى قلبها هي: لطالبة سعودية لم تتجاوزُ السابعة عشر من عمرها.

قصة الزواج:

□ وقالت الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى- عندما تقدم لخطبتي فضيلة الشيخ/ محمد فريد النعمَان – رحمه الله تعالى- رفضت لأن شيختي نفيسة أبو العلا – رحمها الله- كانت قد أخذت عليَّ موثقا ألا أتزوج قط، وأن أنذر نفسي للقرآن الكريم، وبعد مرور حاولي ستة أعوام كانت الشيخة نفيسة قد توفيت – رحمها الله تعالى-، وتقدم لخطبتي أحد الشيوخ الذين كانوا يختمون على يديها، وكاد والدها أن يوافق عليه، وهي أيضًا تبعًا لوالدها، وهذا الشيخ المتقدم لخطبتي أفشى السر وهو في إحدى المحلات قال: أنا بأتقدم لخطبة الشيخة أم السعد، فسمعه الشيخ محمد فريد النعمَان رَحِمَهُ اللَّهُ فأسرع إلى والدها قائلًا أنا أولى بها من غيري لأنني ختمتُ عليها العشر، وكان الشيخ الذي أراد أن يخطبها لم يكن أتم القراءات العشر، وكانت مدة قراءة الشيخ/ النعمَان على الشيخ/ أم السعد – رحمهما الله- ست سنوات يقرأ عليها، وبالفعل

وافقت أم السعد، وتم الزواج والحمد لله، وكانت كثيرة الثناء على فضيلة الشيخ/ محمد فريد النعمان رَحِمَهُ اللَّهُ خيرًا، والشيخ/ محمد فريد أيضًا كان بصيرًا بقلبهِ، وكان من أشهر القراء في الإسكندرية؛ في الإذاعة وغيرها.. وكان رَحِمَهُ اللَّهُ نسيج وحدهِ في قراءته – رحمه الله تعالى-، وهو صاحب أول إجازة كانت تمنحها الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى-.

□ وتقول عن قصة زواجها من فضيلة الشيخ/ محمد فريد النعمان: «لم أستطع الوفاء بالوعد الذي قطعته لشيختي «نفيسة» بعدم الزواج.

وكان الشيخ/ محمد فريد يقرأ علي القرآن بالقراءات، كان مثلي ضريرًا وحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكرة، درَّست له خمس سنوات كاملة وحين أكمل القراءات العشر، وأخذ إجازاتها، وبعدها طلب يدي للزواج فقبلت.

واستمر زواجهمَا أربعين سنة كاملة لم تنجب فيها أولادًا، ولكنها أنجبت تلاميذ حفاظًا وقراء كثُر.. فالحمد لله.

□ وتعلق قائلة: «الحمد لله، أشعر بأن الله تعالى يختار لي الخير دائمًا، ربما لو أنجبت لانشغلت بالأولاد عن القرآن وربمَا نسيته» اهـ.

□ يقول شيخنا/ المقدم –حفظه الله تعالى-: «نقول وإنها وإن حرمت الإنجاب والأولاد – رحمها الله تعالى- لكن فعلًا أولادها كثر، وهم هؤلاء الذين تلقوا عنها هذا العلم الشريف؛ لأن العلم رحم بين أهله؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقراءة أبي: ﴿وَهُوَ أَبٌ لَّهُمْ﴾؛ فهناك أبوة، وكما قال النبي ﷺ في الحديث: «**إنما أنا لكم مثل الوالدِ لولدهِ**»، وفي لفظٍ: «**بمنزلة الوالدِ أعلمكم**»،

فالمعلم بمنزلة الأب، والإمام النووي – عليه سحائب الرحمة، وشآبيب المغفرة– وهو يترجم لبعض العلمَاء، يقول: هم أئمتنا وهم سلفنا كالوالدين لنا، وقال في ترجمة أبي العباس بن شريح: وهو أحد أجدادنا في سلسلة الفقه؛ فتعامل مع النسب العلمي كالنسب الصلبي.

▢ يقول الشاعر:

أُفَضِّل أستاذي على فضل والدي ... وإن الذي من والدي المجد الشرف

فهذا مربي الروح والروح جـوهرٌ ... وذاك مربي الجسم والجسم الصدف

فتلامذة الشيخة – رحمها الله– لا يزالون متوافرين ولله الحمد، ومن فاته علو الإسناد الذي كان يتمناه الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ لـمَّا سئل ما تشتهي يا إمام وهو في موتهِ؟ قال: «بيتٌ خال، وإسنادٌ عال»، فمن فاته علو السند، وندم على أنه لم يلتحق بهذا النسب العلمي المبارك، فلا تزال توجد فرصة أولًا: بالنسبة لفضيلة الشيخ/ محمد عبد الحميد عبد الله – حفظه الله تعالى– وهو قرينها في نفس طبقتها في الإسناد، وأيضًا تلامذة الشيخة كثيرون ومن أشهرهم.. الشيخ/ عبد الحميد منصور –حفظه الله تعالى– وهو له دورٌ فعَّال في تعليم الإخوة القرآن، وأيضًا في الإسكندرية الأستاذة الدكتورة الربانية الداعية الكبيرة/ د: فاطمة الشيخ –حفظها الله تعالى– وهي تلميذة مباشرة للشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى– ويمكن للأخوات أن يعوضن ما فاتهن بالتلقي عنها – وفقها الله تعالى–، وتلاميذاتها مشهورات وكثرٌ في الإسكندرية – ولله الحمد– ما يكاد أحد معه إسناد في الإسكندرية إلَّا ويكون عن طريق الشيخة أم السعد – رحمها الله تعالى–.

ختامها مسك:

✍ ونختم حديثنا هنا بـ: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»، وهذا جزءٌ يسير من سيرة هذه الشيخة الفاضلة، ونسأل الله ﷻ أن يشفع فيها بعد النبي الكريم ﷺ القرآن الكريم العظيم التي وهبته حياتها وخدمته أعظم خدمة، ونرجوا من الله أن يبقيَّ لها الذكر الحسن الذي يستحث الجميع على الدعاء لها بالمغفرة والرحمة، ونحن أيضًا نتمثل بقول الإمام عبد الله بن المبارك – رحمه الله تعالى-: «أحبُّ الصالحين ولستُ منهم وأرجوا أن أنال بهم شفاعة، وأبغض الطالحين وأزدريهم وإن كنا سواءً في البضاعة» [(١)] اهـ.

أنهار الخير الدَفَّاقة بالعطاء الزاخر:

في عصرنا نلمس العطاء السامي والحنان الغامر في نساء عاليات الهمم شرفت بهنّ بلادنا.

الحاجة كاميليا العربي رئيسة أحباب الله ومدارس الشمس المشرقة:

صورة مشرِّفة لرعاية اليتامى وحسن تربيتهم، ويد معطاء جوّادة ومدارس تبث الخير، وجمعية ترأسها أخت كريمة جوادة خيِّرة نبيلة جزاها الله خيرًا عن كفالتها الأيتام وجودها الزاخر.

نعم هي «أمجاد» تسير على أرضنا نحو المعالي و«الشمس المشرقة» لرعايتها لـ «أحباب الله» حفظ الله لها بنيها الكرام وهم إخواني في الله الذين أشرف بمعرفتهم ومحبتهم في الله.

---

(١) نص محاضرة الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم في رثاء شيخته وشيخه أهل بيته الشيخة أم السعد –رحمها الله- .

إن تَصْدُق الله يصدُقك:

□ قالت لي الحاجة كاميليا على التليفون: «السلام عليكم تبدأ قصّت منذ ١٧ عامًا تقريبًا،وكنت أعمل مقدِّمة برنامج أطفال بالتلفزيون، وقد مَنّ الله على بأداء فريضة الحج، وهناك شعرتُ بقربٍ من الله ﷻ، فعُدْتُ وقد قرّرت ارتـداء الحجـاب لَمَّا علمتُ أنه فرض، وعندما توجّهت لأداء برنامجي فوجئت بقرار منعي من الظهور، وكان عليَّ أن أختار بين عملي وحجابي فاخترتُ الله ودعوته أن يأجرني في مصيبتي ويخلفني خيرًا منها. فمنَّ الله عليّ مرّة أخرى بدار «أحباب الله» الذي كان فيه العِوَض عن أطفال التليفزيون، بدأت بـ ٣ أطفال حتى وصل عددهم إلى ٣٠٠ طفل يتيم إلى جانب حوالي ١٥٠ من القائمين بالعمل عليهم، وفي يوم فوجئت بمن يخبرني بأن الدار ليس بها رغيف واحد، وليس عندنا رصيد بالبنك وأن عليّ أن أتصرَّف، وبدأت بالأخذ بالأسباب، فبدأت أبحث عمَّن يتبرَّاع لـ «أحباب الله» الأيتام، ولكني لم أجد أحدًا ممن اعتدتُ أن ألجأ إليهم في مثل هذه المواقف، وتذكَّرت أني لجأت للأسباب قبل المسبِّب، ولاح بخاطري الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا..**» فذهبت إلى غرفتي، وشرعت في الصلاة لله، وبعد كل ركعتيْن أشعرُ بأن الهمَّ سوف يزول، وأن الفرج لا بُدَّ أن يأتي، وأنَّهُ ما ابتلاني إلَّا ليعافيني وإنما هو مجرّد اختبار، وظللت أبكي وأدعو ربي وأناجيه أن يرفع عني هذا الهمّ، وظلّت الصلاة مصحوبة بالبكاء حتى شعرت وكأن الهمَّ قد زال، ولاح الفجر وصلَّيتُ، ثم ذهبت إلى مقرِّ الجمعية بالمعادي، ودخلت مكتبي، وما هي إلَّا لحظات حتى دقّ الباب شخص لا أعرفه، ودخل المكتب وبادرني بسؤال: ماذا تُريدين، وبكيت وقلت: والله إن أعطيتني جنيهًا سوف

أشتري به خبزًا للأطفال، فقال: ألهذه الحالة وصلتُم؟!، ثم خرج وعاد بعد دقائق قليلة وفي يده كيس بلاستيك أسود وضعه أمامي على المكتب وقال: «٣٠ ألف جنيه» يمَشُّوك شويّة.. طبعًا انفجرت في البكاء وقمت من على مكتبي وذهبت لمن قالت لي بالأمس: ليس لدينا رغيف خبز واحد بالدّار،وقلتُ لها: لا تقولي مرة أخرى ليس عندنا فما دام الله موجود فلن يُضَيِّعنا أبدًا، وعُدتُ مرة ثانية إلى الشخص وبيدي دفتر التبرّعات، واستخرجت الإيصال وأنا أقول له أكتب المبلغ باسم من؟ قال: فاعل خير، وانصرف، ومن يومها – والحمد لله رب العالمين – ما سألتُ الله مرّة شيئًا على قدْري إلّا وأعطاني على قدره».

الحاجة منى صلاح رائدة «منابر النور» ودورها النبيل في العمل الاجتماعي:

أسأل الله أن يجلسها على «منابر النور» في جنته ويهبها النظر إلى وجهه تصب الخير صَبًّا صبًّا على الفقراء والمساكين والمحتاجين من المسلمين لا ترد سائلًا، وتشرف على تعليم نساء المسلمين القرآن الكريم فبُورك جهدها، ونَبُل قصدها.. حفظ الله لها بنيها وجعلهم منابر نور في طريق الدعوة إلى الله.

تيَّار الفرات.. أمي الثانية.. الحاجة أم وليد.. الحاجة ثريا:

بوركت من صالحة قانتة عابدة قوّامة، معطاءة، خيِّرة، دَيِّنة صيِّنة.. نهر خير يفيض ويفيض ويفيض..تحب معالي الأمور وتجعل همها كل همها في الآخرة.

في ليل رمضان تقوم الليل متهجدة في ليله باثنين وعشرين جزءًا من القرآن وسنها سبع وستون سنة!!! مدّ الله في عمرها.

والله ليس لعطائها مثيل.. وتعجز الكلمات عن وصف همتها وجودها

بارك الله لها في أولادها وأحفادها وحفظهم بحفظه الجميل، ورزقها جوار النبي ﷺ في أعلى عليين.. هي أمي الثانية التي جادت عليّ بكل خير وعند الله وحده جزاؤها.

أمي الحبيبة الغالية سميرة بنت عبد الحليم العفّانية:

كانت رحمها الله قد بلغت من الطاعة لزوجها أبي رَحِمَهُ اللَّهُ الغاية القصوى، وتفانت في خدمة أبي وأولادها، ضحّت براحتها من أجل راحة من حولها.

وكانت كثيرة الذكر كريمة محسنة لليتامى والفقراء والمساكين كل معاشها من راتب أبي كانت تنفقه في رواتب شهرية على أرامل وفقراء، لا تحبس شيئًا عن المحتاجين وكانت كثيرة الصلاة، وحينما أصيبت بجلطة ونُقِلت إلى مستشفى التأمين الصحي ببني سويف ظهرت منها الأعاجيب فقد كان ينتابها في أحايين كثيرة فقدان الوعي وغيبوبة كاملة عن الوعي فإذا سمعت صوت الأذان ردّدته – إِي والله– وتأمر أخي الدكتور سعد قائلة: أريد أن أتوضأ حتى لا تفوتني صَلاة الفجر.. أَيقِظ البناتِ للصلاة.. كل هذا وهي في الغيبوبة وبناتُ أخي في قريتنا بني عفان بعيدًا عنها.. مثلما كانت توقظهن لصلاة الفجر.

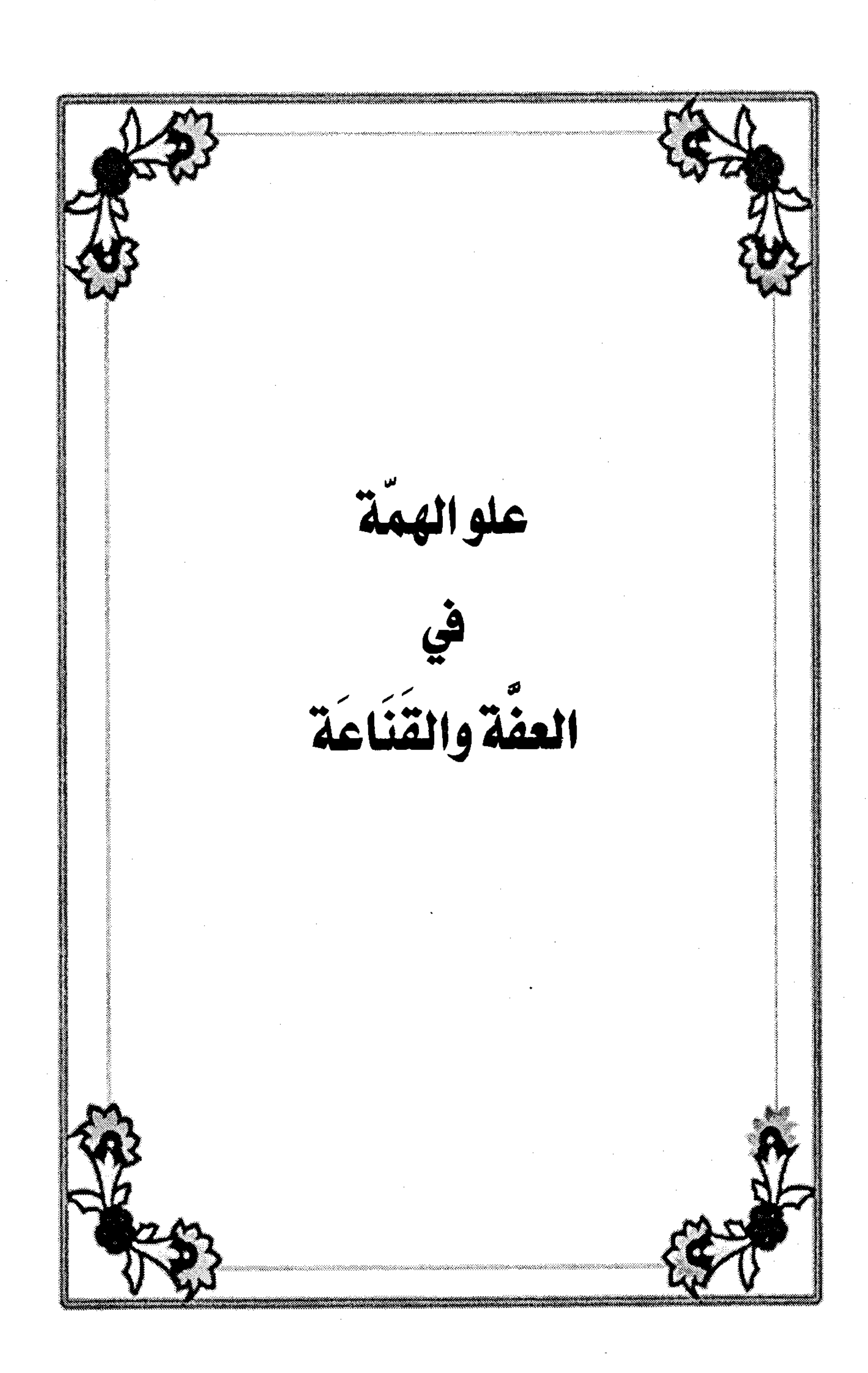
ولَمَّا أفاقت لحظات من غيبوبتها أوصتني ببناء مستشفى ومسجد على قطعة أرض تملكها.

وقبل موتها مباشرة دخلت في الغيبوبة التي ما أفاقت منها حتى موتها رحمها الله، وعزّ عليّ ما تلاقي فقلت بصوت خفيّ: اللهم لا تُحْوِجها إلى زوجاتنا أو أحد من خلقك.. فإذا بها تقول، وهي غائبة عن الوعي تمامًا: «اللَّهم إن رحمتك إياي لا تنقصك فهب لي ما لا ينقصك، اللَّهم إن مغفرتك إيّاي لا تعجزك فهب لي ما لا يُعجزك.. اللَّهم لا تُحْوِجْني إلى

أحدٍ من خلقك وردّدت قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦)﴾ [النبأ].

ثم رددت خواتيم سورة البقرة: ﴿..رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٨٦)﴾ [البقرة].

وكان هذا آخر كلمات قالتها وغادرت به دنيانا.. أسكنها الله أعالي الفردوس هي وأبي.. وأورثهما مرافقة الرسول الكريم ﷺ.



علو الهمّة

في

العفّة والقَنَاعَة

علو الهمّة في العفّة والقَنَاعَة

العِفَّة دليلٌ على كمالِ النَّفْس وعِزِّها، ونزاهتها، ودليل كمال العقل، وهي ركْنٌ من أركانِ المروءة يُنال بها الحمدُ والشَّرَف.

والعِفّة هي الكَفُّ عن القبيح، والمحارمِ الدَّنِيّة، والكَفُّ عن الحرامِ والسؤالِ من الناسِ. وهي أيضًا النَّزاهة عن الشيء.

□ قال الرَّاغِبُ: «العِفَّةُ: حُصولُ حَالةٍ للنَّفْسِ تَمْتَنِعُ بها عن غَلبةِ الشَّهْوةِ، والمتعفِّفُ هو المُتعاطي لذلك بِضَرْبٍ من الممارسةِ والقَهْرِ»[١].

□ وقال أيضًا: «العِفَّةُ هي ضَبْطُ النَّفْسِ عن الملاذِّ الحيوانيَّةِ، وهي حالةٌ متوسِّطَةٌ من إفْرَاطٍ وهو الشَّرَهُ، وتَفريطٍ وهو جُمُودُ الشَّهْوةِ»[٢].

□ وقال الكَفَوِيُّ: «العِفَّةُ هي الكَفُّ عمَّا لا يَحِلُّ»[٣].

□ وقال الجاحِظُ: «هي ضَبْطُ النَّفْسِ عن الشَّهواتِ وقصرُهَا على الاكتفَاءِ بما يُقيمُ أوَدَ الجسدِ ويحفظُ صحَّتَهُ فقط، واجتنَابُ السَّرَفِ في جميع الملذَّاتِ وقصْدُ الاعتِدَالِ، وأَنْ يكون ما يُقْتصَرُ عليه من الشَّهواتِ على الوجْهِ المستحَبِّ المتفق على ارتضائِهِ وفي أوقاتِ الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدْرِ الذي لا يحتاجُ إلى أكثر منه، ولا يَحْرُسُ النَّفْسَ

---

(١) «المفردات» (ص٣٣٩).

(٢) «الذريعة إلى مكارم الشرعية» (ص٣١٥).

(٣) انظر: «الكلّيات» (ص٦٥٦).

والقوَّةَ أقلُّ منه، وهذه الحالُ هي غايةُ العِفَّةِ»[(١)].

□ قال الجُرْجَانِيُّ رحمه الله: «العِفَّةُ: هي هَيْئَةٌ للقُوَّةِ الشَّهْوِيَّة متوسِّطةٌ بين الفجُورِ الذي هي إفْرَاطُ هذه القوة، والخُمُودِ الذي هو تفريطُهُ. فالعفِيفُ من يُبَاشِرُ الأمور على وفْقِ الشَّرْعِ والمُرُوءَةِ»[(٢)].

أنواع العفة:

□ قال المَاوَرْدِيُّ رحمه الله: «العِفَّةُ والنَّزَاهةُ والصِّيانَةُ من شُروطِ المروءَةِ، والعِفَّةُ نوعانِ: أحدُهُمَا العِفَّةُ عن المحارِمِ، والثاني العِفَّةُ عن المآثِمِ، فأَمَّا العِفَّةُ عن المحارم، فنوعان: أحدُهما: ضبْطُ الفرْجِ عن الحرامِ، والثَّاني: كَفُّ اللِّسَانِ عن الأعْراضِ، فأَمَّا ضَبْطُ الفَرْجِ عن الحرامِ فلأنَّ عدَمَهُ مع وعِيدِ الشَّرْعِ وزَاجِرِ العقل معَرَّةٌ فاضِحَةٌ، وهتكَةٌ واضِحَةٌ.

وأَمَّا كَفُّ اللِّسان عن الأعْراضِ؛ فلأَنَّ عدمَهُ ملاذُّ السُّفَهاءِ وانتقامُ أهل الغوْغَاءِ، وهو مستسهَلُ الكفِّ، وإذا لَمْ يقْهَرْ نفسه عنه برادع كَافٍّ، وزاجِرٍ صَادٍّ، تلَبَّطَ بمعَارِّهِ، وتخبَّطَ بمضارِّه، وأمَّا العِفَّةُ عن المآثِمِ فنوْعَانِ أيضًا: أحدُهما: الكَفُّ عن المجاهَرَةِ بالظُّلْم، والثَّاني: زَجْرُ النَّفْس عن الإسرار بخيانةٍ.

فأمَّا المجاهرةُ بالظُّلم فعُتُوٌّ مهلِكٌ وطغْيانٌ مُتْلِفٌ، ويؤولُ إن استمَرَّ إلى فتنةٍ تُحيطُ في الغالب بصاحبها فلا تنكشِفُ إلَّا وهو مَصْرُوعٌ. وأمَّا الاستسرارُ بالخيانةِ فضعةٌ؛ لأنَّه بِذُلِّ الخيانة مهينٌ، ولقلَّةِ الثِّقة به

(١) «تهذيب الأخلاق» (ص٢١، ٢٢).

(٢) «التعريفات» (ص١٥١)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص٢٤٣).

مستكينٌ، وقد قيل: من يَخُنْ يَهُنْ.

هذا ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زُورًا، ولا ما يُبْديه من العِفَّةِ غرورًا، فيُنْتهك الزُّورُ وينكشفَ الغرورُ، فيكون مع هَتْكِهِ للتَّدْليس أقبح، ولمعرَّةِ الرِّياء أفضح»(١).

□ قال ابن الجوزي رحمه الله: «الكمالُ عزيزٌ والكامِلُ قليلُ الوجود، وأولُ أسباب الكمال تناسُبُ أعضاءِ البدن وحُسن صورة الباطِنِ، فصُورَةُ البدن تُسَمَّى خلْقًا، وصورةُ الباطنِ تُسمَّى خُلقًا، ودليلُ كمالِ صُورةِ البدنِ حسن السَّمْتِ واستعمال الأدب، ودليلُ كمال صورة الباطنِ حسنُ الطَّبَائعِ والأخلاق.

فالطَّبائِعُ: العِفَّةُ، والنَّزاهة، والأَنَفة من الجهل، ومباعدةُ الشَّرَه.

والأَخْلاقُ: الكرم والإيثار وسترُ العيوبِ وابتداءُ المعروف، والحلم عن الجاهل.

فمن رُزِقُ هذه الأشياء رقَّتْهُ إلى الكمال، وظهر عنه أشرفُ الخلال، وإنْ نقصتْ خلَّةٌ أوجبت النَّقْصَ»(٢).

شروط العفة:

واعلم أنَّه لا يكون المتُعفِّفُ عفيفًا إلَّا بشرَائطِ: وهي أنْ لا يكون تعفُّفُه عن الشَّيء انتظارًا لأكثر منه أو لأَنَّهُ لا يُوافقه، أو لِجمُودِ شهوتِهِ، أو لاستشْعَارِ خوفٍ من عاقبته، أو لأَنَّهُ ممنوعٌ من تناوُلِهِ، أو لأَنَّهُ غير عَارفٍ به لقصوره، فإنَّ ذلك كُلَّهُ ليس بعِفَّةٍ؛ بل هو إمَّا اصطيادٌ، أو تطبُّبٌ

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٣٨٤- ٣٩٠).
(٢) «صيد الخاطر» (ص٢٨٩).

أو مرضٌ أو خرْمٌ أو عجْزٌ أو جهلٌ، وترْكُ ضبْطِ النَّفْسِ عن الشُّهوةِ أذمُّ من تركها عن الغضب.

فالشَّهْوةُ مغتالةٌ مخادِعَةٌ، والغضبُ مُغالِبٌ، والمتحيِّزُ عن قتال المُخادع أرْدَأُ حالًا من المتُحَيِّزِ عن قتال المغالبِ؛ ولهذا قيل: عبدُ الشَّهْوةِ أَذَلُّ من عبد الرِّقِّ، وأيضًا بالشَّرَهِ قد يجهل عيبَه، فهو شبيه بأهل مدينةٍ لهم سُنَّةٌ رديئةٌ يتعاطونها وهم يعرفون قُبحها، وليس مَن تعاطي قبيحًا يعرفه كمن يتعاطاه وهو يظُنُّهُ حسنًا»[(١)] .

تمام العفة:

لا يكون الإنسانُ تامَّ العفَّةِ حتَّى يكون عفيف اليد واللِّسانِ والسَّمْعِ والبصر، فمن عدمها في اللِّسانِ السُّخريةُ، والتَّجسُّس والغيبةُ والهمز والنَّميمةُ والتَّنابزُ بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مَدُّ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدُّنيا المولِّدة للشَّهواتِ الرَّديئة، ومن عدمها في السَّمْع: الإصغاءُ إلى المسموعات القبيحة. وعمادُ عِفَّة الجوارح كُلِّها أن لا يطلقها صاحبها في شيءٍ مما يختصُّ بكلِّ واحدٍ منها إلَّا فيما يُسِّوغُهُ العقل والشَّرْع دون الشَّهوة والهوى[(٢)] »..»[(٣)] .

□ قال الراغب الأصفهاني: «العفة لا تتعلَّق إلَّا بالقوَّة الشهوية، ولا تتعلّق من القوة الشهوية إلَّا بالملاذ الحيوانيّة، وهي المتعلِّقة بالغاريْن وهما البطن والفرج.

---

(١) انظر: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (٣١٩).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٩).

(٣) «نضرة النعيم» (ص٢٨٧٢- ٢٨٧٤).

العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة بين إفراطٍ وهو الشَّرَه، وتفريطٍ وهو جمود الشهوة، وهي أُسُّ الفضائل من القناعة والزهد وغنى النفس والسخاء، وعدمُها يعفِّي على جميع المحاسن ويُعرِّي من لبوس المحامد، ومن اتسم بسمة العفّة قامت العِفَّة له بحُجّة ما سواها من الفضائل، وسهَّلت له سبيل الوصول إلى المحاسن، وأُسُّها يتعلَّق بضبط القلب عن التطلُّع للشهوات البدنية وعن اعتقاد ما يكون جالبًا للبَغْي والعُدوان، وتمامها يتعلَّق بحفظ الجوارح، فمن عَدِم عِفَّة القلب يكون إلتمنِّي وسوء الظنِّ اللَّذانِ هما أُسُّ كل رذيلة؛ لأَنَّ مَن تمنَّى ما في يد غيره حسده، وإذا حسدَه عاداهُ، وإذا عاداه نازعه، وإذا نازعه رُبَّما قتله. ومن أساءَ الظنّ عَادَى وبغى وتعدَّى؛ ولذلك نهى الله سبحانه عنهما جميعًا فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فأمر فيهما بقطع شجرتيْن يتفرَّعُ عنها جل الرذائل والمآثم»[١].

---

(١) «الذريعة» (ص٣١٨- ٣١٩).

آيات العِفّة في القرآن الكريم

آيات العِفَّة فيها عن الأجر أو السؤال للحاجة:

* قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)﴾ [النساء].

آيات العِفَّة فيها عن شهوة النكاح وأسبابه:

* قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) وَأَنكِحُوا

ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف].

□ قال الرافعي رحمه الله: «عَجبًا للحُبِّ! هذه مَلِكَةٌ تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجُها بثمن بَخْس، ولكن أين مُلْكُها وسَطوةُ مُلْكها في تصوير الآية الكريمة؟ لم تزد الآية على أن قالت: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى﴾ و﴿ٱلَّتِى﴾ هذه كلمة تدلُّ على كل امرأة كانت مَن كانت؛ فلم يَبْقَ على الحُبِّ مُلْكٌ ولا مَنْزِلة، وزالتِ المَلِكة مِن الأُنثى!

وأعجبُ مِن هذا كلمة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها

لونٍ بعد لون؛ ذاهبة إلى فن، راجعة من فن؛ لأن الكلمة مأخوذة من رَوَدَانِ الإبل في مشيتها؛ تذهب وتجيء في رِفْق. وهذا يُصَوِّر حَيْرَة المرأة العاشقة، واضطرابها في حُبِّها، ومحاولتَها أن تنفذَ إلى غايتها؛ كما يُصَوِّرُ كبرياءَ الأُنثى إذ تختالُ وتترَفَّقُ في عرض ضعفِها الطبيعيِّ كأنَّما الكبرياء شيءٌ آخر غير طبيعتها؛ فمهمَا تتهالك على مَن تُحِبُّ وجب أن يكون لهذا «الشيء الآخر» مظهرُ امتناعٍ أو مظهر تحيُّر أو مظهر اضطراب، وإن كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعة ماضية مصمِّمة.

ثم قال: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ليدُلَّ على أنها لا تطمع فيه، ولكن في طبيعته البشرية، فهي تَعرِض ما تعرِضُ لهذه الطبيعةِ وحدها، وكأن الآية مُصَرِّحة في أدَب سَامٍ كُلَّ السُّمُوِّ، مُنَزَّهٍ غاية التنزيه بمَا معناه: «إن المرأة بذلت كل ما تستطيعُ في إغرائه وتَصْبيَتِه، مقبلةً عليه ومتدللةً ومبتذلة ومُنْصَبَّةً مِن كُلِّ جهة، بمَا في جسمها وجمالها على طبيعته البشرية، وعارضةً كل ذلك عَرْض امرأة خلعتْ – أول ما خلعت – أمام عينيه ثوب المُلْك.

ثم قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ولم يقل: «أغلقت» وهذا يُشعر أنها لمَّا يئست، ورأت منه محاولة الانصراف، أسرعتْ في ثورة نفسها مهتاجة تتخيَّل القُفَل الواحدَ أقفالًا عِدَّة، وتجري من بابٍ إلى باب، وتضطرب يدُها في الإغلاق، كأنَّمَا تُحاول سدَّ الأبواب لا إغلاقها فقط.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدودِه، فانتهت إلى حالة مِن الجنون بفكرتها الشهوانيّة، ولم تعد لا مَلِكة ولا امرأة، بل أنوثة حيوانيَّة صِرْفة، مُتَكَشِّفَة مُصَرِّحة،

كمَا تكونُ أنثى الحيوان في أشَدِّ اهتياجها وغَلَيانها.

هذه ثلاثة أطوار يترقى بعضُها من بعض، وفيها طبيعة الأنوثة نازلةً من أعلاها إلى أسفلها. فإذا انتهت المرأة إلى نهايتها ولم يبْق وراء ذلك شيءٌ تستطيعه أو تعرضه بدأتْ مِن ثَمَّ عظمة الرجولة السامية المتمكِّنة في معانيها، فقال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾. وهذه أسمى طريقة إلى تنبيه ضمير المرأة في المرأة، إذ كان أساسُ ضميرها في كل عصرٍ هو اليقينَ بالله، ومعرفة الجميل، وكَراهةَ الظلم، ولكنَّ هذا التنبيه المترادِفَ ثلاثَ مرّات لم يكسر مِن نَزْوَتها، ولم يَفْثأ تلك الحِدَّة، فإنَّ حبَّها كان قد انحصر في فِكرَةٍ واحدة اجتمعت بكُلِّ أسبابها في زمن في مكانٍ في رَجُل، فهيَ مُحْتبَسَة كأنَ الأبوابَ مُغَلَّقة عليها أيضًا؛ ولذا بقيت المرأة ثائرةً ثورة نفْسها. وهنا يعودُ الأدبُ الإلهي السَّامي إلى تعبيره المعجز فيقول: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ فكأنمَا يُومِيءُ بهذه العبارة إلى أنها ترامَتْ عليه، وتَعَلَّقت به، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة، وهي لَمْسُ الطبيعة بالطبيعة لإلقاء الجمرةِ في الهشيم..!

جاءت العاشقة في قضيتها ببرهان الشيطان يَقْذِف به في آخِر محاولته. وهنا يقعُ ليوسف عليه السلام برهان ربِّه كما وقع فيها هي برهانُ شيطانِها. فلولا بُرهان رُبِّه لكانَ رَجُلًا مِن البشر في ضعفه الطبيعي.

وها هنا المعجزة الكُبرى؛ لأنَّ الآية الكريمة تريدُ ألا تنْفِيَ عن يوسفَ عليه السلام فُحولةَ الرُّجولة، حتى لا يُظنَّ به، ثم هي تريدُ من ذلك أن يتعَلَّم الرجالُ، وخاصة الشبَّان منهم، كيف يتسامَوْن بهذه الرُّجولة فوق

الشهوات، حتى في الحالة التي هي نهاية قُدْرَة الطبيعة؛ حالة مَلِكة مُطاعَة فاتنة عاشقة مُخْتَلِية مُتَعَرِّضَةٍ مُتَكَشِّفَةٍ متهالكَة.

هنا لا ينبغي أن ييأس الرجل، فإن الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئًا من هذا هي أن يرى برهان ربه»(١).

الأحاديث الواردة في العِفَّة:

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ فَلا عليْكَ ما فَاتَكَ من الدُّنيا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وصِدْقُ حَدِيثٍ، وحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وعِفَّةٌ في طُعْمَةٍ**»(٢).

• عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَعَفُّ**(٣) **النَّاسِ قِتْلَةً: أَهْلُ الإيمانِ**»(٤).

---

(١) «وحي القلم» (١/ ٧٨- ٧٩) لمصطفىٰ صادق الرَّافِعي.

(٢) أحمد (٢/ ١٧٧) رقم (٦٦٦١) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٠/ ١٣٩): إسناده صحيح. وعزاه كذلك للخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠/ ١٣٧). وذكره الهيثمي في موضعين (٤/ ١٤٥) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفي (١٠/ ٢٩٥) وقال: رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن. وذكره كذلك المنذري في «الترغيب» في (٤/ ٥٨٩) وقال: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة وذكره في «المشكاة» (٥٢٢٢)، وقال: رواه أحمد والبيهقي في «الشعب». وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٠١) رقم (٨٨٦) وقال: صحيح. وفي «الصحيحة» (٢/ ٣٧٠) رقم (٧٣٣).

(٣) العفة: النزاهة. ومعناها أنهم إذا قتلوا لا يمثلون.

(٤) أبو داود (٢٦٦٦) واللفظ له. وابن ماجه (٢٦٨١، ٢٦٨٢) وأحمد (١/ ٣٩٣) رقم (٣٧٢٧) وقال شاكر: إسناده صحيح (٥/ ٢٧٥). وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٢٧٣): حديث حسن.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبرني أبو سفيان بن حربٍ أَنَّهُ كان بالشَّام في رجَالٍ من قُريشٍ قدمُوا تُجَّارًا في المدَّةِ التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّار قريشٍ. قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلْيَاءَ، فأدخلنا عليه.. الحديثَ. وفيه: قال: فماذا يأمُرُكُمْ به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحدهُ لا نُشرِكُ به شيئًا، وينهانا عمَّا كان يعبُدُ آباؤُنَا، ويَأمُرنَا بالصَّلاةِ، والصَّدَقةِ، والعَفَافِ، والوفاءِ بالعهْدِ، وأداءِ الأمانةِ.. وسألتُكَ هل قاتلتموهُ وقاتلكُمْ؟ فزعمت أنْ قد فعل، وأنَّ حربَكُمْ وحرْبَهُ تكون دُولًا، يُدال عليكم المرَّةَ وتُدَالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تُبْتَلى وتكون لها العاقبةُ. وسألتكَ بماذا يأمركم فزعمت أنَّهُ يأمُركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عمَّا كان يعبد آباؤُكم، ويأمركم بالصَّلاة، والصِّدْقِ والعفاف، والوفاءِ بالعهدِ، وأداء الأمانة. قال: وهذه صِفَةُ نبيٍّ قد كَنْتُ أعلم أَنَّهُ خارجٌ، ولكن لم أعلم أَنَّهُ منكم، وإن يكُ ما قلت حقًّا فيُوشِك أن يملك موضِعَ قدميَّ هاتيْنِ، ولو أرجو أن أخلصَ إليه لتجَشَّمْتُ لقاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت قدَمَيْه».. الحديث[1].

• عن أبي طلحةَ الأنْصارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَقْرِئْ قوْمَكَ السَّلام، فإِنَّهم ما عَلِمْتُ أَعِفَّةٌ صُبُرٌ**»[2].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩٤١)، واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) الترمذي (٣٩٠٣) واللفظ له وقال: حسن غريب. وقال المزي في «تحفة الأشراف» نقلاً عن الترمذي: حسن صحيح. (٣/ ٢٤٨) وأحمد (٣/ ١٥٠)، والبزار كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١)، والحاكم (٤٨٠)، وصححه وأقره الذهبي، وصحح الألباني الشطر الثاني منه، وفي الحديث محمد بن ثابت =

• عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كان يقولُ: «اللهمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى»[(١)].

• عنْ عِياضِ بن حمارٍ المُجَاشِعيِّ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذات يومٍ في خُطْبَتِهِ: «ألا إنَّ رَبِّي أمَرَني أَنْ أعَلِّمَكُمْ ما جهلتم ممَّا علَّمني يومي هذا كلُّ مالٍ نحلته عبدًا حَلالٌ. وإنِّي خلقْتُ عبادي حُنفاءَ كلَّهم. وإنَّهم أتتهم الشياطينُ فاجْتالتْهم[(٢)] عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أَنْ يشركوا بي ما لم أنزل به سُلطانًا. وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من أهلِ الكتابِ. وقال: إنَّما بعثتُكَ لأبتليك وأبْتلي بك. وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسلُهُ الماء[(٣)] تقرؤُهُ نائمًا ويقظان. وإنَّ الله أمرني أنْ أُحَرِّقَ قريشًا. فقلت: رَبِّ إذًا يثلغوا رأسي[(٤)] فيدعوه خُبْزَةً. قال: استخرجهم كما استخرجوك. واغْزُهُمْ نغْزِكَ. وأنفقْ فسننفِقْ عليك، وابعثْ جيشًا نبعثْ خمسةً مثلَهُ. وقاتلْ بمن أطاعكَ من عصاك. قال: وأهْلُ الجنَّةِ ثلاثةٌ: ذُو سلطانٍ مقسطٌ متصدِّقٌ مُوَفَّقٌ. ورجلٌ رقيقُ القلبِ لكُلِّ ذي قرْبَى ومسلمٍ. وعفيفٌ ذو عيالٍ. وأهل النَّار خمسةٌ: الضَّعيفُ الذي لا زَبْرَ له[(٥)]، الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون أهلًا ولا مالًا.

البناني وهو – كما قال الحاكم- : عزيز الحديث لم يأت بمعنىً منكر.

(١) مسلم (٢٧٢١).

(٢) اجتالتهم: استخفوهم فذهبوا بهم.

(٣) كتابًا لا يغسله الماء: معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقىٰ علىٰ مَرِّ الزمان.

(٤) إذًا يثلغوا راسي: أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي: يكسر.

(٥) لا زبر له أي: لا عقل له يزبره، ويمنعه مما لا ينبغي.

والخائِنُ الذي لا يَخْفَى له طمعٌ وإنْ دَقَّ إلَّا خانهُ. ورجلٌ لا يصبحُ ولا يمسي إلَّا وهو يُخادِعُكَ عن أهلك ومالك». وذكر البُخْل أو الكذب. «والشِّنْظِيرُ[1] الفَحَّاشُ»[2].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَرّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وعِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ»[3].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ حَقٌّ على الله عونُهُمْ: المُجَاهِدُ في سَبِيلِ الله، والمُكَاتَبُ الذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، والنَّاكِحُ الذي يريدُ العَفَافَ»[4].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الخَيْلُ لِثَلاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعلى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الذي لَهُ أَجْرٌ فرجُلٌ رَبَطَهَا في سَبِيلِ الله فَأَطَالَ في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فما أَصَابتْ في طِيلِهَا ذلكَ المَرْج[5] والرَّوْضَةَ كان لهُ حَسَنَاتٍ، ولَوْ أَنَّها قطعَتْ طِيلَها[6] فاستَنَّتْ شرفًا أو

(١) الشنظير: السيء الخلق.

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

(٣) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣١٨) وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن. وقال: رواه أيضًا هو وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) الترمذي (١٦٥٥) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن. والنسائي (٦/ ٦١). وابن ماجه (٢٥١٨). وقال محقق «جامع الأصول»: إسناده حسن وعزاه أيضًا لأحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (٩/ ٥٦٣)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم (٣/ ٤٣).

(٥) المرج: يعني المرعى.

(٦) الطِّوَل أو الطِّيَل: هو الحبل.

شرفين [١] كانت آثارها وأرواثُها حسناتٍ له، ولو أنَّها مرَّتْ بنهرٍ فشرِبَتْ منه ولم يُرِدْ أن يستقي به كان ذلك حسناتٍ له، وهي لذلك الرَّجُل أجْرٌ، ورجلٌ وربطها تغنِّيًا وتعفُّفًا ولم ينْسَ حقَّ الله في رقابها ولا ظُهُورها فهيَ لهُ سِتْرٌ، ورجُلٌ ربطها فخْرًا ورياءً فهي على ذلك وِزْرٌ». وسئلَ رسول الله ﷺ عن الحُمُرِ قال: «ما أنزل الله عليَّ فيها إلَّا هذه الآية الفاذَّةَ الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾» [٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ قال: دخل رجلٌ على أهله، فلمَّا رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرِّيَّةِ فلمَّا رأتِ امرأتُهُ قامتْ إلى الرَّحَى فوضعتها وإلى التَّنُّورِ فسجرته ثمَّ قالت: اللهمَّ ارزقْنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأَتْ. قال: وذهبت إلى التَّنُّور فوجدتْهُ ممتلئًا. قال: فرجعَ الزَّوْج، قال: أصبتم بعدي شيئًا؟ قالت امرأتهُ: نعم من ربِّنَا، قُمْ إلى الرَّحَى، فذكر ذلك للنَّبِيِّ ﷺ فقال: «أمَا إنَّهُ لوْ لم يرْفَعْهَا لم تزَلْ تَدُورُ إلى يوم القيَامَةِ» وشهدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وهو يقول: «والله لأنْ يأتِيَ أحدُكُمْ صبيرًا ثم يحمله يبيعه فيستعِفُّ منهُ خيرٌ لهُ من أنْ يأتي رجُلًا يسألُهُ» [٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لصاحِبِ الحقِّ: «خُذْ

---

(١) استنت شرفًا أو شرفين: يعني جرت شوطًا أو شوطين فرحًا.

(٢) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٣٥٦)، واللفظ له، ومسلم (٩٨٧).

(٣) صحيح: أحمد (٢/ ٥١٣) رقم (١٦٦٩) واللفظ له، قال الهيثمي رحمه الله: رواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار شيخ الطبراني وهما ثقتان (١٠/ ٢٥٦- ٢٥٧).

حَقَّكَ في عفافٍ وَافٍ أَوْ غيرَ وَافٍ»[(١)].

• عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سَرَّحَتْنِي أمِّي إلى رسول الله ﷺ، فأتيتُه وقعدْتُ فاستقبلني. وقال: «من استغْنَى أغْنَاهُ اللهُ عز وجل، ومنِ اسْتَعَفَّ أعَفَّهُ اللهُ عز وجل، ومن استكْفَى كفاهُ اللهُ عز وجل ومنْ سألَ وله قيمةُ أوقيَّةٍ، فقدْ ألحَفَ»، فقلت: ناقتي الياقُوتَهُ خيرٌ من أوقيَّةٍ فرجعْتُ ولم أسألهُ»[(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يدخُلونَ الجنَّةَ: شَهِيدٌ وعفيفٌ مُتعفِّفٌ وعبْدٌ أحسن عبادةَ اللهِ، ونَصَحَ لمواليهِ»[(٣)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قال رجلٌ لأتصدَّقنَّ الليلة بصدقَةٍ. فخرج بصدقتِهِ فوضَعَها في يَدِ زَانِيَةٍ، فأصبحُوا يتحدَّثُون: تُصُدِّقَ الليلة على زانيةٍ. قال: اللهمَّ لك الحمدُ على زانيةٍ. لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ فخرج بصدقَتِهِ فوضعَها في يَدِ غَنيٍّ. فأصبحُوا يتحدَّثُون: تُصُدِّقَ

---

(١) ابن ماجه (٢٤٢٢) وقال في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم. ورواه ابن حبان في «صحيحه» وذكره الألباني (٢/ ٥٤) وقال: حسن صحيح.

(٢) النسائي (٥/ ٩٨) واللفظ له وقال الألباني: حسن صحيح (٢/ ٥٤٩) (٢٤٣٢)، وأبو داود (١٦٢٨) وذكره الألباني في «الصحيح» رقم (١٤٤٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٣/ ٩٥).

(٣) الترمذي (١٦٤٢) وقال: حديث حسن واللفظ له. أحمد (٢/ ٤٢٥) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن (١٨/ ١٣٧) وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٥٣٥): ورواه أيضًا الحاكم والبيهقي. والحديث كما قال الترمذي (١٠/ ٥٣٥).

على غنيٍّ. قال: اللهُمَّ لك الحمدُ على غنيٍّ، لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ. فخرجَ بصدقته فوضعها في يدِ سارقٍ. فاصبَحُوا يتحدَّثُون: تصدِّقَ على سارِقٍ. فقال: اللهمَّ لك الحمْدُ على زانيةٍ وعلى غنيٍّ وعلى سارقٍ. فأتي فقيل لهُ: أمَّا صدقَتُكَ فقدْ قُبلَتْ. أمَّا الزَّانية فلعلَّها تستَعِفُّ بها عن زِناها، ولعلَّ الغنيَّ يَعتبِرُ فيُنْفقُ ممَّا أعْطَاهُ اللهُ. ولعلَّ السَّارِقَ يستعفُّ بها عن سرقته»[١].

• عن أبي هريرة ﷺ أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ المسكينُ الذي تَرُدُّهُ التمرة والتمرتان. ولا اللُّقمةُ ولا اللقمتان. إنَّما المسكينُ الذي يتعفَّفُ. اقرءُوا إنْ شئْتُم.. يعني: قولهُ تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾»[٢].

• عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ أنَّهُ قال: إنَّ ناسًا من الأنصارِ سألُوا رسول الله ﷺ، فأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سألوهُ فأعطاهُمْ. حتَّى إذا نفِدَ ما عندَهُ. قال: «ما يَكُنْ عنْدي من خيرٍ فلنْ أدَّخِرَهُ عنكم. ومن يستعفف يُعِفَّهُ اللهُ، ومن يستغْنِ يُغْنه اللهُ. من يتصبَّره يُصبِّرْهُ اللهُ. وما أُعطِيَ أحَدٌ من عَطَاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصَّبْرِ»[٣].

• عن أبي أُمَامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ أنفقَ على نفسِه نَفَقةً يستَعِفُّ بها فهي صدقةٌ، ومنْ أنْفَقَ على امْرَأتِهِ وولدِهِ وأهْلِ بيْتِهِ فهي صدقةٌ»[٤].

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) واللفظ له.
(٢) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٥٣٩)، واللفظ له ومسلم (١٠٣٩).
(٣) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ له.
(٤) قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن (٣/ ٦٢).

• عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ طالبَ حقًّا فلْيَطْلُبْهُ في عَفافٍ وَافٍ أَوْ غيْرَ وَافٍ»(١).

• عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: ركب رسول الله ﷺ حمارًا وأرْدفني خَلْفَهُ وقال: «يا أبا ذَرٍّ، أرأيت أنْ أصابَ النَّاسَ جوعٌ شديدٌ لا تستطيعُ أَنْ تقومَ من فراشكَ إلى مسجدك، كيف تَصْنَعُ؟» قال: الله ورسولهُ أعلمُ. قال: «تَعَفَّفْ». قال: «يا أبا ذرًّ! أرأيْت إِنْ أصابَ الناسَ موتٌ شديدٌ يكون البيْتُ فيه بالعَبْدِ - يعني: القبْرَ - كيف تَصْنَعُ؟». قلتُ: الله ورسولُه أعلم. قال: «اصْبِرْ». قال: «يا أبا ذرٍّ أرأيْت إِنْ قتل النَّاسُ بعضهم بعضًا - يعني: حتى تَغْرَقَ حجارَةُ الزَّيْتِ(٢) من الدماء - كيف تصنَعُ؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «اقعدْ في بيتك وأغلقْ عليك بابَكَ». قال: فإنْ لم أترك؟ قال: «فائتِ من أنت منهُمْ فكُنْ فيهم». قال: فآخُذُ سلاحي؟ قال: «إذا تُشَاركُهم فيما هم فيه، لكنْ إنْ خشيتَ أن يُروعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فألْقِ طَرَف ردائكَ على وجْهِكَ، حتَّى يَبُوءَ بإِثْمِهِ وإِثْمِكَ»(٣).

---

(١) ابن ماجه (٢٤٢١) واللفظ له وذكره الألباني وقال: صحيح (٢/ ٥٤). وذكره البخاري في «الترجمة»، وقال الحافظ: أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان (٤/ ٣٥٩).

(٢) حجارة الزيت: اسم موضع بالقرب من المدينة أحجاره لامعة.

(٣) أبو داود (٤٢٦١) وهو عند الألباني (٣/ ٨٠٣) وقال: صحيح، وابن ماجه (٣٩٥٨) وقال فيه الألباني: صحيح (٢/ ٣٥٥). والحاكم (٤/ ٤٢٤)، وأحمد (٥/ ١٤٩، ١٦٣) واللفظ له، وذكره الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١٠١) رقم (٢٤٥١) وعزاه كذلك لابن حبان والبيهقي والآجري في «الشريعة» والطبراني في «الكبير».

• عن معاوية بن حيدةَ القُشَيْريِّ النَّيسابُورِيِّ رضي الله عنه أنَّه قال: قلتُ: يا رسول الله إنَّا قومٌ نتساءلُ أموالنا. قال: «**يتساءَلُ الرَّجُلُ في الجائِحَةِ أو الفتْقِ ليُصْلِحَ به بيْنَ قومِهِ، فإذا بلَغَ أو كَرَبَ اسْتَعَفَّ**»(١).

• عن كعبِ بن عُجرة رضي الله عنه أنَّه قال: مرَّ على النَّبيِّ ﷺ رجلٌ، فرأى أصحابُ رسول الله ﷺ من جلدِه ونشاطِهِ. فقالوا يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنْ كان خَرَجَ يَسْعَى على وَلَدِهِ**(٢) **صغارًا فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرجَ يسْعَى على أبوين شيخين كبيرْينِ فهُوَ في سَبِيلِ الله، وإنْ كان خرَجَ يَسْعَى على نفسه يُعِفُّها فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرَجَ يسعى رِيَاءً ومُفاخَرَةً فهو في سبيلِ الشَّيْطَانِ**»(٣).

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر، وهو يذكرُ الصدقَةَ والتَّعففَ عن المسألة: «**اليدُ العُليا خيرٌ من اليد**

---

(١) أحمد (٥/ ٣) وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد ورجاله ثقات (٣/ ٩٩-١٠٠) ومعنىٰ قوله: «كرب» أي: قارب وأوشك.

(٢) الوَلَد والوُلْد -بضم أوله- ما وُلد، وهو يقع علىٰ الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ، وقد جمعوا فقالوا: أولاد وولِدَة والدة وإلدة، وقد يجوز أن يكون الوُلْد جمع وَلَد كوثْن جمع وَثَن.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٢٩) وقال مخرجه: هو في «الأوسط» و«الصغير» وذكره الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح» وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٦٣٣). وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٣/ ٦٣) واللفظ له. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح (٤/ ٣٢٥).

السُّفْلى، واليدُ العليا المنفقةُ، والسُّفلى السَّائِلة»(١).

• عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استَغْنُوا عَنِ النَّاسِ، ومَا قَلَّ مِنَ السُّؤَالِ فَهْوَ خَيْرٌ**». قالوا: ومِنْكَ يا رسول الله؟ قال: «**وَمِنِّي**»(٢).

• عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا منْ أنفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: أَصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وأَوْفُوا إذا وعَدْتُمْ، وأَدُّوا إذا ائْتُمِنتُمْ، واحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وكُفُّوا أيدِيَكُمْ**»(٣).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ذات يومٍ ونحن عندهُ: «**طُوبَى للغُرَبَاءِ**». فقيل: من الغُرباءُ يا رسول الله؟ قال: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كثير، منْ يعصِيهِمْ أكثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**».

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) واللفظ له.

(٢) الطبراني في «الكبير» ولفظه: «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك» (١١/ ٤٤٤). قال العراقي في «تخريج الأحياء» أخرجه البزار والطبراني وإسناده صحيح (٤/ ٢١١). وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٩٤) وقال: رواه البزار والطبراني في «الكبير»، ورجاله ثقات.

(٣) أحمد (٥/ ٣٢٣) واللفظ له، وذكره الدمياطي في «المتجر الرابح» وقال: رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد (٦٤٥). وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه» والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد (٣/ ٣٥). وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٣٩) رقم (١٠٢٩) وقال: حسن وفي «الصحيحة» (٣/ ٤٥٤) رقم (١٤٧٠) وعزاه هناك أيضًا لابن خزيمة والخرائطي في «المكارم» والطبراني والبيهقي في «الشعب».

قال: وكنَّا عند رسول الله ﷺ يومًا آخر حين طلعت الشمسُ، فقال رسول الله ﷺ: «سَيأْتي أُنَاسٌ منْ أُمَّتي يوْمَ القيامَةِ نُورُهم كَضوْءِ الشَّمْسِ». قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «فُقَراءُ المهاجرينَ الذين تُتَّقى بهمُ المكَارِهُ، يَمُوتُ أحَدُهُمْ وحَاجَتُهُ في صَدْرِه، يُحْشَرُونَ مِنْ أقْطَارِ الأرضِ»[1].

• عن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رضي الله عنه أنَّهُ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ، تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال: «ألا تُبَايِعُونَ رسولَ الله؟»، وكُنَّا حديثَ عهْدٍ ببيْعَةٍ. فقلنا: قد بايعْنَاكَ يا رسول الله. ثُمَّ قال: «ألا تُبَايعُونَ رسول الله؟». قال: فَبسطْنَا أيْدِينا وقُلْنا: قد بايعْنَاكَ يا رسول الله. فعلامَ نُبَايِعُكَ؟. قال: «على أَنْ تَعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا. والصَّلَواتِ الخَمْسِ. وتُطِيعُوا – وَأَسَرَّ كَلمَةً خَفِيَّةً – ولا تسْأَلُوا النَّاسَ شيئًا». فلقَدْ رَأيْتَ بَعْضَ أولئكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أحدِهِمْ. فما يَسْأَلُ أحَدًا يُنَاوِلُهُ إيَّاهُ[2].

عن عبد الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا صَلَّتِ المرأةُ خمسَهَا، وصامَتْ شَهْرَها، وحَفِظتْ فرْجَها، وأطاعَتْ زَوْجها، قيل لها: ادْخُلي الجَنَّةَ مِنْ أيِّ أبْوَابِ الجنَّة شِئْتِ»[3].

---

(١) أحمد (٢/ ١٧٧) واللفظ له، وقال شاكر: إسناده صحيح (١٠/ ١٣٦). وقال في «المجمع» (١٠/ ٢٥٨، ٢٥٩): رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وله في «الكبير» أسانيد ورجال أحدها رجال «الصحيح».

(٢) مسلم (١٠٤٣)، وأبو داود (١٦٢٦)، والنسائي (١/ ٢٢٩)، وابن ماجه (٢٨٦٧)، وأحمد (٦/ ٣٧).

(٣) أحمد (١/ ١٩١) واللفظ له. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال:
=

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «بينما ثلاثةُ نفَرٍ يتمشَّونَ أخذَهُم المطَرُ. فأَوَوْا إلى غَارٍ في جَبلٍ فانْحَطَّتْ على فم غارهم صخرةٌ من الجبل. فانطبقَتْ عليهم. فقال بعضهم لبعضٍ: انظروا أعمالًا عملتُمُوهَا صالحةً لله، فادْعُوا الله تعالى بها، لعلَّ الله يفْرِجُها عنكم. فقال أحدهم: اللهمَّ إنَّهُ كان لي والدانِ شيْخَانِ كبيرانِ، وامرأتي، ولي صبْيَةٌ صغارٌ أرْعَى عليهم، فإذا أرحْتُ عليهم [(١)]، حَلَبْتُ، فبدأتُ بوالديَّ فسقيْتُهُم قبل بنيَّ، وإنَّهُ نأَى بي ذَاتَ يوم الشجرُ [(٢)]، فلم آتِ حتى أمسيتُ فوجدْتهما قدْ ناما، فحلبْتُ كما كنت أحْلِبُ، فجئتُ بالحِلابِ، فقُمْتُ عند رؤوسهما، أكرَهُ أن أوقِظَهُما من نومهما، وأكْرَهُ أن أسْقِيَ الصِّبْيَةَ قبْلَهُمَا، والصبيةُ يتضَاغَوْنَ [(٣)] عند قدميَّ، فلم يزلْ ذلك دَأْبِي ودأبَهُمْ [(٤)] حتَّى طلع الفجرُ. فإن كنت تعلمُ أنِّي فعلْتُ ذلك ابتغاءَ وجْهِكَ فافرج لنا منها فُرْجَةً، نرى منها السَّماءَ، ففرجَ اللهُ منها فُرْجَةً، فرأوْا منها السماءَ وقال الآخر: اللهمَّ إنَّهُ كانت لي ابنه عمٍّ أحببتها كأشد ما يحبُّ الرجالُ النساءَ، وطلبتُ

رواه أحمد والطبراني، ورواة أحمد رواة «الصحيح» خلا بن لهيعة وحديثه حسن في «المتابعات» (٣/ ٥٢) وكذا الدمياطي في «المتجر الرابح» وعزاه لابن حبان (٤٩٣). وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٢٤٠) رقم (٦٧٣، ٦٧٤). وكذا في «آداب الزفاف» وقال: حسن أو صحيح (٢٨٢).

(١) فإذا أرحت عليهم: أي: إذا رددت الماشية من المرعىٰ إليهم، وإلى موضع مبيتها، وهو مراحها. يقال: أرحت الماشية وروحتها، بمعنىً.

(٢) نأىٰ بي ذات يوم الشجر: ومعناه بَعُد. والنأي البعد.

(٣) يتضاغون: أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٤) فلم يزل ذلك دأبي: أي حالي اللازمة.

إليها نفسها. فأبت حتى آتيها بمئةِ دينارٍ. فتعبْتُ حتَّى جمعْتُ مئة دينارٍ، فجئتُها بها، فلمّا وقعْتُ بين رجليها، قالت: يا عبد الله، اتَّقِ الله، ولا تفتَح الخاتمَ إلَّا بحقِّهِ. فقُمْتُ عنها. فإن كنت تعلمُ أنِّ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ، فافرج لنا منها فرجةً، ففرج لهم. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجَرْتُ أجيرًا بفرق أُرُزٍّ [(١)]، فلمَّـا قَضى عملَهُ قال أعْطني حَقِّي، فعرضْتُ عليه فرقَهُ فرغبَ عنه. فلم أَزَلْ أَزْرَعُهُ حتى جمعتُ منه بقرًا ورعاءها، فجاءني فقال: اتَّق الله ولا تظلمني حَقِّي. قلت: اذهب إلى تلك البقر ورِعاءَها، فخذها فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي قلتُ: إنِّي لا استهزئُ بك. خذْ ذلك البقر ورعاءها. فأخذه فذهبَ به. فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ، فافْرجْ لنا ما بَقِيَ. ففرجَ اللهُ مَا بَقِيَ» [(٢)].

• عن معاوية بن حيدةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تَرى أعينُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ في سبيل الله، وعينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ الله» [(٣)].

• عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: قد كان رسول الله ﷺ يُعْطيني العطاء، فأقولُ: أعْطِه أفْقَرَ منِّي. حتَّى أعْطَاني مَرَّةً مالًا. فقلتُ: أعْطِيه أفْقَرَ

---

(١) بفَرق: بفتح الراء وإسكانها، لغتان، الفتح أجود وأشهر. وهو إناء يسع ثلاثة آصع.

(٢) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ له.

(٣) ذكره الدمياطي في «المتجر الرابح» (١٨٨٧) وقال: رواه الطبراني ولا بأس بإسناده إن شاء الله.

منِّي. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْهُ وما جَاءكَ منْ هذا المالِ وأنْتَ غيرُ مُشْرِفٍ، ولا سائلٍ فخُذْهُ، ومَا لا، فلا تُتْبِعْهُ نفسكَ»(١).

• عن حكيم بن حِزَام رضي الله عنه أنه قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ فأعْطَاني ثم سألْتُهُ فأعْطاني، ثمَّ سألْتُهُ فأعْطَاني، ثُمَّ قال: «إنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلوةٌ، فمَنْ أخذَهُ بطيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لهُ فيه، ومنْ أخذَهُ بإشْرافِ نفْسٍ(٢) لم يُبَارَكْ لهُ فيهِ، وكان كالَّذي يأكُلُ ولا يَشْبَعُ، واليَدُ العُلْيَا خَيرٌ من اليَدِ السُّفْلَى»(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله عز وجل، ورَجُلٌ قلبُهُ مُعلَّقٌ في المساجدِ، ورَجُلانِ تحابَّا في الله اجْتَمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجُلٌ دعتْهُ امْرأةٌ ذات منْصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجُلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخْفَاها حتى لا تعلم شمالُه ما تُنْفِقُ يمينُه، ورجُلٌ ذكرَ اللهَ خاليًا ففاضَتْ عيْنَاهُ»(٤).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أسلمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتَاهُ»(٥).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمِعْتُ رسول الله ﷺ يُحَدِّثُ حديثًا لو لم

---

(١) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧١٦٤)، ومسلم (١٠٤٥) اللفظ له.
(٢) بإشراف نفس: أي: بتطلُّع وطمع فيه.
(٣) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥) واللفظ له، وفيه عند الطبراني: ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله. وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال «الصحيح» (٣/ ٩٨).
(٤) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١١) واللفظ له.
(٥) مسلم (١٠٥٤).

أسمعهُ إلَّا مرَّةً أو مرَّتيْنِ حتَّى عَدَّ سَبْعَ مرَّاتٍ ما حدَّثتُ به، ولكن سمعْتُهُ أكثَرَ من ذلك، سمعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «كان الكِفْلُ[١] من بني إسرائيل لا يتورَّعُ من ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فأتتْهُ امْرأةٌ فأعْطَاها ستِّينَ دينارًا على أنْ يطأَها، فلما أرَادَها على نفْسِهَا ارْتعدتْ وبكتْ. فقال: ما يُبْكِيكِ؟ قالت: لأنَّ هذا عملٌ ما عملته، وما حملني عليه إلَّا الحاجةُ. فقال: تفْعلين أنتِ هذا من مخافة الله تعالى، فأنا أحْرى، اذْهبي فلك ما أعطيْتُكِ، ووالله لا أعْصيه بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصْبح مكتُوبًا على بابه: إنَّ الله قد غفر للكِفْلِ. فعجب الناسُ من ذلك»[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قال: «لأنْ يَغْدُو أحدُكُمْ فيحْطِبَ على ظهْرِهِ فيتصدَّقَ به، ويستغني به من الناسِ خيرٌ له منْ أنْ يسألَ رجُلًا أعْطَاهُ أو منعَهُ ذلك، فإنَّ اليد العليا أفضلُ من اليدِ السُّفْلى، وابْدأْ بمنْ تعُولُ»[٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الغنَى عنْ كثْرَةِ العرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[٤].

---

(١) وهو غير نبيِّ الله «ذي الكِفْل».

(٢) الترمذي (٢٤٩٦) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٢/ ٢٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٦/ ٣٣٤) رقم (٤٧٤٧). والحاكم (٤/ ٢٥٤-٢٥٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح» (٤٩١، ٤٩٢) واللفظ له، وعزاه للترمذي ونقل تحسينه وكذا ابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) مسلم (١٠٤٢) وأخرجه البخاري نحوه من حديث الزبير ابن العوام (٣/ ١٤٧١).

(٤) البخاري «الفتح» (١/ ٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

• عن ابن مسعُودٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فاقةٌ فأنزلها بالنَّاسِ لمْ تُسَدَّ فاقَتُهُ، ومنْ أنْزَلها بالله أوْشَكَ اللهُ لهُ بالغِنَى، إمَّا بموتٍ عاجلٍ أوْ غِنًى عَاجِلٍ»(١).

• عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَضْمَنْ لي ما بين لحييْهِ وما بين رجليْهِ أضْمَنْ له الجنَّة»(٢).

• عن رجلٍ من بني أسدٍ رضي الله عنه أنَّه قال: نزلت أنا وأهْلي ببقيع الغرْقَدِ فقالت لي أهلي: اذهبْ إلى رسول الله ﷺ فسَلْهُ لنا شيئًا نأكُلُهُ، فذهبْتُ إلى رسول الله ﷺ فوجدْتُ عندَهُ رجُلًا يسألُهُ ورسول الله ﷺ يقولُ: «لا أَجِدُ ما أُعْطِيكَ»، فولَّى الرَّجُلُ عنه، وهو مغضبٌ وهو يقولُ: لعمري إنَّكَ لتُعْطي من شِئْتَ. قال رسول الله ﷺ: «إنَّه ليَغْضَبُ عليَّ أنْ لا أجدَ ما أُعطيهِ، من سألَ منْكُمْ وله أُوقِيَّةٌ أو عدْلُها فقد سأل إلحافًا» قال الأسديُّ: فقلت: للقحَةٌ لنا خيرٌ من أُوقيَّةٍ – والأوقيَّةُ أربعون درهمًا. فرجعتُ ولم أسله – فقدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك شَعِيرٌ وزبيبٌ فقسم لنا منهُ حتَّى أغنانا الله عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رجُلًا من الأنصار أتى النَّبيَّ ﷺ سألَهُ،

---

(١) أبو داود (١٦٥٤) واللفظ له، وقال الألباني: صحيح (١/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٢٦٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد (١/ ٣٨٩)، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٣٦٩٦) و(٣٩٨٦) وقال محققه الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٧٤).

(٣) النسائي (٥/ ٩٨- ٩٩) واللفظ له، وقال الألباني: صحيح (٢/ ٥٤٩- ٥٥٠)، وأبو داود (١٦٢٧) وقال الألباني: صحيح رقم (١٤٣٣).

فقال: «أما في بيتك شيءٌ؟». قال: بلى. حِلْسٌ نلبس بعضه ويبسط بعضهُ وقَعْبٌ نشربُ فيه من المَاء. قال: «ائتِنِي بهما»، فأتَاهُ بهمَا، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ». قال رجُلٌ: أنا آخذهُما بدرهم، قال: «مَنْ يَزِيدُ على درْهم؟» مرَّتين أو ثلاثًا، قال رجلٌ: أنا آخذهما بردهمين فأعطاهما إيَّاهُ، وأخذ الدِّرهمين وأعطاهما الأنصاريَّ، وقال: «اشْتَرِ بأحَدِهما طعامًا فانبِذْهُ إلى أهلكَ، واشْتَرِ بالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِني به»، فأتاهُ به، فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عُودًا بيدِهِ، ثم قال له: «اذهَبْ فاحْتَطِبْ وَبِعْ، ولا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عشَرَ يَوْمًا». فذهب الرجل يحتطبُ ويبيعُ، فجاءَ وقدْ أصابَ عشرةَ دراهِمَ، فاشْتَرَى ببعضها ثوْبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيْرٌ لك مِنْ أنْ تَجِيءَ المسألةُ نُكْتَةً في وجْهِكَ يوم القيامة، إنَّ المسألة لا تصْلُحُ إلَّا لثلاثةٍ: لذي فَقْرٍ مُدْقعٍ، أو لذي غُرْمٍ مُفْظعٍ، أو لذي دَمٍ مُوجعٍ»[1].

• روي أنَّ عثمَان رضي الله عنه أشْرَفَ على الذين حاصَروهُ في الدَّارِ فسلَّمَ عليهم فلم يرُدُّوا عليه فقال عثمَان رضي الله عنه: أفي القوم طلحةُ؟ قال طلحةُ: نعمْ. قال: فإنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعُونَ. أسلِّمُ على قوم أنت فيهم فلا ترُدُّون. قال: قدْ رددتُ. قال: ما هكذا الرَّدُّ. أُسْمِعُكَ ولَا تُسْمِعُني؟ يا طلحةُ! أنشدُكَ الله، أسمِعْتَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لا يُحِلُّ دَمَ المسلم إلَّا واحدةٌ من ثلاثٍ أنْ يكْفُرَ بعدَ إيمانِهِ، أو يزْنِيَ بعْدَ إحْصَانِهِ، أو يقتُلَ نفَسًا فيُقْتَل بها». قال: اللهمَّ نعمْ. فكبَّرَ عثمَانُ فقال: والله ما أنْكرتُ الله منذ عرفته ولا

---

(١) أبو داود (١٦٤١) واللفظ له، وابن ماجه (٢١٩٨)، والترمذي (١٢١٨) وقال: «حسن».

زنيتُ في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ، وقد تركته في الجاهلية تكرُّهًا، وفي الإسلام تعفُّفًا وما قتلتُ نفسًا يحلُّ بها قتلي»[١].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال: **«إني لأَنْقَلِبُ إلى أهلي فأَجِدُ التمرة ساقطةً على فراشي، ثُمَّ أَرْفعُهَا لآكلها ثم أَخْشَى أن تكونَ صدقةً أُلْقِيَهَا»**[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّه قال: أخذ الحسن بن عليٍّ تمرةً من تمْرِ الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: **«كَخْ كَخْ، ارْمِ بها، أما علمْتَ أَنَّا لا نأْكُلُ الصَّدَقَةَ»**[٣].

• عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بتمرةٍ في الطريق قال: **«لولا أَنِّي أَخافُ أَنْ تكُونَ من الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا»**[٤].

• عن فضالة بن عُبيد رضي الله عنه أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقول: **«طُوبى لِمَن هُدِيَ إلى الإسلام، وكان عيشُهُ كفافًا وقنِعَ به»**[٥].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا هُرَيرة كُنْ**

---

(١) أحمد (١/ ١٦٣) ورواه مختصرًا وله طرق يصح بها. انظر: نسخة الشيخ أحمد شاكر برقم (٥٠٩).

(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩) واللفظ له.

(٤) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧١).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٤٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣١)، و«الصحيحة» (١٥٠٦)، و«صحيح الترغيب» (٨٢٣).

وَرِعًا تكُن مِن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس، وأحبَّ للمسلمين والمؤمنين ما تحبُّ لنفسِكَ وأهل بيتكَ، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمنًا، وجاور مَن جاورت بإحسان تكن مسلمًا، وإيَّاك وكثرة الضحك؛ فإنَّ كثرةَ الضَّحِكِ فسادُ القلب»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، كُن وَرِعًا تَكُن أعبدَ الناسِ، وكُنْ قَنِعًا تكن أشْكر الناسِ، وأَحِبَّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفسِكَ تكن مُؤمِنًا، وأحْسِنْ جوارَ مَن جاوَرَك تَكُنْ مُسْلِمًا، وأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كثرة الضَّحِكَ تميتُ القلبَ»[(٢)].

لله درُّ عطاء بن يسار.. ما أجملَ وأكملَ عِفَّته!!:

«خرج رحمه الله وأخوه سليمانُ بن يسار حاجَّين من المدينة ومعهما أصحابٌ لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلًا، فانطلق سليمانُ وأصحابُه لبعض حاجتهم، وبَقِي عطاءُ بنُ يسار قائمًا في المنزل يُصلِّي، فدخلت عليه امرأةٌ من الأعراب جميلة، فلما رآها ظنَّ أن لها حاجةً، فأوجز في صلاته، ثم قال: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم.

قال: ما هي؟ قالت: قُم فأَصِبْ مني، فإني قد ودِقت[(٣)] ولا بَعلَ لي، فقال: إليك عني، لا تُحرقيني ونفسَكِ بالنار.. ونظر إلى امرأةٍ جميلة،

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧)، و«صحيح الجامع» (٧٨٣٣).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢١٧) واللفظ له، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٦٠) وقال: رواه ابن ماجه والبيهقي في «الزهد الكبير». وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده حسن».

(٣) وَدِقَتْ: أرادت الفحل.

فجعلت تراودُه عن نفسه وتأبى إلَّا ما تريدُ، فجعل عطاءٌ يبكي، ويقول: ويحك إليكِ عني إليك عني، واشتد بكاؤُه.. فلما نظرت المرأةُ إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأةُ لبكائه، فجعل يبكي والمرأةُ بين يَديه تبكي.

فبينما هو كذلك إذ جاء سليمانُ من حاجته، فلما نظر إلى عطاءٍ والمرأةُ بين يديه تبكي، جَلس يبكي في ناحيةِ البيت لبكائهما، ولا يدري ما أبكاهما! وجعل أصحابُهما يأتون رجلًا رجلًا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألونهم عن أمرهم، حتى كثُر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابيةُ ذلك، قامت فخرجت، وقام القومُ فدخلوا، فلبث سليمانُ بعد ذلك وهو لا يسألُ أخاه عن قصةِ المرأة إجلالًا له وهَيْبةً، وكان أسنَّ منه، ثم إنهما قدِما مصرَ لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاءٌ ذاتَ ليلةٍ نائم، إذا استيقظ وهو يبكي!.

فقال له سليمان: ما يُبكيك يا أخي؟! فاشتد بكاؤه قال: ما يُبكيك يا أخي؟!.

قال: رؤيا رأيتُها الليلة قال: ما هي؟ قال: لا تُخبِرْ بها أحدًا ما دُمتُ حيًّا، قال: وما ذاك؟

قال: رأيتُ يوسفَ النبيَّ ﷺ، فجئتُ أنظرُ إليه فيمن يَنظرُ، فلما رأيتُ حُسنَه بكيتُ! فنظر إليَّ في الناس فقال: ما يُبكيك أيها الرجل؟ قلت: بأبي أنت وأمي ذكرتُك وامرأةَ العزيز وما ابتُليتَ به من أمرِها، وما لَقِيتَ من السِّجن وفُرقةِ الشيخ يعقوب ﷺ فبكيتُ من ذلك، وجعلتُ أتعجَّبُ منه، فقال ﷺ: «فهلّا تعجَّبتَ من صاحبِ المرأة بالأبواء؟

فعرفتُ الذي أراد فبكيت، واستيقظتُ باكيًا.

قال سليمانُ: يا أخي! وما كان حال تلك المرأة؟.

قال: فقصَّ عليه عطاءٌ القصةَ، فما أخبر سليمانُ بها أحدًا حتى مات عطاء وحَدَّث بها بعده امرأةٌ من أهله، وما شاع هذا الحديثُ بالمدينة إلَّا بعد موتِ سليمانَ بنِ يسار»[١].

تَغيَّرَ الرجالُ وذَهب العفاف:

▫ قال بعض المدنيين: «كان الرجلُ يُحبُّ الفتاة فيُطِيفُ بدارها حَوْلًا يفرحُ إنْ رأى مَن رآها، فإن ظفِر منها بمجلس تشاكيَا وتناشدَا الأشعار، واليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه، فيَعِدُها وتعِدُه، فإذا التقيا لم يَشْكُ حبًّا ولم يُنشِد شعرًا، وقام إليها كأنه قد أشهدَ على نكاحها أبا هريرة!! فهذا جميلُ بُثينة -ولا نرضى والله عن طريقته- دخل عليه عَيَّاشُ بن سهل الساعديُّ وهو يجودُ بنفسه وسأله عن تشبيبه ببثينةَ منذ عشرين سنة؟!.

فقال: هذا آخرُ وقتٍ من أوقات الدنيا، وأولُ وقتٍ من أوقات الآخرة، فلا نالتني شفاعةُ محمدٍ ﷺ إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لرِيبةٍ قط، وإن كان أكثرُ ما نِلتُ منها إلَّا أني كنتُ آخذُ يدَها[٢]، فأضعُها على قلبي فأستريحُ إليها»[٣].

▫ وعُمر بن أبي ربيعة، كبيرُ شعراءِ الغزل، لمَّا مرِض مَرَضَ الموت،

---

(١) «الرقة والبكاء» (ص١٩٨- ٢٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٨٢- ٨٤).

(٢) وهذا لا يجوز له.. وانظر رسالة شيخنا المقدم «أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية».

(٣) «ذم الهوىٰ» (٢٢٢- ٢٢٣).

أَسِف عليه أخوه الحارث، فقال له عمرُ: «يا أخي، إن كان أَسَفُكَ لما سمعت من قولي: «قلت لها، وقالت لي»، فكلُّ مملوكٍ له حرٌّ إنْ كان كشف فَرْجًا حرامًا قط، فقال الحارث: الحمدُ لله، طيَّبتَ نفسي».

وليلى الأخيلية، قالت لعبدِ الملك بن مروان عن «تَوبة»: «والذي ذهب بنفسه، ما كلَّمني بسوءٍ قط، حتى فرَّق بيني وبينه الموت».

إن كان هذا عفاف أهل الجاهلية، فكيف بالإسلام؟:

□ عن عَبيدةَ السَّلْمانيِّ قال: «كان في الجاهلية أَخَوانِ من حيٍّ يُدْعَون «بني كُنَّة»، أحدُهما متزوِّجٌ والآخر أعزَبُ، فقُضِيَ أن المتزوجَ خرج في بعضِ ما يخرج الناسُ فيه، وبقي الآخرُ مع امرأةِ أخيه.

فخرجت ذاتَ يومٍ حاسرةً، فإذا هي أحسنُ الناس وجهًا وأحسنُ الناس شَعْرًا، فلمَّا علِمت أنَّه قد رآها وَلْوَلَتْ وصاحت، وقالت بِمَعصمِها، فغطَّت وجهَها، فزاده ذلك فتنةً، فحَمَل الشَّوقَ على بدنه، حتى لم يَبق إلَّا رأسُه وعيناه يدوران في رأسه، وقَدِم الأخ فقال: يا أخي، ما الذي أرى بك؟ فاعتلَّ عليه، فقال: الشُّوصَة -قال الشوصة تسميها العرب اللّوى وذات الجنب-، فقال له ابنُ عمٍّ له: لا تكذِبَنَّه، ابعث إلى الحارث ابن كلدة، فإنه من أطبِّ العرب، فجِئ به، فلَمَس عُروقَه، فإذا ساكنُها ساكنٌ وضارُبها ضارب، فقال: ما بأخيك إلَّا العشقُ، فقال: سبحان الله تقول هذا لرجل ميت! قال: هو ذا، هل عندكم شيءٌ من الشراب؟ فجئ به ودعا بِمُسْعُطٍ فصبَّ فيه، وحَلَّ صُرَّةً من صُرارهِ فذَرَّهُ فيه ثم سقاه، ثم سقاه الثانية، ثم سقاه الثالثة، فانتشى يغنِّي سَكَرًا فقال:

أَلِـمَّا بـي علـى الأبيا ... تِ مـن خيـفِ أَزُرْهُنَّهْ

غـزالًا مـا رأيـتُ اليـو مَ في دُور بنـــي كُنَّـهْ
غــزالًا أحــورُ العــين وفي منطقِــه غُنَّــهْ

فقال الرجل: دُور قومِنا!! فليت شعري مَن؟.

فقال الحارث: ليس فيه مستمعٌ غير هذا اليوم، ولكن أغدو عليكم من الغد، ففعل كفِعله بالأمس، فانتشى يُغنِّي سَكَرًا، وكانت امرأةُ أخيه اسمها «ريًّا» فقال:

أيُّهـا الحـيُّ اسـلَموا كـي تُحيَّـوا وتسلَمُوا
خَرَجَتْ مُزْنَةٌ من البحـ ـر ريًّـا تُحُمحِـمُ
هــي مــا كَنَّتــي (١) وتــزعُم أني لهــا حمــو

فقال الرجل لمن حضر: فأُشهدكم أنها طالقٌ ثالثًا ليرجعَ إلى أخي فؤاده، فإن المرأة توجَدُ والأخ لا يوجد، فجاء الناس يَسْعَوْنَ: هنيئًا لك أبا فلان، فإن فلانًا قد نزل لك عن فلانة.

فقال لِمَن حضر: أُشهدكم أنَّها عليَّ مثلُ أمي إن تزوجتُها.

□ قال عَبيدة: «ما أدري أيُّ الرجلين أكرم؟ الأول أم الآخر؟!».

أهلُ العفاف أهل الحياء، فاقرأ طيِّبَ أخبارِهم:

«ما لي ولعُبيدِ بن عُمير، أفسدَ عليَّ امرأتي، كانت في كلِّ ليلةٍ عروسًا، فصيَّرها راهبة»:

□ قال عبد الله بن مسلم العِجْلي: «**كانت امرأةٌ جميلة بمكة**، وكان لها زوج، فنَظَرَتْ يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى

(١) الكنَّة: بفتح الكاف امرأة الابن أو الأخ.

هذا الوجه لا يُفتَنُ به؟ قال: نعم.

قالت: مَن؟ قال: عَبيد بن عُمير.

قالت: فائذن لي فيه فلأَفتِننَّه، قال: أذنتُ لكِ[١].

قال: فأتته كالمُستفتية، فخَلا معها في ناحيةٍ من المسجد الحرام، قال: فأسفَرَتْ عن مثل فلقةِ القمر، فقال لها: يا أمةَ الله! قالت: إني قد فُتنتُ بكَ فانظر في أمري.

قال: إني سائلُكِ عن شيءٍ، فإن أنتِ صَدَقْتِني نظرتُ في أمرك.

قالت: لا تسألْني عن شيءٍ إلَّا صدقتُكَ.

قال: أخبريني، لو أن ملكَ الموتِ أتاك ليقبضَ رُوحَكِ، أكان يَسُرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو أُدخلتِ في قبرك وجَلستِ للمُساءلة، أكان يَسُرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو أن الناس أُعطوا كتبَهم ولا تدرِين تأخذين كتابَك بيمينِك أم بشمالِكِ، أكان يسُرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو جِيءَ بالموازينِ وجِيءَ بك لا تدرين تَخِفِّينَ أم تَثْقُلينَ أكان

---

(١) هذا لا يجوز شرعًا، ولقد ذكرته لذكر ابن الجوزي وابن القيم لهذه القصة، فلعلّ لهما تأويلاً، والله أعلم.

يسرُّكِ أني قضيتُ لكِ هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا.

قال: فلو وقفتِ بين يدي الله للمساءلة، أكان يُسرُّكِ أني قضيتُ لكِ هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: اتَّقي الله يا أمةَ الله، فقد أنعمَ الله عليكِ وأحسنَ إليك.

قال: فرجعَتْ إلى زوجِها فقال: ما صنَعتِ؟ قالت: أنت بطَّالٌ، ونحن بطَّالون.. فأقبَلتْ على الصلاةِ والصومِ والعبادة.. فكان زوجُها يقول: ما لي ولعُبيدِ بنِ عُمير؟! أفسدَ عليَّ امرأتي، كانت في كلِّ ليلةٍ عروسًا، فَصَيَّرها راهبةً!».

السَّرِيُّ بن دينار وعظيمُ عِفَّته:

□ قال محمد بن إسحاق: «نزل السَّرِيُّ بن دينار في دارٍ بمصر كانت فيها امرأةٌ جميلة تَفتِنُ الناس بجمَالها، فعلِمَتِ المرأةُ، فقالت: «لأَفتِنَنَّه»، فلما دخلَتْ من باب الدربِ كشفت وأظهرت نفسها، فقال السريُّ: ما لكِ؟ قالت: هل لك في فراشٍ وَطِيّ وعيشٍ رَخِيّ؟!.

□ فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهنَّ لذَّةً ... ومات فخَلّاها وذاق الدواهيا

تَصرَّمُ لذَّاتُ المعاصي وتنقضي ... وتبقى تِباعاتُ المعاصي كما هيا

فواسوأتا والله راءٍ وسامعٌ ... لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا [1]

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٣٤- ٢٣٥).

«لا حاجةَ لي فيمن دعاني إلى المعصية وأنا أدعوه إلى الطاعة»:

◻ قال الأصمعيُّ: «عشِق رجلٌ من النُّسَّاكِ جاريةً من البصرة، فبعث يخطِبُها، فأبت، وقالت: إنْ أردتَ غيرَ ذلك فعلتُ، فأرسل إليها:

سبحان الله أيتها المرأة!! أدعوكِ إلى الأمر الصحيح والحلالِ الذي لا عَيبَ فيه ولا وزرَ، وتَدْعِينني إلى ما لا يصلحُ لا لي ولا لكِ؟! قال: فأرسلت إليه: قد أخبرتُك بالذي عندي، فإن أردتَ فَتقدَّمْ، وإن كرهتَ فتأخَّر، فأنشأ الفتى يقول:

أُسائِلُها الحلالَ وتدْعُ قلبي ... إلى ما تشتهيهِ من الحرام

كداعي آلِ فرعونَ إليه ... وهم يَدْعُونه نحوَ الغرام

فظلَّ منعَّمًا في الخُلدِ يسعى ... وظلُّوا في الجحيم وفي السَّقَام

فلما علِمت أنه قد امتنع عليها من الفاحشة أرسلت إليه: أنا بين يديك على الذي تُحب.. فكتب إليها: هيهات، لا حاجةَ لي فيمن دعاني إلى المعصية وأنا أدعوه إلى الطاعة، وقال:

لا خيرَ فيمن لا يراقِبُ ربَّهُ ... عند الهوى ويخافُه أحيانَا

إن الذي يَبغي الهوى ويريدُه ... كمؤاجِرِ شيطانِه شيطانا

حَجَبَ التُّقى بابَ الهوى فأخو التقى ... عَفُّ الخليقةِ زائدٌ إيمانًا[(١)]

◻ ولله در من قال في وصف العفيف:

يقظاتُه ومنامهُ شِرَعٌ[(٢)] ... كلٌّ بكلٍّ فهو مشتبهُ

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٣٦).

(٢) مفردها شِرع، وهو المثل والشبيه.

إن هــمَّ في حُلــم بفاحــشةٍ زجرتــه عِفَّتُــه فينزجِــرُ

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن].

□ قال مجاهد: «هو الرجلُ يذكرُ الله عند المعاصي فينحجز عنها»[١].

□ وقال مالك بن دينار: «جناتُ النعيم بين جناتِ الفردوس وبين جناتِ عدْن، فيها جَوارٍ خُلِقنَ من وَردِ الجنة، قيل: ومَن يسكنها؟ قال: الذين همُّوا بالمعاصي، فلمَّا ذكروا عظمةَ الله راقبوه، والذين انثنت أصلابُهم من خشيته».

□ وقال ميمونُ: «الذِّكر ذِكرانِ: فذكرُ الله عَزَّ وَجَلَّ باللسان حسن، وأفضل منه أن يُذكَر عندما يُشرِفُ عليه من معاصيه».

□ وقال عُبيد بن عُمير: «مِن صدق الإيمان وبرِّه أن يخلوَ الرجلُ بالمرأةِ الحسناء فيدعُها، لا يدعُها إلَّا لله عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

• وعن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بينما ثلاثةُ نفرٍ يتماشَون أَخَذهم المطرُ، فمالوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطَّت على فم غارهم صخرةٌ من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضُهم لبعض: انظروا أعمالًا عمِلتموها لله صالحةً، فادعوا اللهَ بها لعله يُفرِّجُها.**

فقال أحُدهم: اللهم إنه كان لي والدانِ شيخانِ كبيرانِ، ولي صِبْيةٌ صغارٌ كنت أرعى عليهم، فإذا رُحتُ عليهم فَحلبتُ، بدأت بوالديَّ أَسقيهما قبل ولدِي، وأنه نأى به الشجرُ، فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فوجدتُهما

(١) «ذم الهوى» (ص٢٤٠ - ٢٤١).
(٢) «ذم الهوى» (ص٢٤٤ - ٢٤٥).

قد نامَا، فحلبتُ كما كنتُ أحلُب، فجئتُ بالحِلاب، فقمتُ عند رؤوسهما، أكرُه أن أوقظَهما من نومهما، وأكرُه أن أبدأَ بالصِّبية قبلَهما - والصِّبيَةُ يتضاغَوْن عند قدمي -، فلم يَزل ذلك دَأْبي ودَأْبهم حتى طَلع الفجر، فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرِجْ لنا فُرجةً نرى منها السماء، ففرَّج اللهُ لهم فُرجةً حتى رأَوا منها السماء.

فقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنةُ عمٍّ أُحبُّها كأشدِّ ما يُحبُّ الرجالُ النساء، فطلبتُ إليها نفسها، فأبتْ حتى آتيهَا بمئةِ دينارٍ، فسعَيتُ حتى جمعتُ مئةَ دينارٍ فلقيتُها بها، فلمَّا قعدتُ بين رجلَيها قالت: يا عبدَ الله، اتَّقِ اللهَ ولا تفتَحِ الخاتمَ إلَّا بحقِّه.. فقمت عنها، اللهم فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرِج لنا منها.. ففرَّج لهم فُرجةً..»[١] الحديث.

القَسُّ «عبد الرحمن بن أبي عمار» يَعِفُ عن «سَلاَّمة»:

□ كان عبد الرحمن بن أبي عمار بن جُشَم بن معاوية ينزل بمكة، وكان من عُبَّاد أهلها فسُمي «القَسُّ» لعبادته، شُغفت به «سَلَّامة»، وقالت له: «أنا والله أُحبُّكَ. قال: وأنا والله أُحبُّكِ، قالت: وأُحِبُّ أن أضعَ فمي على فمك، قال: وأنا والله، قالت: وأُحِبُّ أن أُلصِقَ صدري بصدرك وبطني ببطنك[٢]، قال: وأنا والله، قالت: فما يمنعُك؟ فوالله إن الموضعَ لخَالٍ! قال: إني سمعتُ الله يقول: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف] وأنا أكرهُ أن تكون خُلَّةُ ما بيني وبينك

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) هذا الكلام كلُّه لا يَحِلُّ شرعًا.

تؤولُ بنا إلى عداوةٍ يوم القيامة.

قالت: يا هذا، أتحسب أن ربِّي وربَّك لا يقبلُنا إن نحن تُبنا إليه؟ قال: بلى، ولكن لا آمنُ أن أُفاجأ».

عفاف شابٍّ من الأنصارَ:

□ وانظر إلى هذه المَيتة العجيبة: «أَحبَّت امرأةٌ من المدينة رجلًا من الأنصار، فأرسلت تشكو إليه حبَّها وتسألُه الزيارةَ وتدعوه إلى الفاحشة – وكانت ذات بعلٍ – فأرسل إليها:

إن الحرامَ سبيلٌ لستُ أَسلُكُه ... ولا أَمُرُّ به ما عشتُ في الناسِ

فابغِي العفافَ فإني غيرُ مُتَّبِع ... ما تَشْتَهِيْنَ فكوني منه في ياسِ

إني سأحفظُ فيكم من يصونُكمُ ... فلا تكوني أخا جهلٍ ووسواسِ

فلمَّا قرأت الكتاب كتبت إليه:

دعْ عنك هذا الذي أصبحتَ تذكرُه ... وصِرْ إلى حاجتي يا أيها القاسِي

دعِ التنسُّكَ إني غيرُ ناسكةٍ ... وليس يدخلُ ما أبديتَ في راسي

فأفشى ذلك إلى صديقٍ له، فقال له: لو بعثتَ إليها بعضَ أهلِكَ فوعظَتْها وزجرَتْها رجوتُ أن تكفَّ عنك، فقال: والله لا فعلت، ولا صرتُ في الدنيا حديثًا، ولَلعارُ في الدنيا خيرٌ من النارِ في الآخرة، وقال:

العارُ في مُدَّةِ الدنيا وقلَّتِها ... يَفنَى ويَبقى الذي في العارِ يُؤذيني

والنارُ لا تَنقضي ما دام بي رَمَقٌ ... ولستُ ذا مَيتةٍ منها فتُفنيني

لكن سأصبرُ صبرَ الحُرِّ محتسِبًا ... لعلَّ ربي من الفردوس يُدنيني

وأمسك عنها، فأرسلت: إما أن تزورَني، وإما أن أزورك.. فأرسل

إليها: أَرْبِعِي أيتها المرأةُ على نفسِكِ، ودعي عنك التسرعَ إلى هذا الأمر..، فلما يَئِست منه ذهبت إلى امرأةٍ كانت تَعملُ السِّحرَ، فجعلت لها الرغائبَ في تهييجه، فعمِلت لها فيه، فبينما هو ذاتَ ليلةٍ جالسًا مع أبيه إذ خَطَر ذكرُها بقلبه وهاج منه أمرٌ لم يكن يعرفه، واختلط، فقام من بين يدَيْ أبيه مُسرعًا، وصلَّى واستعاذ، وجعل يَبكي، والأمر يزيد، فقال له أبوه: يا بني، ما قِصَّتُك؟

قال: يا أبتِ، أدرِكْني بقَيْدٍ، فما أرى إلَّا قد غُلبتُ على عقلي، فجعل أبوه يبكي ويقول: يا بُنيَّ، حدِّثني بالقصة، فحدَّثه قصته، فقام إليه فقيَّده وأدخله بيتًا، فجعل يتضربُ ويخورُ كما يخورُ الثور، ثم هدأ ساعةً، فإذا هو ميت، وإذا الدم يسيلُ من مِنخَريه».

□ قال عمرُ بن عبد العزيز: «أفضلُ الجهاد جهاد الهوى».

□ وقال سفيان الثوري: «أشجعُ الناس أشدُّهم من الهوى امتناعًا».

□ وكان الثوريُّ رحمه الله كثيرًا ما يتمثّل بهذين البيْتين:

تفنى اللذاذةُ ممن نال صفوتَها ... من الحرام ويَبقى الوِزْرُ والعارُ

تبقى عواقبُ سُوءٍ في مَغِبتّها ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها النارُ

□ وقال الحسين بن مُطَير:

ونفسَك أَكْرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ ... فما لكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها

ولا تَقْرَبِ المرعَى الحرامَ فإنما ... حلاوتُه تَفنى ويَبقى مريرُها

□ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «الفتوَّةُ تركُ ما تهوى لما تخشى».

رجل لا يبيعُ جنةً عرضُها السموات والأرض:

□ قال العُتْبي: «عَلِق أعرابيٌّ امرأةً، فطال به وبها الأمرُ، فلما التقيا وتمكَّن منها وصار بين شُعبتَيها ذَكَرَ الدارَ الآخرة وجاءته العِصمة، فقال: والله إنَّ امرءً باع جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ بفِتْرٍ بين رِجلَيكِ لَقليلُ البصر بالمساحة!».

«أخافُ نارًا لا يخبو سعيرها»:

□ عن رجاءَ بن عمرو النخَعِي قال: «كان بالكوفة فتًى جميلُ الوجه، شديدُ التعبُّدِ والاجتهاد، وكان أحدَ الزهاد، فنزل في جوارِ قوم من النَّخَع، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلةً فهَوِيها، وهام بها عقلُه، ونزل بها مِثلُ الذي نزل به، فأرسَلَ يَخطِبُها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مُسمَّاةٌ لابن عمٍّ لها، فلما اشتد عليهما ما يُقاسيانِ من ألم الهوى أرسلت إليه الجاريةُ: قد بلغني شدَّةُ محبتِكَ لي، وقد اشتد بلائي بك، فإن شئتَ زُرتُك، وإنْ شئتَ سهَّلتُ لك تأتيني.

فقال للرسول: ولا واحدةٌ من هاتين الخَلَّتين، إني أخافُ أنْ عصيتُ ربي عذابَ يوم عظيم، أخافُ نارًا لا يخبُو سعيرُها ولا يخمدُ لهيبها.. فلما انصرف الرسولُ إليها فأبلَغَها ما قال قالت: وأراه مع هذا زاهدًا يخافُ الله! والله ما أحدٌ أحقُّ بهذا من أحدٍ، وإن العِباد فيه لمشتركون.

ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقَها خلفَ ظهرها، ولَبِسَتِ المُسوحَ وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوبُ وتنحلُّ حُبًّا للفتى وأسفًا عليه حتى ماتت شوقًا إليه فدُفنت، فكان الفتى يأتي قبرَها ويبكي عندها، ويدعو لها، فَغَلَبْته عينُه ذاتَ يومٍ على قبرها، فرآها في منامِه وكأنها في

أحسنِ منظرِها فقال: كيف أنتِ؟ وما لقيتِ بعدي؟ فقالت:

نِعـمَ المَحبَّـةُ يـا سُـؤلي مَحبَّـتُكم ... حُـبٌّ يقـودُ إلـى خيـرٍ وإحـسانِ

فقال: على ذلك إلى ما صرتِ؟.

فقالت:

إلـى نعـيمٍ وعـيشٍ لا زوالَ لـه ... في جنةِ الخُلدِ مُلـكٍ لـيس بالفـاني

فقال لها: اذكُريني هناك، إني لستُ أنساكِ، فقالت: ولا أنا والله أنساكَ، ولقد سألتُ قُربَك مولايَ ومولاك، فأعنِّي على ذلك بالاجتهاد، ثم ولَّتْ مُدبِرةً. فقال لها: متى أراكِ؟ قالت: ستأتينا عن قريبٍ فترانا، فلم يَعِشِ الفتى بعد الرؤيا إلَّا سبعَ ليال»[1].

«اللهم سَوِّدْها»:

□ قال أبو الكُرَير مَعمر: سمعتُ أبا زرعة الخَبْني يقول: «فكَّرَتْ بيَ امرأةٌ فقالت: يا أبا زُرعة، ألا ترغبُ في عيادةِ مبتلًى تتعظ برؤيته؟ فقلت: بلى. فقالت: ادخُل إلى الدار. فلما دخلتُ الدار أغلقَتِ البابَ ولم أرَ أحدًا، فعرَفتُ قَصدَها، فقلت: اللهم سوِّدها. فاسودَّت، فحارت، وفتحت الباب فخرجت، وقلت: اللهم رُدَّها إلى حالتها.. فَردَّها إلى ما كانت».

هِبْتَ مُهَابًا:

□ عن يحيى بن عامرٍ التَّيمِيِّ أن رجلًا من الحيِّ خَرَج حاجًّا، فإذا هو بامرأةٍ في بعض الليل ناشرةً شعرَها في بعض المياه، فأعرض عنها،

---

(١) «ذم الهوى» (ص٢٦٣- ٢٦٤).

فقالت: «هلمَّ إلي لِمَ تُعرِضُ عنِّي؟ قال: إني أخافُ الله رب العالمين، فتَجلببَتْ، ثم قالت: هِبْتَ مُهَابًا، إن أولى مَن شَركَك في الهَيبة لمن أراد أن يَشْرَكَكَ في المعصية.. قال: ثم ولَّت، فتبعتُها، فدخلَتْ بعضَ خيام الأعراب: فلما أصبحتُ أتيتُ رجلًا من القوم، فوصفتُها فقلت: «فتاةٌ كذا وكذا، من حسنها، من منطقها»، فقال شيخٌ منهم: ابنتي والله، قلتُ: هل أنت مزوِّجي؟ قال: على الأكفاء، قلت: رجلٌ من «تَيمِ الله». قال: كفؤٌ كريم.. فما رُمتُ حتى تزوجتُها ودخلتُ بها، ثم قُلت: جهِّزوها إلى قُدومي من الحج، فلما قدمتُ حَملتُها إلى الكوفة، فها هي عندي لي منها بنينُ وبناتٌ»[1].

عِفَّةٌ بها مَلَك الدنيا والآخرة:

□ قال الحسن بن زيد: «وَلِيَنا بديارِ مصر رجلٌ، فوجد على بعض عُمَّاله فحَبَسه وقيَّده، فأشرفَتْ عليه ابنةُ الوالي فهَوِيَتْه، فكتبت إليه وكان قد نظر إليها:

أيهـــا الرامـــي بعينَيـــهِ ... وفي الطَّــرْفِ الحُتــوفُ

إنْ تُـــرِدْ وصـــلًا فقــد ... أمكنك الظبــيُّ الأَلُـوفُ

□ فأجابها الفتى:

إن تَريْنـــي زانيَ العينيـــ ... ـــنِ فـــالفَرجُ عفيــفُ

لـــيس إلَّا النظـــرُ الفــا ... تــرُ والـــشِّعرُ الظريــفُ

□ فكتبت إليه:

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٦٤- ٢٦٥).

قد أردناك على عشـ ـقِك إنسانًا عفيفًا

فتأبَّيت فلا زلـ ـتَ لقيدَيك حَلِيفًا

□ فأجابَها:

ما تأبَّيْتُ لأني كُنْتُ للظبي عيُوفًا

غيرُ أنّي خِفتُ ربًّا كان بي برًّا لطيفًا

فذاع الشِّعُر وبلغ الخبرُ الواليَ، فدعا بها، فزوَّجه إياها، ودفعها إليه»[1].

□ وفي حديث الغار قالت المرأةُ لابن عمها: «**يا عبد الله، اتَّقِ الله، لا تَفتحِ الخاتم إلَّا بحقِّه**».. فللَّه درها.

حديثُ الكِفل وصاحبتِه:

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يُحدِّث حديثًا لو لم أسمَعْه إلَّا مرةً أو مرتين –حتى عَدَّ سبع مرات–، ولكن سمعتُه أكثر من ذلك: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يَتورَّعُ عن ذنبِ عَمِلَه، فأتته امرأةٌ، فأعطاها ستِّينَ دينارًا على أن يطأَها، فلما قَعد منها مَقعَدَ الرجل من امرأته أُرعدت وبَكت، فقال: ما يُبكيك؟ أأكرهتُكِ؟ قالت: لا، ولكنه عملٌ ما عمِلتُه قط، وما حَمَلني عليه إلَّا الحاجةُ.. فقال: تفعلين أنتِ هذا وما فَعَلْتِهِ؟ اذهبي فهي لك، وقال: لا والله لا أَعصي الله بعدها أبدًا، فمات من ليلتِه، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غَفر**

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٦٧- ٢٦٨).

للكِفْل»[١].

نساءٌ عفيفات:

وإن كان يُحمَدُ الصبرُ من الرجال عن الفاحشة، فهو من النساء أعجب:

«دع ذلك ليوم التغابن»:

□ قال خَارجةُ بنُ زياد -رجلٌ من بني سليمة-: «هَوِيتُ امرأةً من الحي، فكنتُ أتبعُها إذا خرجت من المسجد، فعرفَتْ ذلك مني، فقالت لي ذاتَ ليلة: ألك حاجة: قلت: نعم، قالت: وما هي؟ قلت: مودَّتُكِ، قالت: دَعْ ذلك ليوم التغابن، قال: فأبكتني والله، فما عُدت إلى ذلك».

«فأين مُكَوكِبُها؟»:

□ قال أعرابي: «خرجتُ في بعض ليالي الظلمة، فإذا أنا بجاريةٍ كأنها عَلَم، فأردتُها على نفسها، فقالت: ويلك! أمَا لك زاجرٌ من عقلٍ إذا لم يكن لك ناهٍ من دين! فقلت: إيهًا! والله ما يرانا إلَّا الكواكبُ، قالتْ: فأين مكوكبُها؟!».

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي، وأحمد، وأبو يعلىٰ في «المسند»، وابن قدامة في «التوَّابين»، وابن حبان، وأخرجه رزين في «جامع الأصول»، وحسنَّه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» رقم (٤٤٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند».
والكفل هذا ليس النبي المذكور في كتاب الله تعالىٰ، فقصته لا تليق بنبي، انظر: كتاب «من قصص الماضيين في حديث سيد المرسلين»، بقلم الشيخ مشهور حسن سلمان (ص٢٢٧- ٢٢٩)، دار الهجرة.

هكذا تفنى الشهواتُ وتنقطع اللذات:

□ قال محمد بن عبد الله بن زيد: حدثتني أُمِّي عن أبيها قال: «أحببتُ جاريةً من العرب، وكانت ذاتَ عقلٍ وأدب، فما زلتُ أحتارُ في أمرها حتى اجتمعتُ معها في ليلةٍ مظلمةٍ شديدةِ السواد في موضعٍ خالٍ، فحادثتُها ساعةً، ثم دعتني نفسي إليها، فقلتُ: يا هذه، قد طال شوقي إليكِ قالت: وأنا كذلك. قلتُ: قد عَسرُ اللقاء. قالت: نحن كذلك! قلتُ: هذا الليلُ قد ذهب والصبُح قد اقترب.

قالت: هكذا تَفنى الشهوات وَتَنقطعُ اللذَّات.

قلتُ: لو أدنيتِني منكِ؟.

قالت: هيهاتَ هيهاتَ! إني أخافُ العقوبةَ من الله، قلتُ لها: فما الذي دعاكِ إلى الحضورِ معي في هذا المكان.

قالت: شِقوتي وبلائي!.

قلت: فمتى أراكِ؟

قالت: ما أُراني أنساك، فأما الاجتماعُ معك، فلا أراه يكون.

ثم تولَّتْ من بين يديَّ، فأستحييتُ مما سمعتُ منها، فرجعتُ وقد خرج من قلبي ما كنتُ أجدُ من حُبِّها، ثم أنشأتُ أقول:

تَوَقَّتْ عـذابًا لا يُطـاقُ انتقامـهُ ... ولم تـأتِ مـا تَخشى بـه أن تُعـذَّبا

وقالت مقالًا كِدْتُ من شدةِ الحيا ... أَهـيمُ علـى وجهـي حَيًا وتعجُّبَا

أَلا أُفٍّ للحُبِّ الذي يُورِثُ العمى ... ويُـورِدُ نـارًا لا تَمَـلُّ التوثُّبـا

فاقبل عَودي فـوق بَـدئي مُفكِّـرًا ... وقد زال عن قلبِي العَمـى فتَسرَّبا

□ قال: فلم أرَ امرأةً كانت أصونَ منها لدينِها ولا أعقل»[١].

بَقِيَ الباب الذي بيننا وبين اللهِ لم يغلق:

□ قال أبو محمد الشيباني: «كان بالبصرة رجلٌ له أكَّار[٢]، وكانت له امرأةٌ جميلةٌ حَسناءُ كَثيرةُ الشَّحمِ، فوقعت في نفسه، فركب زبيديَّته إلى قصره، وقال للأكَّار: الْقُطْ لنا من الرُّطَبِ، وصَيِّرْه في الدواخل، ثم قال له: ايتِ به فلانًا وفلانًا.. فنذهب به، فلما مضى قال لامرأته: أَغلِقِي بابَ القصر. فأغلقته. ثم قال لها: أغلِقِي كلَّ بابٍ. ففعلت، فقال لها: هل بَقِي بابٌ لم تغلقيه؟ قالت: نعم، بابٌ لم أغلِقه، قال: وأيُّ بابٍ هو؟ قالت: البابُ الذي بيننا وبين الله ﷻ.

فبكى، ثم قام يتصبَّبُ عَرَقًا، وانصرف ولم يُواقعِ الخطيئة»[٣].

استحِ من هذه الهمة:

عن محبوب بن صالح أن رجلًا من العرب رأى امرأةً، فوقعت في قلبه، فكَلَمَ بذلك دهرًا، ثم إن الأمر تفاقَم، وتمكَّنت منه الصبابةُ، واستخفَّه الغرام، فبَعث إليها يسألُها نفسَها، ويُخبِرُها بما هو عليه من حُبِّها، فكتبت إليه: «اتَّقِ الله أيها الرجل، وأرْبعْ على نفسك، واستَحِ من هذه الهِمَّة التي قد تعلقتَ بها، فإن ذلك أولى بذوي العقول».

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٧٢ - ٢٧٣).

(٢) الأكَّار: الحرَّاث.

(٣) «ذم الهوىٰ» (ص٢٧٣ - ٢٧٤).

«أنامَ ربُّ العالمين؟..»:

□ قال ابن الجوزي رحمه الله: «بلغنا أن بعض المتعبِّدات البَصْرِيَّات وقعت في نفس رجل مُهَلَّبِيٍّ - وكانت جميلة، وكانت تُخطَب فتأبى-، فبلغ المهلبيَّ أنها تريدُ الحجَّ، فاشترى ثلاثَمئةِ بعيرٍ، ونادى: مَنْ أراد الحجَّ فليكترِ من فلانٍ المهلبيِّ، فاكترتْ منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلًا، فقال: إما أن تزوِّجيني نفسَكِ، وإما غيرُ ذلك، فقال: ويحك، اتق الله!!، فقال: ما هو إلَّا تسمعين، والله ما أنا بحمَّالٍ، ولا خرجتُ في هذا إلَّا من أجلِكِ.. فلمَّا خافت على نفسها قالت: ويحك انظرْ: أَبَقِي في الرجال أحدٌ لم يَنَم؟.

قال: لا، قالت: عُدْ فانظر.. فمضى وجاء، فقال: ما بَقِي أحدٌ إلَّا وقد نام.

فقالت: ويحك! أنامَ رب العالمين؟ ثم شهِقت شهقةً وخَرَّتْ مَيتةً.

وخَرَّ المُهلبيُّ مغشيًّا عليه، ثم قال: ويحي! قتلتُ نفسًا ولم أبلُغْ شَهوتي.. فخرج هاربًا»[1].

«وهذه الطائفةُ لِعِفَّتِهم أسبابٌ: أقواها وأكملها: إجلالُ الجَبَّار، ثم الرغبةُ في الحُورِ الحسان في دارِ القرار، فإنَّ مَن صَرَف استمتاعَه في هذه الدار إلى ما حَرَّم الله عليه مَنَعه من الاستمتاع بالحُور الحِسانِ هناك.. فَلْيَتَخَيَّرِ العبدُ لنفسه إحدى اللذتَين، ولْيَطِبْ نفسًا عن إحداهما بالأخرى، فلن يجعلَ الله مَن أذهبَ طيباتِه في حياته الدنيا واستمتع بها كمَن صام عنها ليومِ فطره من الدنيا إذا لَقِيَ الله، ودون ذلك مرتبةٌ أن يتركَها خوفَ

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٧٦ - ٢٧٧).

النار فقط، فإنَّ تَرْكَها رغبةً ومحبةً أفضلُ من تركها لمجردِ خوفِ العقوبة»(١).

تركُ المُحبِّين أدنى المَحبوبَيْن رغبةً في أعلاهما:

□ قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله: «هذا بابٌ لا يدخل فيه إلَّا النفوسُ الفاضلة الشريفةُ الأبية التي لا تقنعُ بالدون، ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيعَ العاجزِ المغبون، ولا يَملِكُها لَطخُ جمالٍ مُغَشٍّ على أنواعٍ من القبائح.

فالنفس الأبية لا ترضى بالدُّون، وقد عابَ الله سبحانه أقوامًا استبدلوا طعامًا بطعامٍ أدنى، فنعى ذلك عليهم، وقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] ، وذلك دليلٌ على وضاعةِ النفس وقِلَّةِ قيمتها، ومن أحسن شِعرِ العرب -وكان عمرو بن العاص يتمثَّلُ بهمَا-:

إذا المـرءُ لم يَتـرك طعامًـا أَحَبَّـه ... ولم يَنْـه قلبًـا غاويًـا حيـث يَمَّـمَا

قـضى وطَـرًا منـه وغـادَرَ سُـبَّةً ... إذا ذُكرت أمثالُهـا تمـلأ الفـمَا»(٢)

الرَّبيعُ بن خُثيم، لله دُّره، سيّدٌ من سادات أهل العفاف:

يَروي أصحابُ السير والتراجم أن قومًا أَمَروا امرأةً ذات جمالٍ بارع أن تتعرَّض للربيع بن خُثيم لعلها تفتنُه، جعلوا لها إنْ فعلتَ ذلك ألفَ درهمٍ.

فلبِست أحسن ما قَدَرت عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيبِ ما قَدَرت

(١) «روضة المحبين» (ص٣٤٨- ٣٤٩).

(٢) «روضة المحبين» (ص٣٩٩- ٤٠٠).

عليه، ثم تعرَّضت له حينَ خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعَه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بكِ لو نَزَلَتِ الحُمَّى بجسمك، فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!.

أم كيف بكِ لو قد نزل بكِ مَلَكُ الموت فقطع حَبْلَ الوتين[1]؟!.

أم كيف بكِ لو سألَكِ منكرٌ ونكير؟!.

فصرخت صرخةً فسقطت مغشيًّا عليها.

فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادةِ ربها أن كانت يومَ ماتت كأنها جِذعٌ محترِقٌ من خشية الله ﷻ[2].

□ قال ابن أبي عمامة رحمه الله: «إن رجلًا أحبَّ امرأة فأحبَّته، فاجتمعا، فراوَدَتْه المرأة عن نفسه، فقال: إن أَجَلِي ليس بيدي، وأَجلَكِ ليس بيدك، فربما كان الأجلُ قد دنا فنَلقى الله عاصيينِ، فقالت: صدقتَ.. فتابا، وحَسُنت حالتُهمَا»[3].

عفيفٌ يَفوحُ المِسكُ منه:

□ قيل لأبي بكر المِسْكي: «إنا نَشُمُّ منكَ رائحةَ المسكِ مع الدوام، فما سببُه؟ فقال: والله إن لي سنينَ عديدةً لم أستعمِل المسكَ، ولكن سببُ ذلك أن امرأةً احتالت عليَّ حتى أدخلتني دارَها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودَتْني عن نفسي، فتَحيَّرتُ في أمري، فضاقت بيَ الحِيل، فقلتُ لها:

(١) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٢) «التوابين» لابن قدامة (ص٢٧٣)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٦١).

(٣) «ذم الهوىٰ» لابن الجوزي (٢١٣).

إنَّ لي حاجةً إلى الطهارة، فأمَرتْ جاريةً لها أن تَمضيَ بي إلى بيتِ الراحة، ففَعَلَتْ، فلما دخلت بيت الراحة أخذتُ العَذِرةَ وألقيتُها على جميع جسدِي، ثم رجعتُ إليها وأنا على تلك الحالة، فلمَّا رأتني دُهِشت، ثم أَمرت بإخراجي، فمضيتُ واغتسلتُ، فلما كانت تلك الليلةُ رأيتُ في المنام يقول لي: فعلتَ ما لم يفعَلْه أحدٌ غيرُك، لأُطيِّبَنَّ رِيحَك في الدنيا والآخرة، فأصبحتُ والمِسكُ يفوحُ مِنِّي، واستمرَّ ذلك إلى الآن»[1].

فعليك أخي بالعِفة، فَعَدمُها يُعفِّي على جميعِ المحاسن ويُعرِّي مِن لُبوس المحامد، ومَن اتَّسَمَ بسِمةِ العِفَّة قامت العفَّةُ له بحُجَّةِ ما سواها من الفضائل، وسَهَّلت له سبيلَ الوصولِ إلى المحاسن.

---

(١)«المواعظ والمجالس» لابن الجوزي (ص٢٢٤)، طبع دار الصحابة.

أقوال السلف في العفة

□ قال لقمان الحكيم رحمه الله: «حقيقةُ الورع العفافُ»(١).

□ لمَّا فتح المسلمون القادسية أخذوا الغنائم ودفعُوها إلى عمر. فقال: «إنَّ قومًا أدَّوْا هذا لأمناءُ، فقالوا له: عففتَ فعفُّوا ولو رَتَّعْتَ يا أمير المؤمنين لرَتَعَتْ أمَّتُك»(٢).

□ وقال أيضًا رضي الله عنه على المنبر: «لا تُكلِّفُوا الأَمَة غير ذات الصَّنْعَةِ الكسب؛ فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها، ولا تكلِّفُوا الصغير الكسبَ؛ فإنَّه إذا لم يجدْ يسْرقْ، وعِفُّوا إذا أعفَّكُم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها»(٣).

□ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نحن معْشر قريشٍ نعُدُّ الحلم والجُودَ السُّؤْدَد، ونعُدُّ العفاف وإصلاح المَال المروءةَ»(٤).

□ قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما لمَّا قال له الناسُ: بايع لابن الزبير: «وأينَ بهذا الأمرِ عنه (٥)، أمَّا أبُوه فحواريُّ النبيِّ ﷺ، يُريدُ الزبير. وأمَّا جدُّه فصاحِبُ الغارِ – يريد أبا بكرٍ –، وأمَّا أُمُّهُ، فذَاتُ النِّطَاقِ – يريدُ أسماءَ – ، وأمَّا خَالتُهُ فأمُّ المؤمنينَ –يريدُ عائشة–، وأمَّا عمَّتُه فزوْجُ النَّبيِّ ﷺ –

---

(١) «الورع» لابن أبي الدنيا (ص٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص١٢٢).

(٣) «الموطأ» (٩٨١).

(٤) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٥).

(٥) معنى قوله: «وأين بهذا الأمر عنه»: أن الخلافة ليست بعيدة عنه لشرفه ونسبه ووضعه.

يريدُ خديجةَ -، وأمَّا عمَّةُ النَّبيِّ ﷺ فجدَّتُهُ - يريدُ صفيَّةَ-، ثمَّ عَفِيفٌ في الإسلام قارئٌ للقرآنِ، والله إنْ وصلُوني وصلُوني من قريبٍ، وإنْ ربَّوني ربَّوني أكْفَاءٌ كِرَامٌ [(١)]. فآثَرَ عليَّ التُّوَيْتاتِ والأساماتِ والحيداتِ- يريد أبْطُنًا من بني أسدٍ: بني تويتٍ وبني أسامة وبني أسدٍ أنَّ ابن أبي العاص برز يمشي القدميَّة [(٢)] يعني عبد الملك بن مروان، وأنَّه لوَّى ذنبه، يعني ابن الزبير» [(٣)].

□ قال قَلاخُ - وهم جماعةٌ يسمَّونَ بهذا الاسمِ وأشهرُهُم القلاخُ العنْبَرِيُّ البصريُّ المخضرم لأبي جهْلٍ والحارثِ ابني هشام:

فَهَلْ يُخْلِدَنَّ ابنيْ هشام غِناهُما ... ومَا يَجْمَعَانِ مِن مِئِينَ وَمِنْ أَلْفِ

يَقُولانِ نَسْتَغْنِي وَوَاللهِ مَا الغِنَى ... مِنَ المَالِ إلَّا ما يُعِفُّ ومَا يَكْفِي [(٤)]

□ قال محمد بن الحنيَّفة رحمه الله: «الكمَالُ في ثلاثةٍ: العفَّةُ في الدِّينِ، والصَّبْرُ على النَّوائبِ، وحسنُ التَّدْبيرِ في المعيشة» [(٥)].

□ قال محمدُ بن أبي عمْرَة في وصيَّتِه لبنيه وأهل بيته: «أن اتَّقُوا الله وأصْلِحُوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إنْ كنتم مؤمنين». قال إبراهيم لبنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة]. وأوْصَاهُمْ أن لا يرغَبُوا أن يكونوا موالِيَ الأنْصَارِ

---

(١) أكفاء: جمع كفء وهو المثل،وكرام: أي في أحسابهم.

(٢) القدمية: التبختر.

(٣) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٦٦٥).

(٤) «القناعة» لابن السني (٥٨).

(٥) «أدب الدنيا والدين» (٣٩٣- ٣٩٤).

وأخوانهم في الدِّينِ، وأَنَّ العفَّةَ والصِّدْق خيرٌ وأتْقَى من الزنا والكذب..»[١].

□ قال أبو قلابة عبد الله بن زيدٍ الجرمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أيُّ رَجُلٍ أعظمُ أجْرًا من رجلٍ ينفقُ على عيالٍ صغارٍ يعفُّهُمْ أو ينفعهم الله به ويُغنيهم»[٢].

□ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «خَمْسٌ إذا أخْطأَ القاضي منهُنَّ خُطَّةً كانت فيه وصْمَةً أنْ يكون فهمًا حَلِيمًا عفيفًا صلِيبًا، عالمًا سَئُولًا عن العلمِ»[٣].

□ قال سُفيانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لأصحابِهِ وقدْ خَرَجُوا يومَ عيدٍ: «إنَّ أَوَّلَ ما نبدأ به يوْمِنَا عِفَّةُ أبْصارِنَا»[٤].

□ قال أبو عمرِو بنُ العلاءِ رَحِمَهُ اللهُ: «كانَ أهْلُ الجاهليَّةِ لا يسُوِّدُونَ إلَّا منْ كانتْ به ستُّ خِصَالٍ وتمَامُها في الإسلام سابِعَةٌ: السَّخَاءُ، والنجدةُ، والصَّبْرُ، والحلمُ، والبيانُ، والحسَبُ، وفي الإسلام زيادةُ العَفَافِ»[٥].

□ قال منصُورٌ الفقيهُ رَحِمَهُ اللهُ: «فضلُ التُّقى أفضلُ من فضلِ اللِّسَان والحسب، إذا هُما لم يجمعا إلى العفاف والأدبِ»[٦].

□ قال الماورْدي رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ دِينَ المرءِ يُفْضِي إلى السَّتْر والعفافِ، ويُؤدِّي إلى القَنَاعَةِ والكفافِ»[٧].

---

(١) الدارمي (٢/ ١٠٤).
(٢) مسلم (٢/ ٦٩٢) تعليقًا على حديث رقم (٩٩٤).
(٣) «الفتح» (١٣/ ١٥٦).
(٤) «الورع» لابن أبي الدنيا (٦٣).
(٥) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢١٥).
(٦) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٢١).
(٧) «أدب الدنيا والدين» (١٩٤).

□ قال ابن مُفْلِحٍ رحمه الله: «كانَ يُقالُ: الشُّكْرُ زينَةُ الغنَى، والعفافُ زينَةُ الفقْرِ».

□ ويقال أيضًا: «حَقُّ الله واجِبٌ في الغِنَى والفقر، ففي الغنَى العطْفُ والشُّكرُ، وفي الفقر العفافُ والصَّبْرُ»(١).

□ قال ابن حجرٍ رحمه الله: «العالمُ إذا كان عليمًا ولم يكُنْ عفيفًا كان ضررهُ أشدَّ منْ ضَرَرِ الجَاهِلِ»(٢).

□ عن عمران بن عبد الله قال: «كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئًا، لا دينارًا، ولا درهمًا، ولا شيئًا؛ قال: وربمَا عرض عليه الأشربة، فيعرض؛ فليس يشرب من شراب أحد منهم»(٣).

□ عن إبراهيم بن أدهم قال: «تريد تدعو؟ كلِ الحلال، وادعُ بمَا شئت»(٤).

□ عن سفيان الثوري قال: «عليكم بمَا عليه الحمَّالون، والنساء في البيوت، والصبيان في الكُتَّاب: من الإقرار والعمل»(٥).

□ عن سليمَان بن يعقوب قال: «قلت لبشر بن الحارث: عظني؟ قال: انظر خبزك من أين هو؟ ولا تعرض للنار»(٦).

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣١٠).
(٢) «الفتح» (١٣/ ١٤٩).
(٣) «الحلية» (٢/ ١٦٧).
(٤) «الحلية» (٨/ ٣٤).
(٥) «الحلية» (٧/ ٣٠).
(٦) «الحلية» (٨/ ٣٣٩).

□ عن وهيب بن الورد قال: «لو قمت قيام هذه السارية، ما نفعك، حتى تنظر ما يدخل في بطنك: حلال، أم حرام»[١].

□ عن يوسف بن أسباط، أنه قال لشعيب بن حرب: «إن طلب الحلال فريضة والصلاة في الجمَاعة سنة»[٢].

□ علي بن الجهم بن بدر قال: «كان لنا جار، فأخرج إلينا كتابًا؛ فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل، فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة، فقصدنا أحمد بن حنبل أيامًا، فلم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا إليه والباب مردود عليه، وإذا عليه خلقان؛ فقلنا له: يا أبا عبد الله، ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام؛ فقال: سُرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت: خذ قرضًا، وإن شئت: صلة؛ فأبى أن يفعل، فقلت: تكتب فيّ بأخذه، قال: نعم، فأخرجت دينارًا، فأبى أن يأخذه؛ وقال: اشتر لي ثوبان واقطعه بنصفين – فأومأ أنه يأتزر بنصف، ويرتدي بالنصف الآخر –؛ وقال: جئني ببقيته، ففعلت، وجئت بورق وكاغد، فكتب لي؛ فهذا خطه»[٣].

□ عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: «دخلت على أبي في أيام الواثق، والله يعلم في أي حالة نحن، وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لبد يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة، حتى قد بلي؛ فإذا تحته كتاب

---

(١) المصدر السابق (٨/ ١٥٤).

(٢) «الحلية» (٨/ ٢٣٨).

(٣) المصدر السابق (٩/ ١٧٧- ١٧٨).

كاغد، وإذا فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان، لتقضي بها دينك، وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة، ولا زكاة؛ وإنمَا هو شيء ورثته من أبي، فقرأت الكتاب، ووضعته؛ فلمَّا دخل، قلت: يا أبت، ما هذا الكتاب؟ فاحمرّ وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه؛ فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إلي، ونحن في عافية، فأما الدين: فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا: فهم في نعمة الحمد لله؛ فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك، لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلًا في الدجلة، كان مأجورًا؛ لأن هذا رجل: لا يعرف له معروف، فلمَّا كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما رد؛ فلمَّا مضت سنة، أو أقل أو أكثر، ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها: كانت قد ذهبت»[1].

□ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «حدثني أبي، قال: عرض علي يزيد بن هارون خمسمئة درهم، أو أكثر أو أقل؛ فلم أقبل منه، وأعطى يحيى بن معين، وأبا مسلم المستملي، فأخذا منه»[2].

□ عن حمدان بن سنان الواسطي: «قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة، قال: فنفدت نفقاتهم، فأخذوا؛ قال: وجاء أحمد بن حنبل بفروة، فقال: قل لمن يبيع هذه، ويجيئني بثمنها، فأتسع به؛ قال: فأخذت صرة دراهم، فمضي بها إليه، فردها؛ قال: فقالت امرأتي: هذا رجل صالح،

(١) «الحلية» (٩/ ١٧٨).
(٢) «الحلية» (٩/ ١٧٧).

لعله لم يرضها فأضعِفها، قال: فأضعفتها، فلم يقبل؛ فأخذ الفروة مني وخرج»(١).

□ عن أيوب السختياني، قال: «لا يستوي العبد، أو لا يسود العبد، حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عمَا يكون منهم»(٢).

□ عن عبد الرزاق قال: «قدم علينا أحمد بن حنبل ها هنا، فقام سنتين إلَّا شيئًا، فقلت له: يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب – وأرانا عبد الرزاق كفه، ومدها فيها دنانير – قال أحمد: أنا بخير؛ ولم يقبل مني»(٣).

□ قال ذو النون رحمه الله:

لبست بالعفة ثوب الغنى ... فصرت أمشي شامخ الراس

أنطق لي الصبر لساني ... فما أخضع بالقول لجلاسي

إذا رأيت التيه من ذي الغنا ... تهت على التائه باليأس (٤)

□ عن الفضل بن محمد البيهقي قال: «سمعت أبي يقول: سمعت وكيعًا يقول – وقد جاءه رجل يناظره في شيء من أمر المعاش، أو الورع –؛ فقال له وكيع: من أين تأكل؟ قال: ميراثًا ورثته عن أبي، قال: من أين هو لأبيك؟ قال: ورثه عن أبيه، قال: من أين هو كان لجدك؟ قال: لا أدري؛

(١) «الحلية» (٩/ ١٧٧).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٣).
(٣) «الحلية» (٩/ ١٧٤ - ١٧٥).
(٤) «الحلية» (٩/ ٣٧).

فقال له وكيع: لو أن رجلًا نذر: لا يأكل إلَّا حلالًا، ولا يلبس إلَّا حلالًا، ولا يمشي إلَّا في حلال، لقلنا له: اخلع ثيابك، وارم بنفسك في الفرات، ولكن لا تجد إلَّا السعة؛ ثم قال وكيع: لو أن رجلًا بلغ في ترك الدنيا مثل: سلمَان، وأبي ذر، وأبي الدرداء، ما قلنا له: زاهدًا؛ لأن الزهد لا يكون إلَّا على ترك الحلال المحض، والحلال المحض لا نعرفه اليوم، فالدنيا عندنا: حلال، وحرام، وشبهات، فالحلال: حساب، والحرام: عذاب، والشبهات: عتاب؛ فأنزِل الدنيا بمنزل الميتة، خذ منها ما يقيمك، فإن كانت حلالًا: كنت قد زهدت فيها، وإن كانت حرامًا: كنت قد أخذت منها ما يقيم؛ لأنه لا يحل لك من الميتة، إلَّا قدر ما يقيمك؛ وإن كانت شبهات: كان فيها عتاب يسير»[1].

▫ عن أبي الحسن بن أبي الورد قال: «قال رجل: أتينا عليَّ بن بكار، فقلنا له: حذيفة المرعشي يقرأ عليك السلام؛ فقال: عليكم وعليه السلام، إني لأعرفه يأكل الحلال منذ ثلاثين سنة»[2].

▫ عن محمد بن موسى بن حماد اليزيدي قال: «حُمل إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي ميراثه من مصر: مئة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار؛ فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراث حلال، فخذها، واستعن بها على عيلتك؛ قال: لا حاجة لي بها، أنا في كفاية؛ فردّها، ولم يقبل منها شيئًا»[3].

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٣٧٠).

(٢) «الحلية» (٩/ ٣١٨).

(٣) «الحلية» (٩/ ١٧٥).

□ كان غلام من الصيرفة يختلف إلى أحمد بن حنبل، فناوله يومًا درهمين فقال: اشتر بهما كاغدًا، فخرج الغلام، واشترى له، وجعل في جوف الكاغد خمسمئة دينار، وشدّه، وأوصله إلى بيت أحمد؛ فسأل، وقال: حُمل إلينا من البياض؟ فقالوا: بلى، فوضع بين يديه، فلمَّا أن فتحه، تناثرت الدنانير؛ فردّها في مكانها، وسأل عن الغلام، حتى دُل عليه، فوضعه بين يديه؛ فتبعه الفتى، وهو يقول: الكاغد اشتريته بدراهمك، خذه؛ فأبى أن يأخذ الكاغد أيضًا[١].

□ عن شقيق البلخي قال: «لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام، فقلت: يا إبراهيم، تركت خراسان؟ فقال: ما تهنيت بالعيش إلَّا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: هو حمال؛ ثم قال لي: يا شقيق، لم ينبل عندنا من نبل بالحج، ولا بالجهاد، وإنمَا نبل عندنا من نبل: من كان يعقل ما يدخل جوفه -يعني: الرغيفين من حله -؛ ثم قال: يا شقيق، إذا أنعم الله على الفقراء، لا يسألهم يوم القيامة: لا عن زكاة، ولا حج، ولا عن جهاد، ولا عن صلة رحم؛ إنمَا يسأل هؤلاء المساكين؛ يعني: الأغنياء»[٢].

□ عن علي بن هشام القرشي قال: «جاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة، يشتري منه دراهم بدينار، فأعطاه الدينار، وكان معه آخر، فسقط من سفيان، فطلبه، فإذا إلى جانبه دينار آخر؛ فقال له الصيرفي: خذ

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٧٦).

(٢) «الحلية» (٧/ ٣٦٩- ٣٧٠).

دينارك، قال: ما أعرفه؛ قال: خذ الناقص، قال: فلعله الزائد؟ قال: فتركه ومضى»[١].

◻ عن خلف بن تميم قال: «قلت لإبراهيم بن أدهم: مذ كم نزلت بالشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، ما نزلتها لجهاد، ولا لرباط؛ فقلت: لأي شيء نزلتها؟ قال: لأشبع من خبز حلال»[٢].

◻ عن الحكيم – يعني: ابن عمر- قال: «شهدت عمر بن عبد العزيز، وأرسل غلامه يشوي بكبكة من لحم، فعجل بها؛ فقال: أسرعت بها، قال: شويتها في نار المطبخ، وكان للمسلمين مطبخ، يغديهم، ويعشيهم؛ فقال لغلامه: كلها يا بني، فإنك رُزِقْتَها، ولم أُرْزَقْها»[٣].

◻ وعن أبي سليمَان الداراني قال: «القناعة أَوَّلُ الرِّضا، والورع أَوَّلُ الزهد»[٤].

أحادِيث عَطِرة في القناعة:

قد أوردنا أحاديث في صدر الفصل ذكرنا فيها فضل القناعة ونُورِد هنا أحاديث أُخرى:

• عن عمرو بن تَغْلبَ ﷺ قال: أعْطَى رسولُ الله ﷺ قَوْمًا ومنَعَ آخَرينَ، فكأَنَّهُمْ عتبُوا عليه فقال: «**إنِّي أُعْطِي قَوْمًا أخافُ ظَلَعَهُمْ**

(١) «الحلية» (٧/ ٥٣).
(٢) «الحلية» (٧/ ٣٥٣).
(٣) «الحلية» (٥/ ٢٩١).
(٤) المصدر السابق (٩/ ٢٥٧).

وجَزَعَهُمْ [١]، وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعلَ اللهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الخَيْرِ والغِنَى، مِنْهُم عمْرُو بنُ تَغْلِبَ». فقال عمرو بن تغلب: ما أحبُّ أنَّ لي بكلمة رسولِ الله ﷺ حُمْرَ النِّعَمِ. زاد أبو عاصمٍ عن جريرٍ قال: سمِعْتُ الحسن يقولُ: حدَّثنا عمرُو بن تغْلِبَ أنَّ رسول الله ﷺ أتِيَ بمَالٍ أو بِسَبْيٍ فقسَمَهُ.. بهذا» [٢].

• عن أبي أمامةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائي عندي لمؤْمنٌ خَفِيفُ الحَاذ [٣]، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلاةِ، أحْسَنَ عبادَةَ ربِّه وأطاعَهُ في السِّرِّ، وكان غَامضًا في النَّاس، لا يُشَارُ إليه بالأصابع، وكان رِزْقُهُ كفافًا، فصبرَ على ذلك، ثُمَّ نفضَ بيده، فقال: عُجِّلَت منيتهُ، وقلتْ بواكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ». وبهذا الإسنادِ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «عَرَضَ عليَّ رَبِّي ليجْعَلَ لي بطْحَاءَ مكَّةَ ذهبًا، قلتُ: لا يا ربِّ، ولكنْ أشبعُ يومًا، وأجُوعُ يومًا وقال: ثلاثًا أو نحو هذا – فإذا جُعْتُ تضرَّعْتُ إليك وذكرتُكَ، وإذا شَبِعْتُ شكرتك وحمدْتُكَ» [٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انْظُروا إلى مَنْ أَسْفَلَ

---

(١) ظلعهم: اعوجاجهم. والجزع: نقيض الصبر على الجزع، والمراد به هنا مرض القلب وضعف اليقين.

(٢) رواه البخاري (٣١٤٥).

(٣) قال ابن الأثير: الحاذ في الأصل بطن الفخذ، وقيل: هو الظهر، والمُراد في الحديث: الخفيف الظهر من العيال، القليل المال، القليل الحظ من الدنيا انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ١٣٨).

(٤) إسناده حسن: رواه الترمذي (٢٣٤٧) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ١٣٧): «إسناده حسن».

مِنْكُمْ، ولا تنْظُرُوا إلى مَنْ هو فوْقَكُمْ. فهو أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله»(١).

• عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ فأعْطَاني، ثُمَّ سألتُهُ فأعْطَاني، ثُمَّ سألتُه فأعْطَاني، ثُمَّ قال: «يا حَكِيمُ، إنَ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَنْ أخذَهُ بسَخَاوَةِ نفْسٍ بُورِكَ له فيه، ومنْ أخذَهُ بإشْرَافِ نفسٍ لم يُبارِكْ لهُ فيه، كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، اليدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليدِ السُفْلَى». قال حكيمٌ: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقِّ لا أرْزَأُ أحدًا (٢) بعْدك شيئًا حتى أفارقَ الدُّنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يَدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقْبلهُ منه. ثمَّ إنَّ عمر رضي الله عنه دعاهُ ليُعْطيَهُ فأبَى أنْ يقْبل منهُ شيئًا. قال عمرُ: إنِّي أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيمٍ أنِّي أعْرِضُ عليه حقَّهُ من هذا الفيْءِ فيأبى أن يأخذه فلم يرْزَأْ حكيمٌ أحدًا من الناسِ بعد رسولِ الله ﷺ حتى تُوفيَ»(٣).

وقد ورد بلفظ آخرُ:

• عن حكيم بن حزام أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اليد العليا خير من اليد السفلى». قلت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني». قلت: والذي بعثك بالحق لا أخذ من أحد بعدك عطية. قال: «وليبدأ أحدكم بمن يعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعف يعفه الله، ومن

(١) رواه البخاري (١١/ ٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له.
(٢) لا أرزأ أحدًا: أي لا أصيب من ماله بالطلب منه ولا أنقصه شيئًا.
(٣) رواه البخاري (١٤٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٥).

يستغن يغنه الله»[(١)]. قال: قلت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني». قلت: والذي بعثك بالحق، لا تكون يدي تحت يد رجل من العرب بعدك ما حييت أبدًا. قال: فمَا رزأ من النبي ﷺ شيئًا حتى قبضه الله تعالى إليه، ولا من أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمَان حتى مات رضي الله عنه.

□ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «اشتكَى سلمَانُ، فعادَهُ سعْدٌ، فرآهُ يبكي، فقال لهُ سعدٌ: ما يُبْكِيكَ يا أخي؟ أليس قد صحبْتَ رسول الله ﷺ؟ أليس أليْسَ؟ قال سلمَانُ: ما أبْكي واحدةٌ من اثنتين، ما أبْكِي حنينًا للدُّنيا، ولا كراهيةً للآخرة، ولكن رسولُ الله ﷺ عهد إليَّ عهْدًا، فمَا أراني إلَّا قد تعدَيْتُ. قال: وما عَهِدَ إليك؟ قال: عهدَ إليَّ أنَّهُ يكفي أحدكم مثلُ زَادِ الرَّاكبِ، ولا أراني إلَّا قدْ تعدَّيْتُ، وأمَّا أنت يا سعد، فاتق الله عند حُكْمِكَ إذا حكمت، وعند قَسْمِكَ إذا قسمْتَ، وعند همِّكَ إذا هَممْتَ، قال ثابتٌ: فبلغني أنَّهُ ما ترك إلَّا بضْعَةً وعشرين درهمًا من نفقةٍ كانت عندهُ»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه عد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٤١)، وأحمد (٣/ ٣٤٣)، والبخاري (١٤٧٢)، (٢٧٥٠)، (٢١٤٣)، (٦٤٤١)، ومسلم (١٠٣٥)، والترمذي (٢٥٨١)، والنسائي (٥/ ١٠١- ١٠٢).

(٢) صحيح: رواه ابن السني في «القناعة» (٤٨)، وقال: حديث صحيح وللحديث طرق عدة من سلمان يصح بها قطعًا وقد أخرجه من طريق الحسن: وكيع في «الزهد» (٦٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٨) و«الزهد» (٢٨، ٢٩)،وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٩١) وغيرهم، وطرق أخرىٰ عن سلمان منها: رواية أنس بن مالك عند ابن ماجه (٤١٠٤) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٧٩) وقال ابن السني: وهذا إسناد جيِّد قوي.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الغنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ**(١) **ولكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»(٢).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ما طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلَّا وبجنبتيها ملكَانِ، إنَّهما يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إلَّا الثَّقَلَيْنِ: أيُّها الناسُ، هَلُمُّوا إلى ربِّكُمْ، فإنَّ ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كثر وألهى، وما غَربت شمْسٌ قطُّ إلَّا وبجنبتيها ملكانِ يُنادِيَان: اللهمَّ عجِّلْ لمُنْفِقٍ خَلَفًا وعجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفًا**»(٣).

• عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة؟**». قال ثوبان: أنا. قال: «**لا تسأل الناس شيئًا**»(٤).

قال: فكان ثوبان تسقط عِلاقةُ(٥) سوطه فلا يأمر أحدًا أن يناوله،

---

(١) العرض: هو متاع الدنيا. ومعنىٰ الحديث: الغنىٰ المحمود غنىٰ النَّفْس وشبعها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص علىٰ الزيادة، لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه، فليس له غنىٰ.

(٢) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٣) صحيح: رواه ابن السني في «القناعة» (٥٧) وقال مخرجه: سنده صحيح، ورجاله ثقات. وذكره **الحاكم في «المستدرك»** (٢/ ٤٤٥) واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد **ووافقه الذهبي**.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١)، وأبو داود (١٦٣٩)، والنسائي (٥/ ١٠٠)، وابن حبان (٥/ ١٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٤٣٣)، (١٤٣٥).

(٥) العِلاقةُ: المعلاق الذي يُعلقُ به الإناء، وعلاقة السيف والسوط، ما في مقبضه من السير.

وينزلِ هو فيأخذها.

▫ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ أن لا أسأل أحدًا شيئًا. قال: فكان يقع السوط من يده، فينزل فيأخذه»(١).

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**هل لك في بيعة ولك الجنة؟**».

قلت: نعم، فبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ، وهو يشترط عليَّ: «**لا تسأل الناس شيئًا**» قلت: نعم. قال: «**ولا سوط إن سقط منك، حتى تنزل فتأخذه**»(٢).

وكان حكيم بن حزام لا يسأل خادمه أن يسقيه ماء، ولا يناوله ما يتوضأ به(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم على ظهره، فيقي به وجهه، خير له من أن يسأل رجلًا أعطاه أو منعه**»(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩)، وابن سعد في «طبقاته» (٤/ ٢٢٩) وابن حبان (١/ ٣٣٧) من طريق سلام أبي المنذر عن حمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر، وسنده حسن، فيه سلام بن سليمان المزني، أبو المنذر النحوي، صدوق يهم، أخرج له الترمذي، والنسائي، ولكن تابعه الأسود بن شيبان عند ابن حبان، وهو ثقة عابد، وتابعه إسماعيل بن أبي خالد عند الطبراني في «الكبير» (١٦٤٨).

(٢) حسن بشواهده: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢) بسند فيه انقطاع، وابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» رقم (٣) (ص١٨) واللفظ له، ويشهد له الطرق السابقة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (٥/ ١٨).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٧١)، (٢٠٧٥)، (٢٣٧٣) بنحوه، ومسلم (١٠٤٢)، ومالك (٣/ ١٥٩) في «الموطأ»، والترمذي (٦٨٠)، والنسائي =

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يأخذ أحدُكم حَبْلَه، ثم يغدو إلى الجبل فيحْتَطِب، فيبيعَ، فيأكلَ، خيرٌ من أن يسأل الناس**»[1].

• وعن الزبير بن العوَّام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَن يأخذَ أحدُكم حَبْلَه فيأتيَ الجَبَلَ، فيجيءَ بِحِزْمَة الحطب على ظهرهِ، فيبيعها، فيَكفَّ الله بها وَجْهَهُ، خيرٌ لهُ من أن يسأل الناس، أعطوْهُ، أوْ منعوه**»[2].

• وعن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذا المَال، فقال: «**ما أنكَرَ مسألتَك يا حكيم! إن هذا المال خضر حلو، وإنه أوساخ أيدي الناس، وإن يد الله فوق يد المعطي، ويَدُ المُعْطِي فوق يَد المُعْطَى، ويد المُعْطَى أسفل الأيدي**»[3].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اليد العليا**

(٥/ ٩٦)، وابن ماجه (١٨٣٦)، وأحمد (١/ ١٦٧)، (٢/ ٣٠٠)، (٢/ ٣٩٥، ٤٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٠٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٩١)، كلهم من حديث أبي هريرة بنحوه، أو بلفظه. وأخرجه البخاري (١٤٧١)، (٢٠٧٥)، (٢٣٧٣) من حدث عبد الله بن الزبير.

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، وابن ماجه.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٣)، والبخاري (١٤٧٢)، (٢٧٥٠)، (٣١٤٣)، (٦٤٤١)، ومسلم (١٠٣٥)، والترمذي (٢٥٨١)، والنسائي (٥/ ١٠١- ١٠٢)، وابن حبان (٥/ ٩١، ١٧٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٦١٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٧٨)، (٣٠٧٩)، (٣٠٨٠)، (٣٠٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٩٦).

خير من اليد السفلى»(١).

فمَا سأل عمر بن الخطاب بعد شيئًا ممن سواه.

• وعن القعقاع بن حكيم قال: «بعث عبد العزيز بن مروان إلى عبدالله بن عمر أن ارفع إليَّ حاجتك، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن اليد العليا خير من اليد السفلى**»(٢). فلست أسألك شيئًا، ولا أرد رزقًا رزقنيه الله تعالى.

□ وعن نافع أن المختار بن أبي عبيد كان يُرسِل إلى عبد الله بن عمر المال فيقبله، ويقول: «لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا أردُّ ما رزقني الله تعالى»(٣).

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الناس ولهُ ما يُغنيه، جاء يوم القيامة ومسألتُه في وجهه خموشٌ، أو خُدُوش، أو كُدُوح**(٤)،

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٤، ٦٧، ٩٨، ١٥٢)، والطبراني في «الكبير» كما في «كنز العمال» (١٦٠٨١)، و«مجمع الزوائد» (٣/ ٩٨) وقال: رجاله ثقات. أخرجه البخاري (٥٣٥٥)، ومسلم (١٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٧٨، ٨٨، ٣١٩، ٣٦٢، ٣٩٤، ٣٤٣، ٤٧٥، ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٧) بنحوه من حديث أبي هريرة. أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٢٦) من حديث ابن عباس، وسنده ضعيف. وفي الباب عن حكيم بن حزام وقد مَرَّ، وطارق المحاربي، وأبي أمامة وعطية السعدي، وجابر، وعمران بن حصين وسمرة معًا، ومالك بن نضلة.

(٢) صحيح: انظر السابق.

(٣) صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٥٠)، وأورده الذهبي في «السير» (٣/ ٢٢٠، ٥٤٤)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٥/ ١٢٣).

(٤) هذه الألفاظ متقاربة المعاني: جمع «خمش» و«خدش» و«كدح»، قال الخطابي: الخموش هي الخدوش والكدوح: الآثار من الخدوش أو القضّ ونحوه والخمش في الوجه، والخدش في الجلد، والكدح فوق الجلد، فيكون الخمش =

قيل: وما الغِني؟ قال: خمسون درهمًا، أو قيمتها من الذهب»[(١)].

• وعن سهل بن الحنظلية قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل شيئًا وعنده ما يُغنيه، فإنما يستكثرُ من جمر جهنم»، قالوا: وما يغنيه؟ قال: «قَدْرُ ما يغدِّيه ويعشيه»[(٢)].

• وعن حبشي عن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي يسألُ من غير حاجة كمثل الذي يلتقِطُ الجَمْرَ»[(٣)].

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سألَ من غيرِ فقرٍ فكأنَّما يأكلُ الجمرَ»[(٤)].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سألَ وله أربعون

أبلغ في معناه من الخدش، وهو أبلغ من الكدح.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥)، وأبو داود (١٦٤٣)، والترمذي (٦٤٥)، والنسائي (٥/ ٩٦)، وابن ماجه (١٨٣٧)، والدارمي (١/ ٣٨٦)، والحاكم (١/ ٤٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٩٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٩) و«صحيح الجامع» (٦٢٧٩). قال الترمذي: وبه يقول الثوري، وعبدالله ابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، قالوا: إذا كان عند الرجل خمسون درهمًا لم تحل له الصدقة. ولم يذهب بعض أهل العلم إلى هذا، وقالوا: إذا كان عنده خمسون درهمًا، أو أكثر وهو محتاجٌ له أن يأخذ من الزكاة، وهو قول الشافعي وغيره من أهل الفقه والعلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٨٠- ١٨١)، وأبو داود (١٦٢٩)، وابن حبان (٨٤٤، ٨٤٥)، والحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «الكبير» (٥٦٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٠).

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٦)، و«صحيح الجامع» (٥٤٩٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن خزيمة، والضياء، والطحاوي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٦)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٠).

دِرْهَمًا، فهو المُلْحِفُ»(١).

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله قيمةُ أُوقيَّةٍ، فقد أَلْحَفَ»(٢).

• وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سأَلَ الناس مسألةً وهو عنها غني، كانت شينًا في وجهه يوم القيامة»(٣).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مسألة الغنيِّ شيْنٌ في وجهه يوم القيامة»(٤).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سُؤالُ الفقير شين في وجهه يوم القيامة، وسُؤالُ الغَنيِّ نارٌ في وجهه، إن أُعطي قليل فقليل، وإن أُعطي كثير فكثير»(٥).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل الناسَ

---

(١) رواه النسائي عن ابن عمرو، والطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي ذر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧١٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، ومالك، وأحمد، والنسائي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧١٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٨١)، والطبراني، والبزار، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨١)، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال «الصحيح».

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦، ٤٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٦٢)، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال «الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٣)، و«صحيح الجامع» (٥٨٧١).

(٥) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢، ١٧٥)، قوله: شيْن، الشَّيْن خلاف الزَّيْن، والشين العَيْب.

تَكَثُّرًا[1]، فإنمـا يسأل جَمْرًا، إن شاء فليُقِلَّ، وإن شاء فليُكثر»[2].

• عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه المسائل كَدٌّ يَكُدُّ بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك، إلَّا أن يسأل الرجل ذا السلطان في أمر لا يجد منه بُدًّا»[3].

• وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أُعطيت شيئًا من غير أن تسأل، فَكُلْ وتصدق»[4].

• وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُلْحِفُوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحدٌ منكم شيئًا فتُخرِجَ له مسألتُه مني شيئًا وأنا له كارهٌ، فيبارك له فيما أعطيتهُ»[5].

• وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَجْمِلوا في طلب الدنيا، فإن كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا كُتِبَ له منها»[6].

---

(١) تكثرًا: أي ليكثر ماله، لا للاحتياج والضرورة.

(٢) رواه مسلم (١٠٤١)، وأحمد (٢/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٨٣٨)، والبغوي (٦/ ١٢١) في «شرح السُّنَّة».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٠، ١٩، ٢٢)، وأبو داود (١٦٣٩) والترمذي (٦٧٦)، والنسائي (٥/ ١٠٠)، وابن حبان (٥/ ١٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٧٦٦، ٦٦٦٧، ٦٧٦٨، ٦٧٦٩، ٦٧٧٠، ٦٧٧١).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٣)، (٧١٦٣)، (٧١٦٤) بنحوه، ومسلم (١٠٤٥)، وأحمد (١/ ٥٢) (١/ ١٧، ٢١)، وأبو داود (١٦٤٧)، والنسائي (٥/ ١٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٩٨)، ومسلم (١٠٣٨)، والنسائي (٥/ ٩٧- ٩٨)، وابن حبان (٥/ ١٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٩٦).

(٦) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢١٤٢)، وابن أبي عاصم (٤١٨)، في «السنة» وابن =

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلَّا وقد أمرتكم به، وإنه ليس من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلَّا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي: إنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلَّا بطاعته»[١].

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نَزَلت به فاقةٌ، فأنزلها بالناس، لم تُسَدَّ فاقته، ومن نَزَلت به فاقةٌ، فأنزلها بالله، فيُوشِكُ الله له برزْقٍ عاجلٍ أو آجل»[٢].

حبان (١٠٨٤)، والحاكم (٢/ ٣)، وصححه وأقره الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٢٦٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٨)، و«صحيح الجامع» (١٥٧).

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة كما في «الدر المنثور» (٥/ ٩٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١١١)، و(٤١١٢)، (٤١١٣)، ورجاله ثقات وفيه انقطاعٌ. وله طريق أخرىٰ أخرجه منها الحاكم، في «مستدركه» (٢/ ٤) فيها أحد المجهولين. وله شاهدٌ من حديث جابر، أخرجه ابن حبان (١٠٨٤)، والحاكم (٢/ ٤) من طريق عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن المنكدر عن جابر، وصححه علىٰ شرط الشيخين، وأقره الذهبي. وله شاهد من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤)، والحاكم (٢/ ٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٢٨) عن ابن مسعود، وكذا رواه أحمد (١/ ٤٠٧)، وأبو داود، والطبراني في «الكبير» (٩٧٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٠٨)، وابو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٣)، (٨٣١)، و«صحيح الجامع» (٦٥٦٦).

• عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نزلت به حاجة فأنزلها بالله ﷻ، أوشك أن يأتيه الله بالغنى إما عاجلًا أو آجلًا»**(١).

• وقال هلال بن حصين(٢): أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عنده طعام، وأصبح قد عصب على بطنه حجرًا من الجوع، قال: فقالت امرأتي: ائت النبي ﷺ فسله، فقد أتاه فلان فأعطاه، وأتاه فلان فأعطاه، فأبيت، وقلت حتى ألتمس شيئًا. فذهبت أطلب فانتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ويقول: **«من يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن سألنا شيئًا فوجدناه أعطيناه، وواسيناه، ومن استعف عنا واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا»**(٣). قال: فرجعت وما سألت شيئًا فرزقنا الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالًا منا.

• وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نزلت به حاجة، وأنزلها الناس لم تسد فاقته، فإن أنزلها بالله أوشك الله بآجل حاضر،**

---

(١) صحيح: وأخرجه أحمد (٣/ ٤٤٢) بلفظه، وبنحوه أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧)، وأبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٤٢٨) وقال: حسن صحيح، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٤)، والطبراني (٩٧٨٥) في «الكبير»، والحاكم (١/ ٤٠٨) في «مستدركه»، وصححه، وأقره الذهبي.

(٢) بصري، روىٰ عنه أبو حمزة وقتادة، ذكره البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً. انظر: «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٢٠٤)، و«الجرح والتعديل» (١١/ ٧٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤) بلفظه، وبنحوه أخرجه البخاري (١٤٦٩)، (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣)، وأبو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٩٣).

أو رزق عاجل»[١].

علو همة سيد البشر ﷺ في القناعة:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدْعُو: «اللهُمَّ قَنِّعْني بما رزَقتَني، وبَارِكْ لي فيه واخْلُفْ عليَّ كُلَّ غائبةٍ لي بخَيْرٍ»[٢].

□ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت لعُرْوَةَ: ابن أُخْتي، إنْ كُنَّا لننْظُرُ إلى الهلال - ثلاثة أهلَّة في شهرين - وما أوقدتْ في أبياتِ رسول الله ﷺ نارٌ. فقلتُ: ما كان يعيشكُمْ؟ قالت: الأسودان: التَّمرُ والماءُ، إلَّا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنْصار كان لهم منائِحُ[٣]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم، فيسقيناه»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهُمَّ ارزُقْ آل محمَّدٍ قُوتًا»[٥].

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراشُ رسولِ الله ﷺ من أدَمٍ

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (٨٠) (ص٤٩)، وأخرجه بنحوه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية»، وقد مرّ قبل قليل.

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) المنائح جمع منيحة وهي العطية، والأصل فيها منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك.

(٤) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٩) واللفظ له، ومسلم (٢٩٧٣).

(٥) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٥). والقوت: ما يقوت البدن، ويكف عن الحاجة، وفيه دليل علىٰ فضل الكفاف، وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك.

حشْوُهُ لِيفٌ»[(١)].

▫ عن قتادة رضي الله عنه قال: «كُنَّا نأتي أنسَ بن مالكٍ وخبازُهُ قائمٌ، وقال: كلوا، فما أعلمُ النبيَّ ﷺ رأى رَغيفًا مُرَقَّقًا حتَّى لَحِقَ بالله، ولا رأى شاةً سَمِيطًا[(٢)] بعيْنِهِ قَطُّ»[(٣)].

▫ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقدْ توفِّيَ النَّبيُّ ﷺ وما في رَفِّي من شيءٍ يأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إلَّا شطْرُ شَعيرٍ في رفٍّ لي، فأكَلْتُ منهُ حتَّى طالَ عليَّ، فأكلْتُهُ ففَنِيَ[(٤)]»[(٥)].

▫ عن عائشة رضي الله عنها زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ قالت: «لقَدْ ماتَ رسولُ ﷺ، وما شَبِعَ من خبْزٍ وزَيْتٍ، في يومٍ واحدٍ، مرَّتين»[(٦)].

▫ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «لم يَأْكُلِ النبيُّ ﷺ على خِوَانٍ[(٧)] حتَّى مات، وما أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حتى مات»[(٨)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ لي مِثْلُ أُحُدٍ

---

(١) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٦).
(٢) الشاة السميط والمسموطة التي نحي شعرها بالماء الحار.
(٣) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٧).
(٤) فكِلْتُه فَفَنِيَ: أي: قِسْتُه ففرغ، وفيه أن الطعام المكيل يكون فناؤه معلومًا للعلم بكيله.
(٥) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥١)، واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢٩٧٣).
(٦) مسلم (٢٩٧٤).
(٧) الخُوان – بضم الخاء وكسرها لغتان- للذي يؤكل عليه. واقتصر ابن حجر على أن الخاء مكسورة. «فتح الباري» (١١/ ٢٨٤).
(٨) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٠).

ذَهَبًا ما يسُرُّني أنْ لا [١] يَمُرَّ عليَّ ثلاثٌ وعنْدِي مِنْهُ شيءٌ، إلَّا شيءٌ أَرْصُدُهُ لدَيْنٍ» [٢].

□ عن عُرْوة عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: «ما أكلَ آلُ مُحمَّدٍ ﷺ أكلتين في يومٍ إلَّا إحْدَاهما تَمْرٌ» [٣].

□ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «ما شَبعَ آلُ محمدٍ ﷺ من خُبْزِ شعير، يومين متتابعين، حتَّى قُبِضَ رسول الله ﷺ» [٤].

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شَبعَ آلُ محمدٍ منذُ قَدِمَ المدينة من طعام البُر ثلاثَ ليالٍ تباعًا حتَّى قُبِضَ» [٥].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «لا» هنا زائدة.
(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٣٨٩) واللفظ له، ومسلم (٩٩١).
(٣) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٥) واللفظ له، ومسلم (٢٩٧١).
(٤) مسلم (٢٩٧٠).
(٥) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٩٧٠).

أقوال وآثار عن السلف وهمم مضيئة في القناعة

□ قال عمر رضي الله عنه: «أَلا أخبركُمْ بما أستَحِلُّ من مالِ الله تعالى: حُلَّتَانِ لشتائي وقَيْظِي [(١)]، وما يسعُنِي من الظَّهْرِ [(٢)] لحجِّي وعُمْرَتي، وقُوتي بعد ذلك كقوتِ رجل من قُريشٍ لَسْتُ بأرْفَعِهِمْ ولا بأوْضَعِهِم، فوالله ما أدْرِي أيَحِلُّ ذلك أَمْ لا؟» [(٣)].

□ وقال أيضًا: «إنَّ الطَّمع فقرٌ، وإن اليأس غنًى، إنَّه من ييْأس عمَا في أيدي الناس استَغْنَى عنهم» [(٤)].

□ عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال: «سأل موسَى عليه السلام ربَّهُ عز وجل: أي رب، أيُّ عبادَكَ أحبُّ إليك؟ قال: أكثرُهم لي ذكرًا. قال: يا رب، فأيُّ عبادك أغنَى؟ قال: أقنعهم بما أعطيتهُ. قال: يا ربِّ، فأيُّ عبادكَ أعْدَلُ؟ قال: من دانَ نفسَهُ» [(٥)].

□ كتب بعضُ بني أميَّة إلى أبي حازم يعزم عليه إلَّا رفع إليه حوائجَهُ فكتب إليه: «قد رفعتُ حوئِجِي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلْتُ، وما أمسكَ عني قنِعْتُ» [(٦)].

---

(١) حُلَّتان لشتائي وقيظي: أي ثوب للشتاء وثوب للصيف.
(٢) من الظهر: أي ما يركب من الدواب.
(٣) «الإحياء» (٣/ ٢٤٠).
(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٣٩).
(٥) ابن السني في كتاب «القناعة» (٥١)، وقال محققه: رجاله ثقات مشهورون غير شيخ ابن السني واسمه جعفر بن عيسىٰ أبو أحمد الحلواني.
(٦) «الإحياء» (٣/ ٢٣٩)، و«القناعة» لابن السني (٤٣).

□ قال أبو ذُؤَيب الهُذَلِيُّ:

والـنَّفْسُ راغِبَـةٌ إذا رغَّبْتَهـا ... وإذا تُـرَدُّ إلى قليـل تقْنَـعُ [(١)]

□ قال ابن الأعرابي يخاطبُ نفسه:

لا تَحْـسَبِي دَرَاهِـمَ ابنـي مُـدْلِج ... تأْتِيكِ حتَّى تُدْلِجِي [(٢)] وَتُولجي [(٣)]

فاقْنَعِي بـالعرْفَجِ [(٤)] المُسَحَّجِ [(٥)] ... وبالثمام [(٦)] وعَرَام [(٧)] العَوْسَجِ [(٨)]» [(٩)]

□ قال ابنُ القيِّم: «يكْمُلُ غِنَى القلْبِ بغِنًى آخَرَ، هو غِنَى النَّفْس، وآيتُهُ: سلامَتُهَا من الحظوظِ وبراءتُها من المُراءاة» [(١٠)].

□ قال الإمامُ الغزاليُّ: «كانَ محمدُ بن واسع يَبُلُّ الخبز اليابسَ بالمَاءِ ويأكُلُ ويقولُ: مَنْ قَنِعَ بهذا لم يحتجْ إلى أحدٍ» [(١١)].

□ قال بعضُ الحكمَاءِ: «وجدْتُ أطْولَ الناس غمًّا الحَسُودَ، وأهنأهم عيشًا القنوعَ، وأصبرهمْ على الأذى الحريصَ إذا طمعَ،

---

(١) «جمهرة أشعار العرب» (٢٤٢).
(٢) تدلجي: من أدلج إذا سار من أول الليل.
(٣) تولجي: من ولج يلج ولوجًا: أي دخل.
(٤) العرفج: نوع من الشجر البري.
(٥) المسحج: المقشر.
(٦) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وَاحِدُهُ ثمامة.
(٧) العرام: ما سقط من قشر العوسج.
(٨) العوسج: واحده عوسجة وهي الشجرة الكبيرة من العضاه.
(٩) «جمهرة أشعار العرب» (٢٤٢).
(١٠) «تهذيب مدارج السالكين» (٤٧٤).
(١١) «الإحياء» (٣/ ٢٩٣).

وأخفضهم عيشًا أرْفضَهُم للدُّنيا، وأعظمهم ندامةً العالم المفرِّط»[١].

□ قال قلاخٌ لأبي جهلٍ والحارثِ ابني هشام:

فَهَلْ يُخَلِّدَنَّ ابنَيْ هشام غِناهُمَا ... وَمَا يَجْمَعَانِ مِنْ مئينَ ومِنْ أَلْفِ
يقُولانِ نَسْتَغْني وواللهِ ما الغِنَى ... من المالِ إلَّا ما يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي[٢]

□ قال شاعرٌ:

اصْبِرْ عَلَى كِسْرَةٍ وَمِلْح ... فَالصَّبْرُ مِفْتاحُ كُلِّ زَيْنِ
وَلَا تَعْرِضْ لِمَدْح قَوْم ... يَدْعُ إلى ذِلَّةٍ وَشَيْنِ
وَاقْنَعْ فَإِنَّ القُنُوعَ عِزٌّ ... وَالذُّلَّ فِي شَهْوَةٍ بِدَيْنِ[٣]

□ وقال آخرُ:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوتٍ يُقِيمُنِي ... فَلَا أَبْتَغِي مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا فَضْلًا
وَلَسْتُ أَرُومُ القُوتَ إلَّا لأَنَّهُ ... يُعِينُ عَلَى علْمٍ أَرُدُّ بِهِ جِهْلًا
فما هَذِهِ الدُّنْيَا بِطِيبِ نَعِيمِهَا ... لأَيسَرِ مَا فِي العِلْمِ مِنْ نُكْتَةٍ عِدْلًا[٤]

□ وقال آخَرُ:

وللرِّزْقِ أَسْبابٌ تَرُوحُ وتَغْتَدِي ... وَإنِّي مِنْهَا بَيْنَ غَادٍ وَرَائِحِ
قَنِعْتُ بثَوْبِ العُدْمِ مِن حُلَّةِ الغِنَى ... وَمِنْ بَارِدٍ عَذْبٍ زُلالٍ بمالِحِ

---

(١) «القناعة» لابن السني (٥٨).
(٢) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق (٤٧).
(٤) «القناعة» لابن السني (٤٧).

□ وقال آخرُ:

كُـنْ بِمَـا أُوتيتَـهُ مُقْتَنِعًـا تَقْتَفِـي عَـيْشَ القَنُـوعِ المُكْتَفِـي

كَـسِرَاجٍ دُهْنُـهُ قُـوتٌ لَـهُ فَـإذا غَرَّقْتَـهُ فِيـهِ طُفِـي»[١]

□ قال بعضهم: «ازْهدْ بمَا عنْدَ الناسِ يُحبَّكَ الناسُ، وارغبْ فيمَا عند الله يحبَّكَ اللهُ»[٢].

□ قيل لبعض الحكمَاء: «ما الغنى؟ قال: قِلَّةُ تَمَنِّيك، ورضاكَ بمَا يكْفيكَ»[٣].

□ وقيل لبعض الحكمَاء: «ما مالُكَ؟ فقال: «التَّجَملُ في الظاهر، والقصْدُ في الباطِنِ، واليأسُ مما في أيْدِي الناسِ»[٤].

□ وقيل في القَنَاعةِ:

اضْرَعْ إلى الله لا تضْرَعْ إلى النَّاسِ واقْنَعْ بِيـأْسٍ فَـإنَّ العِـزَّ في اليـاس

واسْتَغْنِ عن كُلِّ ذي قُرْبى وذي رَحِمٍ إن الغنيَّ من استغْنَى عن النـاس[٥]

□ وقيل في هذا المعنى أيضًا:

يـا جَائِعًـا قَانِعًـا والـدَّهْرُ يَرْمُقُـهُ مُقَـدِّرًا أيَّ بـابٍ منـه يغلِقُـهُ

---

(١) المصدر السابق (٤١).

(٢) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها. وفي معناه حديث مرفوع أخرجه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»، وإسناده حسن كما في «الأربعين النووية» رقم (٣١).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٢١٢).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

مفكِّـرًا كيـف تأتيـه منيتُـهُ ... أغادِيًا أمْ بها يَسْرِي فتطْرُقـهُ
جَمَعْتَ مالًا فقُلْ لِي هَلْ جَمَعْتَ لَهُ ... يا جَامِعَ المَالِ أيَّامًا تُفرِّقُهُ
المالُ عِنْدَكَ مخزُونٌ لوارِثِهِ ... ما المالُ مَالُكَ إلَّا يومَ تُنْفِقُهُ
أرْفِهْ [1] ببَالِ فتًى يغْدُو على ثِقَةٍ ... أنَّ الذي قسَّمَ الأرزَاقَ يَرْزُقُهُ
فالعِرْضُ مِنْهُ مَصُونٌ ما يُدَنِّسُهُ ... والوَجهُ مِنْهُ جدِيدٌ ليس يُخْلِقُهُ
إنَّ القناعَةَ مَنْ يَحْلُلْ بسَاحتِهَا ... لمْ يَلْقَ فِي ظِلِّهَا هَمًّا يُؤَرِّقُهُ [2]

□ يروى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفَّى سنة ١٧٠هـ) رفض أن يكون مؤدبًا لابن سليمَانَ بن عليٍّ والي الأهوَازِ ثمَّ أخرجَ لرسوله خُبْزًا يابسًا، وقال له: ما دُمْتُ أجِدُ هذا فلا حاجة إلى سليمَان، ثم أنشد:

أبْلِغْ سُلَيْمانَ أنِّي عنهُ في سَعَةٍ ... وفي غِنًى غَيْرَ أني لستُ ذا مالِ
شُحًّا بنفسي أنِّي لا أرى أحدًا ... يموتُ هَزْلًا ولا يَبْقَى على حالِ
والفقرُ في النفسِ لا في المال نَعْرِفُهُ ... ومِثْلُ ذاكَ الغِنَى في النفسِ لا المالِ [3]

□ وقال الشافعيُّ رحمه الله:

رأيتُ القنَاعَةَ رَأسَ الغِنَى ... فَصِرْتُ بأذْيَالِهَا مُمْسِكْ
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ ... وَلا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ

---

(١) أرفهْ: أي ما أرْفَهَ (وهي صيغة تعجُّب).
(٢) «الإحياء» (٤/ ٢١٣).
(٣) «الإحياء» (٤/ ٢١٣).

فَـــصِرْتُ غَنِيًّـــا بِـــلَا دِرْهَـــم أَمُرُّ عَلَى النَّاسِ شِبْهُ الْمَلِكَ[١]»[٢]

□ عن مُطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير أنه قال لصاحب له: «إذا كانت لك إليَّ حاجة فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها في رقعة، ثم ارفعها إليَّ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل المسألة»[٣].

□ قال الشاعر:

لا تَحْسَبَنَّ المـوتَ مـوت الـبِلَى فإنَّمـا المـوتَ سـؤالُ الرجـالِ

كلاهمـا مـوتٌ ولكِـنَّ ذا أشـدُّ مـن ذاك لـذُلِّ الـسؤالِ

□ وعن الأعمش قال: قال لي إبراهيم[٤]: اقعد أحدثك ما كتب إليَّ خيثمة بن عبد الله: «يا أبا عمران، إذا كانت لك حاجة فارفع إليَّ، ولا تسألني، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل المسألة»[٥].

□ وقال سعيد بن العاص لابنه: «يا بني قبَّح الله المعروف، إذا لم يكن ابتداء عن غير مسألة، فأما إذا أتاك ترى دمه في وجهه، ومخاطرًا لا يدري أتعطيه، أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافئته»[٦].

---

(١) «ديوان الشافعي» (١٠٢).

(٢) «نضرة النعيم» (ص٣١٧٣- ٣١٧٥).

(٣) «روضة العقلاء» لابن حبان (ص١٤٦)، و«الأحياء» (٢/ ٢١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٤)، و«بهجة المجالس» (١/ ١٦٨)، وهو صحيح.

(٤) إبراهيم النخعي.

(٥) «القناعة والتعفف» (ص٣٢).

(٦) المصدر السابق (ص٣٢).

▢ وقال الفضيل بن عياض: قال لي سفيان [١]: قال لي منصور [٢]: «إن الرجل ليسقني الشربة من الماء فيدق بها ضلعًا من أضلاعي» [٣].

▢ قال الشاعر:

لبــــوسُ ثــــوبيْن بَــــالِيَيْنِ ... وَطَـــــيٌّ يـــــوم وليلتـــــيْنِ
أهـــونُ مـــن مِنَّـــةٍ لقـــوم ... أَغُـــضُّ منهـــا جفـــونَ عيْنِـــي
إني وإن كنـــــتُ ذَا عِيـــــالٍ ... قليـــلَ مـــالٍ كثـــيرَ دَيْـــن
لمـــستَعِفٌّ بـــــرزقِ ربي [٤] ... حـــوائجي بينـــه وبينـــي» [٥] [٦]

نقل الصخور من الجبال أخف من السؤال:

▢ قال الشاعر:

ونَقْلُ الـصَّخرِ مـن تلـك الجبـالِ ... أخـفُّ عـليَّ مـن مِـنَنِ الرجـالِ
يقـول النـاس كـسبٌ فيـه عـارٌ ... فقلـــت: العـــارُ في ذُلِّ الـــسؤالِ

▢ وعن عطاء بن أبي رباح قال: «جاءني طاووس اليمَاني بكلام محبر القول، قال: يا عطاء لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن

(١) الثوري.
(٢) ابن المعتمر.
(٣) «القناعة والتعفف» (ص٣٣- ٣٤)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٢) من قول سفيان الثوري: وهو أثر صحيح.
(٤) وفي رواية أخرىٰ «لأحمد الله حين صارتْ».
(٥) نسبه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢/ ١٧١) إلى ابن أبي حازم.
(٦) «القناعة والتعفف» (ص٣٤).

تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك»[١].

• قال رسول الله ﷺ: «**الرِّزْقُ أشدُّ طلبًا للعبد من أجله**»[٢].

• وقال ﷺ: «**لوْ فرَّ أحدُكم من رزقهِ لأدركهُ كما يدركه الموت**»[٣].

□ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ما من امرئ إلَّا وله أثر هو واطؤه، ورزق هو آكله، وأجل هو بالغه، وحتف هو قاتله، حتى لو أن رجلًا هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه، كمَا أن الموت مدرك من هرب منه»[٤].

□ وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فلو كان رزق أحدكم في قُلَّة[٥] جبل أو في حضيض أرض لأكل رزقه، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[٦].

□ وقال الشاعر:

أُثـامِنُ بـالنفسِ النفيسةِ ربَّها ... فليس لها في الناس كُلِّهِم ثمنْ

بها تشترى الجنات إذا بعتها ... بشيء سواها إن ذلكم غبنْ

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها ... فقد ذهبت الدنيا وقد ذهب الثمنْ

---

(١) المصدر السابق (ص٣٧- ٣٨).

(٢) حسن: أخرجه القضاعي عن أبي الدرداء، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٢)، و«صحيح الجامع» (٣٥٥١).

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان من حديث أبي الدرداء (٣٢٢٧)، وفيه عنعنه الوليد بن مسلم، له شاهدٌ من الحديث الذي قبله.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» كما في «كنز العمال» (٩٨٦٣) وزاد: ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

(٥) قُلَّة كل شيء أعلاه، وقلة الجبل أعلى الجبل.

(٦) «القناعة والتعفف» (ص٤٢- ٤٣).

□ وقال غيره:

ومنتظِـــرٌ ســـؤالك بالعطايـــا   وأفـــضلُ مـــن عطايـــاهِ الـــسؤالُ
إذا لم يأتـــك المعـــروف عفـــوًا   فدعـــه فـــالتَّنَزُّهُ عنـــه مـــالُ
وكيـــف يَلَـــذُّ ذو أدبٍ نـــوالًا   ومنـــه لوجهـــه فيـــه إبتـــذالُ
إذا كـــان الـــسؤال بِـــذُلِّ وجْـــهٍ   وإلحـــاح فـــلا كـــان النَّـــوالُ[1]

□ وقال الشاعر:

ما اعتـاضَ بـاذلُ وجهِـهِ بـسؤالِه   عِوَضًـا ولـو كـان الغِنَـى بـسؤالِ
وإذا الـسؤال مـع النـوال وزنتَـهُ   رجحَ السؤالُ وخفَّ كل نـوالِ[2]

□ سأل ابن أخ لمحمد بن سُوقة محمدًا، فجعل محمد يبكي فقال له ابن أخيه: «يا عم، لو علمت أن مسألتي تبلغ هذا منك ما سألتك! قال: يا ابن أخي لم أبك من مسألتك إياي، إنمَا بكيت من تركي ابتدائك قبل أن تسألني»[3].

□ قال الشاعر:

لا تَخْـضعَنَّ لمخلـوقٍ عـلى طَمَـعٍ   فـــإنَّ ذاك مـــضر منـــك بالـــدِّينِ
واســـترزق الله ممـــا في خزائِنِـــه   فإنمـا هي بين الكـافِ والنـون[4]

غيره:

---

(١) المصدر السابق (ص٤٥)، والنوال: العطاء.
(٢) «ديوان أبي العتاهية» (ص٢٠١، ٢٢٦).
(٣) «الحلية» (٥/ ٦- ٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١١٧) وهو صحيح.
(٤) «القناعة والتعفف» (ص٥١).

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصَّنوا ... مِن كلِّ طالبِ حاجةٍ وراغبِ
غالوا بأبواب الحديد لعزها ... وتنوقوا[١] في قبح وجه الحاجبِ
فإذا تلطَّف في الدخولِ إليهمُ ... عافٍ تلَقَّوهُ بوعدِ كاذبِ
فاطلبْ إلى مَلِكِ الملوكِ ولا تكنْ ... يا ذا الضراعةِ طالبًا من طالبِ[٢]

يا للأنصار وعلو همتهم:

□ خرج إلى عبد الله بن كريز بن عامر وهو عامل العراق لعثمان ابن عفان رضي الله عنه رجلان من أهل المدينة، أحدهما: جابر بن عبد الله الأنصاري، والآخر من ثقيف فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب به من الأخبار فأقبلا يسيرًا حتى إذا كانا بناحية البصرة، قال الأنصاري للثقفي: هل لك في رأي رأيته؟ قال: اعرضه. قال: رأيت أن ننيخ[٣] رواحلنا ونتناول مطاهرنا فنتوضأ، ثم نصلي ركعتين، ولنحمد الله تعالى على ما قضى من سفرنا.

قال: هذا الذي لا يرد، فتوضينا وصلينا ركعتين فالتفت الأنصاري إلى الثقفي فقال: يا أخا ثقيف: ما رأيك؟ قال: وأيُّ موضع رأيٍ هذا؟! قضيت سفري وأنضيتُ[٤] بدني، وانصت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر، فهل لك رأي غير هذا؟ قال: نعم. قال: إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي أن يراني طالبًا رزقًا من غيره، اللهَّم

(١) تنوقوا: بالغوا.
(٢) «القناعة والتعفف» (ص٥١).
(٣) نوخ: أنختُ البعير فاستناخ ونوخته فتنوَّخ، وأناخ الإبل: أبركها فبركت.
(٤) انضيت: أتعبتُ.

يا رازق ابن عامر ارزقني من فضلك، ثم ولى راجعًا إلى المدينة ودخل الثقفي البصرة فمكث أيامًا فأذن له ابن عامر، فلمَّا رآه رحب به ثم قال: ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك؟ فخبَّره خبره، فبكى ابن عامر ثم قال: أما والله ما قالها أشرًا ولا بطرًا، ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة، فعلم أن الله الذي منحك ذاك من فضله، فأمر للثقفي بأربعة آلاف، وكسوة، وطرف، وأضعف ذلك كله للأنصاري، فخرج الثقفي وهو يقول:

أمامة ما حرص الحريص بزاهر فتيلا ... ولا زهد الضعيف بضائر

خرجنا جميعًا من مساقط رووسنا ... على ثقة منا بخير ابن عامر

فلما أنخنا الناعجات ببابه ... تأخر عني اليثربي ابن جابر

وقال: ستكفيني عطية قادر ... على ما يشاء اليوم للخلق قاهر

وإن الذي أعطى العراق ابن عامر ... لربي الذي أرجو لسد معاقر

فلما رآني سأل عنه صبابة إليه ... كما حنت ضراب الأباعر

فأضعف عبد الله إذ غاب حظه ... على حظ لهفان من الحرص فاغر

فأتيت وقد أيقنت أن ليس نافعي ... ولا صائر شيء خلاف المقادر(١)

◻ وقال أبو عمران الجوني: «أدركت نفرًا يقولون: زينة المؤمن طول صمته وعزه استغناؤه عن الناس» .

(١) «القناعة والتعفف» (ص٥٢- ٥٣)، و«قمع الحرص» للقرطبي (ص٥٥- ٥٦). «القناعة والتعفف» (ص٥٤).

□ وقال أبو حازم: «كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيهمَا وما تحت الثرى»[١].

□ وقال أبو حازم: «وجدت الدنيا شيئين: فشيء منها هو لي، فلن[٢] أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة أهل السموات والأرض، وشيء منها هو لغيري، فذلك ما لم أنله فيمَا مضى، ولا أرجوه فيمَا بقي، فيمنع الذي لي من غيري كمَا يمنع الذي لغيري مني، ففي أي هذين أفني عمري؟ ووجدت ما أعطيته في الدنيا شيئين: فشيء يأتي أجله قبل أجلي فأغلب عليه، وشيء يأتي أجلي قبل أجله فأموت، وأخلفه لمن بعدي ففي أي هذين أعصي ربي»[٣].

□ وقال العمري: «لقد انقطعتم إلى غير الله فمَا صنعتم، فإن انقطعتم إليه خشيتم الصنيعة».

□ كان رجل من أهل البصرة له جلة وعطايا ومعروف، فأصابه ريب الزمان[٤] فاحتاج مالًا، فأراد أن يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله تعالى: فقالت بنية له في ذلك قولًا حكاه عنها في شعرٍ له فقال:

تقولُ ابنتي والسيرُ قد جَدَّ جدُّه ... قد حصرتني بغتةٌ ورَحِيلُ
لعلَّ المنايا في ارتحالك تنذري ... بنفسك قومًا أو تعولك غولُ
فتتركني أدْعَى اليتيمة بعدما تبينُ ... وعِزِّي بعد ذاكَ ذليلُ

---

(١) نفس المصدر.
(٢) «القناعة والتعفف» (ص٥٥)، و«الزهد» لابن المبارك (٦٣٢)، و«الحلية»
(٣) (٣/ ٢٣٧) وهو صحيح.
(٤) أي: مصائب الدهر.

أَفِي طلبِ الدنيا وربك للذي ... تحاولُ منها والشخوصُ كفيلُ؟

أليسَ ضعيفُ القوم يأتيه رزقُهُ ... يُساقُ إليه والبلاد محولُ

ويحرم جمع المال من لم يزل به ... بكل بلادٍ رحلةٌ وحُلولُ

فلو كنت في طَرْدٍ على رأسِ هضبةٍ ... لها لجفَّ فيه والوعولُ تقيلُ

بصعيدة لا تستطاع اتقاؤها ... وليس إلى منها النزولُ سبيلُ

إذًا لأتاك الرزقُ يحدوه سائقٌ ... حثيثٌ ويهديه إليك دليلُ [(١)]

من مواعظ الأعراب:

□ حُكي أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا، فلمَّا بلغ أصابته آفة فذهبت به فاشتد ذلك عليهم، حتى رؤي فيهم، فخرجت أعرابية منهم فقالت: «ما لي أراكم متغيرةً ألوانكم، ميتة قلوبكم، هو ربنا فليفعل بنا ما يشاء، ورزقنا عليه، يأتي به من حيث يشاء، ثم أنشدت تقول:

لو كانَ في صخرةٍ في البحر راسيةٍ ... صماءَ ملمومةٍ ملسٍ نواحِيها

رزقٌ لنَفْسٍ براها اللهُ لانفلقتْ ... حتى تؤدِّي إليه كلَّ ما فيها

أو كانَ بين طباقِ السَّبْعِ مسلكها ... لسهَّلَ اللهُ في المرقى مراقيها

حتى تنالَ الذي في اللوح خُطَّ لها ... فإن أتتهُ وإلَّا سوفَ يأتيها

وقال أيوب بن وائل: «لا تهتم للرزق واجعل همك للموت» [(٢)].

---

(١) «القناعة والتعفف» (ص٥٥).

(٢) «القناعة والتعفف».

المصدر السابق (ص٦٠).

□ وقال أيوب بن وائل: «لا تهتم للرزق واجعل همك للموت»(١).

□ وقال الفضيل: «ما اهتممت لرزق أبدًا أو قال: إني لأستحي من ربي أن أحزن لرزقي بعد رضائه»(٢).

□ وقال منبه بن عثمَان: «إن أطيب ما أكون نفسًا ليوم تقول: فقير»(٣).

□ وقال الحسن بن حسين: «إني لأُصبحُ وما عندي دينار ولا درهم ولا رغيف وكأنمَا حُذِيَتْ لي الدنيا بحذافيرها»(٤).

□ وقال الشاعر:

يـا جامعًـا مانعًـا والـدهرُ يرمُقُـهُ ... مقــدرًا أي نــاب فيــه يعلُقُــهُ
مفكــرًا كيــف تأتيــه منيتــه ... أغاديًـا أم بهـا يـسري فتطرقُـهُ
جمعت مالًا ففكِّرْ هـل جمعـتَ لـه ... يـا جـامعَ المـال أيامًـا تُفَرِّقُـهُ
المــال عنــدكَ مخــزونٌ لوارثِـهِ ... مـا المـال مالُـك إلَّا يـومَ تُنْفِقُـهُ
أرفـه ببـال فتًـى يغـدو عـلى ثقـة ... إن الــذي قــسم الأرزاقَ يرزقُـهُ
فـالعرضُ منـه مـصونٌ لا يُدَنِّـسُهُ ... والوجـهُ منـه جديـدٌ لـيس يخلِقُـه
إنَّ القناعـةَ مَـن يحلـلْ بـساحِتها ... لم يلـقَ في ظلِّهـا همّـا يُؤَرِّقُـه (٥)

□ وقال محمد بن كعب في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾

(١) المصدر السابق (ص٦٠).
(٢) المصدر السابق (ص٦٠).
(٣) المصدر السابق (ص٦٠).
(٤) المصدر السابق (ص٦٠).
(٥) المصدر السابق (ص٧٣).

نصيحة من عفيف قانع زاهد لقاضي البصرة:

□ لمَّا ولي القضاء سوار بن عبد الله بالبصرة كتب إلى أخ له كان يطلب العلم معه وكان ببعض الثغور: «أما بعد: فإني لم أدخل في القضاء حين دخلت فيه إلَّا مخافة أن يحملني الفقر على ما هو أعظم من القضاء، وذكر كثرة العيال، وقلة الشيء، وقلة مواساة الإخوان، ووسوسة الشيطان، وضعف الإنسان وأشياء رقق بها فكتب إليه: أما بعد: أوصيك بتقوى الله يا سوار الذي جعل التقوى عوضًا من كل فائت من الدنيا، ولم يجعل شيئًا من الدنيا يكون عوضًا عن التقوى، فإن التقوى عقدة كل عاقل إليها يستروح وبها يسترشد، ولم يظفر أحد في عاجل هذه الدنيا وآجل الآخرة بمثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه وكانت قرة أعينهم فيه، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في حسم الأدب، وراضو فيها رياضة الأصحاء الصادقين، فطلقوها عن فضول الشهوات، وألزموها القوت المعلق، وجعلوا الجوع والعطش شعارًا لها برهة من الزمان، حتى انقادت وأذعنت، وعزفت لهم عن فضول الحطام، فلمَّا ظعن حب فضول الدنيا عن قلوبهم وزائلها أهواءهم، وانقطعت أمانيهم، وصارت الآخرة نصب أعينهم ومنتهى أملهم، وورث الله قلوبهم نور الحكمة، وقلدهم قلائد العصمة، وجعلهم دعاة لمعالم الدين يلمون منه الشعث، ويشحبون الصدع، لم يلبثوا إلَّا يسيرًا حتى جاءهم من الله موعود صادق اختص به العالمين له، والعاملين به، دون من سواهم، فإذا سرك أن تسمع صفة الأبرار الأتقياء فصفة هؤلاء فاستمع وإياك يا سوار ونسيان

الطريق والسلام»[١].

□ وقال بكر بن عبد الله المزني: «يكفيك من الدنيا ما قنعت به ولو كف تمر وشربة ماء، وظل خباء، وكل ما انفتح عليك من الدنيا شيء ازدادتْ نفسُك به تعبًا»[٢].

□ وقال أيوب السختياني: «لا تنبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العِفَّة عما في أيدي الناس، والتجاوز عمَّا يكون منهم»[٣].

□ لقي عبد الله بن سلام كعب الأحبار عند عمر فقال: «يا كعب من أرباب العلم؟. فقال الذين يعملون به. قال: فمَا يذهب العلم من قلوب العلمَاء بعد إذ عقلوه وحفظوه؟ قال: يذهبه الطمع وشره النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس قال: صدقت»[٤].

□ وكان عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: «أيها الناس إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا يئس من الشيء استغنى عنه»[٥].

---

(١) «القناعة والتعفف» (ص٧١).

(٢) حسن: «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٥)، و«القناعة والتعفف» (ص٧٣- ٧٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٥)، و«القناعة والتعفف» (ص٨٠)، وفي رواية: «لا يعبد»، وفي رواية: «لا يسود».

(٤) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أبي أسامة بن زيد عن أبي معن قال: لقي عبد الله بن سلام. فذكره، انظر: «قمع الحرص» للقرطبي (ص١٥٢) في سنده أسامة بن زيد الليثي وهو صدوق يهم كما في «التقريب» (١/ ٥٣).

(٥) صحيح: وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣١)، وأحمد في «الزهد» (ص١٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية الأولياء» (١/ ٥٠)، وأورده القرطبي في «قمع الحرص» (ص١٥٢) نقلاً عن ابن أبي الدنيا.

• وقال رجل: يا رسول الله أوصني قال: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه»[١].

□ ولله در القائل:

كفافُ امرئ قانع قوته ... ومن يرض بالقنع نال المنى

□ وقال آخر:

عليك بتقوى الله واقنع برزقه ... فخير عباد الله من هو قانع

ولا تلهك الدنيا ولا تطمع بها ... فقد يهلك المغرور فيها المطامع

وصبرًا على ما ناب منها فما يستو ... ي عبد صبور وجازع

أعاذل ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت في النفس منه الأضالع

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٩٨٧) والبيهقي في «الزهد» (١٠٢) وسنده ضعيف؛ فيه عثمان بن جبير، من المجهولين كما في «الميزان» (٣/ ٣١).
وله شاهدٌ من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٦- ٣٢٧) والبيهقي في «الزهد» (١٠٠)، والبخاري في «تاريخه» (١٠٠).
وسنده ضعيف؛ فيه محمد بن أبي حميد من «الضعفاء» كما في «التقريب» (٢/ ١٥٦)، وفي الطريق الآخر انقطاعٌ.
وله شاهدٌ من حديث ابن عمر، أخرجه البيهقي في «الزهد» (٥٢٨)، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٩)، وابن النجار، وأبو محمد الإبراهيمي في كتاب الصلاة كما في «كنز العمال» (٣/ ٢٢) وسنده ضعيف.
وله شاهدٌ من حديث أنس، أخرجه البيهقي في «الزهد» (٥٢٧)، ولكن فيه الكديمي، وهو متهم.

□ وقال غيره:

أقسم بالله لرضخ النوى وشرب ماء القلب المالحةْ

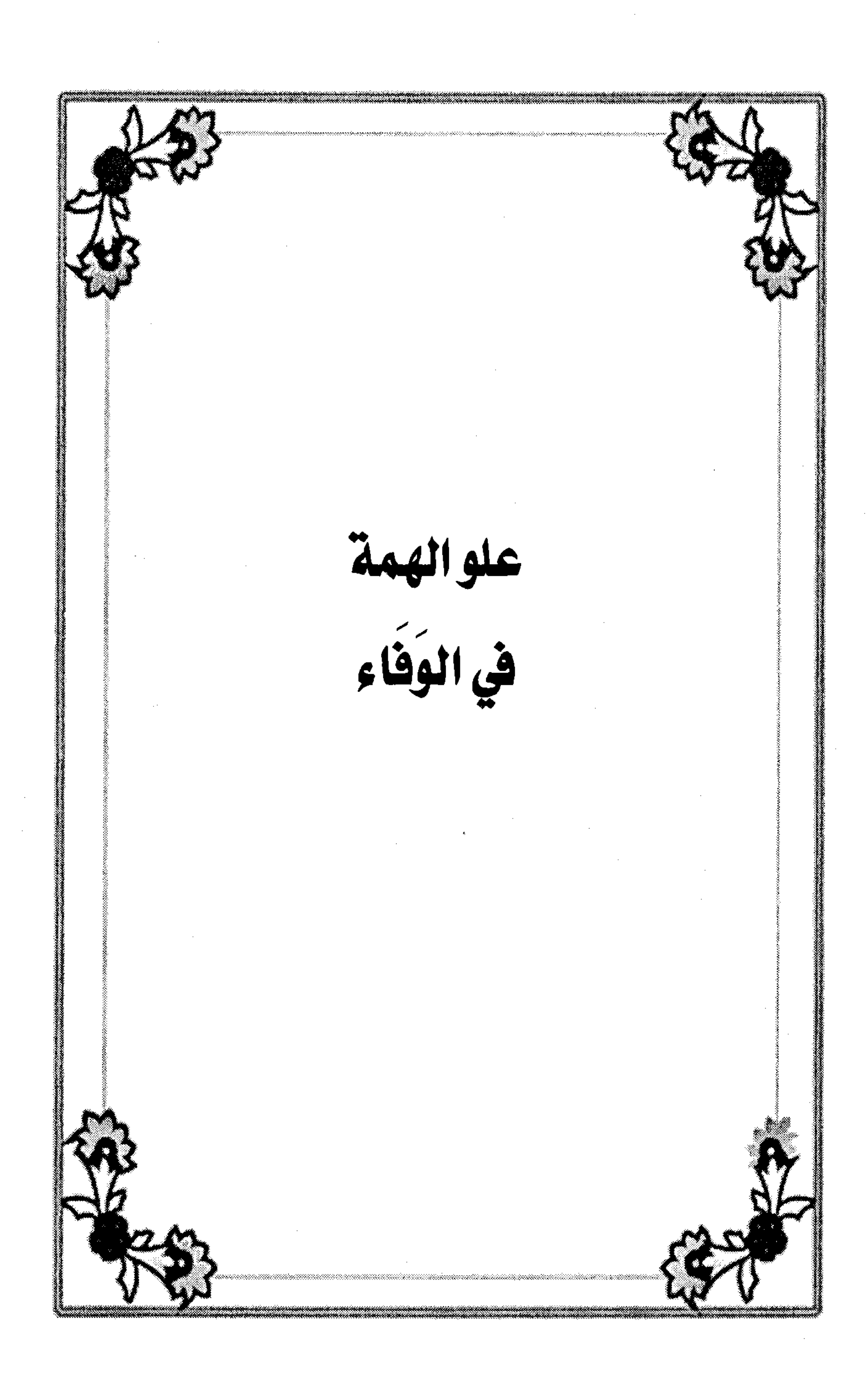
أعز للإنسان من حرصه ومن سؤال الأوجه الكالحةْ

فاستشعر اليأس تكن ذا غنى متغبطًا بالصفقة الرابحة

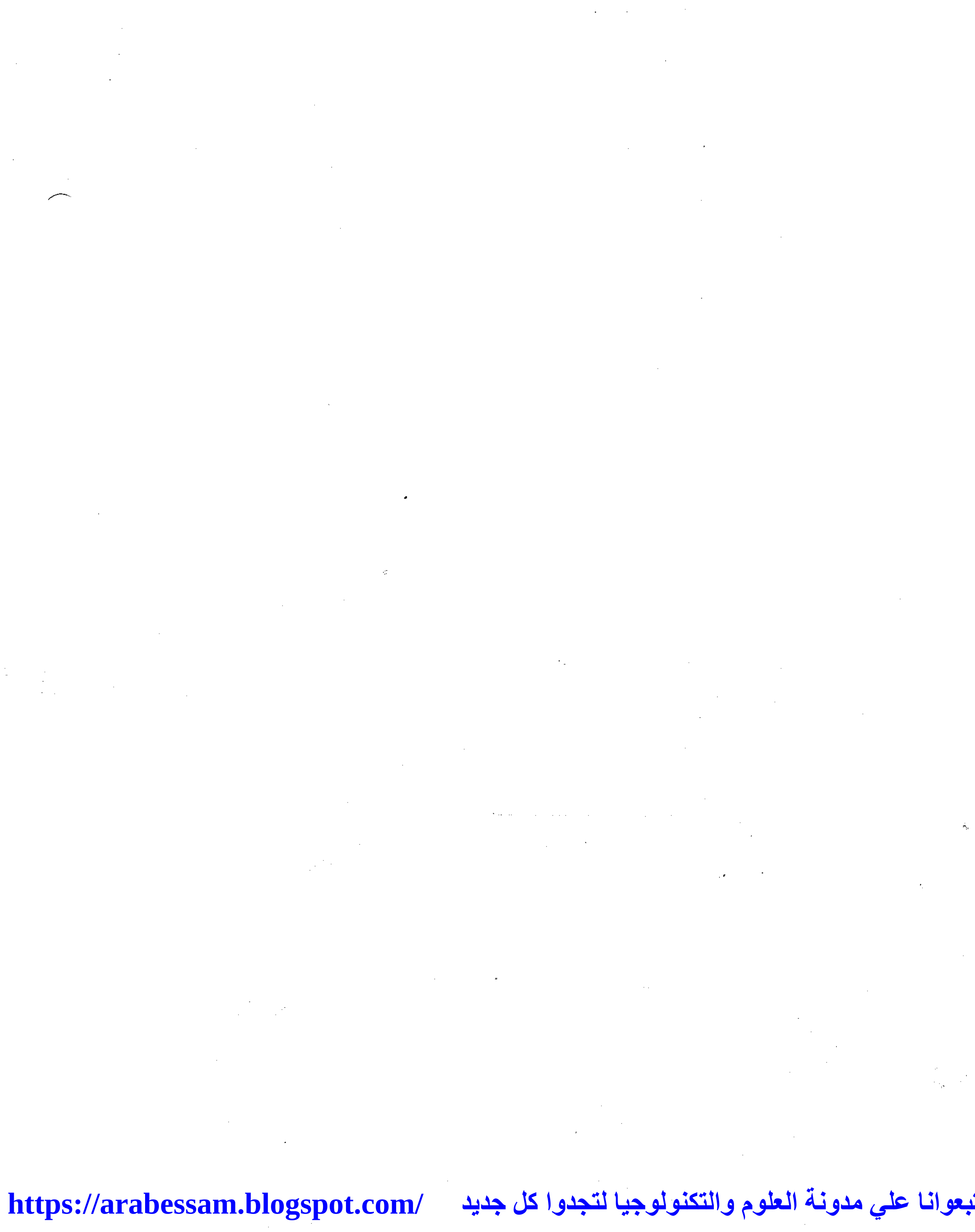
فالزهد عز والتقوى سؤدد ورغبة النفس لها فاضحة

من كان الدنيا به برة فإنها يومًا له ذابحة

✍ فاللَّهم ارزقنا العفة والقناعة.



علو الهمة
في الوَفَاء



علو الهمة في الوفاء

✍ الوفاء قيمة إنسانيّة نفيسة عظيمة، وهو درة في عقد جيد مكارم الأخلاق، يُغلي قيمة من جعله نُصب عيْنيه، ويستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، ويستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه.

□ قال الراغب الأصفهاني: «الوفاء: أخو الصِّدق والعَدْلِ، والغَدْرُ: أخو الكذب والجور، ذلك أنَّ الوفاءَ: صِدْقُ اللسانِ والفِعْلِ معًا، والغدْرُ كَذِب بهمَا؛ لأن فيه مع الكَذِب نقضًا للعهد.

والوفاءُ: يخْتصُّ بالإنسان، فمن فُقِدَ فيه «الوفاءُ» فقد انسلخ من الإنسانيَّة، وقدْ جعل الله تعالى العهد من الإيمَان وصيَّرهُ قوامًا لأمُورِ النَّاسِ، فالنَّاسُ مضطرُّون إلى التَّعاوُنِ، ولا يتمُّ تعاونهم إلَّا بمُرَاعاة العهد والوفاءِ به، ولولا ذلك لتنافرتِ القلوبُ وارتفع التَّعايشُ. ولذلك عظَّمَ الله تعالى أمرهُ فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة].

وقيل في قوله ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر]، أي نزِّهْ نفسك عن الغدْرِ، وقد عظَّم حالُ السموأل فيمَا التزمَ به من الوفاءِ بدُرُوع امرئ القيس، ممَّا يدلُّ على أنَّ الوفاءَ قيمةٌ عظيمةٌ قدَّرها عربُ الجاهليَّةِ، وقد أقرَّهم الإسلامُ على ذلك، ولا يستطيع ذلك إلَّا القليلون، ولقلَّة وجود ذلك في الناسِ قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، وقد ضُربَ به المثل في العزَّة، فقالت العربُ: «هو أعَزُّ من الوفاءِ»[١].

(١) «الذّريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني (٢٩٢- ٢٩٣).

□ ولله دره وهو يقول في «مقاييس اللغة» أن مادة «و ف ي» تدل على «إكمَالٍ وتمَام».

سـقى الله أطـلال الوفـاءِ بكفِّـه ... فَقَـدْ دَرَسَـتْ أعلامُـهُ ومنازِلُـهْ

وإذا ذهب الوفاء نزل البلاء، وإذا ظهرت الخيانة اسْتَخْفت البركات والوفاء أُنْسُكَ مِمَّن نَكَث، والسَّلْوَة عِوضُكِ مِمَّن غَدَر. والوفاء عَقْد الإخاء.

□ قال الأحنف: «الملولُ ليسَ له وفاء، والكذّاب ليس له حياء».

□ «الوفاء هو القوام لمكارم الأخلاق، به تستقيم الحياة، وهو ميزان المروءة، ومقياسُ الفضل في الأفراد والأمم، ولو دانَ به الناس لوجدوا السعادة كاملة. يُحدِثُ الوفاء في نفس الوفِيّ من الغبطة ما لا حدَّ له، وفي نفس المُوَفَّى له الرغبة في البرِّ والمروءة واصطناع المعروف عند الناس»(١).

□ قال الجرجانيُّ: «الوفاءُ: هو ملازمةُ طريقِ المواساةِ، ومحافظةُ عهودِ الخُلطاءِ»(٢).

□ وقال الجاحظُ: «الوفاءُ هو الصَّبر على ما يبذُله الإنسانُ من نفسه ويرهنُهُ به لسانُهُ(٣). والخروجُ ممَّا يضمنُهُ - بمقتضى العهد الذي قطعه على

---

(١) «الوفاء في رحاب القرآن والحديث والأدب» (ص٦٠- ٦١) لأيمن عبد الرزاق الشوّا- طبع دار الكلم الطيب- بيروت.

(٢) «التعريفات» للجُرْجاني (ص٢٧٤).

(٣) معنىٰ هذه العبارة أن الإنسان يُصبح رهينة بما ينطق به لسانه، ولا يكونُ وفِيًّا إلا إذا حرّر نفسه بالوفاء بما التزم به، وهذا هو مضمون العبارة في قوله: «والخروج مما ضمنه» أي: خروج الإنسان من العهد الذي قطعه علىٰ نفسه، وألزمه به =

نفسه- وإنْ كان مجْحفًا به، فليس يعدُّ وفيًّا منْ لم تلحقه بوفائه أذيَّةٌ وإن قلَّتْ، وكلمَا أضرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء»[١].

□ وقال الرَّاغبُ: «الوفاءُ بالعهدِ: إتمامه وعدم نقْضِ حفظه»[٢].

□ وقال أيضًا: «الوفاءُ صدقُ اللِّسان والفعل معًا»[٣].

أنواع الوفاء:

للوفاءِ أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المُوفَّى به، فهي قد تكون وفاءً بالعهدِ، وقد تكون وفاءً بالعقد أو المِيثاقِ، وقد تكون وفاءً بالوعْد، وتوضيح ذلك فيمَا يلي:

الوفاءُ بالعهد: هو -كمَا ذكر الرَّاغبُ- إتمَامهُ وعدم نقضِ حفظه، ويتطابقُ من ثَمَّ صدق القول والعمل جميعًا [٤]، وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما «العهود ما أحلَّ الله وما حرَّم وما فرض وما حدَّ في القرآنِ كلِّه»[٥].

أمَّا الوفاءُ بالعقْدِ: فالمُراد به إما العهد، وبذلك يتطابق مع النَّوع الأول، وقيل: العقود هي أوكد العهودِ، وقيل: هي عهودُ الإيمَانِ والقرآن، وقيل: هي ما يتعاقدُه النَّاسُ فيمَا بينهم[٦].

لسانه مما ضَمِنه للغير.

(١) «تهذيب الأخلاق» (ص٢٤).

(٢) «المفردات» للراغب (ص٥٢٨).

(٣) «الذريعة» للأصفهاني.

(٤) «المفردات» (٥٢٨)، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (٢٩٢).

(٥) «عمدة التفسير» للشيخ أحمد شاكر (٤/ ٦٢).

(٦) «تفسير» البغوي (٢/ ٦).

أما الوفاءُ بالوعدِ: فالمرادُ به أن يصبر الإنسانُ على أداء ما يَعِدُ به الغير ويبذله من تلقاءِ نفسه، ويرهنُه به لسانه حتى وإنْ أضرَّ به ذلك، وقد ذكرنا من قبل قول الجاحظ: وكلَّمَا أضرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاءِ[١].

الوفاء في القرآن الكريم:

الأمر بالوفاء بالعهد:

* قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام].

---

(١) انظر: «نضرة النعيم».

* وقال تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء].

الوفاء صفة الله عز وجل:

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

الوفاء شعبة من شعب الإيمان:

* قال تعالى: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ

وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

* وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

[الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج].

* وقال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان].

الوفاء صفة بارزة للأنبياء عليه الصلاة والسلام:

* قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم].

□ قال الزجَّاج: «وَفَّى أبلغُ مِن وَفَى؛ لأن الذي امتُحِن به إبراهيم الخليل من أعظم المِحَن»[1].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما قام بدين الله كله إلَّا خليل الرحمن إبراهيم».

□ وللمفسرين في هذه الآية أقوال:

أحدها: أنه وفَّى عمل يومه بأربع ركعات في أوَّل النهار.

(١) «الوفاء» لأيمن الشوا (ص١٣).

والثاني: أنه وَفَّى في كلمات كان يقولها.

والثالث: أنه وَفَّى الطاعة فيمَا فعل بابنه.

والرابع: أنه وفّى ربَّه جميع شرائع الإسلام.

والخامس: أنه وفَّى ما أُمِر به من تبليغ الرِّسالة.

والسادس: أنه عَمِل بمَا أُمِر به.

والسابع: أنه وفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم] وما بعدها.

والثامن: وفَّى شأن المناسك.

والتاسع: أنه عاهد ألَّا يسال مخلوقًا شيئًا، فلمَا قُذِف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا. فوفَّى بمَا عاهد.

والعاشر: أنه أدَّى الأمانة. ولا شك أن حذف المفعول يُطلع على إعجاز بليغ للقرآن الكريم (١).

وفاء إسماعيل عليه السلام:

* قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم].

* وفَّى عليه السلام لأبيه عليه السلام بما وعده عليه من الصبر -بعد عون الله إياه- فكان صبره وتسليمه أجمل صبر وأتم تسليم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ

(١) المصدر السابق (ص١٣٢، ١٣٣).

يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

وفاء الرسل والأنبياء عليهم السلام لربهم ولدينهم أعظم الوفاء:

* بأبي هم وأمي، عليهم صلوات ربي وتسليمه، حمَّلهم الله أمانة الوحي وتكاليف النبوّة والرسالة، فقاموا أعظم قيام، ووفَّوا لربهم أعظم الوفاء، وحملوا هذه الأمانة في أعينهم، ووفوها إلى الناس أعظم توفيه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

وفاء سيد البشر ﷺ أعظم الوفاء:

وسنتكلَّم عليه بعد قليل.

الأجر العظيم للموفين بعهدهم:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح].

فكانت بيعتهم لنبيهم ﷺ أعظم بيعة في أشد المواقف خطرًا، ووفوا لله ولرسوله ودينهم أعظم الوفاء، فكان جزاؤهم أعظم الجزاء أنه لا يدخل أحدٌ منهم النار.

• قال ﷺ: «لا يدخل النار أحدٌ ممَّن بايع تحت الشجرة»(١).

الوفاء بالعقود:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة].

□ واختلفوا في المراد بالعقود ها هنا على خمسة أقوال:

أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيمَا أحلّ وحرَّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدِّين كلُّها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلف الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمَان بالنبي محمد ﷺ. قاله ابن جريج.

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

ولعلَّ أقوى هذه الأقوال قول ابن عباس: إن المراد بها: عقود الله

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر، ورواه مسلم عن أم مبشر.

التي أوجبها على العباد في الحلال، والحرام، والفرائض، والحدود، ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأُخر، فيجب الوفاء بجميع ذلك؛ إلَّا ما كان عقدًا في المعاونة على أمرٍ قبيح، فإنَّ ذلك محظورٌ بلا خلاف.

* قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب].

ومن الوفاء: إيفاء الكيْل والميزان:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

أي: أتمُّوه ولا تنقصوا منه.

* وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الشعراء].

* لقد عذّب الله أمة لم تُوفِ مكيال الدنيا، فكيف بمن نكث عهده مع الله، ولم يوف لله بأي عهد، وطفّف في مكيال الدين ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ ﴾ [هود: ٩٥] توفِّي مكيال شهواتك، وتبخس حق آخرتك، وتسرق من صلاتك.

• قال ﷺ: **«أسرقُ الناس الذي يسرق صلاتَه: لا يتمُّ ركوعَها ولا سجودَها، وأبخلُ الناس من بخل بالسلام»**[١].

• يا من لم يوف لله بأي عهد، أما تخشى أن يقول لك في بعض غَدَراتك: «اذهب فلا غفرتُ لك»؟!.

• قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ خيارَ عباد الله المَوفُّون المُطيَّبون»**[٢].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيمَان»**[٣].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» و«الصغير» عن عبد الله بن مغفل، وصححه المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٦)، و«صحيح الجامع» (٩٦٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي حميد السَّاعِدِيِّ، وأحمد، وأبو الشيخ، والعقيلي عن عائشة، والطبراني في «الأوسط» وأبو محمد المخلدي عن أبي حميد البزار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم، وحسنّه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٠٥٦).

أحاديث عَطِرة في «الوفاء»[(١)]:

• عن عقبة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «أحقُّ ما أوْفيتم من الشُّروطِ أنْ تُوفُوا به ما استحللتم به الفُروجَ»[(٢)].

• عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اضْمنوا لي ستًّا منْ أنفسكم أضمنْ لكم الجنَّة: اصدقُوا إذا حدَّثتم، وأوْفُوا إذا وعدتم، وأَدُّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجَكُمْ، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم»[(٣)].

• عن وهبِ بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّه أخبره: أنَّ أباهُ توفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا[(٤)] لرجل من اليهود، فاستنظَره[(٥)] جابرٌ، فأبى أن ينظرَهُ، فكلَّم جابرٌ رسول الله ﷺ ليشفعَ له إليه، فجاء رسولُ الله ﷺ فكلَّمَ اليهوديَّ ليأخذ تمر نخله بالتي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النَّخْل فمشى فيها، ثمَّ قال لجابرٍ: جُدَّ له[(٦)] فأوْفِ له الذي له، فجدَّهُ بعد

---

(١) انظر «نضرة النعيم» (٣٦٤٦- ٣٦٥٧).

(٢) البخاري «الفتح» (٩/ ٥١٥١) واللفظ له، ومسلم (١٤١٨) أي أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٢٣) والطبراني حكاه الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٨) واللفظ عندهما متفق. ورجال أحمد ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة. والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٩) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال: فيه إرسال.

(٤) الوَسْق: بفتح الواو وكسرها – مِكْيَلة معلومة، وقيل: حِمْل بعير وهو ستون صاعًا بصاع النبي ﷺ وهو خمسة أرطال وثلث، والجمع أوْسُق ووُسُوق.

(٥) استنظره: أي طلب إعطاءه مهلة للسداد.

(٦) جُدَّ له: أي اقطع له.

ما رجع رسولُ الله ﷺ، فأوْفَاهُ ثلاثين وسْقًا، وفضلت له سبعة عشر وسْقًا، فجاءَ جابرٌ رسول الله ﷺ ليُخْبِرَهُ بالذي كان، فوجده يُصَلِّي العصر، فلمَّا انصرف أخبره بالفضْل [١]، فقال: أخبر ذلك ابن الخطَّاب، فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره، فقال له عمرُ: لقد عَلِمْتُ حين مشى فيها رسولُ الله ﷺ ليُبارَكَنَّ فيها»[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُؤتَى بالرَّجُلِ المتوفَّى عليه الدَّينُ، فيسألُ: «**هل ترك لدينه فضلًا؟**» فإنْ حُدِّث أنَّه تَرك لدينه وفاء صلَّى، وإلَّا قال للمسلمين: «**صلُّوا على صاحِبِكُمْ**». فلمَّا فتحَ الله عليه الفُتوحَ قال: «**أنا أوْلَى بالمؤمنينَ من أنفسهم، فمن تُوفِّي من المؤمنين فترك دَيْنًا فعليَّ قضاؤُهُ، ومن ترك مالًا فلورَثَتِهِ**»[٣].

• قال ابن عباس رضي الله عنهما فأخبرني أبو سفيان بن حربٍ أنَّه كان بالشَّام في رجالٍ من قريشٍ قدموا تجارًا [٤] في المُدَّةِ التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّارِ قريشٍ.. الحديث. وفيه: قال - يعني قيصر - فمَاذا يأمُرُكمْ به؟ قال [٥]: يأمُرُنَا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عمَّا كان يعبد آباؤُنا، ويأمرنا بالصلاة والصَّدَقةِ، والعَفافِ، والوفاءِ بالعهدِ، وأداء الأمانةِ. فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إنِّي سألْتُكَ عن نسبه

---

(١) أخبره بالفضل: أي بالزيادة.
(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٣٩٦).
(٣) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩٨).
(٤) تِجارًا: رجل تاجر والجمع تِجَار -بالكسر والتخفيف- وتُجَّار- بالضم والتشديد- وتَجْر.
(٥) قال: يأمرنا أن نعبد الله. القائل هو أبو سفيان.

فيكم، فزعمتَ أنَّه ذو نسبٍ، وكذا الرُّسُل تُبْعَثُ في نسب قومها. وسألتُك هل قال أحدٌ منكم هذا القول قبلهُ؟ فزعمْتَ أنْ لا، فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله، قلتُ: رجلٌ يأتَمُّ بقولٍ قد قيل قبله. وسألتُكَ: هل كنتم تتَّهمُونَه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنَّه لم يكنْ ليدع الكذب على النَّاسِ ويكذبَ على الله. وسألتُكَ هل كان منْ آبائه من ملكٍ، فزعمْتَ، أنْ لا، فقلتُ: لو كان من آبائه ملكٌ قلتُ يطلبُ ملك آبائه، وسألتك: أشراف النَّاس يتَّبِعونَه أم ضُعفاؤُهم؟ فزعمت أن ضُعفاءهم اتَّبعوه، وهم أتْبَاعُ الرُّسُل، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمَّ، وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ سخطةً لدينه بعد أنْ يدخُلَ فيه؟ فزعمت أنْ لا، فكذلك الإيمَان حين تخالِطُ بشاشتُه القلوب لا يسخطه أحدٌ. وسألتُكَ: هل يغْدِرُ؟ فزعمت أنْ لا، وكذلك الرُّسلُ لا يغْدِرُون. وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمْتَ أنْ قد فعل، وأنَّ حربكُمْ وحربةُ تكون دُولًا، يُدالُ عليكم المرَّةَ وتُدَالُون عليه الأخرى، وكذلك الرُّسل تُبْتلى وتكون لها العاقبةُ. وسألتكَ بمَاذا يأمُركم؟ فزعمْت أنَّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشْرِكوا به شيئًا، وينهاكم عمَّا كان يعبد آباؤُكم، ويأمركم بالصلاة، والصَّدقةِ، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداءِ الأمانة. قال: وهذه صفةُ نبيٍّ قد كنت أعلم أنَّه خارجٌ، ولكن لم أعلم أنَّه منكم، وإنْ يكُ ما قلت حقًّا فيُوشِكُ أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت قدميهِ.. الحديث [١].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأةً من جُهينة جاءتْ إلى النبيِّ ﷺ فقالتْ: إنَّ أمِّي نذرتْ أن تَحُجَّ فلم تحجَّ حتَّى ماتت، فأَحُجُّ عنها؟ قال: «**نعم، حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمِّكِ دينٌ أكنتِ قاضيتَهُ؟ اقْضُوا الله، فالله أحقُّ بالوفاءِ**»[١].

• عن عليِّ بن الحسين: أنَّهم حين قدمُوا المدينةَ، من عند يزيد بن معاوية، مَقْتَلَ الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما لقيهُ المسور بن مخرمةَ، فقال له: هل لك إليَّ من حاجةٍ تأمرني بها؟. قال: فقلت له: لا. قال له: هل أنت معْطِيَّ سيف رسولِ الله ﷺ؟ فإنِّي أخافُ أن يغْلِبَك القوم عليه. وايمُ الله؛ لئن أعطيتنيه لا يخلصُ إليه أبدًا، حتَّى تَبْلُغَ نفسي. إنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ خطب بنت أبي جهْلٍ على فاطمةَ. فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطبُ النَّاسَ في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذٍ مُحْتلمٌ، فقال: «**إنَّ فاطمةَ مِنِّي، وإنِّي أتخوَّفُ أن تُفتن في دينها**[٢]». قال: ثمَّ ذكر صِهْرًا[٣] له من بني عبد شمسٍ. فأثنى عليه في مُصاهريه إيَّاهُ فأحسن. قال: «**حدَّثني فصدقني. ووعدني فأوْفَى لي. وإنِّي لستُ أحرِّمُ حلالًا**[٤] **ولا أُحِلُّ حرامًا. ولكن، والله لا تجتمعُ بنتُ**

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ١٨٥٢)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٤) نحوه.
(٢) أن تفتن في دينها: أي بسبب الغيرة الناشئة من البشرية.
(٣) ثم ذكر صهرا: هو أبو العاص بن الربيع. زوج زينب رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ والصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة، وهو مشتق من صهرت الشيء وأصهرته، إذا قربته. والمصاهرة مقاربة بين الأجانب والمتباعدين.
(٤) لست أحرم حلالاً: أي لا أقول شيئًا يخالف حكم الله. فإذا أحل شيئًا لم أحرمه. وإذا حرمه لم أحله، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله.

رسولِ الله ﷺ وبنْتُ عدوِّ الله مكانًا واحدًا أبدًا»(١).

• عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال في خُطْبته: «أوْفُوا بحلْفِ الجاهليَّةِ، فإنَّ الإسلام لم يزِدْهُ إلَّا شدَّةً، ولا تحدثوا حِلْفًا في الإسلام»(٢).

• عن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه وكان شهد بدرًا، وهو أحدُ النُّقَباءِ ليلة العقبة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال وحوله عصابةٌ من أصحابه: «بايعوني على أنْ لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنُوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأْتوا بُهْتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجُلِكم، ولا تعْصُوا في معروفٍ. فمن وفَّى منكم فأجْره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقِبَ في الدنيا فهو كفَّارةٌ له،ومن أصاب من ذلك شيئًا ثمَّ سترهُ الله فهو إلى الله: إنْ شاء عفا عنهُ، وإن شاء عاقبهُ». فبايعناهُ على ذلك(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ على فضلِ ماءٍ بالطريق يمنع منه ابن السبيل. ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعه إلَّا لدنْيَاهُ، إن أعطاهُ ما يريد وفَّى له، وإلَّا لم يفِ له. ورجلٌ بايع رجلًا سلْعَةٍ بعد العصر، فحلف بالله لقد أُعطي بها كذا وكذا، فصدَّقَهُ فأخذها، ولم يُعطَ بها»(٤).

• عن أبي حازم قال: قاعدْتُ أبا هريرة خمس سنين. فسمعته يُحدِّثُ

---

(١) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.
(٢) أحمد (٢/ ٢٠٧) واللفظ له. والترمذي (١٥٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (٦/ ٥٦٦): كما قال الترمذي.
(٣) البخاري «الفتح» (١/ ١٨) واللفظ له، ومسلم (٧٠٩).
(٤) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٢١٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٨).

عن النبيِّ ﷺ قال: «كانتْ بنو إسرائيل تَسُوسهم الأنبياءُ [(١)]. كلَّما هلك نبيٌّ خَلَفَهُ نبيٌّ [(٢)]. وأنَّه لا نبيَّ بعدِي. وستكون خُلفَاءُ فيكثرون». قالوا: فمَا تأمُرُنا؟ قال: «فُوْا ببيعة الأوَّلِ فالأوَّل [(٣)]. وأعطوهم حقَّهُمْ. فإنَّ الله سائِلُهم عمَّا استرعاهم» [(٤)].

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: يا رسول الله، إنِّي نذرتُ في الجاهليَّة أنْ أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام، فقال له النبيُّ ﷺ: «أوفِ نذْرَك». فاعتكف ليلةً [(٥)].

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، فيمَا روى عن الله – تبارك وتعالى – أنَّه قال: «يا عبادي، إنِّي حرَّمْتُ الظلم على نفسي [(٦)] وجعلته بينكم محرَّمًا.

---

(١) تسوسهم الأنبياء: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.

(٢) كلما هلك نبي خلفه نبي: في هذا الحديث جواز قول: هلك فلان، إذا مات. وقد كثرت الأحاديث به وجاء في القرآن العزيز قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

(٣) فوا ببيعة الأول فالأول: معنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها. وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها. وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين. وسواء كانا في بلدين أو بلد. أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره.

(٤) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) واللفظ له.

(٥) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٠٤٢) واللفظ له،ومسلم (١٦٥٦).

(٦) إني حرمت الظلم على نفسي: قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت. وأصل التحريم في اللغة المنع. فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء.

فلا تظَّالَمُوا[١]. يا عبادي، كلُّكُمْ ضَالٌّ[٢] إلَّا من هديتُهُ. فاستهْدُوني أهدِكُمْ يا عبادي، كلُّكمْ جائعٌ إلَّا من أطْعَمْتُهُ. فاستطعمُوني أطْعِمْكُمْ. يا عبادي، كلُّكم عَارٍ إلَّا من كسوْتُهُ. فاستكْسُوني أكْسُكُمْ. يا عبادي، إنَّكُمْ تخْطِئونَ[٣] بالليل والنَّهارِ، وأنا أغفرُ الذُّنوبَ جميعًا. فاستغفروني أغفرْ لكم. يا عبادي، إنَّكُمْ لن تبلغوا ضَرِّي فتضُرُّوني. ولنْ تبْلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبدي، لو أنَّ أوَّلَكُمْ وآخرَكُمْ وإنْسَكم وجِنَّكُمْ كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكمْ. ما زادَ ذلك في مُلْكِي شيئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركُمْ. وإنْسكم وجِنَّكم. كانوا على أَفْجَرِ قلب رجلٍ واحدٍ منكم. ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركُمْ. وإنْسكم وجنَّكم. قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني. فأعطيْتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَهُ ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقص المخْيَطُ[٤] إذا أُدْخل البحر. يا عبادي، إنَّما هي

(١) فلا تظالموا: أي لا تتظالموا. والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا.

(٢) كلكم ضال إلا من هديته: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال، إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة». فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ. وأنهم لو تُرِكوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

(٣) إنكم تخطئون: الرواية المشهورة: تخطؤون بضم التاء. وروى بفتحها وفتح الطاء. يقال: خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به، فهو خاطئ. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [يوسف]. ويقول في الإثم أيضًا: أخطأ. فهما صحيحان.

(٤) إلا كما ينقص المخيط: قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام. ومعناه لا ينقص شيئًا أصلاً. كما قال في الحديث الآخر: «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني. وعطاء =

أعمالكم أحصيها لكم، ثمَّ أوفِّيكم إيَّاهَا. فمنْ وجد خيرًا فليحْمَدِ الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلُومَنَّ إلَّا نفسه».

• عن سعيد بن المسيِّبِ ﷺ قال: حدَّث عثمَان بن أبي العاص قال: آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ: «**إذا أَممْتَ قومًا فأَخِفَّ بهم الصَّلاة**»[1].

□ عن أمِّ عطيَّةَ ﷺ قالت: أخذ علينا النَّبيُّ ﷺ عند البيعَةِ أنْ لا نَنُوحَ، فمَا وفتْ منَّا امرأةٌ غير خمس نسوةٍ: أمِّ سليمٍ، وأمِّ العلاءِ، وابنةِ أبي سبرةَ امرأةِ معاذٍ، وامرأتينِ، أو ابنة أبي سبْرةَ، وامرأة مُعاذٍ، وامرأةٍ أخرى»[2].

• عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ. فذكر أحاديثَ منها: وقال رسول الله ﷺ: «**اشترى رجُلٌ من رَجُلٍ عقارًا [3] له. فوجد الرَّجُل الذي اشترى العقارَ في عقاره جَرَّةً [4] فيها ذهبٌ. فقال له الذي اشترى العقارَ. خُذْ ذهبك منِّي. إنَّما اشتريْتُ منك الأرض. ولم أبْتَعْ منك الذَّهَب. فقال الذي شَرَى الأرض [5]: إنَّما بعتُك الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى**

الله تعالىٰ من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه. فإن البحر من أعظم المرئيات عيانًا وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع إنها صقيلة لا يتعلق بها ماء.

(١) مسلم (٤٦٨).

(٢) البخاري «الفتح» (٣/ ١٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (٩٣٦).

(٣) **عقارًا**: العقار هو الأرض وما يتصل بها. وحقيقة العقار الأصل. سمي بذلك من العقر، بضم العين وفتحها، وهو الأصل. ومنه: عقر الدار، بالضم والفتح.

(٤) **جرة**: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٥) **شرىٰ الأرض**: هكذا هو في أكثر النُسَخ. وفي بعضها: اشترىٰ. قال العلماء: الأوّل أصح. وشرىٰ بمعنىٰ باع كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾.
=

رجلٍ. فقال الذي تحاكمَا إليه: ألكمَا ولدٌ؟ فقال أحدهُمَا: لي غُلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريَةٌ. قال: أنكِحُوا الغلام الجارية. وأنفقُوا على أنفسِكُمَا منه. وتصدَّقَا»[(١)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللهم، إنِّي أتخذ عندك عهدًا لن تخلفَنِيه. فإنَّما أنا بشرٌ. فأيُّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته. فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً، تقرِّبه بها إليك يوم القيامة»[(٢)].

• عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إني أنشدك عهدك ووعْدكَ. اللَّهُمَّ إنْ شئتَ لم تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكرٍ بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربِّكَ. وهو في الدِّرْع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر]، وقال وهيبٌ: حدَّثنا خالدٌ «يوم بدرٍ»[(٣)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبْرَصَ[(٤)] وأقرعَ وأعْمَى. فأرادَ الله أنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبعث إليهم ملكًا. فأتى الأبرَص فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عنِّي الذي قد قذِرَني[(٥)] الناسُ. قال: فمسحهُ فذهب عنه قذره وأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل

ولهذا قال: فقال الذي شرئ الأرض إنما بعتك.

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩١٥).

(٤) أبرص: قال في القاموس: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن.

(٥) قذرني الناس: أي اشمأزوا من رؤيتي.

- أو قال: البقر. شكَّ إسحاق- إلَّا أنَّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل. وقال الآخرُ: البقر قال: فأُعطي ناقةً عشراءَ [(١)]. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقْرع فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شَعْرٌ حسنٌ ويذهب عنِّي هذا الذي قذرني الناسُ. قال: فمسحه، فذهب عنه، وأعْطِيَ شعرًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرةً حاملًا. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أنْ يُردَّ إليَّ بصري فأبْصُرُ به النَّاس. قال: فمسحهُ فَردَّ الله إليه بصرهُ. قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاةً والدةً[(٢)]. فأنتجَ هذانِ وولَّدَ هذا [(٣)]. قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل. ولهذا وادٍ من البقر. ولهدا وادٍ من الغنم. قال: ثمَّ إنَّهُ أتى الأبرصَ في صورته وهيئَته [(٤)]. فقال: رجلٌ مسكينٌ. قد انقطعت بي الحبالُ [(٥)] في سفري. فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك. أسألُكَ، بالذي أعطاك اللَّون الحسن والجلد الحسن والمَال، بعيرًا أتبلَّغُ عليه في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرةٌ. فقال له: كأنِّي أعرفك. ألم تكن أبرص يقذرُك النَّاسُ؟ فقيرًا فأعطاك اللهُ؟ فقال: إنما ورثْتُ هذا المال كَابِرًا

---

(١) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

(٢) شاة والدًا: أي وضعت ولدها، وهو معها.

(٣) فأنتج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنتج، رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثي. وممن حكىٰ اللغتين الأخفش. ومعناه تولى الولادة، وهي النتج والإنتاج. ومعنىٰ ولد هذا، بتشديد اللام، معنىٰ أنتج، والنتاج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالقابلة للنساء.

(٤) أي جاءه في صورة رجل أبرص - كما كان كذلك قبل أن يمسحه الملك.

(٥) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

عن كَابِرٍ [١]. فقال: إن كنتَ كاذبًا، فصيَّرَكَ الله إلى ما كنت. قال: وأتَى الأقرعَ في صورته فقال له مثل ما قال لهذا. ورَدَّ عليه مثل ما رَدَّ على هذا. فقال: إنْ كنت كاذبًا فصيَّرك اللهُ إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئتِهِ. فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ. انقطعتْ بي الحبالُ في سفري. فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك. أسألُك بالذي رَدَّ عليك بصرك، شاةً أتبلَّغُ بها في سفَرِي. فقال: قَدْ كنتُ أعْمَى فَرَدَّ اللهُ إليَّ بصري. فخُذْ ما شئْتَ. ودَعْ ما شئْتَ. فوالله لا أجهدك اليوم [٢] شيئًا أخذتَهُ لله. فقال: أمسك مالك. فإنَّما ابتُليتُم. فقَد رُضِيَ عنك وسُخِطَ على صاحبيْكَ» [٣].

• عن جابر ﷺ أنَّ رجلًا قدم من جيشان – وجيشان من اليمن– فسألَ النبيَّ ﷺ عن شرابٍ يشرَبُونه بأرضهم من الذُّرة يقال له المزرُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «أو مسكِرٌ هو؟» قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مسكِرٍ حرامٌ. إنَّ على الله ﷻ عَهْدًا، لمن يشربُ المسكر، أنْ يسقيَهُ منْ طينةِ الخبالِ» قالوا: يا رسولَ الله؛ وما طينَةُ الخبالِ؟ قال: «عَرَقُ أهلِ النَّارِ، أو عصارةُ أهلِ النَّارِ» [٤].

• عن ابن مُحيريزٍ؛ أنَّ رجلًا من بني كنانةَ يُدعى المخْدجيَّ سمع رجلًا بالشَّام يُدْعَى أبا محمدٍ يقول: إنَّ الوتر واجبٌ، قال المخدجيُّ:

---

(١) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرًا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

(٢) أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

(٤) مسلم (٢٠٠٢).

فرحْتُ إلى عُبادة بن الصامتِ فأخبرته، فقال عبادةُ: كذب أبو محمدٍ [١]، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**خمسُ صلواتٍ كتبَهُنَّ اللهُ على العبادِ، فمنْ جاء بهنَّ لم يضَيِّعْ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهنَّ، كان له عند الله عهدٌ أنْ يدخلهُ الجنَّةَ، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ أنْ يدخلهُ الجنَّة، ومن لم يأتِ بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ: إنْ شاءَ عذَّبَهُ، وإنْ شاء أدْخله الجنَّةَ**» [٢].

• عن عبد الرحمن بن كعب بن مالكٍ، عن رجل من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّ كُفَّارَ قريشٍ، كتبُوا إلى ابن أبيٍّ ومنْ كان يعْبُدُ معه الأوْثان، من الأوسِ، والخزرجِ، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالمدينةِ، قبل وقعةِ بدرٍ: إنَّكُمْ آويتم صاحبنا، وإنَّا نُقْسِمُ بالله لتقاتلُنَّهُ أو لتخْرُجُنَّ أو لنسيرنَّ إليكم حتَّى نقْتُل مقاتلتكُمْ، ونستبيحُ نساءَكُم فلمَّا بلغ ذلك عبد الله بن أُبيٍّ ومن كان معه منْ عبدةِ الأوْثانِ، اجتمعوا لقتال النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا بلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ لقيَهُمْ فقال: «**لقدْ بلغ وعيدُ قريشٍ منكم المبالغَ، ما كانت تكيدُكُمْ بأكثر ممَّا تُريدون أن تكِيدُوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخْوانكم؟**». فلمَّا سمعوا ذلك من النبيِّ ﷺ، تفرَّقُوا، فبلغ ذلك كُفَّارَ قريشٍ، فكتبت كُفَّارُ قريشٍ بعد وقعة بدرٍ إلى اليهودِ: إنَّكُمْ أهل الحلقةِ [٣] والحصونِ، وإنَّكم لتقاتلنَّ صاحبنا، أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحولُ بيننا وبين خدمِ نسائِكُمْ شيءٌ – وهي الخلاخِيلُ – فلمَّا بَلَغَ كتابهمُ النبيَّ ﷺ، أجْمَعَتْ بنو النَّضِير بالغدْرِ، فأرْسلوا إلى رسولِ الله ﷺ: اخرجْ إلينا في

---

(١) كذب: أخطأ – وهي لُغة بعض العرب –.

(٢) أبو داود (١٤٢٠) واللفظ له وقال الألباني (١٢٥٨): صحيح، والدارمي (١/ ٢٠٨) حديث رقم (١٥٧٧).

(٣) الحلقة: الدُّرع، وقد يراد بها السلاح مطلقًا.

ثلاثين رجلًا منْ أصحابكَ، ولْيخرجْ منَّا ثلاثونَ حَبْرًا، حتى نلْتَقِيَ بمكان المنصفِ فيسْمعوا منك، فإنْ صدَّقوكَ وآمنُوا بك، آمنَّا بك، فقُصَّ خبرهم.

فلمَّا كان الغَدُ، غَدَا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائبِ فحصرهمْ فقال لهم: «**إنكم والله لا تأمَنُونَ عندي إلَّا بعهدٍ تعاهدوني عليه**». فأبوْا أن يُعْطوه عهْدًا، فقاَتلهم يومهم ذلك. ثمَّ غَدَا على بني قريظةَ بالكتائبِ، وترك بني النَّضيرِ، ودعاهُمْ إلى أنْ يعاهدوهُ، فعاهدُوه. فانصرفَ عنهم، وغدا على بني النَّضير بالكتائبِ فقاتلهم، حتَّى نزلُوا على الجلاءِ، فجَلَتْ بنُو النَّضِيرِ، واحتملُوا ما أقلَّتِ الإبلُ منْ أمتعتهم، وأبوابِ بيوتهم وخشبِهَا، فكان نخْلُ بني النَّضير لرسولِ الله ﷺ خاصَّةً، أعطاهُ الله إيَّاهَا، وخصَّهُ بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتالٍ، فأعطى النبيُّ ﷺ، أكثرها للمُهاجرين، وقسَّمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانَا ذَوَيْ حاجةٍ، لم يقسم لأحدٍ من الأنْصارِ غيرهما، وبقِيَ منها صدقةُ رسولِ الله ﷺ، التي في أيْدي بني فاطمةَ رضي الله عنها»[١].

• عن كعبٍ رضي الله عنه أنَّه تقاضي ابن أبي حدْردٍ دَينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهُمَا حتَّى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهمَا حتَّى كشف سجْفَ[٢] حجرته، فنادَى: «**يا كعبُ**»، قال: لبيَّك يا رسول الله، قال: «**ضع من دينك هذا، وأومأ إليه أي الشَّطْرَ**»،

---

(١) أبو داود (٣٠٠٤) وقال: الألباني (٢٥٩٥): «صحيح الإسناد».

(٢) سِجْفٌ – بفتح السين والكسرها- : السِّتر مَشقوق الوسط كالمصراعَيْن.

قال: لقد فعلتُ يا رسول الله، قال: «قُم فاقْضِهِ»(١).

• عن أبي هريرة ﷺ عنْ رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ ذكر رجلًا من بني إسرائيل سألَ بعض بني إسرائيل أنْ يسلفه ألف دينارٍ فقال: «ائْتني بالشُّهداءِ أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا. قال: صدقْتَ، فدفعها إليه على أجلٍ مسمًّى. فخرج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمس مركبًا يركبُهَا يقدمُ عليه للأجلِ الذي أجَّلَهُ فلم يجِدْ مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرها، فأدْخَلَ فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً منه إلى صاحبِهِ، ثمَّ زَجَّجَ موضعَهَا (٢)، ثمَّ أتَى بها إلى البحرِ فقال: اللَّهُم إنَّك تعلم أنِّي كنت تسلَّفْتُ فلانًا ألف دينارٍ فسألني كفيلًا فقُلْتُ: كفى بالله كفيلًا، فرضِيَ بكَ. وسألني شهيدًا فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضيَ بذلك. وإنِّي جهدْتُ أنْ أجد مركبًا أبْعثُ إليه الذي له فلم أقْدر، وإنِّي أستودِعُكَهَا. فرمى بها في البحر حتَّى ولجَتْ فيه. ثمَّ انْصرفَ وهو في ذلك يلْتَمِسُ مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجُل الذي كان أسلفهُ ينظر لعلَّ مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المَالُ، فأخذها لأهله حطبًا، فلمَّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثمَّ قدم الذي كان أسْلفهُ فأتَى بالألْف دينارٍ فقال: والله ما زلْتُ جاهِدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمَا لكَ فمَا وجدْتُ مرْكبًا قبل الذيَ أتيْتُ فيه. قال: هل كنت بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجِدْ مركبًا قبل الذي جئْتُ فيه. قال: فإنَّ الله قدْ أدَّى عنك

---

(١) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤١٨).

(٢) زجج موضعها: أي سوَّىٰ موضع النقر وأصلحه.

الذي بعثْتَ في الخشبةِ، فانصرفْ بالألفِ الدِّينارِ رَاشِدًا»[١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «بينما ثلاثةُ نفرٍ ممَّنْ كان قبْلكم إذ أصابهُمْ مطرٌ، فأوَوْا إلى غارٍ فانطبَق عليهم، فقال بعضهم لبعضٍ: إنَّه والله يا هؤلاءِ؛ لا يُنجيكم إلَّا الصدقُ، فلْيَدْعُ كُلُّ رجلٍ منكم بِمَا يعلمُ أنَّهُ قد صَدق فيه. فقال واحدٌ منهم: اللَّهُمَّ، إنْ كنت تعلمُ أنَّهُ كان لي أجيرٌ عملَ لي على فرقٍ من أرُزٍّ، فذهب وترَكَهُ، وأنِّي عَمدْتُ إلى ذلك الفرق فزرعْتُه، فصارَ منْ أمْرِهِ أنِّي اشتريْتُ منه بقرًا، وأنَّه أتاني يطلبُ أجْرَهُ، فقلت له: اعْمِدْ إلى تلك البقر فسُقْها، فقال لي: إنَّما لي عندك فرقٌ منْ أرُزٍّ. فقلت له: اعْمد إلى تلك البقر، فإنها منْ ذلك الفرقِ. فساقها. فإنْ كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خشْيتكَ ففَرِّجْ عنَّا. فانساخَتْ عنهم الصخْرةُ. فقال الآخرُ: اللَّهُمَّ إنْ كنت تعلم أنَّهُ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنت آتيهمَا كُلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبْطأتُ عنهمَا ليلةً، فجئْتُ وقد رقدَا؛ وأهلي وعيالي يتضاغَوْنَ من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشربَ أبَوَايَ، فكرِهْتُ أنْ أوقظهُمَا، وكرهْتُ أنْ أدعهُمَا فيستكِنَّا لشربتهِمَا، فلم أزَلْ أنتظِرُ حتى طلع الفجرُ. فإنْ كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خَشْيتِكَ ففرِّجْ عنَّا. فانساختْ عنهم الصَّخرةُ حتى نظروا إلى السماءِ. فقال الآخرُ: اللهُمَّ إنْ كنت تعلمُ أنَّهُ كان لي ابنةُ عَمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأنِّي رَاودْتُها عن نفسها فَأبتْ إلَّا أنْ آتيهَا بمئةِ دينَارٍ، فطلبْتُها حتى قدرْتُ، فأتيتُهَا بها فدفعتُهَا إليها، فأمْكَنَتْنِي من نفسها، فلمَّا قَعَدْتُ بين رجليها فقالت: اتَّقِ الله

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩١).

ولا تَفُضَّ الخاتِمَ إلَّا بحقِّهِ، فقُمْتُ وتركْتُ المئةَ الدِّينَارِ. فإنْ كنت تعلم أنِّي فعلت ذلك من خشْيَتِكَ ففرِّجْ عنَّا، ففرَّجَ الله عنهم فخَرجُوا»[١].

□ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت مع عليِّ بن أبي طالبٍ حيثُ بعثَهُ رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ مكَّةَ ببراءة قال: ما كنتم تُنَادُونَ؟ قال: كنَّا نُنَادِي: أنَّه لا يدخَل الجنَّة إلَّا مؤمنٌ، ولا يطُوفُ بالبيت عريانٌ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهْدٌ فإنَّ أجَلَهُ -أو أمدَهُ- إلى أربعةِ أشهُرٍ فإذا مضتِ الأربعةُ الأشهر فإنَّ الله بريءٌ من المشركينَ ورسولُهُ، ولا يَحُجُّ هذا البيت بعد العام مشرِكٌ، فكنتْ أُنَادِي حتَّى صَحِلَ صَوْتِي[٢]»[٣].

• عن عبد الله بن عامرٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال: دعتْني أمِّي يومًا ورسولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بيتنَا، فقالت: ها تَعَال أُعطيكَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «وَما أَرَدْتِ أن تُعْطِيَهُ؟» قالت: أُعْطيه تمْرًا، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «أَمَا إنَّكِ لوْ لمْ تُعْطِيهِ[٤] شيئًا كُتِبَتْ عليك كذْبَةٌ»[٥].

• عن أمِّ هانيءٍ ابنة أبي طالبٍ رضي الله عنها قالتْ: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عَامَ الفتح فوجدته يغتسل وفاطمةُ ابنته تستره، فسلَّمْتُ عليه فقال: «من

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٥) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) صحل صوتي: أي بَحَّ أي غلظ وخشونة في الصوت.

(٣) أحمد (٢/ ٢٩٩) واللفظ له. والترمذي (٣٠٩١- ٣٠٩٢) وآخر عنده من حديث علي رضي الله عنه (٨٧١)، وقد سأله زيد بن أثيع، وقال الترمذي: حسن، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه. وابن مردويه والبزار. وأصله عند البخاري (٤٦٥٥).

(٤) لم تعطيه: هكذا وردت بإثبات الياء، والقواعد تقتضي حذفها بعد لم.

(٥) أبو داود (٤٩٩١) واللفظ له وقال الألباني (٤١٧٦): حسن، «الصحيحة» (٧٤٨)، وأحمد (٣/ ٤٤٧).

هذه؟» فقلت: أنا أمُّ هانئٍ بنتُ أبي طالبٍ. فقال: «مرحبًا بأمِّ هانيءٍ»، فلمَّا فرغَ من غسله قام فصلَّى ثمانِ ركعاتٍ ملتحِفًا في ثوبٍ واحدٍ. فقلتُ: يا رسول الله، زعم ابن أمِّي عليٌّ، أنَّه قاتلٌ رجلًا قد أجرتُه؛ فلانُ ابن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرْنَا من أجرتِ يا أمَّ هانيءٍ»، قالت أمُّ هانيءٍ: وذلك ضُحًى[١].

• عن أبي جرَيٍّ جابر بن سليمٍ، قال: رأيتُ رجلًا يصدر النَّاسُ عنْ رأيه، لا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنه، قلتُ: من هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ، قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابكَ ضُرٌّ فدعوتَهُ كشفَهُ عنك، وإنْ أصابك عامُ سَنَةٍ[٢] فدعوْتَهُ أنبتها لك وإذا كنت بأرضٍ قفراءَ أو فلاةٍ فضلَّتْ راحلتُك فدعوْتَهُ ردَّها عليك» قلتُ: اعهد إليَّ، قال: «لا تسُبَّنَّ أحدًا» قال: فمَا سببْتُ بعدهُ حُرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاةً، قال: «ولا تحْقرَنَّ شيئًا من المعروفِ، وأنْ تكَلِّمَ أخاكَ وأنْتَ مُنْبَسِطٌ إليهِ وجْهُكَ، إنَّ ذلك من المعروفِ، وارْفَعْ إزَارَكَ إلى نصفِ السَّاقِ، فإنْ أبَيْتَ فإلى الكعبين، وإيَّاكَ وإسْبالَ الإزَارِ، فإنَّهَا من المخِيلَةِ[٣]، وإنَّ الله لا يُحبُّ المخيلَةَ، وإن امرُؤٌ شتمك وعيَّرك بمَا يعلمُ فيكَ فلا تُعيِّرْهُ بمَا تعلمُ فيه، فإنَّما وبَالُ ذلك عليه»[٤].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٧١) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦).

(٢) عام سنة: أي عام جدب.

(٣) المخيلة -بفتح الميم وكسر الخاء- والخال والخيل والخيلاء والخيلة كله الكبير.

(٤) أبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني: صحيح، والترمذي (٢٨٧٧). وصححه ابن حبان رقم (١٢٢١) في الموارد، ومحقق «جامع الأصول» (١١/ ٧٤٦).

• عن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَهْدُ الذي بيْنَنَا وبينَهُمُ الصَّلاةُ، فمنْ تَرَكها فقدْ كَفَرَ**»(١).

• عن عبد الرحمن بن عبد ربِّ الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرٍو بن العاص جالسٌ في ظلِّ الكعبة. والنَّاسُ مجْتَمِعُونَ عليه. فأتيتُهُمْ. فجلستُ إليهِ. فقال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ. فنزلنا منزلًا. فمِنَّا من يُصْلحُ خِباءَه. ومنَّا منْ ينتضِلُ(٢) ومنَّا من هو في جَشَرِهِ(٣) إذ نادَى مُنَادِي رسول الله ﷺ: «**الصَّلاة جامعةً**»(٤). فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إنَّه لم يكنْ نبيٌّ قَبْلي إلَّا كان حقًّا عليه أنْ يدلَّ أمَّتَهُ على خيرِ ما يَعْلَمُهُ لهم، ويُنْذِرَهُمْ شرَّ ما يعلمه لهم. وإنَّ أمَّتكم هذه جُعِلَ عافِيَتُهَا في أوَّلِهَا. وسيُصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكِرُونَها. وتجيءُ فتنةٌ فيُرَقِّقُ بعضها بعضًا**(٥)**، وتَجِيءُ الفتنةُ، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثمَّ تنكشفُ. وتجيءُ الفتنةُ، فيقُولُ المؤمن: هذه هذه. فمنْ أحبَّ أنْ يُزَحْزح عن النَّارِ ويُدخل**

---

(١) الترمذي (٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والنسائي (١/ ٢٣١) وغيرهم وقال محقق «الجامع» (٥/ ٢٠٤): وهو حديث صحيح.

(٢) ومِنّا من ينتضِل: هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٣) في جشره: قوم يخرجون بدوابهم علىٰ المرعىٰ ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلىٰ البيوت.

(٤) الصلاة جامعة: هي بنصب الصلاة، علىٰ الإغراء، ونصب جامعة علىٰ الحال.

(٥) فيرقق بعضها بعضًا: هذا اللفظة، رويت علىٰ أوجه: أحدها، وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة، يرقق أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده، والثاني يجعل الأول رقيقًا، وقيل معناه يشبه بعضه بعضًا. وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء. وقيل: معناه يسوق بعضها إلىٰ بعض بتحسينها وتسويلها. والثاني: فيرفق. والثالث: فيدفق، أي يدفع والدفق هو الصب ويصب.

الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخرِ. وليأت إلى الناس الذي يُحبُّ أنْ يؤتى إليه [١]. ومن بايع إمامًا، فأعطاهُ صفقة يده وثمرةَ قلبه، فليُطعه إن استطاعَ. فإنْ جاء آخرُ يُنازعُهُ فاضرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ» فدنوتُ منه فقلتُ له: أنشُدُكَ الله آنْتَ سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ؟ فأهْوَى إلى أُذنيه وقلبه بيديه. وقال: سمعتْهُ أُذُناي ووعَاهُ قلبي. فقلتُ له: هذا ابنُ عمِّكَ معاويةُ يأمرنا أن نأكُلَ أموالنَا بيننا بالباطِلِ. ونقْتُلَ أنفسنا. والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ [النساء]. قال: فسكتَ ساعةً ثمَّ قال: أطِعْهُ في طاعةِ الله، واعصه في معصيةِ الله [٢].

• عن سليمِ بن عامرٍ – رجلٍ من حمير – قال: كان بين معاويةَ، وبين الرُّوم عهدٌ، وكان يسيرُ نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهُم، فجاءَ رجلٌ على فرسٍ أو برذونٍ وهو يقولُ: الله أكبرُ، اللهُ أكبر، وفاءٌ لا غدْرٌ، فنظروا فإذا عمرُو بن عَبَسَةَ، فأرْسَلَ إليه معاويةُ فسألهُ، فقال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «منْ كان بينَهُ وبين قوم عهْدٌ فلا يَشُدَّ عُقْدَةً، ولا يَحُلَّهَا حتَّى ينْقضِيَ أَمَدُها أوْ ينبِذَ إليهِمْ على سواءٍ» فرجع معاوية [٣].

---

(١) وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه: هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حكمه. وهذه قاعدة مهمة، فينبغي الاعتناء بها. وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوا معه.

(٢) مسلم (١٨٤٤).

(٣) الترمذي (١٥٨٠) وقال: حديث حسن. وأبو داود (٢٧٥٩) واللفظ له وقال الألباني (٢٣٩٧): صحيح. وعند أحمد (٤/ ١١٣) انظر تحقيق «جامع

• عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المسلِمُونَ تتكَافأُ دماؤُهُمْ: يسعَى بذمَّتهم أدْناهم، ويُجيرُ عليهم أقصاهُمْ، وهمْ يَدٌ على منْ سواهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُم على مضعفهم، ومُتَسرِّعُهُمْ على قاعدهمْ، لا يُقْتَلُ مُؤمنٌ بكافرٍ، ولا ذُو عهْدٍ في عهْدِهِ»[١].

• عن أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «منْ صلَّى الصُّبْحَ، فهو في ذِمَّةِ الله. فلا تخفروا الله في عهدِهِ. فمنْ قتله، طلبهُ اللهُ حتَّى يكُبَّهُ في النَّارِ على وجْهِهِ»[٢].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضِهِ: «ودِدْتُ أنَّ عنْدي بعضَ أصحابي» قلْنَا: يا رسول الله، ألا نَدْعو لك أبا بكْرٍ؟ فسكتَ. قلنا: ألا نَدْعُو لك عُمرَ؟ فسكتَ. قلنا: ألا ندعُو لك عُثْمَانَ؟ قال: «نعمْ» فجاءَ، فخلا به، فجعل النبيُّ ﷺ يكلِّمُهُ. ووجْهُ عثمَان يتغيَّرُ. قال قيسٌ: فحدَّثني أبو سهلةَ، مولى عثمَان: أنَّ عثمَان بن عفَّانَ قال يوم الدَّار: إن رسولَ الله ﷺ عهد إليَّ عهْدًا. فأنا صائِرٌ إليه. وقال عليٌّ في حديثه: وأنا صابرٌ عليه. قال قيسٌ: فكانوا يرونَهُ ذلك اليومَ»[٣].

الأصول» (٢/ ٦٤٨).

(١) أبو داود (٢٧٥١) وقال الألباني (٢٣٩٠): حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٢٥٥): «إسناده حسن».

(٢) الترمذي (٢١٦٤) و(٢٢٢). وابن ماجه (٣٩٤٥). وقال في «الزوائد»: رجال إسناده ثقات. إلا إنه منقطع. وسعد بن إبراهيم لم يدرك حابس بن سعد، قاله في «التهذيب». وهو عند مسلم (٦٥٧) بلفظ آخر نحوه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٥٢)، وبعضه في الترمذي (٣٧١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجه في «المقدمة» (١١٣)، واللفظ له وقال =

• عن عليٍّ رضي الله عنه قال: والذي فلقَ الحبَّة وبرأَ النَّسمةَ إنَّهُ لعهدُ النبيِّ الأميِّ ﷺ إليَّ: «**لا يُحبُّني إلَّا مؤمنٌ، ولا يبغضُني إلَّا مُنَافِقٌ**»[(١)].

علو همة النبي ﷺ في الوفاء:

□ قال العلَّامة المَاوردي في كتابه «أعلام النُّبُوّة» في شرف أخلاقه وكمَال فضائله ما نصُّه: «الخصلة السادسة: حفظه للعهد، ووفاؤه بالوعد، فإنه ما نقض لمحافظٍ عهدًا، ولا أخلف لمراقب وعدًا، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوئ الشيم، فيلتزم فيها الأغلظ، ويرتكب فيهمَا الأصعب، حفظًا لعهده، ووفاء بوعده؛ حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله تعالى له مخرجًا».

✍ وكان من هَدْيه ﷺ أن أعداءه إذا عاهدوا واحدًا من أصحابه على عهد لا يَضُرّ بالمسلمين أمضاه لهم:

• فعن حذيفة بن اليمَان رضي الله عنهما قال: ما منعني أن أَشْهَدَ بدرًا إلَّا أني خرجت أنا وأبي حُسَيْلٌ. قال: فأخذَنَا كُفَّارُ قريش. قالوا: إنكم تُريدون محمدًا؟ فقال: ما نُريدُه. ما تُريد إلَّا المدينة. فأخذوا منَّا عَهْدَ الله وميثاقَه لننصَرِفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتِلْ معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأَخْبَرنَاهُ الخَبَرَ، فقال: «**انْصَرِفا. نفي لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»[(٢)].

• ويُجير من أجاره أحدٌ من المسلمين، ولو كانتِ أمرأة، ولا يخيس

محققه في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) رواه مسلم (٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٧).

بأي عهد قال ﷺ: «**قد أَجَرْنَا** [(١)] **من أَجَرْتِ يا أمَّ هانِيء**» [(٢)].

وفي رواية: «**وأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْت**».

عِظَمُ وفاء النبي ﷺ يوم الحُدَيبية:

• عن المسورِ بن مخرمةَ ومروان رضي الله عنهما قالا: خرج رسولُ الله ﷺ زمن الحديبية، حتَّى إذا كانوا ببعض الطَّريقِ، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ خالد ابن الوليد بالغَمِيم** [(٣)] **في خيلٍ لقُرَيْشٍ طليعةٌ، فخذوا ذات اليمينِ**». فوالله ما شعر بهم خالدٌ حتَّى إذا هُمْ بقترة [(٤)] الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقُرَيْشٍ، وسار النبيُّ ﷺ، حتَّى إذا كان بالثَّنِيَّة التي يُهْبطُ عليهم منها بركتْ به راحلته، فقال النَّاسُ: حَلْ حَلْ [(٥)]. فألحَّتْ. فقالوا: خَلأَتِ القصْوَاءُ [(٦)]. فقال النبيُّ ﷺ: «**ما خَلأَتِ القصْواءُ وما ذاك لها بخُلُقٍ. ولكنْ حَبَسَها حَابِسُ الفيل**» [(٧)]. ثمَّ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسألُونني خُطَّةً** [(٨)] **يُعَظِّمُون فيها حُرُماتِ الله إلَّا أعطيتُهُمْ إيَّاها**». ثمَّ زجَرَها فوثَبَتْ. قال: فعدل عنهم حتَّى نزلَ بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ [(٩)] قليلِ المَاءِ يتبرَّضُهُ

---

(١) أجرتُ الرَّجُل: منعتُ مَن يُريده بسوء.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وزاد أبو داود والترمذي، «وأَمَّنَّا مَن أَمَّنْتِ».

(٣) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) قترة: بفتحتين: الغبار الأسود.

(٥) حَلْ حَلْ: هو زجر الناقة للنهوض.

(٦) خلأت القصواء: حَرَنَتْ من غير علة والقصواء: اسم لناقة رسول الله ﷺ.

(٧) حبسها حابس الفيل: أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٨) خُطَّةَ: أي خصلة.

(٩) ثمد: بفتحتين – أي حُفيرة فيها ماء مثمود أي قليل.

النَّاسُ [١] تَبَرُّضًا، فلم يُلَبِّثْهُ [٢] الناسُ حتَّى نَزَحُوهُ، وشُكِيَ إلى رسولِ الله ﷺ العطشُ؛ فانتزَعَ سهْمًا من كنانتِهِ، ثمَّ أمرهُمْ أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدرُوا عنه [٣]. فبينمَا هم كذلك، إذ جاء بُدَيْلُ بن ورْقَاءَ الخُزَاعيُّ في نفرٍ من قومه من خُزَاعة - وكانوا عيبةَ نُصْحِ [٤] رسول الله ﷺ من أهل تهامةَ - فقال: إنِّي تركْتُ كعب بن لُؤَيٍّ وعامر بن لؤيٍّ، نزلُوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذُ المطافيلُ [٥]، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّا لم نجيءْ لقتالِ أحدٍ، ولكنَّا جئنا معتَمرين، وإنَّ قريشًا قد نهكتهم الحربُ وأضرَّتْ بهم، فإنْ شاءوا ماددتهم مدَّةً ويُخَلُّوا بيني وبين النَّاسِ، فإنْ أظهرْ، فإنْ شاءوا أنْ يدخلوا فيما دخل فيه النَّاسُ فعلوا، وإلَّا فقد جَمُّوا [٦]. وإنْ هم أبَوْا فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنَّهُمْ على أمري هذا حتَّى تنْفَرِدَ سالِفَتي [٧]، وليُنْفِذَنَّ الله أمرهُ**» فقال بُدَيلٌ: سأبلِّغهم ما تقول. قال: فانطلق حتَّى أتى قريشًا، قال: إنَّا جئْناكم من هذا الرَّجل، وسمعناهُ يقولُ قولًا، فإنْ شئْتم أنْ نعرضَهُ عليكم فعلنا. فقال: سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه

---

(١) يتبرضه الناس: أي يأخذون منه قليلاً قليلاً.
(٢) لم يلبثه الناس: أي لم يتركوه يلبث أي يقيم.
(٣) يجيش لهم بالري حتىٰ صدروا عنه: أي يفور بالماء حتىٰ رجعوا.
(٤) عيبة نصح رسول الله: أيْ موضع النُّصح له والأمانة علىٰ سِرِّه.
(٥) العوذ المطافيل: الناقة التي وضعت إلىٰ أن يقوىٰ ولدها.
(٦) جَموا: أي قووا.
(٧) حتىٰ تنفرد سالفتي: أي حتىٰ أموت وأبقىٰ منفردًا في قبري، والسالفة: صفحة العنق.

بشيءٍ. وقال ذَوُو الرَّأْيِ منهم: هاتِ ما سمعتَهُ يقول. قال سمعتهُ يقول كذا وكذا. فحدَّثَهُمْ بمَا قال النبيُّ ﷺ. فقامَ عروةُ بن مسعودٍ فقال: أيْ قومِ، ألستم بالوالدِ؟ قالوا: بلى. قال: أولستُ بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتَّهمُوني؟ قالوا: لا. قال: ألسْتُم تعلمون أنِّي استنْفَرْتُ أهل عُكَاظٍ، فلمَّا بلَّحُوا[1] عليَّ جئتُكُمْ بأهلي وولدي ومنْ أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا قدْ عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ، اقبلوها ودعوني آته. قالوا ائْته. فأتاه فجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ نحْوًا من قوله لبُدَيْل. فقال عروةُ عند ذلك: أيْ محمَّدُ، أرأيت إن اسْتأصلتَ أمْرَ قومك، هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاحَ أهلهُ[2] قَبْلَكَ؟ وإنْ تَكُنِ الأخْرَى، فإنِّي واللهِ لا أرى وجوهًا، وإنِّي لأرى أشوابًا[3] من الناس خليقًا[4] أنْ يفرُّوا ويدعُوك. فقال لهُ أبو بكرٍ: امْصُصْ بظْرَ اللَّاتِ[5]، أنحْنُ نفِرُّ عنه وندعُهُ؟ فقال: منْ ذَا؟ قالوا: أبو بكرٍ. قال: أما والذي نفسي بيدِهِ، لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبْتُكَ. قال: وجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فكلمَا تكلم كلمةً أخذَ بلحْيَتِهِ، والمغيرة بن شعبةَ قائِمٌ على رأس النبيِّ

---

(١) بلَّحوا: أي امتنعوا من الإجابة.
(٢) اجتاح أهله: أي أهلك أصلهم.
(٣) أشوابًا: أي أخلاطًا من أنواع شتىٰ.
(٤) خليقًا: أي حقيقًا وجديرًا.
(٥) امصص بظر اللات: البظر قطعة تبقىٰ بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم أحد الأصنام التي كانوا يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ «الأم» بدلا من «اللات» فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه.

ﷺ ومعهُ السَّيْفُ وعليه المغفرُ [١]، فكلمَا أهْوَى عرْوةُ بيدهِ إلى لِحْيةِ رسولِ الله ﷺ ضرب يدهُ بنَعْلِ السَّيْفِ وقال له: أَخِّرْ يدك عن لحيَةِ رسول الله ﷺ. فرفعَ عُروةُ رأسهُ فقال: من هذا؟ قال: المغيرةُ بن شُعبة. فقال: أيْ غُدَرُ [٢]، ألسْتُ أسْعَى في غدْرتكَ؟ وكان المغيرةُ صحِبَ قومًا في الجاهليَّةِ فقتلهم وأخذَ أموالهم ثمَّ جاءَ فأسلمَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا الإسلامُ فأقبَلُ، وأمَّا المَالُ فلسْتُ منهُ في شيءٍ**». ثمَّ إنَّ عروة جعل يرْمُقُ [٣] أصحاب النبيِّ ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنَخَّمَ رسولُ الله ﷺ نُخامَةً [٤] إلَّا وقعتْ في كفِّ رجلٍ منهم فدلكَ بها وجْهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدرُوا أمرَهُ، وإذا توضَّأَ كادُوا يقتتلون على وضُوئه [٥]، وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عندهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظرَ تعظيمًا له. فرجع عُرْوةُ إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقدْ وفدْتُ على الملوكِ، ووفدتُ على قيْصَرَ وكسرى والنَّجَاشيِّ، والله إنْ رأيت مليكًا قطُّ يعظِّمُهُ أصحابه ما يعظمُ أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا والله ما يتنَخَّمْ نُخامةً إلَّا وقعتْ في كفِّ رجل منهم فدلكَ بها وجْهَهُ وجلده، وإذا أمرهمْ ابتدرُوا أمرَهُ، وإذا توضَّأَ كادُوا يقتتلون على وضُوئه، وإذا تكلَّمُوا خفَضُوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظر تعظيمًا له. وإنَّه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها. فقال رجلٌ من بني كنانة: دعوني آتِه، فقالوا: ائتِهِ. فلمَّا أشرف على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) المغفر: حلق يتقنع به المتسلح وربما كان مثل القلنسوة غير أنها أوسع.

(٢) أي غدر: مبالغة في وصفه بالغدر.

(٣) يرمق: أي يلحظ.

(٤) النخامة: البزقة التي تخرُج من أقصىٰ الحَلْق ومن مخرج الخاء.

(٥) الوَضوء – بفتح الواو- : الماء الذي يُتوَضَّأ به.

وأصحابِهِ قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلانٌ، وهو من قوم يعظِّمُون البدنَ**[١]**، فابْعَثُوهَا له**». فبُعِثَتْ له، واستقْبَلَهُ الناس يلَبُّونَ. فلمَّا رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيتِ. فلمَّا رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلِّدتْ وأشعرت، فمَا أرى أن يصدُّوا عن البيتِ. فقام رجلٌ منهم يُقال له مكرزُ بن حفصٍ فقال: دعُوني آته. فقالوا: ائته. فلمَّا أشرف عليهم، قال النبيُّ ﷺ: «**هذا مكْرَزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ**» فجعل يكلِّمُ النَّبيَّ ﷺ. فبينمَا هو يكلِّمه إذْ جاء سهيل بن عمرو. قال معمرٌ: فأخبرني أيوبُ عن عكرمة أنَّه لمَّا جاء سهيل بن عمرٍو، قال النبيُّ ﷺ: «**قد سَهُلَ لكم منْ أمرِكُمْ**» قال معمرٌ: قال الزُّهريُّ في حديثه: فجاء سهيلُ بن عمرٍو فقال: هات اكتُبْ بيننا وبينكم كتابًا. فدعا النبيُّ ﷺ الكاتبَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال سهيلٌ: أما «الرَّحمن» فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ: باسْمِكَ اللهمَّ، كمَا كنت تكتب، فقال المسلمونَ: والله لا نكتبها إلَّا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. فقال النبيُّ ﷺ: «**اكتُبْ: باسمكَ اللهُمَّ**». ثم قال: «**هذا ما قاضَى عليه محمَّدٌ رسولُ الله**» فقال سُهيلٌ: والله لو كنَّا نعلمُ أنَّك رسول الله ما صددناك عن البيتِ ولَا قاتلْنَاكَ، ولكن اكتبْ «محمدُ ابنُ عبد الله»، فقال النبيُّ ﷺ: «**والله إنِّي لرسُولُ الله وإن كذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ: محمَّدُ بن عبد الله**». قال الزُّهريُّ: وذَلك لقوله: «لَا يسألُونني خُطَّةً يعظِّمُونَ فيها حرماتِ الله إلَّا أعطيتهم إيَّاها». فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**على أنْ تخَلُّوا بيننا وبين البيت فنطُوفَ به**». فقال

---

(١) البُدْن: جمع بَدَنة وهي تقع علىٰ الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه سميت بدنة لعظمها وسمنها.

سهيلٌ: والله لا تتحدَّثُ العرب أنَّا أُخذْنا ضغْطَةً[١]. ولكن ذلك من العام المُقْبل، فكتب، فقال سهيلٌ: وعلى أنَّهُ لا يأتيك منَّا رجلٌ وإنْ كان على دينكَ إلَّا رددته إلينا. قال المسلمونَ: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينمَا همْ كذلك إذ دخل أبو جَنْدَلِ بنُ سهيلِ بن عمرٍو يرسفُ في قُيُوده[٢]، وقد خرج من أسفل مكَّة حتَّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمدُ أوَّلُ من أقاضِيكَ عليه أن ترُدَّه إليَّ. فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّا لمْ نقْضِ الكتابَ بَعْدُ**». قال: فوالله إذًا لم أصالِحْكَ على شيءٍ أبدًا. قال النَّبيُّ ﷺ: «**فأجِزْهُ لي**»، قال: ما أنا بمُجيزِهِ لك، قال: «**بلى فافعل**»، قال: ما أنا بفاعلٍ. قال مكْرَزٌ: بل قد أجزْنَاهُ لك. قال أبو جنْدَلٍ: أيْ معشر المسلمين، أرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا تروْن ما قد لقيتُ؟ وكان قد عذِّبَ عذابًا شديدًا في الله. قال: فقال عمر بن الخطَّابِ. فأتَيْتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألست نبيَّ الله حقًّا؟ قال: «**بلى**» قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «**بلى**» قلتُ: فلم نُعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذًا؟ قال: «**إني رسولُ الله ولستُ أعْصِيه، وهو ناصِرِي**»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا، أنا سنأتي البَيت فنطوفُ به؟ قال: «**بلى، فأخبرتُكَ أنا نأتيه العام؟**» قال: قلتُ: لا. قال: «**فإنَّكَ آتيه ومُطَوِّفٌ به**». قال: فأتيت أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكرٍ، أليس هذا نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقِّ وعدُّونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نُعْطي الدنِيَّةَ في ديننا إذًا؟ قال: أيُّها الرَّجُلُ، إنَّه لرسولُ الله،

---

(١) أُخِذنا ضُغطه: أي قهرًا.

(٢) يرسف في قيوده: أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيد.

وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسكْ بغرزه [(١)]، فوالله إنَّهُ على الحقِّ. قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلتُ: لا. قال: فإنَّكَ آتيه ومطوِّفٌ به. قال الزُّهريُّ: قال عمرُ: فعملتُ لذلك أعمَالًا. قال: فلمَّا فرغَ من قضيَّةِ الكتابِ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحرُوا ثمَّ احْلِقُوا**»: قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلمَّا لم يقُمْ منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة فذكر لها ما لقِيَ من الناسِ، فقالتْ أمُّ سلمة: يا نبيَّ الله، أتُحِبُّ ذلك؟ اخْرُجْ، ثمَّ لا تكلِّمْ أحدًا منهم كلمةً حتى تنْحَرَ بدنَكَ، وتدْعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يُكلِّمْ أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَهُ، ودعا حالقه فحلقهُ، فلمَّا رأوْا ذلك قامُوا فنحروا، وجعل بعضهم يحلقُ بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا. ثمَّ جاءَهُ نسوةٌ مؤْمِنَاتٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠] حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ فطلَّقَ عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوَّج إحداهما معاوية بن أبي سفيانَ، والأخرى صفوانُ ابن أميَّة، ثم رجع النبيُّ ﷺ إلى المدينة، فجاءَه أبو بصيرٍ – رجلٌ من قريشٍ – وهو مسلمٌ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرَّجُلين، فخرجا به حتَّى بلغا ذا الحُلَيْفَةِ، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصيرٍ لأحد الرَّجلين: والله إنِّي لأرى سيفك هذا يا فلان جيِّدًا، فاستلَّهُ الآخرُ فقال: أجل، والله إنَّه

---

(١) فاستمسك بغرزه: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس والمراد اعتلق به واتبع قوله وفِعْله ولا تُخالِفْه.

لجيِّدٌ، لقد جرَّبْت به ثمَّ جَرَّبْتُ. فقال أبو بصيرٍ: أرني أنظر إليه، فأمْكنَهُ منه، فضربَهُ حتَّى بَرَدَ [(١)]، وفرَّ الآخرُ حتَّى أتى المدينة، فدخل المسجدَ يَعْدُو، فقال رسول الله ﷺ حينَ رآهُ: «لقدْ رَأى هذا ذُعْرًا»، فلمَّا انتهى إلى النَّبيِّ ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإنِّي لمقتُولٌ. فجاء أبو بصيرٍ فقال: يا نبيَّ الله، قدْ والله أوْفَى الله ذِمَّتَكَ قدْ رددتني إليهم، ثمَّ أنْجاني الله منهم. قال النَّبيُّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ [(٢)] لو كان له أحَدٌ» فلمَّا سَمِعَ ذلك عرف أنَّهُ سَيَرُدُّهُ إليهم، فخرج حتَّى أتى سِيفَ البَحْرِ [(٣)]. قال: وينْفلت منهم أبو جَنْدَلِ بن سُهيْل فلحقَ بأبي بصيرٍ، فجعل لا يخرجُ من قريشٍ رجلٌ قدْ أسلم إلَّا لحق بأبي بصيرٍ، حتَّى اجتمعَتْ منهم عصابةٌ، فوالله ما يسمعونَ بعيرٍ خرجتْ لقريشٍ إلى الشَّام إلَّا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرْسَلَتْ قريشٌ إلى النَّبيِّ ﷺ تُنشده الله والرَّحِمَ لَمَا أرْسل فمنْ أتاهُ فهو آمِنٌ، فأرسلَ النَّبيُّ ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وكانت حميَّتُهُم أنهم لم يقرُّوا أنَّهُ نبيُّ الله، ولم يُقِرُّوا ببسمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وحالوا بينهم وبين البيتِ» [(٤)].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنت

---

(١) حتىٰ بَرَد: أي حتىٰ مات.

(٢) ويل أمه مسعر حرب: ويل أمه كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنىٰ ما فيها من الذم، مسعر حرب: أي من يسعرها كأنه يصفه بالإقدام في الحرب.

(٣) سيف البحر: أي ساحله.

(٤) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٧٣٢)، ومسلم مقطعًا في (١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥).

على جَمَل ثَفَالٍ [١] إنما هو في آخر القوم، فمرَّ بي النَّبيُّ ﷺ فقال: «**مَنْ هذا؟**» قلتُ جابر بن عبد الله. قال: «**مالك؟**» قلتُ: إنِّي على جمل ثَفَالٍ. قال: «**أمَعَك قضيبٌ؟**» قلتُ: نعم. قال: «**أعطنِيهِ**»، فأعطيْتُهُ فضربه فَزَجَرَهُ، فكان من ذلك المكان من أوَّل القوم. قال: «**بِعْنِيه**»، فقلت: بل هو لك يا رسول الله. قال: «**بل بعْنِيهِ. قد أخذْتُهُ بأربعةِ دنانير ولك ظهْرُهُ [٢] إلى المدينة**». فلمَّا دنوْنَا من المدينة أخذتُ أرتحلُ، قال: «**أين تريد؟**» قلت: تزوَّجتُ امرأةً قد خَلا منها. قال: «**فهلَّا جاريةً تُلاعبُها وتُلاعِبُك؟**». قلت: إنَّ أبي توفِّي وترك بناتٍ فأردتُ أن أنْكِحَ امرأةً قد جرَّبتْ، خلا منها، قال: «**فذلك**». فلمَّا قدمْنَا المدينة قال: «**يا بلال اقْضِهِ، وزِدْهُ**». فأعطاهُ أربعة دنانير وزادهُ قيراطًا. قال جابرٌ: لا تُفارقُني زيادةُ رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراطُ يُفارِقُ جِرَابَ جابرٍ بن عبد الله» [٣].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: ابتاع رسولُ الله ﷺ من رجل من الأعراب جَزُورًا [٤] أو جزائر بوسقٍ من تمر الذُّخرةِ – وتمْرُ الذُّخْرة العجْوَةُ- فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: «**يا عبد الله! إنَّا قد ابْتعْنَا منك جَزُورًا أو جزائِرَ بوسْقٍ من تمـر الذُّخْـرَةِ فالتمسْـنَاهُ فلم نَجِـدْهُ**»، قال: فقـال الأعرابيُّ:

---

(١) جمل ثفال: أي بطيء السير.

(٢) ولك ظهره إلى المدينة: أي تركبه إلى المدينة.

(٣) رواه البخاري (٤/ ٢٣٠٩).

(٤) الجَزور –بفتح الجيم– البعير ذكرًا كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة، والجمع جُزُر –بضمتين– وجزائر.

وا غدْرَاهُ، قالت: فنهمَهُ[١] الناسُ وقالوا: قاتلَكَ الله، أيَغْدِرُ رسولُ الله ﷺ؟ قالتْ: فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لصاحِبِ الحقِّ مقالًا**»، ثمَّ عادَ له رسولُ الله ﷺ فقال: «**يا عبد الله إنَّا ابتَعْنا مِنْكَ جَزَائِرَكَ ونحنُ نَظُنُّ أنَّ عنْدنا ما سَمَّيْنَا لكَ، فالتَمَسْنَاهُ فلم نَجِدْهُ**»، فقال الأعرابيُّ: وا غدْرَاهُ، فَنَهَمَهُ الناسُ، وقالوا: قاتلَكَ الله، أيَغْدِرُ رسول الله ﷺ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**»، فرَدَّدَ ذلك رَسُولُ الله ﷺ مرتين أو ثلاثًا، فلمَّا رآهُ لا يفْقَهُ عنه قال لرجل من أصحابِهِ: «**اذهبْ إلى خُوَيْلَةَ بنت حكيم بن أميَّة فقل لها: رسولُ الله ﷺ يقولُ لكِ: إنْ كان عندك وسْقٌ من تمرٍ فأسلفِينَاهُ حتَّى نُؤَدِّيَهُ إليك إنْ شاء الله**» فذهب إليها الرَّجُلُ، ثمَّ رجع الرجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله فابْعَثْ من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرَّجُل: «**اذهبْ به فَأَوْفِهِ الذي له**» قال: فذهب به فأوفاهُ الذي له. قالت: فمرَّ الأعرابيُّ برسولِ الله ﷺ وهو جالسٌ في أصحابِهِ فقال: جزَاكَ الله خيرًا. فقدْ أوْفيت وأطيبْتَ. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**أولئكَ خِيَارُ عِبَادِ الله عندَ الله المُوفُونَ الْمُطيِّبُونَ**»[٢].

• عن أبي رافع رضي الله عنه قال بعثني قريشٌ إلى رسولِ الله ﷺ فلمَّا رأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلْقِيَ في قلبي الإسلامُ. فقلتُ: يا رسول الله إنِّي والله لا أرْجعُ إليهم أبدًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي لا أَخِيسُ بالعهْدِ**[٣]، ولا

---

(١) فنهمه الناس، أي: زجروه.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٦٨) واللفظ له، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٤٠٠): «إسناد أحمد صحيح».

(٣) لا أخيس العهد: أي لا أنقضه.

أَحْبِسُ البُرُدَ، ولكن ارْجِعْ، فَإِنْ كان في نفسك، الذي في نَفْسِكَ الآنَ، فَارْجِعْ» قال: فذهبْتُ، ثمَّ أتيْتُ النبيَّ ﷺ، فأسْلَمْتُ[١].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينمَا يهوديٌّ يعرضُ سلعته، أعطي بها شيئًا كرههُ، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجلٌ من الأنصار، فقام فلطَمَ وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشرِ، والنَّبيُّ ﷺ بين أظْهُرِنَا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إنَّ لي ذِمَّةً وعَهْدًا، فمَا بالُ فلانٍ لطَم وجْهِي؟ فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى رُؤِيَ في وجهه، ثم قال: «لا تُفَضِّلُوا بينَ أولياءِ الله، فإنَّهُ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيُصْعَقُ مَنْ في السمـاوَاتِ ومن في الأرض إلَّا من شاء اللهُ، ثمَّ يُنفخُ فيه أخرى فأكونُ أوَّلَ منْ بُعِثَ، فإذا مُوسى آخِذٌ بالعرشِ، فلا أدْرِي أَحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يومَ الطُّورِ، أمْ بُعِثَ قَبْلِي»[٢].

ومن تعظيم النبي للوفاء فإنه ﷺ شدّد وغلّظ في عقوبة من آذى ذميًّا — أي معاهدًا من أهل الكتاب — أو قتله:

• فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «مَن قَتَل مُعَاهَدًا لم يَرَحْ[٣] رائحةَ الجنَّة، وإنَّ ريحَها يُوجَد من مسيرة أربعين عامًا»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨)، وأحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي رافع، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٧٠٢)، و«صحيح الجامع» (٢٥١٠).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٤١٤).

(٣) لم يَرَح: أي لم يجد ريحَها ولم يشمُّها.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، وأحمد والنسائي إلا أنه قال: «من قتل قتيلاً من أهل =

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قَتَل مُعاهَدًا في غير كُنْهِهِ[١]، حَرَّمَ الله عليه الجنَّة»[٢].

• وفي رواية للنسائي قال: «مَن قتل رَجُلًا من أهل الذِّمَّة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»[٣].

• ورواه ابن حبّان في «صحيحه» ولفظه قال: «من قتل نفسًا مُعاهَدَة بغير حقِّها لَم يَرَحْ رائحة الجنَّة، وإن ريح الجنة لتُوجَد من مسيرة مئة عام».

• وعن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نَفْسًا مُعَاهَدَة بغير حِلِّها، حَرَّم الله عليه الجنَّة أن يشمَّ ريحها»[٤].

وانظر إلى وفاء النبي ﷺ لكافِر:

□ قال ابن إسحاق في ذكر يوم بدر: «نَهَى رسولُ الله ﷺ عن قَتل أبي البَخْتريِّ؛ لأنه كانَ أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يُؤذيه ولا يَبْلُغُه عنه شيءٍ يَكْرَهُه، وكان مِمَّن قام في نقض الصحيفة، فَلَقِيَه المُجَذَّرُ بن ذِيادٍ البَلَوِي حليف الأنصار فقال له: إنَّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلِك، ومع أبي البَخْتِرِيِّ زميلٌ له خرج معه من مَكَّة وهو جُنادة

الذِّمَة» ورواه ابن ماجه.

(١) أي في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي والدارمي، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي عن رجل، وكذا رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٨).

ابن مُلَيْحة، وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له المجَذَّرُ: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلَّا بِكَ وحدَك. قال: لا والله، إذًا لأمُوتَنَّ أنا وهو جميعًا لا يتحدَّث عني نساء مكة أنِّي تركت زميلي حِرْصًا على الحياة. وقال ابن البختري وهو ينازل المجذر:

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميلَهُ ... حتى يموت أو يرى سبيله

قال: فاقتتلا، فقتله المجذّر بن زياد..

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحقِّ، لقد جهدتُ عليه أن يَسْتأسِر فآتيك به، فأبَى إلَّا أن يقاتلني، فقاتَلْتُه فقتَلْتُه»[1].

وفاء رسول الله ﷺ لمطعم بن عدي المقتول على الكفر في يوم بدر:

كان مطعم بن عَدِي من أشراف قريش، وكان رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، ولقي من ثقيف منكر القول والفِعل، وطلب النبي ﷺ جوار بعض رؤساء مكة، فأبوْا، فأجاره مطعم بن عدي.

فلمَّا كانت وقعة بدر بعد ذلك، ودارت الدائرة على قريش، وقُتِل نفرٌ من صناديدها، كان بين القتلى مُطعم بن عدي، وفيه يقول حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ:

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفَحي ... بدمعٍ وإن أنزفتِه فاسكبي الدّما

وبَكّي عظيمَ المَشْعَرين كليهما ... على النَّاس معروف لهُ ما تكلَّما

فلو كان مجدٌ يُخْلِد الدَّهرَ واحدًا ... من الناس أبقى مجدُهُ اليومَ مطعما

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٩، ٦٣٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٤٥٠) حوادث السَّنَة الثانية.

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدَكَ ما لبّى مُلَبٍّ وأحرما

فلو سُئِلت عنه مَعَدّ بأسرها ... وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرهُما

لقالوا هو الموفي بجيرةِ جارهِ ... وذمّتهِ يومًا إذا ما تذمّمّا

فما تطلع الشمسُ المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعزَّ وأكرما

إباءً إذا يأبى وأكرم شيمة ... وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلَمَا

ذلكم رثاء حسان لرجل من المشركين، مات يحارب محمدًا ﷺ وصحبه، يستمع إليه صاحب الدعوة، ويسرُّه أن يرى المسلمين يرددونه.

• وفي الحديث: «**لو كان المطعم حَيًّا، ثم كَلَّمني في هؤلاء النتنى** - يعني أسارى بدر - **لتركتهم**».

فأيُ وفاءٍ فوق هذا؟! يصل إلى أعلى ما تصل إليه الرجولة والإنسانية الكاملة، فيرثي المروءة في عدو هو أحد صرعاه في القتال؟ ذلكم هو الوفاء الذي عَلَا فوق كُلِّ شيء.

رسول الله ﷺ يكرم قبيلة ظالمة مغلوبة وفاءً لمرضعته حليمة السعديَّة:

وبعد وقعة حُنين، وفيها كادت هوازن [1] تقضي على الإسلام لولا ثباته ﷺ، جاءه وفد منها، وهي الباغية المستكبرة، تطلب العفو عن أسراها، فماذا وجدت لتحرك به رحمته، وتستثير شفقته؟ لا شيء، فليس أشدّ سوادًا من ماضيها معه، ولكنها وجدت في وفائه ملجأها ومنتهاها، فقال رجل منهم: يا محمد، إن في الحظائر مرضعاتك وحواضنك، ولو

---

(١) غزا رسول الله ﷺ هوازن بوادي حُنين بعد فتح مكة. ومنازل هوازن في نجد مما يلي اليمن.

أنا ملحنا [١] للنعمَان بن المنذر أو الحارث بن أبي شِمر الغساني، ثم نزل منا مثل الذي نزلت، رجونا عطفه وعائدته علينا. فقال ﷺ: «**أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**»، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وبذلك ردّ على هوازن آلاف الأسرى. تلك هي النفس الوفية، التي تكرم أمة ظالمة مغلوبة وفاءً للبن الذي رضعته فيها، فهل للناس وقد عفا فيهم أثر المعروف أن يتذكروا؟.

وفاؤه ﷺ لأم المؤمنين خديجة بعد موتها رضي الله عنها:

بأبي وأمي رسول الله ﷺ ما كان أعظم وفائه لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعد موتها: «كان إذا ذبح الشاة يقولُ: أرسلوا بها إلى أصدقاءِ خديجة» [٢].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غِرْتُ على امرأة للنبي ﷺ ما غِرْت على خديجة هَلَكَتْ [٣] قبل أن يتزوَّجني لمَا كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يُبَشِّرَها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشَّاة فيُهْدِي في خلائلها منها ما يسعهن» [٤].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غِرْتُ على نساء النبي ﷺ إلَّا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول:

---

(١) أي: أرْضَعْنَا.
(٢) رواه مسلم عن عائشة.
(٣) أي: ماتت. وقد سبق التنبيه على أن هذه الكلمة لا بأس بها.
(٤) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، وأحمد (٦/ ٥٨ و٢٠٢)، والترمذي (٣٨٧٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: **«إني قد رُزِقت حُبَّها»**[(١)].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ فعَرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: **«اللهم هالة بنت خويلد»** فَغِرْتُ فقلتُ: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشَّدقيْن هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرًا منها»[(٢)].

قال: **«ما أبدلني الله خيرًا منها؛ وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء..!»**.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة سوداءُ على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أقْبَلتَ على هذه السوداء هذا الإقبال. فقال: **«إنها كانت تدخُلُ على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمَـان»**.

وفاء النبي ﷺ للأنصار رضي الله عنهم:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«الأنصار كَرِشي وعَيْبتي، والناس سيكثرون ويقلُّون فاقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»**[(٣)].

• وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر

---

(١) رواه مسلم (ص١٨٨٨)، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٢٢٩) و(٦٠٠٤)، وأخرجه الترمذي (٢٠١٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٧)، والبخاري مُعَلَّقًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠)، والترمذي (٣٩٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في «الفضائل» (٢٢٠).

للأنصار: «ألا إن الناس دثاري، والأنصارُ شعاري، لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار شعبة لاتبعت شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنت رَجُلًا من الأنصار، فمن ولي من الأنصار فليُحسِن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ومَن أفزعهم، فقد أفزع هذا الذي بيْن هاتيْن» وأشار إلى نفسه ﷺ (١).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا (٢). فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر – ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي (٣)، وقد قضُّوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٧٩) وقال: «هذا صحيح الإسناد» ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: «صحيح».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢١): قوله: «ذكرنا مجلس النبي ﷺ» أي: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حُزْنًا علىٰ فوات ذلك».

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢١): قوله: «كرشي وعيبتي» أي بطانتي وخاصَّتي. قال القزّاز: ضرب المثل بالكرشي لأنه مستقرّ غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة أيْ عيال كثيرة، والعَيْبَة بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، ويريد أنهم موضع سرِّه وأمانته. قال ابن دُرَيْد: هذا من كلامه ﷺ المُوجَز الذي لم يسبَق إليه، وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة مستودع الثياب والأول أمرٌ باطن والثاني أمرٌ ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، والأوَّلُ أولىٰ، وكلٌّ مِن الأمْرَين مستودع لما يخفىٰ فيه.

محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[١].

• ثم انظروا أخيرًا إلى مقام الوفاء من نفسه ﷺ، وهو يقول يوم أحد حين أمر بدفن القتلى: «انظروا إلى عمرو ابن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبرٍ واحد»[٢].

□ وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، وأنا يومئذٍ غلام أحمل عضو البعير، فأتته امرأة فبسط لها رداءها. قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمه التي أرضعته»[٣].

وفاء الصِّدِّيق رضي الله عنه للنبي ﷺ:

□ عن أبي جُحيفَة رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ أبيض قدْ شاب، وكان الحسن بن عليٍّ يُشْبِهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلُوصًا، فذهبنا نقْبِضُها فأتانا موْته فلم يُعْطونا شيئًا، فلمَّا قام أبو بكرٍ قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليجيء، فقُمْتُ إليه فأخبرته، فأمر لنا بها»[٤].

□ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ قال لي: لوْ قدْ جاءَنا مالُ البحْرين قدْ أعطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا. فلمَّا قُبض رسولُ الله ﷺ وجاءَ مالُ البحْرَيْن قال أبو بكرٍ: منْ كانت له عندَ رسولِ الله ﷺ عدةٌ فليأتني، فأتيتُهُ فقلت: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءَنَا مالُ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي في «الفضائل» (٢٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٢٦٥).

(٣) البخاري في «الأدب المفرد».

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٢٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وأصله عند البخاري (٣٥٤٤)، ومسلم (٢٣٤٢).

البحرين لأَعْطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا. فقال لي: احْثُهُ. فحَثَوْتُ حَثْيَةً. فقال لي: عدَّهَا. فعددتُها، فإذا هي خمسمئةٍ، فأعطاني ألفًا وخمسمئة»[١].

وفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

□ عن عمرو بن ميمُونٍ الأَوْدِيِّ؛ قال: رأيت عمر بن الخطَّابِ رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر، اذهبْ إلى أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأُ عمرُ بن الخطَّابِ عليك السلام، ثمَّ سَلْهَا أنْ أُدْفنَ مع صاحبيَّ. قالت: كنتُ أريدُهُ لنفسي، فلأُوثِرَنَّهُ اليوم على نفسي. فلمَّا أقبل: قال له: ما لديك؟ قال: أذنتْ لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك المضْجَعِ، فإذا قُبِضْتُ فاحْمِلُوني، ثمَّ سَلِّمُوا، ثم قل: يستأذنُ عمرُ ابن الخطَّابِ، فإنْ أذنتْ لي فادفنوني، وإلَّا فرُدُّوني إلى مقابر المسلمين، إنِّي لا أعلم أحدًا أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاءِ النَّفَرِ الذين توفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمنِ استخْلَفُوا بعدي فهو الخليفةَ فاسمَعُوا له وأطيعُوا فسَمَّى عثمَان وعليًّا وطلحةَ والزُّبيرَ وعبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقاصٍ. وولجَ عليه شابٌّ من الأنصارِ فقال: أبشرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرى الله: كان لك من القدمِ في الإسلام ما قد علمتَ، ثمَّ استُخْلِفْتَ فعدلت، ثمَّ الشَّهادةُ بعد هذا كلِّهِ. قال: ليْتَني يا ابن أخي، وذلك كفافًا لا عليَّ ولا لي. أُوصي الخليفةَ من بعدي بالمُهاجرينَ الأوَّلين خيرًا، أنْ يعرفَ لهم حقَّهُمْ، وأن يحفظ لهم حرْمَتَهُمْ وأُوصيه بالأنصارِ خيرًا، الذين تبوَّءُوا الدار والإيمَان أن يقبل من محسنهم، ويُعْفَى عن مُسيئِهِمْ. وأوصيه بِذِمَّةِ الله وذمَّة رسولِهِ ﷺ أن يُوفَّى لهم

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٦٤) وهذا لفظه، ومسلم (٢٣١٤).

بعهدهم، وأنْ يُقَاتَلَ منْ ورائهم، وأنْ لا يُكَلَّفُوا فوق طاقتهم»[١].

□ عن معدانَ [٢] بن أبي طلحة اليَعْمُرِيِّ: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قام على المنبرِ يوم الجمعة فحمدَ الله وأثنَى عليه، ثمَّ ذكر رسول الله ﷺ، وذكر أبا بكرٍ، ثم قال: «رأيتُ رُؤْيا لا أراها إلَّا لحضورِ أجلي، رأيتُ كأنَّ دِيكًا نقرني نقرتين، قال: وذكر لي أنَّه دِيكٌ أحمرُ، فقصصْتُهَا على أسمَاءَ بنت عُمَيْسٍ امرأةِ أبي بكرٍ، فقالت: يقتلكَ رجلٌ من العجم، قال: وإنَّ الناس يأمُرُونَنِي أنْ أستخلف، وإنَّ الله لم يكن ليُضيع دينَهُ وخلافتَهُ التي بعث بها نبيَّهُ ﷺ، وإنْ يعْجلُ بي أمرٌ فإنَّ الشُّورى في هؤلاءِ السِّتَّةِ الذين مات نبيُّ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمن بايعتم منهم فاسمعُوا له وأطِيعُوا، وإنِّي أعلم أنَّ أُناسًا سيطْعَنُونَ في هذا الأمرِ، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلامِ، أولئك أعداءُ الله الكفَّارُ الضُّلَّالُ، وأيْمُ الله، ما أترُكُ فيمَا عهد إليَّ ربي فاستخْلَفَنِي شيئًا أهمَّ إليَّ من الكَلَالة [٣]، وأيْمُ الله ما أغلظَ لي نَبِيُّ الله ﷺ في شيءٍ منذ صحبْتُهُ أشدَّ ما أغْلَظَ لي في شأنِ الكلالَةِ، حتَّى طَعَنَ بإصْبعه في صدْرِي، وقال: «**تكفيكَ آيةُ الصَّيْفِ** [٤]

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٣٩٢).

(٢) تحرفت في «المسند» بطبعته القديمة إلى «معبد» والصواب ما أثبتناه، وانظر «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٠٤).

(٣) الكلالة: أن يموت الرجل ولا يدع والدًا ولا ولدًا يرثانه، فإن كان له أخت فلها نصف ما ترك وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثين.

(٤) الآية (١٧٦) من سورة النساء وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.. إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ . وآية الصف: أيْ التي نزلت في الصف.

التي نزلتْ في آخر سُورةِ النِّساءِ» ، وإنِّي إنْ أعشْ فسأقْضِي فيها بقضاءٍ يعلمُهُ منْ يقرأُ ومنْ لا يقرأُ، وإنِّي أشهدُ الله على أُمراءِ الأمصار، إنِّي إنَّمَا بعثتهم ليعلموا الناس دينهم، ويُبيِّنُوا لهم سنَّة نبيِّهم ﷺ ويرفعُوا إليَّ ما عُمِّي عليهم، ثمَّ إنكم أيها الناسُ تأكلون من شجرتين لا أراهمَا إلَّا خبيثَتين، هذا الثوْمُ والبصلُ. وأيمْ الله لقد كنتُ أرى نبيَّ الله ﷺ يَجدْ ريحهمَا من الرجُلِ فيأمُرُ به فيُؤخذُ بيده فيُخْرَجُ به من المسجد حتى يُؤْتى به البقيعِ، فمَنْ أكلهُمَا لا بدَّ فليُمِتْهمَا طبخًا، قال: فخطب الناس يوم الجمعةِ وأُصيبَ يوم الأربعاءِ»[١].

□ عن أُبيِّ بن كعبٍ في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[٢] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: جمعهم فجعلهم أرواحًا ثمَّ صوَّرَهم فاستنْطقهم فتكلَّمُوا، ثمَّ أخذ عليهم العهد والمِيثاقَ، وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربِّكُم. قال: فإنِّي أشهد عليكم السمَاواتِ السَّبْع، والأرضين السَّبْع، وأشهدُ عليكم أَبَاكُمْ آدم عليه السلام أنْ تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنَّهُ لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، فلا تشركوا بي شيئًا، إنِّي سأُرْسِلُ إليكم رسلي، يُذَكِّرُونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدْنَا بأنَّكَ ربُّنا وإلهُنَا، لا ربَّ لنا غيرك، فأقرُّوا بذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم، فرأى الغنيَّ والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: ربِّ لولا سوَّيْتَ بين عبادكَ، قال:

---

(١) أحمد (١/ ١٥) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ١٩٢): «إسناده صحيح».
(٢) هكذا وردت في «مسند أحمد»، وفي رواية حفص ﴿ذُرِّيَّتَهم﴾ الآية ١٧ من سورة الأعراف.

إنِّي أحببْتُ أن أشكر. ورأى الأنبياءَ فيهم مثل السُّرُج عليه النُّورُ، خُصُّوا بميثَاقٍ آخر في الرِّسالة والنُّبُوة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ .. إلى قوله: ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] كان في تلك الأرواحِ فأرْسَلهُ إلى مريمَ»[١].

حَضُّ عثمانَ على الوفاء:

□ «كتب عثمَان رضي الله عنه إلى عماله وولاته عقب توليته الخلافة هذا الكتاب: أمّا بعد فإن الله خلق الخلق بالحق، خذوا الحق، وأعطوا الحق، والأمانةَ الأمانةَ قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم، الوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المَعاهد، فإن الله خصم من ظلمهم»[٢].

□ إن الوفاء ليست كلمة مهملة لا معنى لها، أو ميّتة لا روح فيها، إنمَا الوفاء رَحْبُ المعاني، واسع الدلالة، وصلة وشيجةٌ بمكارم الأخلاق كلها، وشعب الإيمَان بتمامها.

الوفاء للعلم أولى من الوفاء للصحبة:

□ اعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيمَا يخالف الحق في أمرٍ يتعلَّق بالدين، بل الوفاء له المخالفة، فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد ابن عبد الحكم، وكان يقرّبه، ويُقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتلّ محمد، فعاده الشافعي رحمه الله فقال:

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه (٥/ ١٣٥)، ورواه ابن أبي حاتم، وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به.
(٢) «الوفاء» (ص١٣٢).

مــــرض الحبيــــبُ فعدتُــــه فمرضـــتُ مــن حــذري عليــه

وأتــــى الحبيــــبُ يعــــودني فبرئـــتُ مِـــن نظـــري إليـــه

وظن الناس لصدق مودتهمَا أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علّته التي مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم -وهو عند رأسه- ليومئ إليه، فقال الشافعي: سبحان الله! أيشكّ في هذا أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي، مع أن محمدًا كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين، وترك المداهنة، وآثر رضا الله تعالى.

فلمَّا توفي الشافعي انقلب محمد بن عبد الحكيم عن مذهبه، ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك، وآثر البويطي الزهد والخمول، ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة، وصنف كتاب الأم، الذي ينسب الآن إلى الربيع ابن سليمَان، ويعرف به، وإنمَا صنفه البويطي، ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه، وأظهره.

والمقصود أنَّ الوفاء بالمحبة من تمَامها النصح لله.

الوفاء:

□ قال الأحنف: «الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير.

□ ومن آثار الصدق والإخلاص وتمَام الوفاء: أن تكون شديد

الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها، كمَا قيل:

وجدت مصيبات الزمـان جميعهـا سوى فرقة الأحباب هيِّنة الخطب»

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: «لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إليّ أنّ حسرتهم ذهبت من قلبي».

□ ومن الوفاء: ألا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا سيمَا من يظهر أولًا أنه محب لصديقه - كيلا يتهم - ثم يلقي الكلام عرضًا، وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب، ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلًا.

□ قال واحد لحكيم: «قد جئت خاطبًا لمودّتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا فعلت، قال: وما هي؟ قال: لا تسمعْ عليّ بلاغة، ولا تخالفني في أمري، ولا توطئني عشوةً.

□ ومن الوفاء: ألا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي رحمه الله: «إذا أطاع صديقُك عدوّك فقد اشتركا في عداوتك».

أخي: كن سموْأل الإسلام في وفائك لربك وللخلق:

□ ممَّا أسفرتْ عنه وجوه الأوراق، وأخبرت به الثِّقات في الآفاقِ، وظهرتْ روايته بالشام والعراق، وضرب به الأمثال في الوفاءِ بالاتِّفَاقِ، حديث السموأل بن عاديا، وتلخيص معناه أنَّ امرأَ القيسِ الكنديِّ، لمَا أراد المُضيَّ إلى قيصر ملك الرُّوم، أودع عند السَّموْأل دروعًا وسلاحًا، وأمتعةً تساوي من المَال جملةً كثيرةً. فلمَّا مات امرُؤُ القيسِ أرسل ملك كنْدَةَ يطلبُ الدُّرُوع والأسلحةَ المُودعةَ عند السَّموأل. فقال السموأل: لا أدفعها إلَّا لمستحقِّهَا. وأبى أنْ يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده فأبى، وقال:

لا أغدرُ بذمَّتي، ولا أخُونُ أمانتي، ولا أتركُ الوفاءَ الواجب عليَّ. فقصدهُ ذلك الملكُ من كندة بعسكره فدخل السَّموأل في حصنه، وامتنع به. فحاصرهُ ذلك الملك، وكان ولدُ السموأل خارج الحصنِ فظفر به ذلك الملكُ وكان ولدُ السموأل خارج الحصن فظفرَ به ذلك الملك فأخذهُ أسيرًا ثمَّ طاف حول الحصن وصاح بالسموألِ. فأشرف عليه من أعلى الحصن. فلمَّا رآهُ قال له: إنَّ ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإنْ سلمت إلى الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلتُ عنك وسلَمْتُ إليك ولدك، وإن امتنعْتَ من ذلك ذَبحْتُ ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهُمَا شئتَ. فقال له السموألُ: ما كنتُ لأخفرَ ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئْتَ. فذبحَ ولدهُ وهوينظرُ. ثمَّ لمَّا عجَزَ عن الحصْنِ رجع خائِبًا، واحْتَسَبَ السَّموأل ذبحَ ولدِهِ وصَبرَ، محافظةً على وفائِهِ. فلمَّا جاء الموسم وحضر ورثةُ امريءِ القيس سلَّم إليهم الدُّروعَ والسِّلاحَ. ورأى حفظَ ذمامِهِ ورعاية وفائه أحبَّ إليه من حياة ولدِهِ وبقائِهِ. صارتِ الأمثالُ في الوفاءِ تضربُ بالسموألِ، وإذا مدحُوا أهل الوفاء في الأنام ذُكِرَ السموألُ في الأولِ»[(١)].

✍ **أخي:** أعجزت وأنت المسلم فيك كل معاني النور، أن تكون كالسموأل في وفائه، وأعْلَى منه مرتبة وفائك لعهدك مع ربك، ومع رسولك ﷺ.. ولإسلامك؟!

وفَيْتُ بأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إني ... إذا ما خانَ أقْوامٌ وَفَيْتُ

وقَالُوا: إنه كَنْزٌ رَغِيبٌ، ... وَلَا –والله– أغْدِرُ مَا مَشَيْتُ

(١) «المستطرف» (١/ ٢٨٩).

بَنَى لي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا ... وَبِئْرًا كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

طِمِرًّا تَزْلَقُ العِقْبَانُ عَنْهُ ... إذَا مَا نَابَني ظُلْمٌ أَبَيْتُ

□ وقال الأعشى في ذلك:

شريحُ لا تَترُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ... حِبَالُكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أظْفَارِي

كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ ... في جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

بالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ ... حِصْنٌ حصِينٌ وَجَارٌ غَيرُ غَدَّارِ

إذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ ... مَهْمَا تَقُلْهُ فَإني سَامِعٌ حَارِ[1]

فَقَالَ: غَدْرٌ وَثُكْلٌ أنتَ بَينَهُمَا ... فَاخْتر، وَمَا فِيهِمَا حظٌّ لمخْتَارِ

فَشَكَّ غَيْرَ طَويلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ... اذْبَحْ أَسِيرَكَ إني مَانِعٌ جَارِي

هذا لَهُ خَلَفٌ إن كُنتَ قَاتِلَهُ ... وإنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ خَوَّارِ

فَقَالَ تَقْدِمَةً إذْ قَامَ يَقْتُلُهُ: ... أَشْرِفْ سَمَوْأَلُ فَانْظرْ لِلدَّمِ الجارِي

أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صبرًا أوْ تَجِيءَ بِهِ ... طَوعًا؟ فَأنْكَرَ هذا أيَّ إنْكَارِ

فشَكَّ أوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ في مَضضٍ ... عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا كاللَّذْعِ بِالنَّارِ

وَاخْتَارَ أدْرَاعَهُ أنْ لا يُسَبَّ بهَا ... ولَم يَكُنْ عَهْدُهُ في غَيرِ مختارِ

وَقَالَ: لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمَكْرُمَةٍ ... فاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَى العَارِ

وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمةٌ خُلُقٌ ... وَزَنْدُهُ في الوفَاء الثَّاقِبُ الوَارِي[2]

---

(١) أي: يا حارث.

(٢) «الوفاء» (ص٩٠- ٩٢).

وفاء الطائي الجاهلي خذ منه العِظة وعلوَّ الهمة:

الوفاءُ بالعهدِ وَرِعاية الذِّمَم نُقِل فيه من عجائب الوقائع، وغرائبِ البدائعِ، ما يُطربُ السَّمَاع، ويُشَنِّفُ المسامع، كقضية الطائيِّ وشريكٍ، نديمي النُّعمَان بن المنذر. وتلخيصُ معناها أن النُّعمّانَ كان قد جعل له يومين: يوم بُؤسٍ، من صادفهُ فيه قتلهُ وأرادهُ، ويوم نعيمٍ، من لقيهُ فيه أحسن إليه وأَغْنَاهُ، وكان هذا الطَّائِيُّ قد رماهُ حادثُ دهْره بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محلِّ استقراره ليرتاد شيئًا لصبْيته وصغاره، فبينمَا هو كذلك إذ صادفهُ النُّعمَانُ في يوم بُؤسه، فلمَّا رآهُ الطائيُّ علم أنَّهُ مقتُولٌ وأنَّ دَمَهُ مطلولٌ. فقال: حيَّا الله الملك إنَّ لي صبيةً صغارًا، وأهلًا جياعًا، وقد أرقْتُ ماءَ وجْهي في حصول شيءٍ من البُلغةِ لهم، وقد أقدمني سوءُ الحظِّ على الملكِ في هذا اليوم العبُوسِ، وقد قرُبْتُ من مقرِّ الصِّبْية والأهلِ وهمْ على شفا تلفٍ من الطَّوَى، ولن يتفاوت الحالُ في قتلي بين أول النَهار وآخره، فإنْ رأى الملكُ أنْ يأذن لي في أنْ أُوصِّلَ إليهم هذا القُوتَ وأوصِيَ بهم أهل المرُوءَةِ من الحيِّ، لئلَّا يهْلِكُوا ضياعًا ثُمَّ أعُودَ إلى الملك وأُسلِّمَ نفسي لنَفَاذِ أمْرِهِ. فلمَّا سمعَ النُّعْمَانُ صورة مقاله، وفهم حقيقة حاله، ورأى تلهُّفَهُ على ضياع أطفاله، رَقَّ له ورَثَى لحاله، غير أنَّه قال له: لا آذنُ لك حتَّى يضْمَنَكَ رجلٌ معنا، فإنْ لم ترجعْ قتلناهُ، وكان شريكُ بن عديٍّ بن شُرحبيل نديمُ النُّعمَانِ معه فالتفتَ الطائيُّ إلى شريكٍ وقال له:

يَا شَرِيكَ بْنَ عَدِيٍّ ... مَا مِنَ المَوْتِ انْهِزَامْ
مَنْ لأَطْفَالِ ضِعَافٍ ... عَدِمُوا طَعْمَ الطَّعَامْ

بَـيْنَ جُـوعٍ وَانْتِظَـارِ وَافْتِقَـارٍ وَسِـقَامْ

يَـا أَخَـا كُـلِّ كَـرِيمٍ أَنْـتَ مِـنْ قَـوْمٍ كِـرَامْ

يَا أَخَا النُّعْمَانِ جُدْ لِي بِـضَمَانٍ وَالْتِـزَامْ

وَلَـكَ اللهُ بِـأَنِّي رَاجِـعٌ قَبْـلَ الظَّـلَامْ

فقال شريك بن عديٍّ: أصلح الله الملك، عليَّ ضمَانهُ، فمرَّ الطائي مسرعًا، وصار النعمَانُ يقول لشريكٍ: إنَّ صدر النهارِ قد ولَّى، ولم يرجع، وشريكٌ يقول: ليس للملكِ عليَّ سبيلٌ حتى يأتيَ المساءُ، فلمَّا قرب المساءُ، قال النعمَان لشريكٍ: قد جاء وقتك قم فتأهَّبْ للقتل، فقال شريكٌ: هذا شخصٌ قد لاح مقبلًا، وأرجو أن يكون الطائيَّ، فإنْ لم يكن فأمرُ الملك ممتثلٌ، قال: فبينمَا هم كذلك وإذ بالطائيِّ قد اشتدَّ في عدوه وسيره مُسْرعًا، حتى وصل، فقال: خشيتُ أنْ ينقضيَ النهارُ قبل وصولي، ثمَّ وقف قائمًا، وقال: أيُّها الملكُ، مُرْ بأمركَ فأطْرَقَ النُّعمَانُ ثم رفع رأسهُ وقال: والله ما رأيتُ أعجب منكُمَا، أمَّا أنتَ يا طائيُّ فمَا تركت لأحدٍ في الوفاءِ مقامًا يقوم فيه، ولا ذكرًا يفْتَخِرُ به، وأمَّا أنت يا شريكُ فمَا تركْتَ لكريمٍ سمَاحةً يُذْكَرُ بها في الكرماءِ، فلا أكونُ أنا ألأَمَ الثلاثةِ، ألا وإني قد رفعتُ يوم بُؤسي عن النَّاس، ونقضْتُ عادَتِي، كرامَةً لوفاءِ الطائيِّ وكرم شريكٍ. فقال الطَّائيُّ:

وَلَقَـدْ دَعَتْنِـي لِلْخِـلَافِ عَـشِيرَتِي فَعَـدَدْتُ قَـوْلَهُمُ مِـنَ الإِضْـلَالِ

إِنِّي امْـرِؤٌ مِنِّـي الوَفَـاءُ سَـجِيَّةٌ وَفَعَـالُ كُـلِّ مُهَـذَّب مفْـضَال

فقال له النُّعمَانُ: ما حملك على الوفاءِ وفيه إتلافُ نفسك، فقال:

ديني، فمنْ لا وفاء فيه لا دينَ له، فأحسنَ إليه النُّعْمَانُ ووصلهُ بمَا أغْنَاهُ وأعادَهُ مكرَّمًا إلى أهلهِ وأنا له ما تمنَّاهُ»[١].

وفاء عبد الله بن طاهر للخليفة المأمون:

ومن ذلك ما حُكِيَ أنَّ الخليفة المأمونَ، لمَّا ولَّى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشَّامَ، وأطلق حكمَهُ دخل على المأمُونِ بعض أخوانه يومًا فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ عبد الله بن طاهرٍ يميلُ إلى ولد أبي طالبٍ، وهواهُ مع العلويِّين، وكذلك كان أبوه قبله، فحصل عند المأمون شيءٌ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهرٍ، فتشوَّشَ فكرهُ وضاقَ صدرهُ، فاستحضر شخصًا وجعله في زيِّ الزُّهَّاد، والنُّسَّاك الغزاة ودسَّهُ إلى عبد الله بن طاهرٍ وقال له: امْضِ إلى مصر، وخالطْ أهلها، وداخلْ كُبراءها واستملهم إلى القاسمِ بن محمدٍ العلويِّ، واذكر مناقبه، ثمَّ بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهرٍ، ثم اجتمع بعبد الله بن طاهرٍ بعد ذلك وادْعُه إلى القاسم بن محمدٍ العلويِّ، واكشفْ باطنهُ، وابْحثْ عن دفين نيَّتِه وائْتني بمَا تسمع. ففعل ذلك الرَّجُلُ ما أمرهُ به المأمون، وتوجَّه إلى مصرَ، ودعاجماعةً من أهلها، ثمَّ كتب ورقةً لطيفةً ودفعها إلى عبد الله بن طاهرٍ وقت ركوبه، فلمَّا نزل من الرُّكوب وجلس في مجلسه، خرج الحاجبُ إليه وأدخله على عبد الله بن طاهرٍ، وهو جالسٌ وحدهُ، فقال له: لقد فهمْتُ ما قصدتَهُ، فهات ما عندك فقال: ولي الأمانُ؟ قال: نعم فأظْهَرَ له ما أراده ودعاهُ إلى القاسم بن محمدٍ. فقال له عبد الله، أو تنصِفُني فيمَا أقواله لك؟ قال: نعم قال: فهل يجبُ شكر الناسِ بعضهم

(١) «المستطرف» (١/ ٢٨٧- ٢٨٨).

لبعضٍ عند الإحسانِ والمِنَّةِ؟ قال: نعم، قال: فيجبُ عليَّ وأنا في هذه الحالةِ التي تراها من الحكم والنِّعْمةِ، والولاية، ولي خاتمٌ في المشرق، وخاتمٌ في المغرب، وأمري فيمَا بينهمَا مطاعٌ، وقولي مقبولٌ. ثمَّ إني ألتفتُ يمينًا وشمَالًا فأرى نعمةَ هذا الرجل غامرةً، وإحسانهُ فائضًا عليَّ، أفتدعوني إلى الكفر بهذه النِّعمة، وتقول اغدر وجانب الوفاءَ، والله لو دعوْتَني إلى الجنَّة عيانًا لمَا غدرْتُ ولمَا نكثْتُ بيعتَهُ، وتركْتُ الوفاءَ له. فسكتَ الرَّجُل فقال له عبد الله: والله، ما أخافُ إلَّا على نفسكَ. فارْحلْ من هذا البلد، فلمَّا يئسَ الرجل منه وكشف باطنهُ وسمع كلامه رجع إلى المأمون فأخبره بصورة الحال فسرَّهُ ذلك، وزاد في إحسانِهِ إليه، وضاعف إنْعَامَهُ عليهِ»[1].

وفاء امرأة مسلمة لزوجها بعد مماته:

□ قال رجل من بني أَسَدٍ: «أَضللْتُ إبلًا لي، فخرجتُ في طلبهنّ، فهبَطْتُ واديًا، إذا أنا بفتاةٍ أعشى نورُ وجهها نورَ بصري؛ فقالتْ لي: يا فتى، ما لي أراك مُدَلّهًا – ساهي القلب ذاهل العقل – ؟فقلت: أضللَتُ إبِلًا لي فأنا في طلبها؛ قالت: أفأَدُلُّكَ على من هي عنده، وإن شاء أعطاكها؟ قلتُ: نعم ولك أفضلُهنَّ. قالت: الذي أعطاكهن أخذهن وإن شاء رَدهُنَّ. فَسله مِن طريق اليقين لا من طريق الاختبار؛ فأعجبني ما رأيتُ من جمالها وحسن كلامها، فقلت: ألك بعل – زوج-؟ قالت: قد كان، وَدُعيَ فأجابَ، فأُعيدَ إلى ما خُلقَ منه. قلت: فما قولك في بعلٍ تُؤْمنُ بوائقُه – شروره وغوائله- ولا تُذَمُّ خلائقُه؟ فرفعت رأسها وتنفَّسَتْ

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٨٨).

وقالت:

كنَّا كغُصنين في أصلٍ غذاؤُهما ... ماءُ الجداول في رَوْضَاتِ جنَّاتِ

فاجتثَّ خيرَهما من جنب صاحبه ... دَهْرٌ يَكُرُّ بترحاتٍ وفرحَاتِ

وكان عاهدني إن خانني زَمَنٌ ... ألا يضاجعَ أنثى بعد مَثْواتي

وكنت عاهدته إن خانه زَمَنٌ ... ألا أبوءَ ببعلٍ طولَ محياتي

فلم نزل هكذا والوصلُ شيمتُنَا ... حتى تُوُفِّي قريبًا مُذْ سُنَيَّاتِ

فاقبِضْ عِنانَكَ عمَّن ليس يردَعُه ... عن الوفاء خلافٌ بالتحيَّات»[(١)]

وفاء المرأة لزوجها جالبٌ للسعادة في بيتها، وهي بذلك خير النساء:

• قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتُعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالِكَ، والدابّة تكون وطيئة[(٢)]، فتُلحِقُكَ بأصحابك، والدار تكون واسعةً كثيرة المرافِق، ومِن الشقاء: المرأة تره‍ا فتسوؤك، وتحمِلُ لسانها عليك[(٣)]، وإنْ غِبْتَ عنها لم تأمنها على نفسها ومالِكَ، والدابة تكونُ قطوفًا[(٤)]، فإن ضربْتَها أتعبتك، وإنْ تركتها لم تُلْحِقُكَ بأصحابِك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»[(٥)].

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

(٢) أي: مُذَلَّلَةً سريعة.

(٣) أي: بالقبيح من القول.

(٤) أي: متقاربة الخطا، بطيئة السير.

(٥) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» عن سعد، وحَسَّنه الألباني في «الصحيحة» =

• وقال رسول الله ﷺ: «خيرُ النساء مَنْ تسرُّك إذا أَبْصرتَ، وتُطيعُك إذا أَمَرْتَ، وتحفظ غَيبَتَك في نفسِها ومَالِكَ»[(١)].

وفاء عَوْف بن مُحَلم:

كان من وفائه أن مَرْوان القَرَظِ بن زنباع غزا بكر ابن وائل، فَقَصُّوا أثَرَ جيشِه، فأسره رجلٌ منهم وهو لا يعرفه، فأتى به أمه، فلمَّا دخل عليها قالت له أمه: إنك لَتَخْتالُ بأسيرك كأنك جئت بمَرْوَان القرظ فقال لها مروان: وما تَرْتَجيْنَ من مروان؟ قالت: عظم فدائه، قال: وكم ترتجين من فِدائِه؟ قالت: مئة بعير، قال مروان: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعَةَ بنت عَوْف بن مُحلم.

وكان السبب في ذلك أن لَيْثَ بن مالك المسمى بالمنزوف ضَرِطًا لمَا مات أخذت بنو عَبْس فرسَه وسَلَبه، ثم مالوا إلى خِبائه فأخذوا أهلَه، وسلَبوا امرأته خُماعَةَ بنت عَوْف ابن مُحَلم، وكان الذي أصابها عَمْرو بن قاربٍ وذُؤَاب ابن أسماء، فسألها مروان القرظ: مَنْ أنتِ؟ فقالت: أنا خُماعة بنت عَوْف بن مُحَلم، فانتزعها من عمرو وذُؤَاب لأنه كان رئيسَ القوم، وقال لها: غَطِّي وجْهَك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردّك إلى أبيك، ووقع بينه وبين بني عبس شرّ بسببها.

ويقال: إن مروان قال لعمرو وذؤاب: حَكِّماني في خُماعة، قالا: قد حكَّمناك يا أبا صهبان! قال: فإني اشتريتها منكما بمئة من الإبل، وضَمَّها

(١٨٠٣)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٦).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨)، و«صحيح الجامع» (٣٢٩٩).

إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كِسْوَتها، وأخْدَمها، وأكرمَها، وَحَملها إلى عُكاظ، فلمَّا انتهى بها إلى منازل بني شيبان قال لها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي، وهذه قُبَّةُ أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك، فانطلقت فخبّرت بصنيع مروان، فقال مروان فيمَا كان بينه وبين قومه في أمر خُماعة، ورَدّها إلى أبيها:

رددْتُ عَلَى عَوْفٍ خُماعَـةَ بَعْـدَ مَـا ... خَلَاهَا ذُؤَابٌ غَيرَ خَلْـوَةِ خَاطِـبِ

ولَـوْ غَيْرُهَـا كَانَـتْ سَـبِيَّةَ رمحِْـهِ ... لجَـاءَ بِهَـا مَقْرُونَـةً بالـذّوائب

وَلكنَّـهُ ألقَـى عَلَيْهَـا حِجابَـهُ ... رَجاءَ الثَّوَابِ أوْ حِـذَارَ العَوَاقِـبِ

فَـدَافَعْتُ عَنْهَـا نَاشِـبًا وَقَبِيلَـهُ ... وَفَارِسَ يَعْبُوبٍ وَعَمْرَو بْنَ قَـارِبِ

فَفَادَيْتُهَـا لَمَّـا تعـيَّنَ نـصفها ... بكومِ المَتَـالِيَ وَالعِشَارِ الـضَّوَارِبِ

صُـهَابِيَّةٍ حُمْـرِ العَثَـانِينَ وَالـذُّرَى ... مَهَارِيسَ أمْثَالِ الصُّخُورِ مَصَاعِبِ

في أبيات مع هذه؛ فكانت هذه يدًا لمروان عند خُماعة، فلهذا قال: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعة بنت عوف ابن ملحم فقالت المرأة: ومَنْ لي بمئة من الإبل؟ فأخذ عُودًا من الأرض فقال: هذا لك بها، فمضَتْ به إلى عَوْف ابن مَحلم، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيهُ به، وكان عمرو وجد على مروان في أمر، فآلَى ألا يعفوَ عنه حتى يضع يدَه في يده، فقال عَوْف حين جاءه الرسول: قد أجارَتْهُ ابنتي، وليس إليه سبيل، فقال عمرو بن هند: قد آليت ألا أعفو عنه أو يَضَعَ يده في يدي، قال عوف: يَضَعُ يدَه في يدك على أن تكون يدي بينهمَا، فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوَضَعَ يده في يده ووضع يده

بين أيديهمَا، فعفا عنه، وقال عمرو: لا حُرَّ بوادي عوف، فأرسلها مثلًا، أي لا سيد به يناويه، وإنمَا سمي مروان القرَظِ لأنه كان يغزو اليمنَ، وهي: منابت القَرَظِ[1] .

وفاء الحارث بن ظالم:

وكان من وفائه أنَّ عياض بن دَيْهث مَرَّ برعاء الحارث وهم يسقون، فسقى فقَصُر رِشَاؤُه، فاستعار من أرْشِيَةِ الحارث فوَصَل رشاءه، فأروَى إبله، فأغار عليه بعضُ حَشَمِ النعمَان فاطردوا إبله، فصاح عياض: يا جاراه، يا جاراه! فقال له الحارث: متى كنتُ جارَك؟ فقال: وصَلتُ رشائي برشائك، فسقيتُ إبلي، فأُغيرَ عليها، وذلك المَاء في بطونها، قال: جِوَارٌ ورَبِّ الكعبة، فأتى النعمَانَ، فقال: أبيتَ اللعن! أَغار حَشَمُك على جاري عياضِ ابنِ ديهث فأخذوا أبله وماله، فاردُد عليه، فقال له النعمَان: أفلا تشد ممَا وَهَى من أديمك، يريدُ أنَّ الحارث قتل خالد ابن جعفر بن كلاب في جوار الأسود بن المنذر، فقال الحارث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي؟ ويروى: هل تعدّون الحلبة من الأعداء؟ يعني تركضون، ويروى «تعدون» من التعدي، أي: تتعدون، أي: تتجاوزون – فأرسلها مثلًا – أي: أنك لا تُهلك إلَّا نفسي إن قتلتها، فتدبّر النعمَان كلمته، فردّ عليه عياض أهله وماله.

□ قال الفرزدق يضربُ المثل لسليمَان بن عبد الملك حين وفي ليزيد بن المهلَّب:

لَعَمْري لقد أَوفى وَزَادَ وَفَاؤُهُ ... عَلى كُلِّ جَارٍ جارُ آلِ المُهَلَّبِ

(١) «الوفاء» (ص٩٢- ٩٥).

كَمَا كَانَ أَوْفَى إذ يُنَادِي ابنُ دَيْهثٍ ... وَصِرمَتُهُ كَالمغْنَمِ المُتنهَّبِ

فَقَامَ أبو لَيلَى إِلَيْهِ ابْنُ ظالم ... وَكَانَ مَتَى مَا يَسْلُلِ السيفَ يَضْربِ [1]

جابر عثرات الكرام وعُلُوّ همته في الوفاء:

□ تنزل الشدة بالمرء فيتلفت إلى إخوانه الذين تربطهم به روابط المودة عسى أن يواسوا كربته، ويخففوا ما نزل به فمنهم الكريم الذي يبادر بالمواساة، ومنهم اللئيم الذي يتنكر لصديقه، فإن لقيه أعرض عنه كأنه لا يعرفه، وفي مثل هذا يقول الأول:

كم من أخ لك لست تنكره ... ما دمت في دنياك في يسر

فإذا عدا - والدهر ذو غِيَرٍ - ... دهرٌ عليك عدا مع الدهر

فارفض بإجمالٍ مودة من ... يقلي المقل ويعشق المثري

وعليك من حالاه واحدة ... في العسر ما كنت واليسر

وفي القصة الآتية ترى كيف يكون الوفاء؟ وكيف يواسي الأخ أخاه إذا ألمت به ملمة وتنزلت به فاقة؟.

كان خزيمة بن بشير الأسدي مقيمًا بالجزيرة وكان معروفًا بالمروءة والكرم ومشهورًا بمواساة من تحل به نكبة، كانت نعمته وافرة، وعيشه رغيدًا، فلم يزل على تلك الحال حتى قلب الدهر له ظهر المِجَنّ، فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينًا ثم ملوه، فلمّا لاح له تغيرهم أتى امرأته، وكانت بنت عمه. فقال لها: يا بنت العم! قد رأيت من إخواني جفاء، وشاهدت منهم تغيرًا وإعراضًا، وقد عزمت

---

(١) «الوفاء» (ص٩٥- ٩٦).

على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأوى إلى منزله يتقوت بمَا عنده حتى نفد.. وكان عكرمة الفياض واليًا على الجزيرة من قبل سليمَان بن عبد الملك، فجاء ذكر خزيمة في مجلس عكرمة وأخبره خبره، وشرح حالته فقال: أما وجد خزيمة مواسيًا ولا مكافئًا. ثم لمَا جن الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار وركب دابته ومعه غلام يحمل المال حتى وصل إلى خزيمة فدفعها إليه فقال خزيمة: من أنت! فقال عكرمة: ما جئت في هذا الظلام وأريد أن أُعرَفَ! قال خزيمة: حلفت ألا أقبلها أو أعرف من أنت؟ فقال عكرمة: أنا جابر عثرات الكرام. قال خزيمة: زدني إيضاحًا؟ قال: لا، ثم مضى عكرمة فلمَّا رجع إلى منزله وجد امرأته في قلق وقد ارتابت في خروجه ليلًا، فعرّفها الخبر، وطلب منها الكتمَان ليكون عمله لله خالصًا.

أما خزيمة فإنه أصلح من المَال شأنه، ودفع ديونه، وتجهز إلى سليمَان بن عبد الملك، فلمَّا دخل سلّم بالخلافة فقال سليمَان: ما أبطأك عنا؟ قال: ضيق الحال يا أمير المؤمنين إلى أن قيض الله لي جابر عثرات الكرام. فقال سليمَان: لو عرفنا جابر عثرات الكرام لأعنّاه على مروءته؛ ثم عقد سليمَان لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى أعمَال عكرمة، فلمَّا وصل خزيمة إلى الجزيرة نزل في دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة فيحاسب، فظهر قبل عكرمة أربعة آلاف دينار، فطالبه خزيمة بها، فقال: مالي إلى ردّها من سبيل، فأمر خزيمة بوضعه في السجن مقيدًا بالأغلال، فأقام عكرمة في السجن حتى أضناه القيد، فلمَّا علمت زوجته بذلك أرسلت جارية لخزيمة: أهكذا يكون جزاء جابر عثرات الكرام؟! فلمَّا سمع خزيمة ذلك قال: واسوأتاه، جابر عثرات الكرام غريمي، ثم ذهب تَوًّا إلى السجن ففك أغلال عكرمة وقبّل رأسه واعتذر إليه، ثم سارا معًا إلى سليمَان ليعرف من جابر عثرات الكرام، فلمَّا عرف القصة قال

لعكرمة: لقد كان برك وبالًا عليك، ثم عقد سليمَان لعكرمة الولاية على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمرُ خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته فقال: بل أبقيه. فمكثا عاملين لسليمَان مدة خلافته، وهكذا يكرم الله أهل المروءات ويضاعف لهم الجزاء، ويجنبهم المذلة والهوان، ويخلد ذكرهم التاريخ على مر الزمان..

وما ضاعَ مالٌ ورَّثَ الحمدَ أهلَه ولكنَّ أموالَ البخيلِ تضيْعُ[١]

الوفاء للأخ في الله والصاحب بعد مماته:

□ مَرَّ بك قول الحسن: «إن كان الرَّجُل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة».

□ قال هُريم بن سفيان: «كان عمرو بن قيس المُلائي يمرُّ بنا في كل جمعة، ومعه هديّة قد حملها، يأتي بها منزل منصور المعتمر قال: وذلك بعد موت منصور بمَا شاء الله، فلم يزل على ذلك حتى مات. قال: فبلغني أن أهله تعاهدهم بنحو من ذلك بعد ما مات عمرو».

□ وعن بسطام التيمي قال: «رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زُقاق ضيِّق في التيم، فقلت: من أين يجيء طلحة؟ قالوا: يأتي أمَّ عمَّارة ابن عمير يبرّها بالنفقة والكسوة والصِّلة. قال: وذاك بعد موت عمَّارة ببضع عشرة سنة. قال: وكانت أم عمَّارة أعجمية»[٢].

الوفاء في رياض الشِّعْرِ ودوحته:

في رحاب الشعر = بعد القرآن والسُّنَّة يتذوّق القارئ شيمة الوفاء،

---

(١) «الوفاء» (ص٩٦ = ٩٩).

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٧١ = ٨٨).

ويلتمسها في جنبات كل بيْتٍ، ووراء كلِّ مَقْطَعٍ بإحساسها الصادق النقي..

□ فلله در القائل وهو عبد الحميد الكاتب:

أُسِرّ وفــاءً ثــم أظهِــرُ غــيره ... فمن لي بعذرٍ يُوسِعِ الناسَ ظاهُرهُ[١]

وفاء عبد الحميد الكاتب لمروان بن محمد:

□ قائل البيت السابق هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري الكاتب المشهور، وكان قد اختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فلم يزل معه إلى أن شعر بقرب زوال ملكه فقال له: قد احتجتُ إلى أن تصير إلى عدوّي وتظهر الغدر بي. وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد إلَّا البقاء معه حتى قتلا معًا في بوصير بمصر سنة ١٣٢[٢].

الوفاء الدائم:

النَّاسُ بالناس مـا دامَ الوفـاءُ بهـمْ ... والعُسْرُ واليُسْرُ سَاعاتٌ وأوقـاتُ

وأكرمُ الناس ما بين الورى رَجُـلٌ ... تُقضَى عـلى يـدِهِ للنَّـاس حاجَـاتُ

لا تقطعَنَّ يَدَ المعْـروفِ عـنْ أَحَـدٍ ... إنْ كنْـتَ تَقْـدِرُ فالأيـامُ تَـاراتُ

واشكرْ صَنيعَةَ فَضْلِ الله إذْ جعلـتْ ... إليْكَ، لا لَـكَ للإنـسان حاجـاتُ

قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ فَـضائِلُهمْ ... وَعَاش قومٌ وهمْ في الناسِ أمواتُ

---

(١) «مجموعة المعاني» لعبد السلام هارون (١/ ٢٤٩)- طبع دار الجيل.

(٢) «وفيّات الأعيان» لابن خلّكان (١/ ٣٠٧).

دوام الوفاء بالعفو والغفران:

□ قال المغيرة بن حَبْناء:

خُذْ من أخيك العفو واغفِرْ ذنوبَه ... ولا تكُ في كلِّ الأمور تُعَاتِبُه

فإنكَ لن تلقى أخاك مُهذَّبًا ... وأيّ امريءٍ ينجُو منَ العيبِ صاحبُه

أَخُوكَ الذي لا ينقُضُ النأيُ عهدَهُ ... ولا عندَ صرفِ الدّهرِ يَزْوَرُّ جَانبُه

وليسَ الذي يَلقَاكَ في البِشْرِ والرِّضَا ... وإنْ غَبْتَ عنه لَسَّعَتْكَ عَقارِبُه

□ وذكر جَبَّار بنُ سَلَمى عامرَ بنَ الطُّفَيل، فقال: كانَ واللهِ إذا وَعَد الخيرَ وفَّى، وإذا أوعد بالشرّ أخلف، وهو القائل:

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ ما عِشْتُ صَوْلَتي ... ويأمَنُ منّي صَوْلَةَ المتهدّدِ

وإني وإنْ أوعدْتُه أو وَعَدْتُه ... ليكذِبُ إيعادِيْ ويصدقُ مَوْعِدي

□ وقال ابنُ أبي حازم:

إذا قلتَ في شيء: «نَعَم» فأتمّه ... فإنَّ «نعم» دَيْنٌ على الحرِّ واجِبُ

وإلَّا فقل: «لا» تسترِحْ وتُرِحْ بها ... لئلا يقولَ النَّاسُ: إنَّكَ كاذِبُ

□ وأحسن ما ورد في إنجاز الموعد قول عوفِ بن مُحلِّم:

ذكرْتُ مواعيدَ الأمير ابنِ طَاهِرِ ... ومثلُ العطايا في الأكفّ عداتُه

وزكّيتُ ما لم أحوِهِ من عطائه ... فكنْتُ كمن حلّت عليه زكاته

□ ومما ينسب إلى الإمام عليّ رضي الله عنه في الأصدقاء والوفاء:

تغيَّرت المودّةُ والإخاءُ ... وقلَّ الصّدقُ وانقطَع الرجَاءُ

وأسلَمني الزَّمانُ إلى صديقٍ ... كثيرِ الغدرِ ليس له رعَاءُ

ورُبَّ أخٍ وفيْتُ لـه بحقٍ ... ولكن لا يدومُ لـه وفاءُ

□ ويقول في النساء:

دعْ ذِكْرَهُنَّ فما لَهُنَّ وفاءُ ... رِيْحُ الصَّبا وعهودُهُنَّ سَواءُ

يكسِرْن قلبكَ ثم لا يجبرنَهُ ... وقلوبُهُنَّ من الوفاءِ خَلاءُ

□ وقال في الوفاء بين الناس:

ذَهَبَ الوفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ ... فالنَّاسُ بَيْنَ مُخَاتِلٍ ومُوارِبِ

يَفْشُونَ بينهُمُ المودَّة والصَّفا ... وقلوبُهُم محشوَّةٌ بعقارِبِ

□ ومثله:

ماتَ الوفاءُ فَلا رِفْدٌ ولا طَمعٌ ... في النّاس لم يبْقَ إلّا اليأسُ والجزَعُ

فاصْبرْ على ثِقَةٍ باللهِ وارضَ به ... فاللهُ أكرَمُ مَنْ يُرْجَى ويُتَّبَعُ

رباط الصحبة بالوفاء:

وكنْتُ إذا صَحِبْتُ رِجالَ قومٍ ... صَحِبْتُهمُ وشيمتيَ الوفاءُ

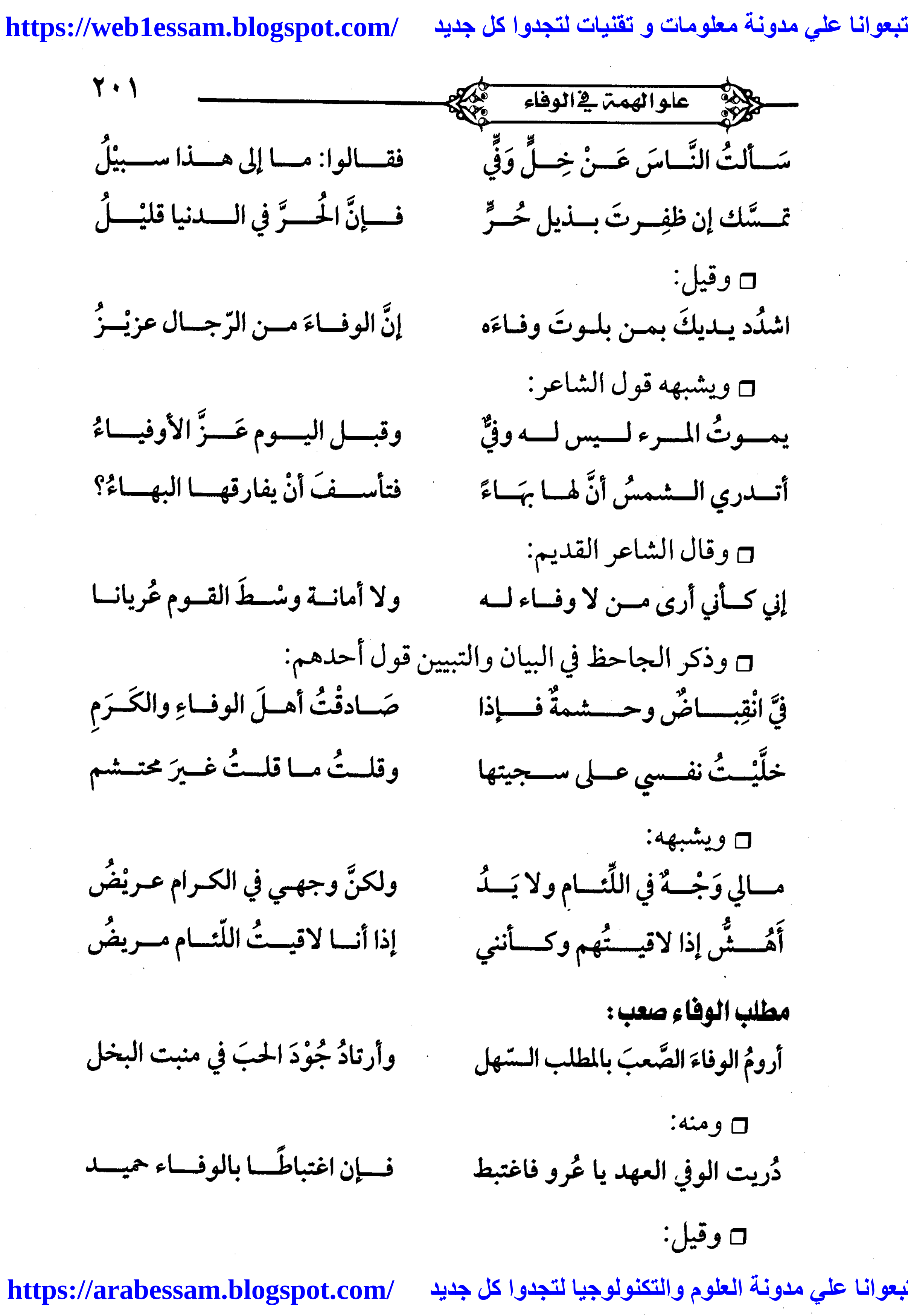
فأُحسنُ حينَ يُحسِنُ مُحسِنُوهُمْ ... وأجتنبُ الإساءةَ إن أساؤوا

وأُبصر ما بعيبهم بعينٍ ... عليها عنْ عيونِهمُ غطاءُ

□ وقال الشافعي في الربط بين السمَاحة والوفاء:

وكُنْ رَجُلًا على الأهوال جَلْدًا ... وشيمتُكَ السَّمَاحةُ والوفاءُ

□ وقال إبراهيم الشبراوي:



سَـألتُ النَّـاسَ عَـنْ خِـلٍّ وَفِيٍّ فقـالوا: مـا إلى هـذا سـبيْلُ
تمسَّك إن ظفِـرتَ بـذيل حُـرٍّ فـإنَّ الحُـرَّ في الـدنيا قليْـلُ

□ وقيل:

اشدُد يـديكَ بمـن بلـوتَ وفـاءَه إنَّ الوفـاءَ مـن الرّجـال عزيْـزُ

□ ويشبهه قول الشاعر:

يمـوتُ المـرء لـيس لـه وفيٌّ وقبـل اليـوم عَـزَّ الأوفيـاءُ
أتـدري الـشمسُ أنَّ لهـا بهَـاءً فتأسـفَ أنْ يفارقهـا البهـاءُ؟

□ وقال الشاعر القديم:

إني كـأني أرى مـن لا وفـاء لـه ولا أمانـة وسْـطَ القـوم عُريانـا

□ وذكر الجاحظ في البيان والتبيين قول أحدهم:

فيَّ انْقِبـاضٌ وحـشمةٌ فـإذا صَـادقْتُ أهـلَ الوفـاءِ والكَـرَمِ
خلَّيْـتُ نفـسي عـلى سـجيتها وقلـتُ مـا قلـتُ غـيرَ محتـشم

□ ويشبهه:

مـالي وَجْـهٌ في اللِّئـامِ ولا يَـدُ ولكنَّ وجهـي في الكـرام عـريْضُ
أَهُـشُّ إذا لاقيـتُهم وكـأنني إذا أنـا لاقيـتُ اللّئـام مـريضُ

مطلب الوفاء صعب:

أرومُ الوفاءَ الصَّعبَ بالمطلب السّهل وأرتادُ جُودَ الحبَ في منبت البخل

□ ومنه:

دُريت الوفي العهد يا عُرو فاغتبط فـإن اغتباطًـا بالوفـاء حميـد

□ وقيل:

أفدي خُطاك بنفسي وهي قاصرة عنها، ولكنها أوفى الذي أَجِدُ

الوفاء شرف للإنسان:

إنَّ الكرامَ إذا ما استُعطِفُوا عَطَفُوا والحرُّ يعفو لمن بالذنب يعترَفُ

والصّفْحُ عن مُذْنبٍ قد تاب مكرمةٌ وفي الوفاء لأخلاق الفتي شَرَفُ

الحبُّ طاعة ووفاء:

□ يقول الشاعر في وصف المحبّ لرسول الله ﷺ:

مَنْ يدَّعي حبَّ الرسُولِ ولم يُفِدْ من هديه فَسَفَاهَةٌ وهُرَاءُ

الحبُّ أولُ شرطِهِ وفروضِهِ إنْ كان صِدقًا طاعَةٌ ووفاء

وفي وفاء الرسول ﷺ:

يا صفوة الرّسُلِ الكرام ومَنْ به هدى الأنام محجَّةً بيضاءَ

صلَّى عليك الله ما خفق الحشا حبًّا، وأخلصت النفوسُ وفاءَ

وفي محبة العرب والوفاء لهم يقول الشاعر:

ناشَدْتُكِ اللهَ يا روحي اذهبي كَلَفًا بحبِّ قومٍ عن الجرعاء قد ذهبوا

لا تسأليهم ذمامًا في محبتهم فطالَما قد وفى بالذمة العربُ

الوفاء للوطن:

□ قال ابن الرومي:

ولي وَطَنٌ آليتُ ألا أبيعَهُ وألا أرى غيري له الدَّهرَ مالكا

وَحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ مَآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ عهودَ الصّبا فيها فحنوا لذلكا

فَقَـدَ ألفتُـهُ الـنفس حتـى كأنـه ... لهـا جَـسَدٌ إن بـان غُـودِرَ هالكـا

الوفاء في اليسر والعسر:

□ أنشد الإمام محمد الخضر حسين تحت هذا العنوان:

مَـسَّتِ العـيشَ عـسْرَةٌ فـدعيْهَا ... تبـتلي الـصَّبرَ سَـاعةً وَيَمُـرُّ

جَـارَتي هكـذا الزَّمـانُ يوافينـا ... بيـومٍ يجفـو ويـوم يَـسرُّ

مـا افتقـدنا في الحـالتين وفـاءً ... واحتفـاءً بـه العيـون تَقَـرُّ

الوفاء بعهد الصداقة:

□ وأنشد الإمامُ أيضًا عن أحد أصدقائِه وصلته به:

أحبَبْتُـهُ مِـلءَ الفُـؤَادِ وإنمَـا ... أحببـتُ مَـنْ مـلأ الـودادُ فـؤادَه

فظَفِرْتُ منه بصاحبٍ إنْ يـدرِ ما ... أشكُوه جـافى مـا شـكوتُ رقـادَه

ودريت منه كمَـا درى مني فتًـى ... عـرفَ الوفـاءُ نجـادَه ووهـادَه

الوفاء في تحقيق التراث:

□ مدح أحد الشعراء عالمًا مهتمًا بتحقيق التراث فقال:

وفيْـتَ لآبـاءٍ طَـواهُمْ زَمـانُهم ... وكنْتَ لهم مِنْ ذلـك الطّي تنشرُ

تراثًـا وأخلاقًـا وعِلْمًـا ومنهَجًـا ... إلى أن طويـتَ العمـر زرْعًـا يُثْمِـر

وخلفـتَ لي عَهْـدًا ودَرْبًـا وعـدَّةً ... يحقُّهـمُ منـك الرضـا ويُنـوَّرُ

فصارَ جميـعُ الإرث عنـدي أمانـةً ... ووالله لا يخـزيْ القـديمَ المـؤخّرُ

□ وقال ابن زيدون في قصيدته المشهورة يطلب الوفاء:

أضحى التنائي بديلًا عن تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
لم نعتقد بعدكم إلَّا الوفاءَ لكم ... رأيًا، ولم نتقلدْ غيره دينا
دُومي على العَهْدِ ما دُمنا مُحافِظةً ... فالحرُّ مَنْ دانَ إنصافًا كما دينا
أوْلي وفاءً وإن لم تبذلي صلَةً ... فالذكر يُقنعنا والطيف يكفينا

□ وقال المتنبي في مدحه يربط القدرة والوفاء:

إنَّ في ثَوْبِكَ الذي المجدُ فيه ... لضياءً يُزري بكل ضِيَاءِ
كرمٌ في شجاعةٍ،وذكاء ... في بهاءٍ، وقدرةٌ في وفاءِ

□ ومن غرر أحاسن أبي فراس الحمداني:

لم أؤاخذْكَ بالجفاء لأني ... واثقٌ منك بالوفاءِ الصحيح
فجميلُ العَدُوِّ غيرُ جميلٍ ... وقبيحُ الصديق غيرُ قبيح

□ وقال ابن العميد:

أين لي مَنْ يفي بشكر الليالي ... حين ضاقت حبالها حيالي؟

□ وأنشد الحسن بن عبد الوهاب لرجلٍ يذمّ صديقًا له، ويمدح كلبًا بوفائه:

تخيَّرت من الأخلاق ... ما يُنفى عن الكَلْبِ
فإنَّ الكلبَ مجبولٌ ... على النُّصرةِ والذَّبِ
وفيٌّ يحفظُ العَهْدَ ... ويحمي عَرْصَةَ الدَّرْبِ
ويعطيك على اللّين ... ولا يعطي على الضرب
ويشفيك من الغيْظِ ... ويُنجيك من الكربِ

□ وقال آخر:

تقولُ العِدى لا باركَ اللهُ في العِدى ... قَدَ اقصَرَ عن ليلى ورثَّت وسائلُه

ولو أصبحتْ ليلى تدِبُّ على العصا ... لكان هَوَى ليلى جديدًا أوائله

□ وقال إبراهيم بن العباس:

ولكنّ الجواد أبا هشام ... وفيُّ العهد مأمونُ المَغيبِ

بطيءٌ عنك ما استغنيت عنه ... وطلَّاعٌ إليك مع الخُطوبِ

□ وقال آخر:

ومن عجبٍ أن بتَّ مستشعرَ الثرى[1] ... وبتُّ بما زوَّدتني متمتِّعا

ولو أنني أنصفتك الود لم أبِتْ ... خلافك حتَّى ننطوِي في الثَّرى معًا

□ وقال البحتري:

فوَا أسفا أن لا أكونَ شهدتُه ... فخاست[2] شِمالي عنده ويَميني

وألا لقيت الموت أحمر[3] دونه ... كما كان يلقى الدَّهرَ أغبرَ دوني

وإنَّ بقائي بعده لخيانةٌ ... وما كنت يومًا قبلَه بخؤون

□ وقال المتنبي:

غاضَ[4] الوفاء فما تلقاه في أحدٍ ... وأعوزَ[5] الصدقُ في الأخبار والقَسَمِ

□ وقالوا: «إذا أَرَدْتَ أن تعرفَ وفاءَ الرَّجُلِ ودوام عَهْدِه فانظر إلى

---

(١) مستشعر الثرى، كأنه جعله شعارًا له في قبره.

(٢) خاست: لزمت موضعها واحتسبت، أو غدرت.

(٣) أحمر: أي في أوج شدته.

(٤) غاض: نقص.

(٥) أعوَز: قلّ فما يُوجد.

حنينه إلى أوطانه، وتشوُّقِهِ إلى إخْوانه، وكَثْرَةِ بُكائه على ما مضى من زمانِهِ.

□ قال الشاعر:

تَعْجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أُكْرُومَةٌ ... تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ الذِّكْرِ

وَالْحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ ... وَلَا يَلِيقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

□ وقال آخرُ:

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ ... لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ

أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا ... فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الإِنْعَامِ

□ وقال آخرُ:

وَمِيعَادُ الكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ ... فَلَا تَزِدِ الكَرِيمَ عَلَى السَّلَامِ

يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ ... ويُغْنِيكَ السَّلَامُ عَنِ الكَلَامِ

□ وأنشدُوا:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ» فَأَتِمَّهُ ... فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ

وَإِلَّا فَقُلْ «لَا» تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

□ وقال آخرُ:

لَا كَلَّفَ اللهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ... وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

فَلَا تَعِدْ عِدَةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا ... وَاحْذَرْ خِلَافَ مَقَالٍ لِلَّذِي تَعِدُ

□ وقالَ آخَرُ:

اشْـدُدْ يَـدَيْكَ بِمَـنْ بَلَـوْتَ وَفَـاءً ... إِنَّ الوَفَـاءَ مِـنَ الرِّجَـالِ عَزِيـزُ

وقالوا في الغدر والخيانة:

□ قال حرب بن جابر الحنفي:

رأيـت أبـا القيَّـار للغـدرِ آلفـا ... وللجـار وابـن العـم جَمًّـا غوائلُـهْ

وإنّ أبـا القيَّـار كالـذئب، إن رأى ... بصاحبه يومًـا دمًـا فهـو آكلـهْ[1]

□ وقال آخر:

إذا عهـدوا فلـيس لهـم وفـاءُ ... وإنْ وعـدوا فموعـدهم هَبَـاءُ

□ وقال عارق الطائي:

غدرت بـأمرٍ كنـتَ أنـتَ دعوتَنـا ... إليه، وبِئْسَ الشّيمة الغـدر بالعهـد

وقد يـتركُ الغـدرَ الفتـى وطعامـه ... إذا هو أمسى حلبة مـن دم الفَـصْدِ

□ وقال آخر:

ولا خـير في وعـدٍ إذا كـانَ كاذبًـا ... ولا خيرَ في قـولٍ إذا لم يكـن فِعـلُ

□ وقال آخر:

جرّبت دهري وأهليه فـما تركـت ... لِيَ التجاربُ في ودِّ امـريءٍ غَرَضـا

□ وقال آخر:

إنَّ خُلْـفَ الوعيـد لـيس بعـارٍ ... إنَّمـا العَـارُ كُلُّـه خُلـفُ وَعْـدِك

□ وقال مزاحم بن الحارث العقيلي:

---

(١) إشارة إلى ما هو متداولٌ من أكْلِ الذئب لصاحبه الذئب إذا رأىٰ عليه دمًا. والبيتان في حماسة البحتري (ص٢١٠).

فيومًا تراها بالعهود وفيّةً ... ويومًا على دين ابن خاقانَ دينُها [(١)]

يدًا بيد مَنْ جاء بالعين منهم ... ومن لم يجيء بالعينِ حِيزتْ رهونها[(٢)]

□ وقال أبو فراس:

نَعَمْ دعتِ الدُّنيا إلى الغدرِ دعوةً ... أجاب إليها عالمٌ وجهولُ

□ وقال آخر:

كل الذنوب خفيفةٌ محمولَةٌ ... إلّا ذنوبَ إذاعةِ الأسرارِ

□ وقال آخر:

أَبْغِي الوفاءَ بزَمَنٍ [(٣)] لا وفاءَ به ... كأنني جاهل بالزمن [(٤)] والناس

نكرانُ المحاسن:

□ قال الشاعِرُ:

وما كلُّ من تهواه يهواكَ قلبُه ... ولا كل من أنصفته لك منصف

□ وقال آخر:

---

(١) خاقان: ملك الترك وعني به كسرىٰ قباذ بن فيروز. ملك الفرس. وكان قد قام مزدك في زمانه فدان بدينه من اشتراك القوم في النساء والأموال كما اشتركوا في الماء والنار والكلأ. يريد أن نفسها تطاوعها علىٰ مواصلة كل من تعرض لها ولا تعاف أحدًا.

(٢) هذا تمثيل، أي من جاء منهم بالنقد جازته بمثله نقدا، وهو ما سمّاه بالعين، أي من حضر منحته الحاضر من ودها.
وأما من غاب عنها فكأن رهنه قد ضاع وغلق، أي كأنه أودع قلبه رهينةً لا ردّ لها.

(٣) في الأصل بدهر وهي لأبي فراس، وقد غيَّرتها إلى «زمن» حتى لا يُعاب الدَّهْرُ ويُسَبُّ.

(٤) انظر الهامش السابق.

وعدْتَ وكان الخلفُ منك سجيَّةً   مواعيدَ عُرقُوبٍ أخاه بيثرب

□ وقال آخر [١]:

ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه   يلاقِ كما لاقى مُجير أمّ عامر [٢]

أعدَ لها لما استجارت بداره [٣]   أحاليب [٤] ألبان اللّقاح الدّوائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكّنت [٥]   فرته [٦] بأنيابٍ لها وأظافر

فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من   يجود بمعروفٍ على غير شاكر [٧]

□ وقال آخر:

إذا ما جعلت السرَّ عند مضيّع   فإنك ممَّن ضيع السرّ أذنب

□ وقال آخر:

إن يسمعوا سُبَّةً طاروا بها فَرَحًا   مني،وما سَمِعُوا من صالح دفنوا

□ وقال المتنبِّي:

أَقِلَّ اشتياقًا أيُّها القلبُ إنني   رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خُلِقت ألوفًا لو رَجعتُ إلى الصِّبَا   لفارقتُ شيبي مُوجَع القلبِ باكيا

---

(١) هي لأعرابي، والأبيات مع قصتها في حياة الحيوان للدميري (٢/ ١١٧).

(٢) أم عامر: كنية الضَّبع.

(٣) عند الدميري:

أدام لها حين استجارت بقربه   قواها من ألبان اللقاح الغرائز.

(٤) الأحاليب: جمع إحلابة، وهو أن يحلب لأهله وهو في المرعىٰ لبنا ثم يبعث به إليهم ما زاد منه علىٰ السِّقاء. واللقاح: جمع لقوح وهي الإبل بأعيانها.

(٥) عند الدميري: «وأشبعها حتىٰ إذا ما تملأت».

(٦) فرتْه تفريه: قطعته وشقصته.

(٧) عند الدميري: «غدا يصنع المعروف مع غير شاكر».

ما أقل الوفاء وأندره:

وَدَدْتُك لَمَّا كان حُبُّك خَالِصًا ... وأعرضتُ لَمَّا صار نهبًا مُقَسَّما

ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه ... على كثرة الوُرَّادِ أنْ يتهدَّما

نسيان الأحباب بعد موتهم وهذا من قلّة الوفاء:

□ وقال أرطأة بن سُهيَّة[(١)]:

وكائن تَرى من ذات شجو وعَولةٍ ... بكَتْ شجوَها بعد الحنين المرجَّع[(٢)]

فكانت كذات البَوَ لَمَّا تعطَّفتْ ... على قِطعٍ من شِلوهِ المتمزَّعِ[(٣)]

مَتَى لا تجِدْه تنصرفْ لطِيَاتها ... من الأرض أو تعمِدْ لإلفٍ فتَربَعَ[(٤)]

---

(١) هو أرطاة بن زفر بن عبد الله، وسُهَيَّة أمه. وهو من شعراء الدولة الأموية. وكان امرأ صِدق شريفًا في قومه.

(٢) الأبيات في «الأغاني» (١١/ ١٣٨)، يرثى بها ابنه عَمْرًا والشجو: الحزن والهم. والعولة: رفع الصوت بالبكاء، وحرارة وجد الحزين والمحب من غير نداء ولا بكاء. وكذلك العويل: وفي الأغاني: «ذات بث». والبث: الحزن.

(٣) البَوَ: الحُوار، وولد الناقة. وقيل: جلده يحشىٰ تبنا أو ثُماما أو حشيشًا لتعطف عليها الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أمه لتر أمه فتدر عليه. وفي الأصل: «كذات البر»، صوابه في الأغاني. والشلو: واحد الأشلاء. وهي الأعضاء والجلد والجسد.

(٤) والطيَّات: جمع طِيَّة، وهي المنية، والوطن، والمنزل. وفي «اللسان» «وقد يخفف في الشعر». والبيت هنا شاهد لتخفيف الياء. تربع. من قولهم: ربع بالمكان يربَع. اطمأنّ. وبعد هذا البيت في «الأغاني»:

عن الدهر فاصفح إنه غير معتب ... وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

وبَدَلاً منه يقال: عن الزمن فاصفح إنه غير معتب.

عَوْدٌ على بدء:

وفاء الصحابي الجليل أبي العاص بن الربيع بن عبد العزَّى القرشي العبشيميّ رضي الله عنه:

صهر رسول الله ﷺ، وزوج بنته زينب، وهو والد أمامة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلاته.

• أُسِرَ في غزوة «بدر» فبعثت زينب قِلادتها لِتَفُكَّهُ وكانت هذه القلادة لأم المؤمنين خديجة أعطتها لزينب رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «**إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لهذه أسيرها**»، فبادر الصحابة إلى ذلك.

□ قال المسور بن مخرمة: «أثنى النبي ﷺ عَلَى أبي العاص في مصاهرته خيرًا وقال: «**حدَّثني فصدَقني، وَوَعَدَني، فوفَى لي**»، وكان قد وعد النبيَّ ﷺ، أن يرجع إلى مكة بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدّة حبه لها، وكان من تُجار قريش وأمنائهم.

ثم أسلم قبل الحُديبية بخمسة أشهر، ولمَّا هاجر، ردَّ عليه النبي ﷺ زوجته زينب بعد ستة أعوامٍ على النكاح الأول [(١)].

وفاء ابن عباس رضي الله عنهما لحبيبه ﷺ، ولأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

□ عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب قَدِم على ابن عباس البصرة، ففرَّغ له بيته، وقال: لأصنعنَّ بك كمَا صنعتَ برسول الله ﷺ، كم عليك؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، ومتاعُ البيت» [(٢)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٠- ٣٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» ترجمة أبي أيوب الأنصاري (٢/ ٤٠٢- ٤١٣)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ١٧١).

الإمام المحدِّث الزاهد عطاء بن أبي سعد الهَرَوي الفُقَّاعيّ تلميذ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري:

□ قال السَّمعاني: «كان ممن يُضرَب به المَثَل في إرادة شيخ الإسلام والجدِّ في خدمته، وله حكايات ومقامات في خروج شيخه إلى بَلْخ في المحنة، وجرى بينه وبين الوزير نظام الملك محاورة ومُرادّدة واحتمل له النِّظام.

قال: وسمعتُ أن عطاءً قُدِّم للخشبة ليُصْلَبَ، فنجَّاه الله لحسن نيَّته، فلمَّا أُطلِق، عاد إلى التظلُّم، وما فتر، وخرج مع النِّظام ماشيًا إلى الروم، فمَا ركب، وكان يخوض الأنهار مع الخيل ويقول: شيخي في المحنة، فلا أستريح»[١].

✍ أين هذا من أبناء زمانا.

إذا قيلَ: في الدنيا خليلٌ؟ فقلْ: نعـمْ　　　خليل اسمُ شخصٍ لا خليل وفاءِ

اللهم اجعلني عند حسن ظن شيخي المقدم بي وأجب دعاءه لي:

✍ أرسل لي شيخي الدكتور محمد إسمَاعيل المقدِّم رسالة على الهاتف المحمول بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٦م كتب فيها: «أكرمك الله يا أوْفى الأوفياء، ونصرَ بك السُّنَّة».

وأنا أقولها لوجه الله خالصة لشيخي المقدم:

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا　　　سريـرة حـب يـوم تبـدو الـسرائر

بضاعتي طيلة عمري مزجاة إلَّا أن عملي الوحيد الذي أعلم صدقي

---

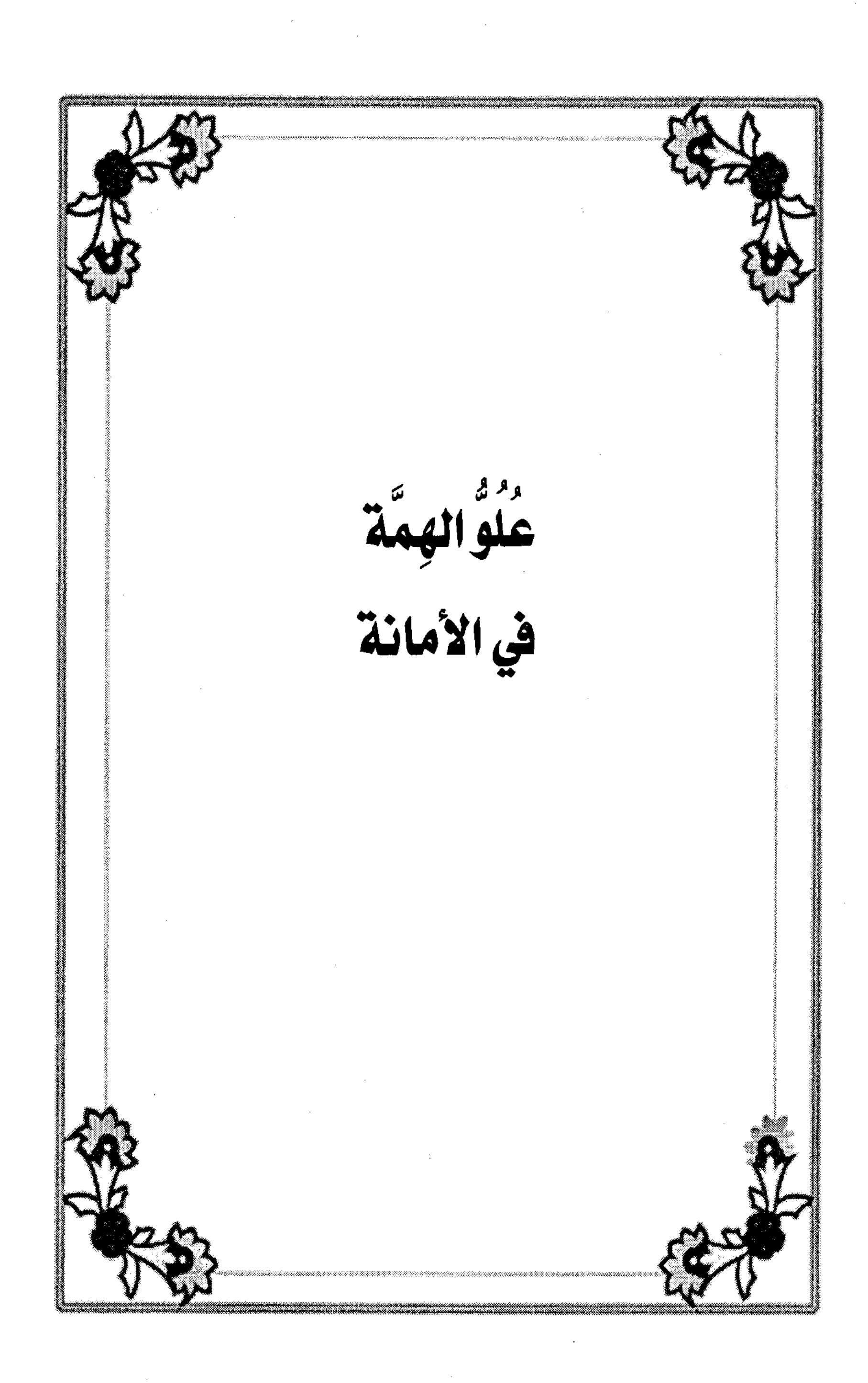
(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٤- ٥٦).

فيه إن شاء الله هو حبي لشيخي المقدم في الله ووفائي له.. ويعلم الله أني أقولها خالصة لوجه الله أنه ما من شاب من أبناء الحركة الإسلامية في السبعينات وما بعدها في مصر مَسَّ محبرة ولا تناول قرطاسًا على المنهج السلفي إلّا وللشيخ المقدم في عنقه مِنَّة ودَيْن، وكيف لا وهو مقدم الدعوة السلفية والمنظِّر لها والذاب عن قضاياها ومُجدِّد أمرها في ربوع مصرنا، أنكر هذا حاسد أو حاقد لا يرى إلّا نفسه أو قَبِلَهُ ولوددت والله يعلم صدقي – أن لو أُخذ من عمري فزيد في عمره- لو جاز ذلك – وأن أفديه بدمي ونفسي ومالي وأولادي، وأن لا تمر عليه لحظة من هم أو أسى لمن يتنكَّر له أو يغمطه حقه، ولله در القائل: «بعتكم أغلى المُلك فلا تنسَوْني غدًا لكرامة الدلَّال»، ولو استقبلت من عمري ما استدبرت ما فارقته لحظةً ولحملتُ نعله.. ولي الشرف في ذلك.. ولقبَّلتُ قدمه كما قبّل الإمام مسلم قدم البخاري، ولقلتُ له عن أي إساءة أُسيئ بها، أو تنكر له: عَفوًا يا أستاذَ الأستاذين ويا طبيب السلفيَّة في عللها.. والله أنت شامة مصرنا وزين مجالسنا، وقرة أعيننا، وكم في النفس والفؤاد ألوان من الوفاء لك عسى الله أن يظهر عشر معشارها لتطيب حياتنا.. جعلني الله خادمًا لكم ذابًا عنكم.. وفيًّا لكم وخادمًا في كل نَفَسٍ من أنفاسي لكم ولذويكم.

✍ **شيخي الحبيب:**

ليُسْقَ عهدَكمُ عهد السُّرور فما	كنتم لأرواحنا إلّا رياحينا





عُلُوُّ الهِمَّة في الأمانة



عُلُوُّ الهِمَّة في الأمانة

الأمانة من أَجَلِّ القِيَم الخُلُقِيَّةِ التي بُنيتِ عليها شريعة الإسلام، وهي قيمة عظيمة تُصان بها حقوق الله ﷻ وحقوق الناس، وهو جزء لا يتجزَّأ من صفات المؤمنين، ومن الأمانةِ الكبرى التي حَمَلَهَا الإنسانُ أمامَ الله ﷻ بالخضوع لأوامِرِهِ، والانتهاءِ عن زواجِرِهِ – انبثقتْ سائرُ الأماناتِ مثلُ: أمانَةِ الشَّهَادَةِ لهذا الدِّينِ، وأمانةِ العِلمِ، وأمانةِ الدَّعوةِ إلى الله تعالى، وأمانةِ المحافظةِ على حرماتِ المجتمعِ، وأمانةِ التعاملِ مع الناس، ورَدِّ أمانَاتِهِم إليهم..، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «.. وَالأَمَانَةُ في الصلاة، والأَمَانَةُ في الصَّوم، والأَمَانَةُ في الحديث، وَأَشَدُّ ذلك الودَائع..»، فالأمانة في الإسلام مفهومها شاملٌ لِدِينِ الإنسانِ وطاقَتِهِ في تحمُّلِ أعباءِ التكاليفِ التي فَرَضَها الله تعالى عليه.

والأمانة بوصفها قيمةً خُلُقِيَّةً من أَجَلِّ الفضائلِ، هي الأساسُ لكلِّ الأعمَالِ، والشاملةُ للسلوك الإنساني كُله»[1].

الأمانة لغة:

الأمانةُ مصدر قولهم: أَمُنَ يأمُنُ أمَانَةً أي صَارَ أَمِينًا، وهو مأخُوذٌ من مادَّة (أَم نَ) التي تدُلُّ على سكون القلب، ويقال: أمنْتُ الرَّجُل أمنًا وأمنَةً وأمانًا وآمنني يؤمنُنِي إيمَانًا، ورجلٌ أمنةٌ: إذا كان يأمنه النَّاسُ ولا يخافُون غائِلَتَهُ، وأمنةٌ بالفتح إذا كان يُصدِّقُ ما سمع ولا يُكذِّبُ بشيءٍ،

(١) «الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع» (ص٦) لعبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف – دار ابن الجوزي. السعودية.

وقال الجوهريُّ: الأمنةُ الذي يُصدِّقُ بكلِّ شيءٍ وكذلك الأمنةُ مثال الهمزةُ، واستأمن إليه دخل في أمانِهِ.

▢ وقال ابن منظورٍ: «الأمانُ والأمانةُ بمعنًى، والأمانةُ: ضدُّ الخيانة».

▢ وقال ابن الأثير: «الأمنةُ جمع أمينٍ، وهو الحافظُ. وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة].

▢ قال أبو إسحاقَ: أراد ذا أمنٍ، فهو آمنٌ وأمنٌ وأمينٌ. ورجلٌ أمنٌ وأمينٌ بمعنًى واحدٍ».

ويقالُ: أمنْتُهُ على كذا، وائتمنته بمعنًى. وتقولُ: ائتُمِن فلانٌ على ما لم يسمَّ فاعله، فإن ابتدأت به صيَّرْت الهمزة الثانية واوًا فنقول: أوْتمن.

▢ وقال الرَّاغبُ: «والأمْنُ والأمانُ والأمانةُ في الأصل مصادرٌ، ويجعل الأمان تارةً اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسانُ في الأمنِ، وتارةً «تجعل الأمانةُ» اسمًا لِمَا يؤمنُ عليه الإنسانُ، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي ما ائتُمنْتُم عليه، وقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. قيل هي كلمةُ التوحيد وقيل: العدالةُ، وقيل: حُروفُ التَّهجِّي، وقيل: العقل وهو صحيحٌ؛ فإنَّ العقل هو الذي لحصوله يتحصَّل معرفة التوحيد وتجْري العدالةُ وتعرفُ حروف التَّهجِّي، بل لحصوله تعلُّم كلِّ ما في طوْقِ البشر تعلُّمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله وبه فضِّلَ «الإنسان» على كثيرٍ ممَّنْ خلقهُ[(١)].

---

(١) «لسان العرب» (١٣/ ٢١، ٢٢) مختصرًا، و«مفردات الراغب» (٢٩)، و«مقييس اللغة» (١/ ١٣٣).

□ وقال الطَّبريُّ: «اختلفَ في معنى هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: المعنى أن الله تبارك وتعالى عرض طاعته وفرائِضَهُ على السَّمواتِ والأرض والجبال على أنَّها إنْ أحسنت أثيبتْ وجوزيتْ، وإنْ ضيَّعتْ عوقبتْ، فأبتْ حملها شفقًا منها ألَّا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدمُ، إنَّه كان ظلومًا لنفسه، جهُولًا بالذي فيه الحظُّ له، وقد استدلَّ أبو جعفرٍ على ذلك بمَا رُويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما وغيره منْ أنَّ الأمانَةَ في الآيةِ الكريمةِ هي الفرائضُ التي افترضها الله على عبادِهِ، وبمَا رُويَ عنه أيضًا من قوله (أي ابن عباسٍ رضي الله عنهما) الأمانةُ: الطاعةُ عرضها الله عليها أي على السمواتِ والأرض والجبال قبْل أنْ يعرضها على آدمَ، فلمْ تُطِقْها، فقال لآدم: يا آدمُ، إنِّي قدْ عرضتُ الأمانةَ على السمواتِ والأرض والجبال فلم تُطِقها، فهل أنت آخذها بمَا فيها؟ فقال: يا ربُّ وما فيها؟ قال: إنْ أحسنْت جُزِيتَ، وإنْ أسأْتَ عُوقِبْتَ فأخذها آدَمُ فتحمَّلَها» [(١)].

□ قال الطبريُّ: «وقال آخرونَ: عُنِيَ بالأمانةِ في هذا الموضع أماناتُ الناس، وذهبَ فريقٌ ثالثٌ إلى أنَّ المراد بالأمانة هنا ائتمَانُ آدمَ عليه الصلاة والسلام ابنه قابيل على أهله وولده» [(٢)].

وأولى هذه الأقوالِ بالصَّوَابِ ما قاله الذين قالوا إنَّهُ عُنِيَ بالأمانَةِ في هذا الموضع جميعُ معاني الأماناتِ في الدِّين، وأماناتِ الناس، وذلك أنَّ

(١) «تفسير الطبري» المجلد العاشر (حـ٢٢ ص٣٨، ٣٩).

(٢) ذكر القرطبي أن الحكيم الترمذي قد اعترض على هذا الرأي، وتعجب من قائله لأن الآثار وظاهر النص وباطنه، كل ذلك يتعارض معه تعارضًا واضحًا، قلت: والأمر كما قال. انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٥٦).

الله ﷻ لم يخصَّ بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأماناتِ دون بعضٍ»[(١)].

□ وقال القرطبي: «الأمانةُ تَعُمُّ جميع وظائفِ الدِّين، ونسب هذا القول لجمهور المفسِّرين، فالأمانةُ هي الفرائضُ التي ائْتمنَ الله عليها العباد، واختُلِفَ في تفاصيل بعضها على أقوالٍ: فقيل: «هي أمانَاتُ الأموالِ، كالودائع وغيرها». وقيل: «في كلِّ الفرائضِ، وأشدُّها أمانةُ المَالِ»، وقيل: «من الأمانة أن ائْتُمِنَتِ المرأةُ على فرْجِها»، وقال بعضهم: «غسل الجنابة أمانةٌ»، وقيل: «الأمانةُ هي الصلاةُ، إن شئْتَ قلت: صلَّيْتُ، وإنْ شِئْتَ قلت: لم أُصَلِّ، وكذلك الصيام وغسل الجنابة، وعلى ذلك فالفرجُ أمانةٌ»[(٢)]، والأذن أمانةٌ، والعين أمانةٌ، واللِّسانُ أمانةٌ، والبطنُ أمانةٌ، واليدُ أمانةٌ، والرِّجل أمانةٌ».

قال: «ولا إيمَانَ لمنْ لا أمانةَ له»[(٣)].

وقيل: «هذه الأمانةُ هيَ ما أَوْدَعَهُ الله تعالى في السمواتِ والأرض والجبال والخلق من الدلائلِ على رُبوبيَّته أنْ يظهروها فأظْهروها إلَّا الإنسانَ فإنَّه كتمَها وجحدها، والمرادُ بالإنسانِ على ذلك هو الكافرُ والمنافقُ»[(٤)].

• أما ما جاءَ في الحديث: «المؤذِّنُ مُؤْتَمَنٌ»، أراد به: مؤْتمنُ القوم

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩).

(٢) أي حفظ الفرج.

(٣) أي لن لم يحفظ هذه الأمانات التي استودعها الله إياه.

(٤) انظر هذه الآرواء وغيرها في «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٥٣- ٢٥٨).

الذي يثقُونَ إليه، ويتَّخِذُونه أمينًا حافظًا، والأمانةُ تقعُ على الطاعةِ والعبادةِ والوديعةِ والثقة والأمَانِ.

ويُقالُ: رجلٌ أمينٌ وأمَّانٌ أي له دينٌ. وقيل: مأمونٌ به ثقةٌ.

□ قال الأعمش:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الـ ... أُمَّانَ مَوْرُودًا شَرَابُهْ

والتَّاجر الأمَّانُ بالضمِّ والتَّشديدِ: «هو الأمين»[1].

□ وقال ابنُ الأنْباريِّ: «والأمينُ منْ حروف الأضدادِ، يقالُ: فلانٌ أمينٌ، أي مؤتَمَنٌ، وفلانٌ أميني، أيْ مُؤْتَمَنِي أأْتَمِنُهُ على أمْري، قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّنِي ... حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي

أي: مُؤْتَمَنِي»[2].

واصطلاحًا:

□ قال الكفويُّ: «الأمانةُ: كلُّ ما افترض الله على العبادِ فهو أمانةٌ كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدُهَا الودائعُ، وأوكدُ الودائع كتمُ الأسرار، وقال في موضعٍ آخرَ: كُلُّ ما يُؤتَمَنُ عليه منْ أموالٍ وحُرَمٍ وأسرارٍ فهو أمانةٌ[3]»[4]. اهـ.

□ قال الشيخ عبد الرحمن حبنّكة الميداني في كتابه القيِّم «الأخلاق

(١) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٧١)، و«لسان العرب» (١٣/ ٢٢).
(٢) «الأضداد» (٢٤).
(٣) «الكليات» للكفوي (١٧٦ - ١٨٦) بتصرف يسير.
(٤) «نضرة النعيم» (٢/ ٥٠٧ - ٥٠٩).

الإسلامية وأُسُسُها»: «الأمانة أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره، وهي ضد الخيانة.

والأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عمَّا ليس له حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس.

فمن تهيأ له أن يهضم دينًا عليه دون أن يكون لدى الدائن ما يثبت به حقه، فعف عن ذلك ولم يفعل وأدى ما عليه من حقٍّ كاملًا غير منقوص فهو أمين حقًّا.

ومن تهيأت له فرصة اختلاس أموال غيره دون أن يشعر به أحد من الناس، ودون أن يكون عرضة لاكتشاف لصوصيته، فعف عن ذلك ولم يفعل، فإنمَا ذلك أثر من آثار الأمانة في نفسه.

ومن كان يؤدي الودائع التي عنده لأصحابها، مع أن أصحابها لا يملكون وثائق بها عليه، فهو أيضًا إنمَا يفعل ذلك بدافع خلق الأمانة الذي يتحلى به.

مجالات الأمانة:

ولا تقتصر الأمانة على العفة عن الأموال، بل العفة عن كل ما ليس للإنسان به حق هي أيضًا داخلة في حدود الأمانة، أو أثر من آثارها.

فالعفة عن العدوان على الأعراض من الأمانة، والعفة عن العدوان على الحقوق العلمية من الأمانة، والعفة عن الغش وتطفيف الكيل

والميزان من الأمانة، والعفة عن الغلول[١] من الأمانة، وتبليغ الرسائل الكتابية أو اللفظية إلى أصحابها من الأمانة، وتأدية حق النصيحة لكل مسلم من الأمانة، وتأدية حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمانة. وتأدية العبد حق ربه عليه من الأمانة، كالعبادات المفروضة والطاعة الواجبة، وكف العبد نفسه عمَّا حرم الله عليه من الأمانة؛ لأن العبد المكلف مستأمن على ما وضع الله بين يديه وما وضع تحت سلطته من أشياء، سواء أكانت داخلة في حدود ذاته أو خارجة عنها، الحق في كل ذلك هو لله وقد استأمن الله عباده عليها، فأذن لهم بأشياء وحرم عليهم أشياء، فمن تجاوز حدود الإذن الإلهي فاعتدى على ما ليس به حق فقد خان الأمانة، فالطاعة لله من الأمانة، والمعصية لله من الخيانة.

ومن الأمانة إعطاء كل ذي حق حقه، فالعدل من الأمانة، والجور والظلم من الخيانة. ومن الأمانة الاهتمام بأن يحفظ المستأمنون ما تحت أيديهم من حقوق لغيرهم، حتى يؤدوها إلى أصحابها وهي على حالتها حينمَا استؤمنوا عليها، ما لم يكن مرور الزمن يغير منها بصفة طبيعية معلومة.

وهكذا تتعدد مجالات خلق الأمانة وتتسع دوائرها.

ولمَّا كانت الأمانة مرتبطة بمبدأ الحق كان من يحب الحق ويؤثره يجد نفسه مدفوعًا لأن يكون أمينًا على حقوق الآخرين، وإن تحركت مطامعه أو شهواته للاستيلاء عليها.

والأمانة مصدر كالأمان، والأمان من الأمن هو ضد الخوف، وحين

---

(١) الغلول: هو العدوان على الأموال العامة للمسلمين.

تنعدم مسببات الخوف يحصل الأمان في النفوس. ولمَّا كان الأمين إنسانًا مأمون الجانب لا يُخشى عدوانه على حقوق غيره كانت ساحته ساحة أمان، ليس فيها أي مثير للخوف على المَال، أو على العرض، أو على الحياة، ولذلك سميت الخصلة التي يتحلى بها الأمين على حقوق الآخرين أمانة، ولمَّا كانت هذه الخصلة داخلة في ميدان الأخلاق كانت إحدى الفروع الأخلاقية، ولمَّا كان أساسها الحق كانت إحدى الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره.

□ وقد ظهر لنا من تعريف الأمانة أنها تشتمل على ثلاثة عناصر:

الأول: عفة الأمين عمَّا ليس له به حق.

الثاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍّ لغيره.

الثالث: اهتمَام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها[1].

---

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ٦٤٦- ٦٤٧).

الأمانة في القرآن الكريم

□ ذكر ابن الجوزي في كتابه «نزهة الأعين النواظر»[(١)] - نقلًا عن بعض المفسِّرين أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجهٍ:

الأول: الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

الثالث: العِفَّة (والصيانة): ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص].

وقد ذكر المولى عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم آمرًا بها ومؤكِّدًا شأنها وشأن أهلها، وتكرر لفظ الأمانة ومشتقّاتها في القرآن العظيم أكثر من أربعين مرة[(٢)].

* وعمَاد ما ورد في شأن الأمانة تعظيمًا، وإجلالًا، وإعلاء، لمن قام بها وحملها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب]. إذ دَلَّ على عظم منزلة الأمانة، وتفرد الإنسان بحملها.

(١) «نزهة الأعين النواظر» (١/ ١٠٥، ١٠٦)، وقد أضفنا إلى الوجه الثالث لفظ (والصيانة) نقلا عن الفيروزأبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٥٣) ولم يذكر الفيروزأبادي سوى الوجهين الأول الثالث.

(٢) انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص٨١- ٨٩).

□ قال الشيخ ابن جبرين: «إن المقصود بالأمانة العامة هي العبادة، وهي التي ذُكِرت في الآية الكريمة».

فقد عرض الله هذه الأمانة على أعظم مخلوقاته: على السموات مع عِظم خَلْقِها، وعلى الأرض - أيْ: جنس الأرض - مع عِظَمها، وعلى الجبال مع قوّة خلِقها وصلابتها؛ فأشفقت وتبرَأت منها ولم تتحمَّلها، مع أن هذه المخلوقات مُذَلَّلة لأمر الله، لا تستعصي، ولا تخرج عن الطاعة التي كُلِّفت بها.

* وقد ذكر الله أن هذه المخلوقات مطيعة لربها، مسخَّرة لِمَا كُلِّفت به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

فهذه المخلوقات من الجبال وغيرها قد تبرّأت من هذه الأمانة، وأشفقت منها، وأمتنعت من تحمُّلِها على خشيتها وطاعتها لله، وقد تحملَّها الإنسان على ضعفه! تحمَّلها الإنسان والتزم بها، فلابد أن يؤديها، ويقوم بها حق القيام، وإذا لم يقم بها وفرّط يها فإنه مسؤول عنها أمام الله مستحق للعقوبة بتركها وخيانتها»[(١)].

□ قال الشنقيطي في «أضواء البيان»: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السموات والأرض والجبال، وأنهُنَّ أَبَيْنَ أن يحمِلْنَها وأشفقن منها، أي: خِفْن من عواقب حملها أن ينشأ لهنَّ من ذلك عذاب الله وسخطه، وهذا العَرْض والإباء، والإشفاق كلُّه حق، وقد خلق الله للسموات

---

(١) «الإمانة» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ص٧، ٩).

والأرض والجبال إدراكًا يعلمه هو جل وعلا، ونحن لا نعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبتْ وأشفقت، أي: خافت.

* ومثل هذا تدل عليه آيات وأحاديث كثيرة فمن الآيات الدالة على إدراك الجمادات المذكور قوله تعالى في سورة البقرة في الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، فصرّح بأن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وهذه الخشية التي نسبها الله لبعض الحجارة بإدراك يعلمه هو تعالى.

* ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[الإسراء: ٤٤].

* ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

* وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ، راجع للفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ مُجرَّدًا عن إرادة المذكور منه، الذي هو آدم.

والمعنى: إنه أي الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا أمران:

أحدهما: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذَّب ومرحوم في قوله تعالى بعده متَّصِلًا به: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، فدلَّ هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المُعَذَّب، والعياذ بالله، وهم المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات. واللام في قوله: ﴿ لِيُعَذِّبَ ﴾ لام التعليل، وهي متعلقّه بقوله: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾.

الأمر الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرَّد اللفظ دون اعتبار المعنى التفصيلي معروف في اللغة التي نزل القرآن بها، وقد جاء فعلًا في آية من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ [فاطر: ١١]؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ راجع إلى لفظ «المعمَّر» دون معناه التفصيلي؛ كمَا هو ظاهر. وهذه المسألة هي المعروفة عند علمَاء العربية بمسألة: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر، كمَا ترى.

وبعضُ من قال من أهل العلم: إن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ عائد إلى آدم، قال: المعنى: إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا، أي: غرًّا بعواقب الأمور، وما يتبع الأمانة من الصعوبات، والأظهر ما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى»[(١)].

ومن الآيات الواردة في الأمانة:

أوَّلاً: ما يؤتمن عليه الإنسان من الفرائض والتكاليف:

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال].

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٦/ ٤١٠- ٤١٢)- طبعة المكتبة التوفيقية.

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ .. ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ثانيًا: ما يُؤتمن عليه الإنسان من ودائع ونحوها:

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج].

ثالثًا: ما يؤتمن عليه الإنسان من الأعراض «العفة والصيانة» والتكاليف:

* قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

رابعًا: أمانة الرُّسل: «ما يُؤتمن عليه الرسل والملائكة في التبليغ عن الله عَزَّ وَجَلَّ».

الأمانة من أبرز أخلاق الرسل:

من الملاحظ في أسس العقيدة أن الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنها شرط أساسي لاصطفائهم بالرسالة، فلولا أن يكونوا أمناء لَمَا استأمنهم الله على رسالاته لخلقه.

* ففي شأن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

فعرض هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه من صفاته أنه أمين، وهذه الصفة من صفاته لابد أن تكون معروفة لديهم قبل أن يبعثه الله رسولًا، ومن شأن الأمين أن يكون موثوقًا به في نقل الأخبار وتبليغ الرسالات.

* قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى في شأن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى عن كليمه موسى ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ [الدخان].

رسول الله ﷺ الأمين:

كانت الأمانة خُلُقًا بارزًا ظاهِرًا من أخلاق رسول الله ﷺ اشتهر به رسول الله ﷺ بين قومه قبل الرسالة، وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولمَا هاجر ﷺ وَكَّل عليَّ بن أبي طالب بردِّ الودائع إلى أصحابها[1].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعثَ عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمنِ بذُهَيْبَةٍ[2] في أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ[3]، لم تحصَّلْ من ترابها[4]. قال فقسمها بين أربعة نفرٍ: بين عيينة بن بدْرٍ، وأقْرع بن حَابِسٍ، وزيد الخيل، والرَّابعُ إمَّا علْقمةُ وإمَّا عامرُ بن الطُّفيل. فقال رجلٌ من أصحابه: كنَّا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاءِ. فبلغ ذلك النَّبِيَّ ﷺ فقال: «أَلَا تَأْمَنُونِي وأنَا أَمِينُ مَنْ في السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا ومَسَاءً؟»

---

(١) انظر: «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٨).

(٢) ذُهَيبَة: تصغير ذهبة بمعنىٰ القطعة.

(٣) أديم مقروظ: أيْ في جِلْد مدبوغٍ بالقَرَظ، والقَرَظ حَبٌّ يؤخذ من ثمر شجر العضاه.

(٤) لم تُحَصَّل من ترابِها: لم تُميَّز ولم تُصَفَّ من ترابِ معدنها.

قال: فقام رجلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنتيْنِ[(١)]، نَاشِزُ الجَبْهَةِ[(٢)] كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإزَارِ. فقال: يا رسول الله اتَّقِ الله! قال: «وَيْلَكَ: أو لستُ أَحَقَّ أهلِ الأرْض أَنْ يَتَّقِيَ الله؟» قال: ثُمَّ وَلَّى الرَّجل. قال خالدُ بن الوليدِ: يا رسول الله ألَا أَضْرِبُ عنقه؟ قال: «لا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي». فقال خالدٌ: وَكَمْ منْ مُصَلٍّ يقول بلسانِهِ ما ليسَ في قلبِهِ. قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ قُلُوبَ النَّاسِ[(٣)] وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ». قال: ثمَّ نظر إليه وهو مُقَفٍّ[(٤)] فقال: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ[(٥)] هذا قومٌ يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبًا لا يُجَاوِزُ حناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». وأظُنُّهُ قال: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ[(٦)]»[(٧)].

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان على رسول الله ﷺ ثَوْبانِ قطرِيَّانِ غَلِيظانِ. فكان إذا قعد فعرقَ، ثَقُلَا عليه، فقدم بَزٌّ[(٨)] من الشام لفلانٍ اليهوديِّ. فقلت: لو بعثْتَ إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرةِ. فأرسل إليه فقال: قدْ علمْتُ ما يريد. إنمَّا يريدُ أنْ يذهب بمَالي أو بدَرَاهِمي. فقال

---

(١) مشرف الوجنيْن: أي غليظهما. والوجنتان: تثنية وَجْنة وهي ما ارتفع من لحم الخَدِّ.
(٢) ناشز الجبهة: أي مرتفعها.
(٣) لم أومر أن أُنَقِّب عن قلوب الناس: أي أُفَتِّش وأكشف.
(٤) وهو مُقَفٍّ: أي ذهب مُوَلِّيًا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره.
(٥) ضئضئ هذا: هو أصل الشيء. وهو بالمُعْجَمتيْن والمهملتيْن.
(٦) قتل ثمود: يعني الاستئصال.
(٧) رواه البخاري «الفتح» (٧/ ٤٣٥١) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٤).
(٨) البَزُّ: الثياب.. ضرب من الثياب.. انظر «لسان العرب» «بزز».

رسول الله ﷺ: «كَذَبَ. قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لله وآداهُمْ للأَمَانَةِ»[(١)].

* وجبريل عليه السلام أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء].

ولولا صفة الأمانة فيه لَمَا حصلت الثقة بما يبلِّغ عن الله من شرائع، ولَمَا اصطفاه الله لحمل رسالاته إلى رسله من البشر.

وكذلك حال الرسل من البشر، لولا صِفة الأمانة فيهم لمَا حصلت الثقة بمَا يبلِّغون عن ربهم، ولَمَا اصطفاهم الله لحمل رسالاته للناس»[(٢)].

الأمانة والفِطْرَة:

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين؛ رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر. حَدَّثَنَا: **«أَنَّ الأمانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ[(٣)] قُلوبِ الرِّجَال، ثم علموا من القرآن، ثم علمُوا من السُّنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينامُ الرَّجل النَّومَة فتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه، فيظلُّ أثرُها مثل أثَر الوَكْت[(٤)]. ثم**

(١) صحيح: رواه الترمذي في كتاب البيوع – باب ما جاء الرخصة في الشراء الأجل (١٢١٣)، والنسائي (٧/ ٢٩٤) –كتاب البيوع: باب البيع إلى أجل معلوم. وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (ص٢١٦).

(٢) «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٩).

(٣) جَذْر: أي في أصلها، ويقال: جِذْر بكسر الجيم وبفتحها. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٥٠)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٣٤).

(٤) الوَكْت: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢١٨).

ينامُ النومةَّ فتُقبضُ، فيبقى أثرها مثل المَجْل [(١)]، كجمرٍ دحْرجْتَهُ على رجْلِك فنَفِطَ [(٢)]، فتراه مُنْتَبِرًا [(٣)] وليس في شيء. فيُصبحُ الناس يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يُؤدي الأمانة، فيُقالُ: إن في بَني فُلانٍ رجلًا أمينًا. ويقال للرجل: ما أعقَلَهُ وما أظرَفَهُ وما أجلدهُ، وما في قلبه مثقَالُ حبَّة خَردَلٍ من إيمَانٍ. -ويقول حذيفة-: ولقد أتى زمانٌ وما أبَالي أيكم بَايعت، لئن كان مسلمًا رَدَّهُ عليَّ الإسلام، وإنْ كان نصرانيًّا رَدَّهُ على ساعيه. فأمَّا اليوم فمَا كنتُ أبايع إلَّا فُلانًا وفُلانًا» [(٤)].

ففيه دلالة على «حقيقة من حقائق التكوين الخلقي الفطري في الناس، وهذه الحقيقة تثبت أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء؛ لأن الله تعالى بالتكوين الفطري قد أنزل خلق الأمانة فوضعه في جذر قلوب الرجال، أي في أصل قلوبهم..، ثم نزلت شرائع الله التي أنزلها في كتبه، وبينها القرآن الكريم أحسن بيان، وبينتها سنة الرسول ﷺ، فكانت تغذية وتنمية لمَا غرسه الله تعالى في قلوب الرجال من فطرة قائمة على الأمَانَة في

---

(١) المجل: أثر العمل في اليد. المرجع السابق (٤/ ٣٠٠).

(٢) فَنَفِطَ: أي صار منتفطًا وهو المنتبر، يقال: انتبر الجرح وانتفط: إذا ارتَفَعَ وَوَرِمَ «لسان العرب» (١٤/ ٢٤١)، و(١٤/ ١٩)، و«القاموس المحيط» (ص٦١٦)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٩).

(٣) منتبراً: أي مرتفعًا. «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ٥٣٧).

(٤) رواه البخاري -واللفظ لَهُ- في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم الحديث (٦٤٩٧)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب، رقم الحديث (١٤٣)، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

أصل تكوينها»(١).

فهذه الفطرة المستقيمة استحسنت الأمانة منذ بدء الخلق، إلَّا أنها كانت محكومةً بحكم الشرع، فهي إذا زاغت عن الشرع انحرفت عن الأمانة وقَصَّرَت فيها وفَرَّطَت، سواء أكان بسبب الظلم أم الجهل، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في أكثر من موضع في تفسيره، من هذه المواضع ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: «يجوز أن يراد: ظلومًا في فطرته، أي في طبع الظلم والجهل، فهو مُعَرَّضٌ لهمَا ما لم يعصمه وازع الدِّين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها»(٢)، وصرح به محمد رشيد رضا في قوله: «الأصل أن يكون الناس أمناء يقومون بوازع الفطرة والدِّين، والخيانةُ خلاف الأصل»(٣).

ويصف صاحب «الظلال» هذه الأمانة بأنها: «أمانة الهداية والمعرفة والإيمَان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه. فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة. فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمَان به، والاهتداء إليه، ومعرفته، وعبادته، وطاعته. وألزمه طاعة نَامُوسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه.. والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته وإلى عقله.. وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله تعالى، بعون من الله، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾

---

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها»(١/ ١٨٥)، وانظر: (١/ ٤١٨، ٦٥١، ٦٥٣).
(٢) «تفسير التحرير والتنوير» (٢٢/ ١٣٠)، (٢٢/ ١٣١).
(٣) «تفسير المنار» (٥/ ١٧٦- ١٧٧).

[العنكبوت]، وهذه أمانة حملها الإنسان، وعليه أن يؤديها أول ما يؤديها من الأمانات»[١].

□ قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: «المراد بالأمانة في حديث حذيفة: الإيمَان، وتحقيق ذلك فيمَا ذكر من رفعها، أن الأعمَال السيئة لا تزال تُضعِف الإيمَانَ، حتى إذا تناهى الضَّعْفُ لم يبق إلَّا أثر الإيمَان –وهو التلفُّظ باللسان– والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب. فشبهه بالأثر ظاهر البدن، وكنّى عن ضعف الإيمَان بالنَّوم، وضرب مثلًا لزهوق الإيمَان عن القلب حالًا بزهوق الحجر عن الرِّجْل، حتى يقع بالأرض»[٢].

بين الأمانة والميثاق:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف].

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعْمَان**[٣] **يوم عرفة، وأخرج مِن صُلْبه كل ذريّة ذرأها فنثرهم بين يديْه كالذَّرِّ، ثم كلَّمَهم قُبُلًا قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ

(١) «الظلال» (٢/ ٦٨٨).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٠).
(٣) يعني: عرفة.

وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف]»[(١)].

وللجمع بين الآية والحديث جواب.

«والجواب: أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم، لمَا علم أنهم كلهم بنوه، وأُخرجوا من ظهره» اهـ من البغوي.

* وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾. أي: أشهد بعضهم على بعض، وقرَّرهم بالتوحيد، وقال لهم: ألست بربكم وخالقكم؟ قالوا: بلى.

وذلك على اعتبار أن شهادة القريب على القريب أقوى من شهادة البعيد على البعيد؛ ولذلك تكون شهادة النبي على قومه، أقوَى في دلالتها؛ لإنه الحريص عليهم، والمنافح عنهم.

□ ويحتمل – والله أعلم- أن يكون إشهاد كل إنسان على نفسه، وتقريره بنفسه.. وهذا أبلغ، وأقْطع عند المنازعة يوم القيامة، حيث أن الإنسان يوم القيامة لا يقبل – أثناء محاجته لربه ﷻ- إلَّا شهيدًا عليه من نفسه، لذا يختم على فيه، فلا يستطيع الكلام، وتنطق جوارحه فتشهد عليه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٢)، والنسائي في «تفسيره» (١/ ٥٠٦ رقم ٢١١)، و«سننه» (١/ ٨٩) رقم (٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٧- ٢٨) (٢/ ٥٤٤)،وابن أبي عاصم، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٢) نسخة أحمد شاكر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٣)، و«صحيح الجامع» (١٦٩٧).

* وقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾ يحتمل أن يعود الضمير إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويحتمل رجوعه إلى الملائكة أنهم يشهدون على إقرار بني آدم، ويحتمل أن يكون هو خبر عن قول بني آدم بعضهم على بعض، فيشهد بعضهم على بعض.

ويحتمل – والله أعلم – أن يكون كل إنسان يشهد على نفسه، بمَا نطق به، وأقرّه، واعترف به من وجود الله تعالى، والإيمَان بوحدانيته، وعدم الشريك له..

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ وأما العهد والميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيوضِّحه حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التالي.

• فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو كان لك ما في الأرض من شيء أكنتَ مفتديًا به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلْب آدم؛ أن لا تُشرك في شيئًا، فأبيْت إلَّا أن تُشرك بي**»(١).

▫ قال القاضي عياض: «يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية. فهذا الميثاق الذي أُخِذ عليهم في

(١) رواه البخاري واللفظ له – كتاب أحاديث الأنبياء- باب خلق آدم وذريّته، و«صحيح مسلم» كتاب صفات المنافقين- باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا- رقم (٥١- ٥٣).

صُلْب آدم، فمن وَفَّى به بعد وجوده في الدنيا: فهو مؤمن، ومن لم يُوَفِّ به فهو الكافر».

□ لقد عرض الله سبحانه وتعالى الأمانة على آدم عليه السلام - بعد اعتذار السموات والأرض والجبال عن حملها، فتحمَّلها، كمَا مَرَّ. وأخرج ذريته بعد هبوطه إلى الأرض وأخذ عليهم العهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ الذي أخذه الله تعالى على جميع البشر، من لدن آدم عليه السلام حتى آخر إنسان على سطح الأرض.

وهذا العهد الذي يمثِّله قوله تعالى لبني آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وجوابه على لسان بني آدم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ هو الأمانة التي كان قد تحملَّها آدم عليه السلام مِن قبل»[(١)].

□ قال الأصبهاني: «الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ وهي عين الإيمَان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء ما أُمِر به، واجتنب ما نهي عنه»[(٢)].

الإيمان والأمانة:

* أثنى الله عز وجل في أكثر من آية على رعاية المؤمنين للأمانة، وفي هذا إعلاءٌ لشأنها، من هذا الثناء قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٨]، و[المعارج: ٣٢]. فجعلها صفة بارزة للمؤمنين.

□ قال ابن كثير: «إن المؤمنين «إذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى

---

(١) انظر: «الأمانة العظمىٰ ونبيها ﷺ» لخليل إبراهيم مَلاَ خاطر (ص٥٠- ٦٢)- دار القبلة للثقافة الإسلامية.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوْفَوا بذلك»[١].

وجمع الله الأمانات باعتبار تَعدُّد أنواعِها وتعدُّدِ القائمين بحفظها، وذلك تنصيص على العموم [٢]، والحكمة في جمع الله تعالى الأمانة دون العهد – والله أعلم – أن الأمانة أعمّ من العهد، ولذا فكُلُّ عهد أمانة»[٣].

• وقد ربط النبي ﷺ بين الأمانة والإيمَان أيّما رباط، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسلمُ من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنه الناس على رعائهم وأموالهم»**[٤].

• وقال ﷺ: **«المؤمن من أَمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هَجَر الخطايا والذنوب»**[٥].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله إلَّا قال: **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهدَ له»**[٦].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٦٣).

(٢) «تفسير التحرير والتنوير» (١٨/ ١٦).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٦٤٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦)، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن «واثلة»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٢)، و«صحيح الجامع» (٦٧١٠).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه عن فضالة بن عبيد، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩)، و«صحيح الجامع» (٦٦٥٨).

(٦) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٥ و١٥٤ و٢١٠)، وابن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٥)، و«تخريج الإيمان» لابن أبي شيبة (٧)، و«صحيح الجامع» (٧١٧٩).

الأمانة جالبة لمحبة الله ورسوله ﷺ:

• قال رسول الله ﷺ: «مَن سَرَّهُ أن يُحِبَّهُ الله ورسوله فليَصْدُق حَدِيثَهُ إذا حدَّث، وليُؤَدِّ أمانَتَه إذا ائتُمِن»[(١)].

الأمانة وَصِيَّةٌ يتواصى برعايتها المسلمون:

• ففي حديث قزعة قال: قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هَلُمَّ أُوَدِّعك كمَا وَدَّعني رسول الله ﷺ: «أستودِعِ الله دينك وأمَانتَكَ، وخواتيم عَمَلِك»[(٢)].

ولفظ الترمذي: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول للرَّجُل إذا أراد سَفَرًا: ادْنُ مني أُوَدِّعْك كمَا كان رسول الله يُوَدِّعنا: «أستودِعُ الله دينَك وأمانتك وخواتيم عملك».

• وعن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال: «أستودِعُ الله دينكُم، وأمانَتكُم، وخواتيم أعمالِكم»[(٣)].

---

(١) حسن: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٠١) برقم (١٥٣٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» برقم (٢٦٦، ٢٧٣) مرسلاً عن الزهري من حديث عبد الرحمن بن أبي قراد، وذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (١/ ٧٨٤)، والخطيب في «مشكاة المصابيح»، وحسنه الألباني في «تحقيق مشكاة المصابيح»، رقم الحديث (٤٩٩٠) (٣/ ١٣٩١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الجهاد – باب في الدعاء عند الوداع، (٢٦٠٠)، ورواه الترمذي (٣٤٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ١٢٢ - ١٢٣)، و«صحيح الجامع» (٩٥٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠١)، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، و«الصحيحة» (١٥)، و«صحيح الجامع» (٤٦٥٧).

والأمانة فرض:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)﴾ [النساء].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يُرخِّص الله تعالى لموسِرٍ ولا مُعْسِر أن يمسكَ الأمانة»(١).

□ وقال القرطبي: «هذه الآية من أمهات الأحكام، تضمَّنت جميع الدين والشَّرائع»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنكَ، ولا تَخُنْ من خانكَ»**(٣).

يجب أداء الأمانة حتى مع المخالفين في الدين، وحذّر النبي ﷺ من الخيانة عمومًا، ولا يتوقّف التحذير على مجرّد الخيانة، بل يشمل خيانة من خان في أمرٍ ما، وذلك بأن يُقابل بالمِثْل؛ لأن «الخيانة ليست من الاعتداءات التي تُقابل بالمثل»(٤).

□ قال ميمون بن مهران: «ثلاثة يُؤَدَّين إلى البر والفاجر: الأمانة،

---

(١) «تفسير البحر المحيط» (٣/ ٢٨٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٤٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب، والبخاري في «التاريخ»، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة. ورواه الدارقطني، والضياء عن أنس، والطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة، وأبو داود عن رجل من الصحابة، والدارقطني عن أُبيّ بن كعب، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٢٤)، و«صحيح لجامع» (٢٤٠).

(٤) «الفضائل الخلقية في الإسلام» (ص٢٣٨).

والعهد، وصلة الرَّحم»[١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرَّجُل راعٍ في أهله، وهُو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيِّده، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ،وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢].

• ولفظ مسلم: «ألا كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكُم مسؤولٌ عن رَعيَّتِه، فالأميرُ الذي على الناس رَاعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ رَاعٍ على أهل بَيتِه، وهُو مسؤُولٌ عنهم، والمرأةُ رَاعِية على بَيتِ بَعلِها وولَدِهِ، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سَيدِه، وهو مسؤُولٌ عنه. ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكم مسؤُولٌ عن رعيته»[٣].

والرعاية بمعنى الحفظ والأمانة [٤]، فكلّ هؤلاء المذكورين في الحديث رعاةً وحكامًا على اختلاف مراتبهم، مُؤتمنون بأمانات يجب الوفاء بها، قال النووي في شرحه للحديث: «الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أَنَّ كل من كان

(١) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٠/ ١١٢).

(٢) رواه أحمد، والبخاري في كتاب «الجمعة»، باب الجمعة في القرىٰ والمدن (٨٩٣)، ورواه مسلم في كتاب «الإمارة»- باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٩)،ورواه أبو داود، والترمذي.

(٣) مسلم (١٨٢٩).

(٤) «بهجة النفوس وتحلّيها بمعرفة ما لها وعليها» لعبد الله بن أبي جمرة (٢/ ٤٦).

تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»[١].

الأمانة والرحم على جنبتيْ الصراط:

يا لَعِظم الأمانة والرَّحِم عند الله وكبير موقعهما عند مالك الملوك ﷻ، يصورهما الله ﷻ مشخَّصتيْن على الصفة التي يريدها الله.. فأعدّ لهذا الموقف رعاية للأمانة سهَّل الله لنا ولك مرورًا على الصراط:

• عن حُذيفةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتَّى تُزْلَفَ[٢] لهم الجنَّةُ. فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفْتحْ لنا الجنَّة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنَّةِ إلَّا خطيئةُ أبيكم آدم، لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيمُ: لستُ بصاحب ذلك، إنّما كنت خليلًا من وراءَ وراءَ[٣]، اعمدوا إلى موسى عليه السلام الذي كلَّمَهُ اللهُ تكليمًا. فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك. اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله وروحِهِ. فيقولُ عيسى عليه السلام: لستُ بصاحبِ ذلك. فيأتُون محمَّدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له. وترسل الأمانَةُ والرحمُ فتقومان جنبتي الصِّراطِ يمينًا وشمالًا. فيمُرُّ أولكم كالبرقِ». قال: قلت: بأبي أنت وأمي أيُّ شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمُرُّ ويرجعُ في طرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ. ثمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وشدِّ الرِّحالِ[٤]

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).
(٢) تُزْلَف: تُقَرَّب.
(٣) وراء وراء: كلمة مُؤكدة كشذر مذر، وشغر مغر، فركَّبها وبناهما على الفتح.
(٤) شدّ الرِّحال: الشدُّ هو العَدْوُ البالغ الجرْي.

تَجْري بهم أعمَالهم[١] ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ يقول: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ حتى تعجز أعمَالُ العبادِ حتى يجيءَ الرَّجُلُ فلا يستطيع السير إلَّا زحفًا». قال: «وفي حافتي الصِّرَاط كلالِيبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أمرتْ به. فمخْدُوشٌ ناجٍ ومكْدُوسٌ[٢] في النَّار»[٣].

الأمين في سبيل الله:

• عن رافع بنِ خَدِيج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العامِلُ على الصَّدَقةِ بالحقِّ كالغازي في سبيل الله حتى يرجِعَ إلى بيتِهِ»[٤].

ثناء الرسول ﷺ على الأمناء:

• أثنى النبي ﷺ على أمانة الأزد[٥] فقال ﷺ: «المُلْكُ في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد» يعني اليمن[٦].

---

(١) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: «فيمرُّ أولكم كالبرق، ثم كمرِّ الريح».

(٢) مكدوس في النار: أي مدفوع فيها.

(٣) رواه مسلم (١٩٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود في كتاب الخراج- باب في السُّعاة على الصدقة، رقم الحديث (٢٩٣٦)، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم (١/ ٤٠٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٢٨)، و«صحيح الترغيب» (٧٧١)، و«تخريج المشكاة» (١٧٨٥)، و«صحيح الجامع» (٤١١٧).

(٥) يُقال: الأزدي: مِن أزْد شنوءة، قبيلة يقال لها: الأزد، والأسد، وهم من اليمن انظر كتاب «الأنساب» للسمعاني (١/ ٩٦)، و«شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذي في كتاب «المناقب»- باب فضل اليمن (٣٩٣٦) عن أبي هريرة، وصححه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح سنن =

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخازنُ الأمين الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طيِّبَةً نفسُهُ أحَدُ المتصدِّقين**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**الخازن المسلم الأمينُ الذي يُعْطِي ما أُمِرَ به كاملًا موفَّرًا طيِّبَة به نفسُه فيدفعُهُ إلى الذي أُمِرَ لَهُ به؛ أحدُ المُتَصدِّقين**»[(٢)].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْطٍ فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ، فقال: «**يا غلامُ، هل منْ لبنٍ؟**» قال: قلت: نعم. ولكنِّي مؤْتَمَنٌ. قال: «**فهل منْ شَاةٍ لم يَنْزُ**[(٣)] **عليها الفحْلُ؟**» فأتيتُهُ بشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَها، فنزل لبنٌ، فحلَبَهُ في إنَاءٍ، فشربَ وسقَى أبا بكرٍ. ثمَّ قال للضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ[(٤)]. قال: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بعد هذا. فقلتُ: يا رسول الله، علِّمْني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: «**يرحمُكَ اللهُ، فإنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ**»[(٥)].

«فمع أن عبد الله غلامٌ صغير إلَّا أنه بفطرته النقيّة قال: إنه مؤتمن على

الترمذي» و«الصحيحة» (١٠٨٣)، و«صحيح الجامع» (٦٧٢٩).

(١) رواه البخاري (٢٢٦٠)، ومسلم (١٠٢٣)، واللفظ له.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٣) نزا عليها الفَحْل أي وثب.

(٤) فقَلَص: أي اجتمع.

(٥) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣٥٩٨) وقال الشيخ أحمد شاكر (٥/ ٢١٠): إسناده صحيح. وجاء بإسناد بعده. قال: فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة، فاحتلب فيها وشرب، وشرب أبو بكر وشربت. قال: ثم أتيته بعد ذلك. قلت: عَلِّمْني من هذا القرآن، قال: إنك غلامٌ مُعَلَّم. قال: فأخذتُ من فيه سبعين سورة.

المَاشية ولبنها. ولم يفرِّطَ في الأمانة، رغم شرك عقبة وأذاه للمسلمين»[(١)].

الأمانة صفة الأنبياء:

□ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرني أبو سفيان أنَّ هِرَقْلَ قال له: سألتُك ماذا يَأْمُرُكم فزعمت أنه يأمُر بالصلاة والصِّدْق والعفاف والوفاء بالعَهْد وأداءِ الأمانة. قال: وهذه صفةُ نَبِيٍّ»[(٢)].

□ وعن أم سلمة رضي الله عنها في حديث هجرة الحبشة، ومن كلام جعفرٍ في مخاطبة النجاشيِّ. فقال له: أَيُّها الملك، كنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحِشَ، ونقْطَعُ الأرحام، ونسيءُ الجوار، يأكل القويُّ منا الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرفُ نسبَهُ وصدْقَهُ وأمانتهُ وعفافه فدعانا إلى الله، لنوحِّدَهُ ونعبده ونخلع ما كُنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث. وأداءِ الأمانةِ، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحدهُ ولا نشركَ به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزَّكاةِ والصِّيامِ، قال: فعدَّد عليه أمُورَ الإسلام، فصدَّقْنَاهُ وآمَنَّا، واتَّبعْنَاهُ على ما جَاءَ به..» الحديث[(٣)].

(١) انظر «الربَّانيون قدوة وعمل» لمحمد أديب صالح (ص١٤١- ١٤٢).

(٢) رواه البخاري (٦)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣/ ١٨٠): إسناده صحيح، وهو في «سيرة ابن هشام» (٢١٧- ٢٢١) عن ابن إسحاق، والحديث بطولة في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤- ٢٧)، وقال: رواه =

وأداء الأمانة سبب لدخول الجنة:

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خمسٌ من جاءَ بهنَّ من إيمانٍ دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئِهنَّ وركوعِهنَّ وسجودِهنَّ ومواقيتِهنَّ، وصامَ رمضان، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلًا وأعْطى الزكاةَ طيِّبةً بها نفسه. وأدَّى الأمانَةَ»**. قالوا: يا أَبا الدرداءِ: وما أَداءُ الأمانةِ؟ قال: الغُسلُ من الجنَابَةِ[1].

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اضمنوا لي سِتًّا من أنفسِكُم أضمنْ لكم الجنَّةَ؛ اصدقُوا إذا حدَّثتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتُم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكُمْ»**[2].

• وقال رسول الله ﷺ: **«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصِّدِّقين والشهداء»**[3].

أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع.

(١) حسن: رواه أبو داود (١/ ٤٢٩)، وقال الألباني (١/ ٨٧): حسن، وأورده في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧) إلا أن السؤال وقع للنبي ﷺ لا لأبي الدرداء وزاد بعدها: «إن الله لم يأمن بني آدم علىٰ شيء من دينه غيرها»، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده جيد.

(٢) حسن: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان، والحاكم (٨١٣٠) (٥/ ٥١٣)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٧٠)، و«صحيح الجامع» (١٠١٨).

(٣) جيد: رواه الترمذي (١٢٠٩) في كتاب البيوع- باب ما جاء في التجار، وقال عنه: حديث حسن، وورواه ابن ماجه (٢١٣٩) في كتاب التجارات- باب الحث علىٰ المكاسب عن ابن عمر بلفظ **«التاجر الأمين الصدوق المسلم، مع الشهداء**
=

أداء الأمانة لسبب للعُلُوّ والنفع والسعادة في الدنيا:

□ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أربع خلال إذا أُعطيتَهُنَّ فلا يَضُرُّك ما عُزِل عنك من الدنيا، حُسْنُ خَلِيقةٍ، وعَفافُ طُعمة، وصِدْق حديثٍ، وحفظ أمانة»[١].

□ وعن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه قال: «خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ له، ووضعوا السفرة لَهُ، فمر بهم راعي غنم، فَسَلَّمَ، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعٍ فأصب من هذه السفرة. فقال له: إني صائم. فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟ فقال: والله إني أبادر أيامي الخالية. فقال لَهُ ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه - وأمانته -: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي. فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولى الراعي عنه، وهو يرفع أصبعه إلى السمَاء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، يقول: قال الراعي: أين الله؟. قال: فلمَّا قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم»[٢].

يوم القيامة». وأشار الألباني إلى ضعفه في «جامع الترمذي» (ص٢١٥)، وللحديث شواهد كثيرة، منا ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٨٧) (٢/ ٢٩٥- ٢٩٦)- كتاب البيوع- وقال الذهبي: هو حديث جيد الإسناد، صحيح المعنى، انظر: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» (٤/ ٣٣٣).

(١) «الأدب المفرد» (ص١٠٩).

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٤١). وهي قصة صحيحة.

* ولأداء الأمانة أثر في تحقق سعادة المرء في الدنيا، وتثبيت الله تعالى له، وحفظه في أهله وماله في حياته وبعد وفاته، وقد أخبرنا الله تعالى في قصة الخضر مع موسى عليه السلام حفظ أموال اليتيمين لصلاح أبيهما، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

□ عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قال: كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحفظ الله تعالى له كنزه، حتى أدرك ولداه، فاستخرجا كنزهما»[1].

انظر من يبني جدار اليتيمين لأمانة والدهمَا.. إنهمَا نبيّان كريمَان على الله.. فانظر جلالة الأمانة وعظمها.

□ وقد سأل بعض خلفاء بني العبّاس بعض العلمَاء أن يُحدِّثه عمن أدرك، فقال: «أدركت عمر بن عبد العزيز، قيل له: يا أمير المؤمنين أقفرت أفواه بنيك من هذا المَال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم؟ - وكان في مرض موته- فقال: أدخلوهم علي، فأدخلوهم، وهم بضعة عشر ذكرًا، ليس فيهم بالغ، فلمَّا رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني، والله ما منعتكم حقًّا هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنمَا أنتم أحد رجلين: إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أخلف لَهُ ما يستعين به على معصية الله تعالى، قوموا عني. قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مئة فرس في سبيل الله؛ يعني أعطاها

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٧).

لمن يغزو»[١].

وبأمانة التُّجَّار المسلمين وصدقهم دخل الناس في دين الله أفواجًا:

إن أثر التجار الأمناء الصادقين في انتشار الإسلام لا يقلّ عن أثر الجيوش في الفتوحات الإسلامية، بل إنه فاق أثر هذه الجيوش، ووصل إلى مناطق لم تدخلها جيوش المسلمين، وإنمَا دخلها التجار المسلمون بأمانتهم كمناطق جنوب شرق آسيا، وغرب أفريقيا، ووسطها.

ولمكارم الأخلاق وعلى رأسها الأمانة أسرع كرام الناس إلى اعتناق الإسلام لدعوته إليها..

وما أسلم صفوة الصحابة على يد أبي بكر الصِّدِّيق إلَّا لمَا عهدوه فيه من خُلُق وأمانة فأسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله ﭬ إلَّا لمخالطتهم الصِّديق التاجر الأمين وما لمسوه من أخلاقه الكريمة..

ولمَا سمع حكيم العرب أكثم بن صيفي قول الله ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل]، قال لقومه: «أيْ قوم، إنه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابًا»[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٤٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٦)، و«أسد الغابة» (١/ ١١٢)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١١٠) وأكثم بن صيفي التميمي: أحد المعمِّرين أدرك الإسلام، وخرج يريد النبي ﷺ، ومعه مئة من قومه، فمات في الطريق، وأمراض به أن =

لا عليك ما فاتك من الدنيا إنْ كنت أمينًا:

• قال رسول الله ﷺ: «أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صِدْقُ الحديث، وحِفْظ الأمانةِ، وحُسن الخُلُقِ، وعفَّةُ مَطْعَم»[(١)].

ضياع الأمانة من علامات النفاق، وفساد الزمان، وعلامة من علامات الساعة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِن خان»[(٢)].

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالِصًا، ومَن كانت فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفَاقَ حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمِنَ خان، وإذا حَدَّث كذب، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصمَ فَجَر»[(٣)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصَدَّق فيها الكاذبُ، ويُكَذَّب فيها الصادقُ، ويُؤَتَمَنُ فيها الخائنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، وينطق فيها الرُّويبضة». قيل: وما

يقدموا على رسول الله ﷺ ويُعلِموه بإسلامه. انظر: «أسد الغابة» (١/ ١١٢).

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمرو، ورواه ابن عدي، وابن عساكر عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٣٣)، و«صحيح الجامع» (٨٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي، والنسائي.

(٣) رواه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم.

الرُّويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلَّم في أمرِ العامة»[(١)].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بكمْ، وبزمانٍ يُوشِكُ أنْ يأتيَ يُغَرْبَلُ الناسُ[(٢)] فيه غربلةً، ثمَّ تبْقى حُثَالةٌ[(٣)] من الناس قدْ مرجَتْ[(٤)] عهودهم وأماناتهم، فاخْتلَفُوا هكذا – وشَبَّكَ بين أصابعهِ– قالوا: كيف بنا يا رسولَ الله إذا كان ذلك؟ قال: «تأخذون بمَا تعرفون، وتدعُونَ ما تنْكِرون، وتقْبِلون على خاصَّتِكم، وتذرون أمر عوامِّكم»[(٥)].

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّهُ سمع رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُبغضُ الفُحْشَ والتَّفحُّشَ. والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لا تقوم الساعةُ حتَّى يُخوَّنَ الأمينُ، ويُؤْتمن الخائِنُ. حتَّى يظهر الفُحْشُ والتَّفحشُ. وقطعيةُ الأرْحَامِ وسوء الجوار. والذي نفس محمدٍ بيده إنَّ مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذَّهبِ، نفخَ عليها صاحبها فلمْ تغيَّرْ ولم تنقصْ. والذي نفسُ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩١، ٣٣٨)، وابن ماجه في «الفتن» (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٤٦٥، ٤٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٨٨)، و«صحيح الجامع» (٣٦٥٠).

(٢) يغربل الناس: يذهب خيارهم، ويبقىٰ شرارهم.

(٣) حثالة من الناس: الحُثالة: الرديئ من كل شيء.

(٤) مرجت: اختلفت وفسدت.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٥٨) واللفظ له، وأبو داود (٤٣٤٣)، وأحمد، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥)، و«صحيح الجامع» (٤٥٩٤)، وقال الشيخ شاكر (٧٠٤٩): إسناده صحيح.

محمدٍ بيده إنَّ مثل المؤمن لكمثلِ النحلةِ أكلتْ طيِّبًا. ووضعت طيِّبًا. ووقعتْ فلم تكْسرْ ولم تفسد..». قال وقال: «ألا إنَّ لي حوضًا ما بين ناحيتهْ كما بين أيلة إلى مكَّة»، أو قال: «صنعاء إلى المدينة، وإنَّ فيه من الأباريقِ مثل الكواكبِ، هو أشدُّ بياضًا من اللبنِ وأحْلَى من العسل. ومن شربَ منهُ شربة لا يظمأُ بعدها أبدًا»[(١)].

• وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يُطبَعُ المؤمِنُ على كُلِّ خُلَّةٍ غيرَ الخيانة والكذب»[(٢)].

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: بينمَا النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يحدِّثُ القوم جاء أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ. فقال بعض القومِ: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمعْ. حتى إذا قضى حديثه قال: «أينَ أراهُ السَّائِلُ عن الساعةِ؟» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانتظر الساعة»[(٣)].

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢، ١٩٩، ٢٣٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (١١/ ٩٠): إسناده صحيح. وروىٰ ابن ماجه (٤٠٣٦) نحوه عن أبي هريرة.

(٢) سنده قوي: رواه البيهقي في «سننه» (١٠/ ١٩٧)، والبزار في «كشف الأستار» (١٠٤)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧١١). وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٠٨) وقال: سنده قوي. ونقل المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٦٣) عن المنذري قوله: رواته رواة الصحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٩٢): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٥٩).

العرب والأمانة:

□ عن عائشة رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلامُ وفي العرب بضع وستون خصلة، كلها زادها الإسلام شِدَّةً، منها قرى الضيف، وحُسْن الجوار، والوفاء بالعهد»[(١)].

وقد أشاد المجتمع العربي بالأمانة، ورفع مكانة الأمين والأمناء، وجعلها من الصفات الرئيسة التي يسود بها شيوخ القبائل[(٢)].

□ ومن أقوال شعراء العرب في الثناء على الأمانة بيت لبيد:

وإذَا الأمانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا[(٣)]

□ وقال زهير:

وحِفْظِي للأمانَةِ واصْطِبَارِي على مَا كانَ من ريبِ الزَّمَانِ[(٤)]

□ وقال النابغة:

سأرعى كل ما استودعت جهدي وقد يرعى أمانته الأمين[(٥)]

وما قصة أمانة السموْأل ووفائه في عدم التفريط بالأمانة، والتي يضرب بها المثل، إلَّا صورة رائعة من صور الأمانة والوفاء في المجتمع.

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٤١).
(٢) «موسوعة القيم والأخلاق العربية والإسلامية» بإشراف د. مرزوق بن تذباك (٩/ ٢٦).
(٣) «ديوان لبيد» (ص١٨٠).
(٤) «ديوان زهير» (ص١٠٢).
(٥) «ديوان النابغة» (ص٢٦٢).

أمانة هانئ بن مسعود الشيباني في الجاهلية وانتصار العرب على الفُرس في يوم ذي قار[١]:

«وما اشتهر عن العرب في يوم ذي قار؛ الذي انتصر فيه العرب على الفرس، وذلك أن كسرى لمَا طلب مصاهرة النعمَان بن المنذر – وكان عاملًا لَهُ–، فرفض النعمَان، ثم أدرك أن كسرى سينتقم منه، فجعل يستعد ويتوقع حتى أتاه كتاب كسري: أن أقبل فإن للملك إليك حاجة، فطفق النعمَان يطوف قبائل العرب مستجيرًا، ولم يجره غير هانئ بن مسعود الشيباني، وأودعه دروعًا وودائع، فلمَّا قبض كسرى على النعمَان قتله، واستعمل إياس بن قبيصة على الحيرة، وبعث يطلب ما خلفه النعمَان، فبعث إياس إلى هانئ يأمره أن يرسل إليه ما استودعه من الدروع وغيرها، فرفض هانئ تسليم الأمانة التي عنده، فاجتمع العرب وقاتلوا الفرس فانتصروا في يوم ذي قار. وهذا اليوم يُعد مفخرة للعرب ترويها الأجيال للأجيال تربيةً واعتزازًا بالأمانة»[٢].

وكان النبي ﷺ معروفًا قبل البعثة بالأمانة، وما عرفت مكة أمينًا مثله ﷺ حتى سمّوه – قبل نبوته– بالأمين:

□ قال فيه عمه أبو طالب:

إن الأمين محمَّدًا في قومِه ... عندي يفوقُ منازلَ الأولادِ

---

(١) «نسبة للواقعة بين بكر بن وائل والفرس». وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص٣٧- ٣٨).

□ وقال أحمد شوقي واصفًا النبي ﷺ بالأمين:

لقَّبتمـوه أمـينَ القـوم في صِـغَرٍ ... ومـا الأمـينُ عـلى قـولٍ بِمُـتَّهَمِ

ولا أدل على ذلك من أنَّ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلَّا وضعه عنده، لمَا يعلم من أمانته [(١)]، حتى أن قريشًا قد شهدت له بالأمانة، في حادثة عند بناء الكعبة لمَا اختلفت وتَحَازَبت [(٢)] فيمن يضع الحجر، وحكموا أول داخل عليهم، فإذا هو محمد ﷺ - قبل نبوته- فقالوا: «هذا محمد الأمين قد رضيناه» [(٣)].

---

(١) «سيرة النبي ﷺ» لابن هشام (٢/ ٩٨).
(٢) تحازبت: صارت أحزابًا وفرقًا.
(٣) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (١/ ١٧٢).

علو الهمة في مجالات الأمانة

الأمانة في العقيدة:

• قد مر معنا حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَت فِي جِذْرِ قُلوبِ الرِّجَالِ**»، وهو يدل على أن الأمانة تكون في الإيمَان.

▫ قال المباركفوري: «هي عين الإيمَان، أو كل ما يخفى ولا يعلمه إلَّا الله من المكلف..»[١].

▫ وقال ابن تيمية في قوله ﷺ: «**نَزَلتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**»: «أي تنزل في قلوب المؤمنين من نوره وهداه..، وهو الإيمَان الذي هو إفضال المنعم، وهو أفضل النعم»[٢].

• والإيمَان وثيق الصلة بالأخلاق، وملازم لها تلازم الروح بالجسد، يقول رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤمِنِين إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا، وخِيَارُهُم خِيارُهُم لِنِسَائِهِم**»[٣]، ويتعلق ابن تيمية على الحديث بقوله: «فجعل كمَال الإيمَان في كمَال حسن الخلق»[٤].

▫ ويصف الطحاوي أهل السنة بأنهم يحِبُّون أهلَ العدل والأمانة،

---

(١) «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» (٦/ ٤٠٤) للمباركفوري.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٠٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة»، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث (٤٦٨٢)، وصححه الألباني «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٥٩).

ويبغِضُون أهلَ الجَوْر والخيانة»[١].

وحيث إن الأمانة من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي ينضوي تحتها جميع أحوال العبد الدينية والدنيوية، فإن القيام بالأمانة من الإيمَان، والتفريط بها دلالة على ضعف الإيمَان، فالأمانة والإيمَان بينهمَا ترابط شديد، يدل عليه حديث أنس بن مالك ﷺ: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلَّا قال: «لا إيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَه، وَلا دِينَ لِمَن لا عَهْدَ لَه»[٢]، فقد ربط النبي ﷺ الأمانة وكون الإنسان مأمون الجانب بالإيمَان[٣]، وأن اختلال الأمانة مؤثر في صحة الإيمَان، فهنا النفي ليس نفي مطلق الإيمَان، ولكن لفظ الكمَال والتمَام[٤]، ويؤيد هذا أيضًا ما جاء عن عروة[٥] قوله: «ما نقصت أمانة الرجل إلَّا نقص إيمَانه»[٦]، وممَا يُعَضِّد ارتباط الأمانة بالإيمَان، تفسير الأمانة بالإيمَان في جملة من الأحاديث عند شرّاح السنة، من ذلك ما ذكره الأصبهاني أن الأمانة هي: «عين الإيمَان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء ما أُمِرَ به، واجتنب ما نُهِيَ عنه»[٧]، وللفيروزآبادي كلام في ارتباط الأمانة بالعقيدة، إذ يقول في معنى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾: «أي النية التي

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٤٦).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٦٤٧).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦٤٧)، و«فتح الباري» (١/ ٥٧).
(٥) ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، (أبو عبد الله المدني).
(٦) «الإبانة» لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي (٢/ ٨٥٢).
(٧) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

يعتقدها فيمَا يظهره باللسان من الإيمَان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر؛ لأن الله تعالى ائتمنه عليها.. فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة»[١].

أمانة الإيمان بالله تعالى:

«والأمانة في هذا الركن تقتضي أن يؤمن الإنسان بمَا ورد في الكتاب والسنة، ممَا يجب لله ﷻ من التوحيد الكامل والعبودية التامة وإثبات أسمَائه وصفاته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل[٢]، فعن أبي هريرة ﷺ، أنه «قرأ الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء]، وقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضع إبهَامَهُ على أذُنِهِ، والتي تَلِيهَا على عَيْنه، قال أبو هريرة ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضعُ إصْبَعَيهِ»[٣].

والمعنى أنه ﷺ وضع سبابتيه على عينيه وإبهاميه على أذنيه، تأكيدًا أن الله ﷻ يسمع ويرى، سمعًا وبصرًا حقيقيين، فاعلموا أن الله يسمعكم ويراكم فاتَّقوا الله وأَدُّوا الأمانة[٤]» اهـ[٥].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص١٥١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة»- باب في الجهمية رقم الحديث (٤٧٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر: «تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية» - حاشية (١/ ٤٩٧).

(٥) «الأمانة في الإسلام» (ص١٢٥).

أمانة الإيمان بالملائكة:

من الأمانة في الإيمَان بالملائكة أن نعرف النصوص التي وردت في شأن الملائكة عليهم السلام في الكتاب والسنة، ونوفق بينها.

* ومن الأمانة أن نتولى الملائكة الكرام بالحب والتوقير، وأن نتجنب الإساءة إليهم أو إذايتهُمْ، خلافًا لمَا زعم اليهود أن جبريل عليه السلام عدو لهم، وأن ميكائيل عليه السلام وَلِيٌّ لهم، فكذَّبهم الله سبحانه في قوله تعالى[١]: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة][٢].

أمانة الإيمان بالكُتب السماوية المُنَزَّلة:

□ قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الإيمَان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بمَا سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسمَاءها وعددها إلَّا الله تعالى»[٣].

* وقد تكفل المولى عز وجل بحفظ القرآن العظيم، وما عداه من التوراة والإنجيل وَكِلَ حفظها إلى الربانيين والأحبار من اليهود والنصارى، ولكنهم حرَّفوها وبدَّلوها وغيروها وزادوا فيها ونقصوا، قال جل جلاله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٧٧).

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٢٨).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٤٢٣).

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة]، واختص المولى عَزَّ وَجَلَّ القرآن الكريم بالحفظ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]، وجعله آخر الكتب المنزلة، وأعظمها والناسخ لجميعها.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القرآن أمينٌ على كل كتاب قبله»(١).

□ وقال ابن جريج: «القرآن آمينٌ على الكتب المتقدمة، فمَا وافقه منها فهو حقٌّ، وما خالفه فهو باطلٌ»(٢).

* فأمانة الإيمَان بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، تقتضي الاحتكام إليه في كل شؤون الحياة وقضاياها، صغرت أم كبرت، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

ومن أمانة الإيمَان بكتاب الله تعالى، وتلاوته، وحفظه، والقيام به آناء الليل وأطراف النهار، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده»(٣).

أمانة الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

* الإيمَان بالرسل –عليهم الصلاة والسلام– هو الركن الرابع من

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٢٨).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص ١٣٠).

أركان الإيمَان، فنؤمن بهم جميعًا ونجلهم ونعظمهم من غير غلو فيهم، فهم أفضل الخلق عند الله تعالى، ونحن بحاجة إليهم في إصلاح قلوبنا، وتزكية نفوسنا، وهداية عقولنا، يقول ابن تيمية: «الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلَّا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينالُه من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمَان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمَات»[1].

* والمؤمنون يؤمنون بالرسل جميعًا، فكل رسول أرسله الله تعالى قد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة على الوجه الأكمل، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران]. فمن الرسل من قص الله عَزَّ وَجَلَّ علينا خبره في كتابه، ومنهم من لم يقصص علينا خبره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٩٣- ٩٤)، (١٩/ ٩٦- ٩٩).

فيجب الإيمان بجميع الرسل والأنبياء، سواء من جاء ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية، أو من لم يأت ذكرهم، «فلا نفرق بينهم بأن نؤمنَ ببعض، ونكفرَ ببعض، بل نؤمنُ بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو كافر بالكل»(١).

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

* وقال جَلَّ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

* ومن أمانة الإيمان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام- طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

ومن الأمانة اعتقاد أنهم معصومون ومنزَّهون عن الكذب والخيانة.

ومن أمانة الإيمان بالرسل أن نؤمن بالآيات والمعجزات التي أيَّدَ الله تعالى بها رسله وأنبياءه(٢)، ومن أظهرها القرآن العظيم الذي جعله الله سبحانه معجزة لنبينا محمد ﷺ خاتم الرسل، يقول صاحب «الظلال»: لم يشأ الله تعالى أن ينزل آية قاهرة مادية تلوي الأعناق وتخضعها

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٣).

(٢) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١٢٣- ١٥٣).

وتضطرها إلى التسليم، ذلك أن الرسالة الأخيرة – التي أُرْسِلَ بها محمد ﷺ- رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للقريب والبعيد، لكل أمة ولكل جيل، والخوارق القاهرة لا تلوي إلَّا أعناق من يشاهدونه، ثم تبقى بعد ذلك قصة تروى، لا واقعًا يشهد..، فأما القرآن فها هو ذا بعد أكثر من – ثلاثة عشر قرنًا- كتاب مفتوح ومنهج مرسوم، يستمد منه أهل هذا الزمان ما يقوم حياتهم- لو هُدُوا إلى اتخاذه إمامهم- ويلبي حاجاتهم كاملة، ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل، وأفق أعلى، ومصير أمثل، وسيجد من بَعْدَها كثيرًا ممَا لم نجده نحن، ذلك بأنه يعطي بقدر حاجته، ويبقى رصيده لا ينفد، بل يتجدد»[1].

أمانة الإيمان باليوم الآخر:

وتتجلى أمانة الإيمَان باليوم الآخر في سلوك المسلم في تعامله مع الآخرين، فإذا كان تاجرًا فهو التاجر الصادق الأمين، وإذا كان فقيرًا فهو الرجل الشريف العامل، وإذا كان عاملًا فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنيًا فهو الغني السخي المواسي، وإذا كان قاضيًا فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان واليًا فهو الوالي المخلص الأمين..، وإذا كان خادمًا أو أجيرًا فهو المخلص الأمين».

وما أعظم خطر الأمانة يوم القيامة!، وما أعظم السؤال عنها في هذا المشهد العصيب واليوم العقيم!!

□ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الشهادة تكفّر كل ذنب إلَّا

(١) «الظلال» (٥/ ٢٥٨٥).

الأمانة، يؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قتل في سبيل الله تعالى، فيقال: أد أمانتك، فيقول: وأنَّى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها، فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل على عاتقه فيهوي على أثرها أبد الأبد، قال زاذان: «فأتيت البراء [(١)] ﷺ، فحدثته، فقال: صدق أخي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [النساء: ٥٨] [(٢)].

أمانة الإيمان بالقدر خيره وشرِّه:

* إن استشعار العبد لأمانة الإيمَان بالقدر تجعله يمضي في حياته على منهج سواء، لا تُبْطِرُهُ النعمة، ولا تُسْخِطُهُ المُصِيبَةُ، فمَا أوتي من نِعَمٍ وخيراتٍ فمِنَ الله تعالى، لا بذكائه وحسن تدبيره، قال ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل]، وإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أنْ هذا بتقدير الله سبحانه وابتلاء منه، فلا يَجزع ولا ييأس [(٣)]، قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد]، بل عليه أن يحتسب ويرضى ويصبر، فيكون ذلك خيرًا له بمَا يناله من الأجر والمثوبة من المولى الكريم فقد قال النبي ﷺ: «**عَجبًا لأمرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خيرٌ، وليس ذَاكَ لأحدٍ إلَّا للمُؤمنِ، إنْ أصابَته سرَّاءُ شكر، فكان**

---

(١) البراء بن عزاب ﷺ.

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٨٥).

(٣) انظر: «القضاء والقدر» للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١١١).

خيرًا له. وإنْ أصابتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فكان خيرًا له»[(١)] .

• ومن آثار أمانة الإيمَان بالقدَر، غِنَى النفس والرضا بالرزق، يقول النبي ﷺ: «.. وارْضَ بمَا قسَمَ اللهُ لَكَ تكُن أغْنَى النَّاس..»[(٢)] .

• وقال ﷺ: «ليس الغِنَى عن كَثْرةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس»[(٣)] .

* كمَا أن أمانة الإيمَان بالقَدَر تجعل العبد دائمًا على حذر من مكر الله تعالى: []، فقلوب العباد بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرَّحمن يصرِّفُها حيث يشاء، مع مراعاة تنزيه الله تعالى عن ظلم العباد، قال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه][(٤)] .

الأمانة وارتباطها بالعقيدة:

□ قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أصل الإيمَان عندنا، وفروعه وداخله وخارجه، بعد الشهادة بالتوحيد، وبعد الشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وترك الخيانة، ووفاء العهد، وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين، فقيل له: يا أبا عَلِي، مِن رأيك تقول أو سمعته؟ قال: لا بل سمعناه وتعلمناه من أصحابنا، ولو لم أجده من أهل الثقة والفضل لم أتكلم به»[(٥)] .

---

(١) رواه مسلم – كتاب الزهد- باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩).
(٢) حسن: جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب «الزهد»- باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥) وحسَّنه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».
(٣) رواه البخاري في كتاب «الرقاق» باب الغنى غنى النفس.
(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٤- ١٣٥).
(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي- باب في الأمانات (٤/ ٣٢١).

الأمانة في العبادة:

عَرَّفَ ابن تيمية العبادة بأنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمَال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة.. وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبِرُّ الوالدين.. وأمثال ذلك من العبادة»[١]، فالإسلام كُلٌّ لا يتجزأ، سواء في العقيدة والعبادة والأخلاق، فهو بمثابة عِقْدٍ مترابطٍ، فالعقيدة لها أثرها في العبادة، ومنهمَا جميعًا ينتج الأثر الأخلاقي للأمانة، يقول المولى ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [آل عمران].

□ قال الطبري: «هذا إخبار من الله ﷻ عمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته..، وأوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، فآمن بمحمد ﷺ وصدق به وبمَا جاء به من عند الله تعالى، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله تعالى ونهيه، (واتقى) اتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرمها عليه، فاجتنبَ ذلك مراقبةَ وعيد الله تعالى وخَوْفَ عقابه، فإن الله يحب الذين يتقون فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحَرَّمه عليهم ويطيعونه فيمَا أمرهم به»[٢].

* وحينمَا يغيب معنى الأمانة في النفوس يختلّ الدور الحقيقي للعبادة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢]. «راعون لأماناتهم وعهدهم أفرادًا، وراعون لأماناتهم

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩)، و«العبودية» (ص٣٨).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٢٥ - ٥٢٦).

وعهدهم جماعة»[1].

فهناك أمانة العبادات المتعلقة بالأفراد، وأمانة العبادات المتعلقة بالجماعة.

□ وفوق هذا كله أمانة العبادات القلبية وأهمها الإخلاص لله تعالى، وإرادة وجهه وابتغاء مرضاته وحده، وإفراده بالعبادة والقصد.

الأمانة فيما بين العبد وبين ربه في الاعتقاد والعبادات:

□ قال الشيخ ابن جبرين في محاضرته عن الأمانة[2]: «هذه الشرائع والعبادات من الأمانة، وكل إنسان مؤتمن فيمَا بينه وبين ربه على هذه الحقوق التي لا يَطَّلِع عليها إلَّا رب العباد. فلا أحد يراقبك سِوَى ربك الذي ائتمنك على هذه العبادات:

- ائتمنك على الطهارة والصلاة.
- ائتمنك على الأذكار، وعلى القراءات التي في الصلاة.
- ائتمنك على الصيام. ائتمنك على أداء الحقوق المالية والزكاة، والكفّارات.
- ائتمنك على ترك الذنوب وتجنُّب المعاصي التي حرّمها عليك.

ووكَّل كلَّ ذلك إلى قلبك ومعتقدك، ولا يطَّلع عليه أحدٌ سوى الله تعالى. فالناس لا يعرفون؛ ولكنك تعرف من نفسك أن ربَّك لا يخفى عليه شيء.

---

(١) «الظلال» (٤/٢٤٥٦).

(٢) تم طبعه في كُتيب ضمن منشرات دار القاسم باسم «الأمانة».

- فلو صلَّيت بلا وضوء لم يشعر بك أحدٌ من الناس، **لكن الله** هو الذي يشعر بك، فالوضوء هو الطهارة، وهو **أمانة بينك** وبين ربك.
- ولو صَفَفْتَ في الصلاة، ولأخذت تنحني مع الناس، وترفع وأنت لا تُسَبِّح، ولا تقرأ، ولا تذكر، ولا تأتي بشيء من واجبات الصلاة السِّرِّية ولا أركانها، فإن الناس لا يدرون عنك، ولكن الله يدري. فهذه الأذكار التي في الصلاة أمانة بينك وبين ربك.
- ولو أكلت في رمضان سِرًّا، لم يشعر بك أحد؛ لأن الناس لا يراقبونك في كل حال، ولكن الله تعالى هو الذي يطَّلِع عليك. فهذا الصيام أمانة **بينك** وبين ربك.
- ولو بَخَست الحقوق الواجبة لله من الزكاة ونحوها، ولم تؤدِّ زكاة المَال السِّرِّية، لم يطَّلِعْ عليك إلَّا ربك، فالناس ليس لهم إلَّا الظاهر. فهذه أمانة مالية بينك وبين ربك.
- وكذلك لو خَلَوْت بالمعاصي والذنوب، لم يطلع عليك إلَّا ربك.
- ولو أضمرت في نفسك أي شيء من الشك، أوْ مِن الشرك، أو الكفر، أو الوسوسة، لكان ذلك فيمَا بينك وبين الله، ولن يطَّلع الناس عليك إلَّا أن تخبرهم. فالله هو الذي ائتمنك على هذا وبهذا نعرف أن الأمانة عامة لكل العبادات التي فرضها الله على الناس، وإنمَا كانت تلك أمثلة، وهي على سبيل الاختصار وليست على سبيل الحصر»[١].

---

(١) «الأمانة» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ص١٢ - ١٤) دار القاسم.

الإخلاص وأعمال القلوب أعظم الأمانات:

□قال فضيلة الشيخ ابن جبرين: «ومن الأمانة أيضًا: الإخلاص في الأعمَال – وهذا من أهم الأمانات التي يجب على العبد مراعاتها- فمثلًا: إذا أراد الإنسان الصلاة أو الحد أو الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل ذلك أمام الناس، فإن الناس يمدحونه على ما ظهر منه ويعتقدون أنه رجل صالح لأجل هذه الأعمَال الصالحة، ولكن إذا كان قلبه مُصِرًّا على شك أو على رياء، أو سمعة، أو طلب مدح الناس له، أو نحو ذلك؟ كان هذا العمل باطِلًا ولا يَطَّلِع على بطلانه سوى ربه. فالإخلاص أمانة يفسده الرياء.

*وأعمَال القلوب أمانة جعل للملائكة سلطانًا عليها يتصلون بها، كمَا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [الأنفطار]. والفعل شاملٌ لفعل القلب والبدن، والأمانة فيه بين العبد وربه، وبينه وبين العباد مطلوبة»[(١)].

الأمانة في العبادات:

□قال ابن مسعود رضي الله عنه: «.. والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الوَدائع»[(٢)].

*فالصلاة هي أهم أركان الإسلام، والأمانة فيها: أن تُؤدي كاملة بأركانها وواجباتها دون إخلال بشيء من شروطها، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة]، ويدخل

(١)المصدر السابق (ص١٤، ١٥، ١٨).

(٢)«تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٤٠).

في أداء أمانة الصلاة تفريغ القلب من الشواغل الدنيوية وأداؤها بخشوع، قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

ومن كان أمينًا في صلاته، فإن الله يُبارك له في أعمَاله وحياته، ومن ضيَّعها كان لمَا سواها أضيع.

□ وتتجلَّى الأمانة في الزكاة من جهة إخراج قدرها الشرعي من المَال البالغ نصَابًا وصرفها لمستحقِّها. فالأمين هو الذي يبذل الزكاة لمستحقيها، بعد إحصاءٍ لأمواله وتَحَرٍّ في ذلك[1].

□ والصوم عبادة سِرِّيَة بين العبد وربِّه، يكون المكلَّف به مُؤتَمَنًا على الإمساك عن شهوات نفسه وما حرَّم الله عليه تَعَبُّدًا في هذا الوقت المخصوص.

□ وتتحقّق الأمانة في الحج ابتداءً من النيّة الخالصة لله تعالى، والحرص على تحرِّي النفقة الحلال، ومراعاة أداء النُّسك على الوجه الصحيح.

أمانة العبادات المتعلِّقة بالجماعة:

أمانة العبادات المتعلقة بالجماعة:

* جعل الإسلام الأمانة مظهرًا لوحدة الجماعة، فقد وصف المولى ﷻ المؤمنين بأنهم يراعون أماناتهم وعهدهم، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] و [المعارج: ٣٢]، ذلك أن

(١) انظر: «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٨).

الأمانة «صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة الجمَاعة إلَّا أن تؤدى فيها الأمانات، وتراعى فيها العهود؛ ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان»[١].

• فمن العبادات المتعلقة بالجمَاعة؛ إمامة المصلين، التي تُعَدُّ بمثابة الرأس للجسد، فإنه إذا بطلت صلاة الإمام بطلت صلاة المأموم، لارتباط صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الإمام[٢]، لقوله ﷺ: «الإمام ضامن[٣]..».

• وقوله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ..»[٤]. لذا كان من مقتضى صحة صلاة الإمام أن يراعي حق الإمامة في الصلاة، من حيث الطهارة والخشوع وجميع شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، كمَا ينبغي عليه أن يُطَهِّرَ سلوكَه ظاهرًا وباطنًا، يقول أبو حامد الغزالي: «يُطَهِّر باطنة عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر، فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده، فإنه كالوفد والشفيع للقوم، فينبغي أن يكون خير القوم. وكذا الطهارة ظاهرًا عن الحدث والخبث، فإنه لا يطلع عليه سواه فإن تذكر في أثناء صلاته حدثًا أو خرج منه ريح، فلا ينبغي أن يستحي، بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه..»[٥].

---

(١) «الظلال» (٤/ ٢٤٥٦).

(٢) «الروض المربع» للبهوتي (١/ ٥٠).

(٣) ضامن: الـمُراد ضمان الحفظ والرعاية لأنه يحفظ على القوم صلاتهم.

(٤) يعني أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: حديث صحيح ثابت =

• ومن الأمور المتعلقة بأمانة الإمام تجاه المأمومين ألا يخص نفسه بالدعاء، وقد جاء النهي عن ذلك كمَا في حديث ثوبان [(١)] عن النبي ﷺ: «.. **لا يَؤُمُّ رَجُلٌ قومًا فَيَخُصَّ نَفسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُم، فَإِن فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُم..**» [(٢)].

□ قال ابن القيم: «سمعت ابن تيمية يقول: «هذا الحديث عندي في الدعاء الذي يدعو به الإمام لنفسه وللمأمومين، ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه» [(٣)].

• «والأذان أمانة كمَا أخبر النبي ﷺ: «**الإمامُ ضامنٌ والمؤذنُ مؤتمنٌ**»، وقد ذكر أهل العلم أن من شروط المؤذن أن يكون أمينًا، «أي عدلًا لأنه مؤتمن يرجع إليه في الصلاة وغيرها» [(٤)]، فالمؤذن أمين بين الناس على

(١/ ٤٠٣- ٤٠٥) حاشية، ورواه أبو داود في كتاب «الصلاة» باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت (٥١٧)، وأحمد في «المسند» عن أبي هريرة (٢/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤١٩، ٥١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٥٥) (٥٣٠)، و«الإرواء» (٢١٧)، و«صحيح الجامع» (٢٧٨٧)، وروى الحديث أيضًا ابن حبان، والبيهقي، والشافعي، والطحاوي، وللطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وأحمد، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي عن عائشة، وأحمد عن أبي أمامة.

(١) رواه البخاري في كتاب «الأذان»- باب إنما جُعل الإمام ليؤتم به. رقم (٦٨٨).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٣٢).

(٣) صحيح، رواه أبو داود في كتاب «الطهارة»، باب أيصلي الرجل وهو حاقن؟، رقم الحديث ٩٠، وأشار إلى ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (ص١٧- ١٨)، وحَسَّنَ سند رواية أبي داود، محققًا «زاد المعاد»: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط (١/ ٢٦٤).

(٤) «الروض المربع» (١/ ٣٩).

صلاتهم وصيامهم وعوراتهم»[١].

أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* ومن العبادات المتعلقة بالجماعة أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر. وقد دلَّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة [٢]، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

* وقوله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

[التوبة].

• وقول الرسول ﷺ: «**مَن رَأَى مِنكُم مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإن لم يَستطِع فَبلسَانِه، فإن لم يَستطِع فَبِقَلبِه، وذلك أَضْعَفُ الإيمَان**»[٣].

وقد وصف أبو حامد الغزالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص١٤٢).

(٢) نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم كأبي المعالي الجويني، والنووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٢)، والغزالي في «الإحياء» (٣/ ٤- ٥)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٢٥- ١٢٦)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٩- ١٨٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإيمان»- باب كون النهي عن المنكر من الإيمان –رقم الحديث (٤٩).

بالقطب الأعظم في الدين، إذ يقول: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه وأُهمل علمُهُ وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعَمَّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلَّا يوم التناد»(١).

□ وذهب ابن تيمية إلى أن جميع الولايات الإسلامية: «إنمَا مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى: مثل نيابة السلطان، والصغرى: مثل ولاية الشرطة، وولاية الحكم أو ولاية المَال وهي ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة »(٢). لذا وجب على الحاكم أن ينصب في كل بلدة أناسًا صالحين أقوياء أمناء من أهل العلم يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا تتوقف أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الولايات، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانة متعلقة بكل فرد من الأمة، ولا سيمَا من كانت له ولاية ورعاية، يقول نبينا محمد ﷺ: «**أَلا كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسؤول عن رَعِيته، فَالأَمِير الذي على الناس رَاعٍ، وهُو مَسؤول عن رَعِيتِه، والرجلُ رَاعٍ على أَهل بَيتِه، وهُو مَسؤول عنهُم، والمرأَةُ رَاعِية على بَيتِ بَعلِها وولَدِه، وهي مسؤُولة عنهم، والعبدُ راعٍ على**

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٦).

مالِ سَيدِه، وهو مسؤُولٌ عنه. أَلا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مسؤُولٌ عن رَعِيته»[(١)]، فكل هؤلاء المذكورين في الحديث رعاةً وحكامًا على اختلاف مراتبهم مُؤتمنون بأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسؤولون أمام الله تعالى.

• كمَا حذر الإسلام من خيانة الأمانة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن يأمر المرء غيره وهو يقع في المنكر، كمَا في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القِيامةِ فَيُلقى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[(٢)] في النَّارِ، فيدورُ كمَا يدورُ الحمَارُ برَحَاه، فيجتمعُ أَهْلُ النَّارِ عليه، فيقولون: أي فُلانُ ما شَأْنكَ؟ أَليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمعروفُ وتَنْهانا عن المنكر؟ قال: كُنْتُ آمرُكُم بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهاكُم عن المنكرِ وآتِيه»[(٣)]»[(٤)].

□ ولا يمكن الفصل بين العبادة والأمانة إلَّا لمن به خلل، قال عمر رضي الله عنه: «لا يعجبَنَّكم من الرجل طَنْطَنته – يعني صلاته- ولكن من أدى الأمانة، وكفّ عن أعراض الناس فهو الرَّجُل»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي: أمعاؤه. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١١).

(٣) رواه البخاري -كتاب بدء الخلق- باب صفة النار (٣٢٦٧)، ورواه مسلم في كتاب «الزهد والرقائق»- باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩).

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٤٢- ١٤٣).

(٥) «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٦/ ٤٧٢)، وبنحوه في «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص١٩٣).

والعقل أمانة فانظر كيف تعلو همتك في توظيفه للآخرة ونفع المسلمين في الدنيا:

«اتصاف المرء بالعقل وتسخيره في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ أمانة كبرى يثاب عليها، لذا كان من رعاية الإسلام لأمانة العقل – أن جعله إحدى الضروريات الخمس[(١)] – ومنع أي فعل يعطل مهمته، وحَرَّم حفظًا له كل ما يضر بهمته ولو لفترة محدودة، فقد حرم كل مُسْكرٍ ومُخدرٍ ممَا يُخامر العقل ويُغطيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة]، ومن أجل صيانة العقل شرعت عقوبة جلد شارب الخمر لردع متناوله، وزجر كل ما يسعى إلى الإضرار بأمانة العقل ولو لفترة محدودة.

أما تعطيل العقل بالكلية بأي سبب يؤدي إلى ذهابه، فقد عاقب الشرع فاعله بالدية كاملة رعاية لَهُ، قال ابن قدامة: «في ذهاب العقل الدية، لا نعلم في هذا خلافًا، - وكتب النبي ﷺ لعمرو بن حزم رضي الله عنه: «**وفي العقل الدية**»[(٢)]، وتظهر عِلَّة هذه العقوبة؛ بأنه أكبر المعاني قدرًا، وأعظم الحواس نفعًا، وبه يميز بين النافع والضار، والحق والباطل[(٣)]»[(٤)].

---

(١) انظر: «المستصفى» للغزالي (١/ ٢٨٦- ٢٨٧)، و«الموافقات» للشاطبي (١/ ١٥)، و(٢/ ٤).

(٢) «المغني» (١٢/ ١٥١- ١٥٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص٨١- ٨٢).

□ قال ابن القيم رحمه الله: «إن امتناع السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة لأجل خُلُوِّها من العقل الذي يكون به الفهم والإفهام، وحُمِّلُ الإنسان إياها لمكان العقل فيه»(١).

□ ومن الأمثلة العظيمة لأمانة العقل أنه لمَّا عزم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على جمع القرآن، قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه»(٢)، فكان أول ما حمل أبا بكر رضي الله عنه على اختيار زَيْدٍ ما اتصف به من أمانة العقل.

قال المهلب معقبًا على قول أبي بكر رضي الله عنه: «إن العقل أصل الخِلال المحمودة؛ لأنه لم يصف زيدًا بأكثر من العقل وجعله سببًا لائتمَانه ورفع التهمة عنه»(٣).

□ ومن حفظ أمانة العقل أن يزكِّية الإنسان ويوظِّفه ويُعلِي همته في ذلك بأن يوجهه إلى آيات الله الكونية، وفي النفس البشرية، وارتياد أوسع الآفاق لخدمة الناس في الحياة الدنيا وبناء الحضارة الإسلامية، وفوق هذا معرفة أسرار الشريعة، والفهم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

□ ومن أمانة العقل أن تستخدمه فيمَا يصلح له، وأن لا يُتعدَّى به طوره، فمثل العقل كالميزان الحساس يُوزن به أدق شيء من الجواهر النفيسة، ولا تُوزن به الصخور والجبال، والعقل كالدَّابة يُوصِّلك إلى

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٢٣).
(٢) البخاري -كتاب فضائل القرآن- باب جمع القرآن (٤٩٨٦).
(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٨٣).

باب المَلِك، ثم تدخل عليه بعد ذلك بمطلق التسليم.

□ قال الغزالي: «العقل ليس مستقلًا بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفًا للغطاء عن جميع المعضلات»[(١)].

□ وأصل ذلك كمَا يقول ابن تيمية: «إنه لا يمكن العاقل أن يدفع عن نفسه أنه يميز بعقله بين الحق والباطل، والصدق والكذب، وبين النافع والضار، والمصلحة والمفسدة، ولا يمكن المؤمن أن يدفع عن إيمَانه أن الشريعة جاءت بمَا هو الحق والصدق في المعتقدات، وجاءت بمَا هو النافع والمصلحة في الأعمَال التي تدخل فيها الاعتقادات»[(٢)].

□ والدكتور محمد عبد الله دراز له رَدٌّ على أولئك الذين لا يتبعون إلَّا العقل ويعطلون الشرع، إذ يقول: «لا تحسبن أن نور الشريعة فيمَا لَمْ يهتد إليه العقل بمفرده قد أصبح مستغنيًا عن نور الفطرة جملة؛ كلا، فإنه لا يزال في أشد الحاجة إلى رفده وعضده»[(٣)]، ولهذا لا يمكن الاهتداء في ظل العقل وحده، بل إن العقل في حاجة ماسة إلى الشرع في الاستنارة بهداه، كمَا يقول أبو حامد الغزالي: «الأخلاق والأعمَال متفاوتة متفاضلة ومتمايزة بالخير والشر، والمقادير فيها عملٌ وجزاء ممَا لا يهتدي إليه عقل كل عاقل، إلَّا أن يكون مؤيدًا من عند الله عَزَّ وَجَلَّ بالوحي»[(٤)]، ويؤيد هذا ما ذكره الماوردي: «إن العقل لا يعلم فرض شيء ولا إباحته، ولا

---

(١) «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي – تحقيق محمود بيو (ص٥٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٣٤٦- ٣٤٧).

(٣) «دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية» (ص١١٧).

(٤) «معارج القدس في مدارج معرفة النفس» (ص١٤٧).

تحليل شيء ولا تحريمه»[١].

□ ويرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: «الشرع يخبر بمُحارات العقول لا بمُحالات العقول».

والجوارح أمانة:

عينُك، وسمعك، وبصرك، ويدك، ورجلك، وفرجك، ولسانك، وأنفك.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

فستسأل عن هذه الأمانات هل أديت حقها أم ضيعت هذا الحق، هل أديت حق هذه الأمانة؟

لكل جارحة عبوديَّة، فهل بلغت أقصى درجات الكمَال، ونلت شرف علو الهمة في تحصيلها أم لا.

ومن نظر إلى حرام، أو سَمِع حَرَامًا، أو تكلَّم بحرام، أو ذاق حرامًا، أو أكل حرامًا، أو شمَّ حرامًا، فقد أخل بالأمانة، يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أنك تعصي الله بجوارحك، وإنمَا هي نعمة من الله عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله تعالى على معصيته غاية الكفران، وخيانتك في أمانةٍ أودعكها الله تعالى غاية الطغيان، فأعضاؤك رعاؤك، فانظر كيف ترعاها «ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ»[٢]»[٣].

---

(١) «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي (ص١٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «بداية الهدىٰ» (ص٤٧).

أمانة العلم:

والعلم أعظم أمانة حملها الإنسان، ولأن يطلب العالم الدنيا بطبل ومزمار خير له من أن يدنس وجه العلم بطلب فتات موائد أبناء الدنيا من السلاطين وأصحاب الجاه، وتدبيج فتاوى الزور، وتأويل النصوص وَلَيِّ عُنقها حسب أمزجة أبناء الدنيا..

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عَظَّموه في النفوس لَعُظِّمَا
أأشقى به غَرْسًا وأجنيه ذِلَّةً ... إذًا فاتِّباعُ الجَهْلِ قد كان أحزمَا

إن أمانة العلم تحمل العلمَاء على أن يكونوا أدلاء على نوره يُبَصِّرون أبناء الأمة بنور الكتاب وجَمَال السُّنَّة، يَصفون الطريق للمدلجين، ويهدون إليه المتحيّرين، يصيح لسان حالهم بالبَعيدين: يا له من دين لو أنَّ له رجالًا.

✍ وأمانة العلم تقتضي أن يُرَبِّي طلبة العلم على «نصف العلم» وهي قول: «لا أدري».

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى لا يقبضُ العِلْم انتزاعًا ينتزعُهُ من العباد، ولكن يقبض العلمَ بقبضِ العلمَاءِ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤساء جُهَّالًا، فسُئِلُوا، فأفْتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأضَلُّوا»**[١].

• وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«غيرُ الدَّجَالِ أَخْوَفُ على أمتي من الدَّجَّال؛ الأئمة المُضِلُّون»**[٢].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي، وابن ماجه.
(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٨٩)، =

• وتَعَلُّمُ العلم لغير الله خيانةٌ لأمانة العلم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تَعَلَّم العِلْم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاءَ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم»(١).

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تَعلَّم علمًا مما يُبتغَى به وجه الله، لا يتعلَّمه إلَّا ليُصيب به عِوَضًا من الدنيا، لم يَجِد عَرْف الجنة يوم القيامة»(٢).

والمال أمانة: يأخذه من حِلِّهِ ويُنفِقُهُ في حِلِّه، ويُعطِي حقَّ الله فيه من زكاة وصَدَقة.

• عن أبي كبشة الأنماري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهنَّ: ما نقَصَ مالُ عَبْدٍ من صدقة، ولا ظُلِم عبدٌ مَظلمَةً صَبَر عليها إلَّا زاده الله ﷻ عِزًّا، ولا فَتَح عَبْدٌ بابَ مَسْألةٍ إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فَقْر، وأُحدِّثُكم حديثًا فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نَفَرٍ: عبدٍ رزقه الله مالًا وعِلْمًا فهو يتَقي فيه ربَّه، ويصل فيه رَحِمَهُ، ويعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى عِلْمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادِقُ النِّية، يقولُ: لو أنَّ لي مالًا، لعَمِلْتُ بِعَمَل فلانٍ فهو بنيَّته، فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالًا، ولم يرزقه علْمًا، يَخبِطُ في مالِهِ بغير علم، لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يَصل فيه رَحِمه، ولا يعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه

و«صحيح الجامع» (٤١٦٥).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

الله مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعملِ فُلانٍ، فهو بنيَّتِهِ، فوزرهما سواء»[(١)].

• المال أمانة وأنت مُستخلَفٌ فيه فانفع به المسلمون في قرضهم أو التَّصدُّق عليهم قال رسول الله ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»[(٢)].

أداء الأمانات إلى أهلها:

«إن ممَا يورث المحبة والألفة والتعاون، ويدعو إلى ازدهار النشاط الاقتصادي القيام بالأمانات الواجبة، وقد أثنى الله تعالى على رعاية المؤمنين للأمانة في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ ﴾ [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢] وأمر بأداء الأمانة: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، جاء في تفسير الآية، أن الأمانة داخلة في كل شيء، من ذلك: الكيل والوزن والودائع.

□ قال القرطبي: «الآية شاملة بنظمها لكل أمانة، وهي أعداد كثيرة..، وأمهاتها في الأحكام الوديعة، واللُّقَطَة، والرَّهن، والعارية»[(٣)]، وجاء في سبب نزولها، أن النبي ﷺ قبضَ مفتاح الكعبة يوم الفتح من ابني طلحة، فدخل الكعبة، فخرج وهو يقرأ هذه الآية، فدعا عثمَان بن طلحة فقال: «خُذوها يا بني طلحة بأمانة الله، لا يَنزعها منكم إلَّا

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤)، «صحيح الجامع» (٣٠٢٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب «السلام» باب استحباب الرقية.

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٤٦).

ظَالِم»[١]، وهذا يبين أن «الوديعة أمانة نزلت الآية ابتداء للأمر بأدائها إلى أهلها، وهذا ما عليه المفسرون»، مع ملاحظة أن الأمر بالأداء في الآية الكريمة يشمل كل أنواع الأمانات التي يجب أداؤها إلى أربابها الأبرار منهم والفجار»[٢].

□ ومن مواقف نبينا محمد ﷺ العظيمة في تأديته الأمانات لمَّا كان بمكة، فقد كان الكفار يأتمنونه على أموالهم ويودعون عنده ودائعهم، بالرغم من بقائهم على الكفر، ولمَّا أُمِرَ بالهجرة أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يؤدي عنه الأمانات والودائع التي كانت عنده للناس[٣]، وهو بهذا يعطي أمته درسًا في أداء الأمانات إلى أهلها، ومن هديه ﷺ المبادرة إلى أداء الأمانات وتوفية الأموال التي ترد إليه إلى أصحابها، فإنه ذات يوم صلى العصر فلمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا فدَخَلَ على بعض نِسائِهِ، ثم خَرَجَ وَرَأَى مَا في وُجُوهِ الصحابة من تعجبهم لسرعته، فقال: **«ذَكَرْتُ – وأنا في الصَّلاة- تِبْرًا[٤] عندنا فكَرِهْتُ أَنْ يُمْسِيَ – أَوْ يَبِيت – فأمرتُ بِقِسْمتِهِ»**[٥].

---

(١) «أسباب النزول» (ص١٣٤)، وانظر «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩٣)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٠/ ١١٢) و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٤٦).

(٣) انظر: «سيرة النبي ﷺ» (٢/ ٩٨)، و«السنن الكبرىٰ» (٦/ ٤٧٢).

(٤) التِّبْر: هو الذهب والفضة قبل أن يُضربَا دراهم ودنانير. انظر «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٧٩).

(٥) رواه البخاري في كتاب «العمل في الصلاة»- باب تفكُّر الرجل الشيء في الصلاة (١٢٢١).

هذا من ناحية الأمانات، بل ذهب ابن تيمية إلى وجوب أداء الغصب والسرقة ونحو ذلك من المظالم بقوله: «إذا كان الله تعالى قد أوجب أداء الأمانات التي قُبضت بحق، فمن باب أولى وجوب أداء الغصب والسرقة والخيانة ونحو ذلك من المظالم»(١).

ولا شك أن أداء الأمانات إلى أهلها من الأمور الأساسية التي تقوم عليها نهضة المجتمع لا سيمَا في الجوانب الاقتصادية، وكمَا قيل: أداء الأمانة مفتاح الرزق»(٢).

□ وأداء الأمانات إلى أهلها يتضمّن:

أوَّلًا: أمانة تأدية الدَّيْن.

ثانيًا: أمانة توفية الكَيْل والميزان.

أولاً: أمانة تأْدِية الدَّيْن:

* أكدَّ الله ﷻ على أمانة تأْدِية الدَّيْن، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. والمولى ﷻ أطلق اسم الأمانة على الدَّين الذي في الذمة، وفي ذلك تعظيم لأمانة الدَّينِ وحث على تأديته(٣)، ويؤيد هذا ما ذكره ابن المنير تعليقًا على قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، قال: «أدخلَ الدَّيْن في الأمانة لثبوت الأمر بأدائه»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٦٦).
(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٨٤- ١٨٥).
(٣) «تفسير التحرير والتنوير» (٣/ ١٢٢).
(٤) «فتح الباري» (٥/ ٥٥).

• وينبغي للمدِين أن يبادر إلى إبراء ذمّته، والوفاء بالدَّيْن في مَوْعده، ما دام قادِرًا على السَّدَاد، ولا تجوز المماطلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِي ظلم**»[١].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ خيارَكم أحسنكم قضاء**»[٢].

• وعدم مراعاة الأمانة في أداء الديون تكون سببًا في هلاك النفوس والأموال، فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**لا تُخِيفُوا أنفسكم**» -أوْ قال الأنفس- فقيل له: يا رسول الله، وما نُخِيفُ أنفسنا؟ قال: «**الدَّيْن**»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «**نَفْس المؤمن مُعَلَّقةٌ بِدَيْنه حتى يُقضى عنه**»[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الحوالة»- باب الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٢٣٠٥)، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) حسن: رواه البيهقي في «سننه»، وأحمد (٤/ ١٤٦، ١٥٤)، والبخاري في «الأدب»، وأبو يعلىٰ، والطبراني في «الكبير»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٥٩)، و«الصحيحة» (٢٤٢٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي في كتاب «الجنائز»، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: نَفْس المؤمن مُعَلَّقة بِدَيْنه- وقال: حديث حسن (١٠٧٩)، ورواه ابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٩١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٧٧٩)، و«صحيح سنن الترمذي». وقد قُبِضت روح شيخ الديار المصرية في الحديث في الحبيب وسيدنا الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف وهو يرد علىٰ سؤال حول هذا الحديث ويقوم بتخريجه علىٰ شريط مُسجَّل رحمه الله رحمة واسعة.

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يُغفَر للشهيد كُلُّ ذنْبٍ إلَّا الدَّيْن»[١].

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إيَّاكُم والدَّيْن، فإن أوَّله هَمٌّ، وآخره حرب»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءَها، أَدَّى الله عنه، ومن أخَذَها يريدُ إتلافها أتْلَفَه الله»[٣].

تفريج كُرْبة من وفّى وأدّى دينه كأحسن ما يكون الأداء:

في حديث الثلاثة أصحاب الغار وكيف نجّاهم الله..

«.. **وقال الثالث: اللهم اسْتَأْجَرْتُ أُجراءَ وأعْطَيْتُهم أَجْرَهم غيرَ رَجُل واحد، تركَ الذي له وذهب، فثمَّرتُ أجره، حتى كثرتَ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله! أدِّ إليَّ أجْري، فقلتُ: كُلُّ ما ترى مِن أجرك: من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق. فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي! فقلتْ: لا أستهزئ بك، فأخذَه كُلَّهُ فاستاقهُ، فلم يترُكْ منه شيئًا، اللهم إِن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرُج عنا ما نحنُ فيه، فانفرجت الصخرةُ؛ فخرجوا يمشُون**»[٤].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم في كتاب «الإمارة» باب من قُتِل في سبيل الله كفِّرت خطاياه إلا الدَّيْن.

(٢) «موطأ مالك» (٤/ ٧٥)، و«المبسوط» (٢٠/ ٨٨).

(٣) رواه أحمد، والبخاري (٢٣٨٧) تعليقًا في الزكاة –باب لا صدقة إلا عن ظهر غنىً، وفي الاستقراض، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

أمانة جابر بن عبد الله في سداد دين أبيه :

• عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما: «أنَّ أباهُ استُشْهدَ يوم أحدٍ وترك سِتَّ بناتٍ وترك عليه دينًا. فلمَّا حضره جذاذُ النَّخْلِ [(١)] أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، قد علمْت أنَّ والدي استشهد يوم أحدٍ وترك عليهِ دينًا كثيرًا وإنِّي أحبُّ أنْ يراك الغُرماءُ. قال: «**اذهبْ فيبدرْ كُلَّ تمْرٍ على ناحيةٍ**. ففعلتُ ثُمَّ دعوْتُهُ فلمَّا نظرُوا إليه أُغْرُوا [(٢)] بي تلك السَّاعةَ». فلمَّا رأى ما يصنعُونَ طاف حول أعظمها بَيْدَرًا [(٣)] ثلاث مرَّاتٍ. ثمَّ جلس عليه ثمَّ قال: «**ادْعُ أصحابكَ**» فمَا زال يكيلُ لهم حتَّى أدَّى الله أمانةَ والدي. وأنا والله راضٍ أنْ يؤدِّي الله أمانةَ والدي، ولا أرْجعُ إلى أخواتي تمْرَةً. فسلمَ – والله- البيادِرُ كُلُّها حتَّى إنِّي أنْظُرُ إلى البيْدَرِ الذي عليه رسولُ الله ﷺ كأنَّهُ لم ينقُصْ تمْرَةً واحدةً»[(٤)].

علو همة الزبير رضي الله عنهما في سداد ديْنه، وعُلو كعْب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في الأمانة وسداد الدَّين :

• عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لمَّا وقف الزُّبير يوم الجمل دعاني فقُمْتُ إلى جنْبه، فقال: يا بُنيَّ لا يُقْتلُ اليوم إلَّا ظالمٌ أو مظلومٌ، وإنِّي لا

---

(١) جِذاذ: نصُّ «فتح الباري» (٥/ ٢٧٨١) من الجذِّ وهو القطع، ورواه العيني في «عمدة القاري» كتاب الوصايا مجلد ٧ (١٤/ ٧٧) «جداد» بفتح الجيم وكسرها قال: وهو صرام النخل وهو قطع ثمرتها، وفي «لسان العرب» أن الجداد –بفتح الجيم وكسرها- أوان الصرام.

(٢) أعزوا بي: هِيجُوا بي، ولجُّوا في مطالبتي.

(٣) بيْدر الحِنطة ونحوها: كومها. والبيدر: الجرن من القمح ونحو.

(٤) رواه البخاري «الفتح» (٥/ ٢٧٨١).

أراني إلَّا سأُقتلُ اليوم مظلومًا، وإنَّ من أكبرِ همِّي لديْني، أفتُرى يُبقي دينُنا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بُنَيَّ بِعْ مالنا، فاقْضِ ديْني. وأوْصَى بالثُّلُثِ، وثلثهِ لبنيه - يعني: بني عبد الله بن الزُّبير، يقولُ: ثلثُ الثُّلُثِ- فإنْ فضل من مالنا فضلٌ بعد قضاءِ الدَّيْن فثلثه لولدكَ. قال هشامٌ: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزُّبيْر - خُبَيبٌ وعَبَّادٌ- وله يومئذٍ تسعةُ بنينَ وتسْعُ بناتٍ. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُنَيَّ إنْ عجزْت عن شيءٍ منه فاستعنْ عليه مولاي. قال: فوالله ما دريْتُ ما أراد حتَّى قلتُ: يا أبتِ من مولاكَ؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربةٍ من دَيْنه إلَّا قلتُ: يا موْلَى الزُّبيرِ اقْضِ عنه دينَهُ، فيقْضِيهِ. فقُتِلَ الزُّبيرُ ﷺ ولم يدعْ دينارًا ولا درْهَمًا، إلَّا أرضينَ منْها الغابةُ، وإحْدَى عشرة دارًا بالمدينَةِ، وداريْن بالبصْرة، ودارًا بالكوفةِ، ودارًا بمصر. قال: وإنمَا كان ديْنُهُ الذي عليه أن الرَّجُلَ كان يأتيه بالمَال فيستودعه إيَّاهُ، فيقول الزُّبيرُ: لا، ولكنَّه سلفٌ، فإنِّي أخْشَى عليه الضَّيْعَة. وما ولي إمارةً قطُّ ولا جبايةَ خَراجٍ ولا شيئًا إلَّا أنْ يكون في غزْوَةٍ مع النَّبيِّ ﷺ أوْ مع أبي بكرٍ وعمر وعثمَانَ ﷺ قال عبد الله ابنُ الزُّبيرِ فحسبْتُ ما عليه من الدَّين فوجدْتُهُ ألْفَيْ ألفٍ ومئتيْ ألفٍ، قال: فلقيَ حكيمُ بن حزامٍ عبد الله ابن الزُّبيرِ. فقال: يا ابن أخي: كمْ على أخي من الدَّيْنِ؟ فكَتَمَهُ فقال: مئةُ ألفٍ. فقال حكيمٌ: والله ما أرى أموالكُمْ تَسَعُ لهذه. فقال له عبد الله: أرأيْتَكَ إنْ كانت ألفَيْ ألفٍ ومئتيْ ألفٍ؟ قال: ما أراكُمْ تُطِيقُونَ هذا، فإنْ عجزتم عن شيءٍ منه فاستعينُوا بي. قال: وكان الزُّبيرُ اشترى الغابةَ بسبعين ومئةِ ألفٍ. فباعها عبدُ الله بألفِ ألفٍ وستِّمئةِ ألفٍ. ثم قام فقال: من كان له على الزُّبير حقٌّ فليوافنا بالغابة، فأتاهُ عبد الله بن جعفرٍ - وكان له على الزبير أربعُمئة ألف -

فقال لعبد الله: إنْ شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإنْ شئتُمْ جعلتموها فيمَا تؤخِّرون إنْ أخَّرتم، فقال عبد الله: لا. قال: قال: فاقطعوا لِي قطعةً. قال عبد الله: لك منْ هاهنا إلى هاهنا. قال: فباعَ منها فقضى دينهُ فأوْفاهُ، وبقي منها أربعةُ أسهم ونصْفٌ، فقدم على مُعاويةَ -وعنده عمرو ابن عثمَان والمنذر بن الزُّبير، وابن زمَعْةَ، فقال له معاويةُ: كم قُوِّمتِ الغابةُ؟ قال: كُلُّ سهمٍ مئةُ ألفٍ، قال: كمْ بقيَ؟ قال: أربعةُ أسهم ونصفٌ. فقال المنذر بن الزبير: قد أخذْتُ سهمًا بمئةِ ألفٍ. وقال عمرو ابن عثمَان: قد أخذتُ سهمًا بمئة ألفٍ. وقال ابنُ زمعة: قد أخذْتُ سهمًا بمئة ألفٍ. فقال معاوية: كم بقيَ؟ فقال: سهمٌ ونصفٌ. قال: أخذته بخمسين ومئةِ ألفٍ. قال: وباع عبدُ الله بن جعفرٍ نصيبهُ من معاوية بستِّمِئة ألفٍ. فلمَّا فرغَ ابنُ الزُّبير من قضاءِ دينه قال بنو الزُّبير: اقسمْ بيننا ميراثنا. قال: لا والله لا أقسمُ بينكُمْ حتَّى أُنادي بالموسم أربعَ سنين: ألا منْ كان له على الزُّبير دينٌ فليأتنا فلنقْضِهِ. قال: فجعل كلَّ سنةٍ يُنَادي بالموسم فلمَّا مضى أربعُ سنينَ قسم بينهم. قال: وكان للزُّبيرِ أرْبع نسوةٍ، ورفع الثلث فأصابَ كُلَّ امرأةٍ ألفُ ألفٍ ومائتا ألفٍ» [(١)].

ما أعلى همة هذا الصالح من بني إسرائيل في سداد دَيْنه وأداء أمانته:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ رجلًا منْ بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيلَ أنْ يُسلِّفَهُ ألف دينارٍ، فقال له الرجل** - أي الدائن أي الذي سيمنحه المَال -: **ائْتني بشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيدًا، قال: ائتني بكفيلٍ، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقْتَ،**

(١) رواه البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٢٩).

فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمس مركبًا يقدمُ عليه للأجلِ الذي كان أجَّله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرها وأدخل فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً معها إلى صاحبها، ثم زجَّجَ موضعها ثمَّ أتى بها البحر ثمَّ قال: اللهمَّ إنَّك قدْ علمْتَ أنِّي استلفْتُ من فلانٍ ألفَ دينارٍ فسألني كفيلًا فقلتُ: كفى بالله كفيلًا فرضِيَ بكَ، وسألني شهيدًا فقلتُ: كفَى بالله شهيدًا فرضِيَ بك، وإنِّي قدْ جهِدْتُ أنْ أجِدَ مرْكبًا أبْعثُ إليه بالذي له فلم أجدْ مركبًا وإنِّي استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولَجَتْ فيه ثمَّ انصرف ينظر وهو في ذلك يطلب مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجُل الذي كان أسْلَفَهُ ينظر لعلَّ مركبًا يجيءُ بمَاله، فإذا بالخشبة التي فيها المَال فأخذها لأهله حطبًا، فلمَّا كسرها وجد المَال، والصَّحيفة، ثم قدم الرَّجُل الذي كان تسلَّفَ منه فأتاه بألفِ دينارٍ وقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمَالك فمَا وجدْتُ مركبًا قبل الذي أتيْتُ فيه، قال: هل كنت بعثْتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: ألمْ أخبركَ أنِّي لم أجدْ مركبًا قبل هذا الذي جئْتُ فيه، قال: فإن الله قدْ أدَّى عنك الذي بعثْتَ به في الخشبة فانصرفْ بألْفِكَ راشِدًا»[1].

أمانة رد اللقطة والأموال الضائعة إلى أصحابها:

أمانة ابن عقيل الحنبلي رحمه الله:

□ قال أبو المظفَّر سِبط ابن الجوزي: «حكى ابن عقيل عن نفسه قال: حججت. التقطت عقْدَ لؤلؤ في خَيْطٍ أحمرَ، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خُذ الدنانير، فامتنعتُ،

(١) رواه أحمد، والبخاري في «الكفالة» (٢٢٩١).

وخرجتُ إلى الشام، وزُرْتُ القدسَ، وقَصدْت بغداد، فأويْت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدَّموني، فصلَّيْتُ بهم، فأطعموني، وكان أوَّل رمضان، فقالوا: إمامُنا تُوفِّي فصَلِّ بنا هذا الشهر، ففعلتُ، فقالوا: لإمامنا بنت، فزُوِّجتُ بها، فأقمتُ معها سنة، وأولدتها ولدًا ذكرًا، فمرِضت في نفاسها، فتأمَّلتُها يومًا فإذا في عُنُقِها العقدُ بعينه بخيطهِ الأحمر، فقلتُ لها: لهذا قصة. وحكيتُ لها، فبكَتْ، وقالتْ: أنتَ هو، والله لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي ردَّ العُقْدَ عليّ، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العُقد والميراث، وعُدْت إلى بغداد»[1].

أمانة تَوْفية الكَيْل والميزان، والأمانة في البيع والشراء:

* قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ [الإسراء].

* وقرن الله عَجَلَّ بين إنزال الكتاب والميزان إيحاءً إلى أن أمانة الكيل والميزان جاءت بها كل الشرائع، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

* وذكر الله تعالى في كتابه الكريم عن أهل مَدْين أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، أي يُنقِصُونهم قيمة أشيائهم في المعاملات، لذا كانت دعوة نبيه شعيب - عليه الصلاة والسلام- قومه إلى توحيد المولى سبحانه ورعاية أمانة المكيال والميزان في المعاملات ظاهرة، قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٥، ٤٥١)، وانظر: «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٣٧٢- ١٣٧٣).

ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بخس المكيال والميزان، من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب – عليه الصلاة والسلام –، وقص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن؛ لنعتبر بذلك. والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه مستوجبٌ تغليظَ العقوبةِ، وينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان، ويُصرف في مصالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادته إلى أصحابه»[(١)].

□ وجاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قوله: «لَمَّا قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ كانوا مِنْ أخْبثِ الناس كيلًا. فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ [المطففين]، فأحْسَنُوا الكيل بعد ذلك»[(٢)].

ويمكن القول: إن الأمانة في الكيل والميزان من جملة الأمانات التي أمر الله تعالى بأدائها ومراعاتها [(٣)]، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وهي من الأخلاق العظيمة التي تبعث على «حفظ حقوق الآخرين، وتؤكد ما بينهم من مودةٍ ومحبةٍ، وتُزيل

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٤٧٤).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه في كتاب التجارات- باب التوقي في الليل الوزن رقم (٢٢٢٣)، والحاكم وصححه (٢/ ٣٣٢- ٣٣٣) رقم (٢٢٨٧)، وحسّنه الألباني في «سنن ابن ماجه» طبعة بيت الأفكار الدولية (ص٢٤٠).

(٣) «التفسير الكبير» (١٠/ ١١١).

طمع النفوس إلى ما في أيدي الناس بدون جهد، وحبذا للمرء أن يُرجح إذا أعطى، ويُنقص إذا أخذ[(١)]، قال ﷺ: «إذا وزنتُمْ فأَرْجِحوا»[(٢)].

وكمَا يعتني الإسلام بالأمانة في توفية الكيل والميزان يحذر من التطفيف؛ لأن التطفيف فيه دلالة على أن فاعله قد تأصلت فيه مساوئ الأخلاق من غش وخداع وخيانة، والتطفيف في الكيل والميزان أمر محرم وكبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين]، وهو منذر بعقوبة الجبار في الدنيا التي تحصل في جلب الشدة وغلاء الأسعار والضيق في المعيشة[(٣)].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين: خصالٌ خمس، إذا ابتليتم بهنَّ – وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلِنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.**

ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلَّا أُخذوا بالسنين، وشدّة المؤنة، وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلَّا مُنِعوا القَطْر من السماء ولولا البهائم لم

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٥) و«دليل التجّار إلى أخلاق الأخيار» ليوسف النبهاني (ص٢٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»- كتاب التجارات- باب الرجحان في «الميزان» رقم (٢٢٢٢)، والضياء عن جابر، وصححه الألباني في «سنن ابن ماجه» (ص٢٤٠)، و«صحيح الجامع» (٨٢٥).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٩٠- ١٩١).

يُمْطَرُوا.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلَّا سلَّط الله عليهم عدوَّهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم شديدًا»[(١)].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خمسٌ بخمْس، ما نقضَ قومٌ العهدَ إلَّا سُلِّط عليهم عدوُّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلَّا فَشَا فيهمُ الفقرُ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ إلَّا فشا فيهمُ الموتُ، ولا طفَّفوا المكيالَ إلا مُنِعوا النَّبات، وأُخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلَّا حُبِس عنهمُ القَطْرُ»[(٢)].

محمد بن المنكدر التاجر الأمين يستسقون بدعائه في البوادي:

□ جاء في سيرة محمد بن المنكدر أنه كان له دكان يبيع فيه ثيابًا بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة. فباع غلامه في غيبته ثيابًا من الخمسيات بعشرة. فلمَّا عرف لم يزل يطلب ذلك المشتري طول النهار، حتى وجده. فقال له: «إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة. فقال: يا هذا قد رضيت، فقال: وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلَّا ما نرضاه لأنفسنا. فاختر إحدى ثلاث خصال، إما أن تأخذ ثيابًا من العشريات بدراهمك،

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في «سننه»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٥٥)، و«الصحيحة» (١٠٦).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وحَسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)، و«صحيح الجامع» (٣٢٤٠).

وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد بضاعتنا وتأخذ دراهمك. فقال: أعطني خمسة، فرد عليه خمسة، وانصرف الأعرابي يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر. فقال: لا إله إلَّا الله هذا الذي نستسقي به – بدعائه – في الوادي إذا قحطنا»[١].

علو همة حسان بن أبي سنان في الأمانة:

كتب غلام حسّان بن أبي سنان إليه من الأهواز أن قصب السُّكر أصابته آفة، فاشتر السُّكَّر فيمَا قِبَلَك، قال: فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه إلَّا قليل، فإذا فيمَا اشترى ربح ثلاثين ألفًا؛ قال: فأتى صاحب السُّكَّر، فقال: يا هذا، إنَّ غلامي كتب إليَّ ولم أُعْلِمْك فأَقِلْني فيمَا اشتريته منك؛ قال الآخر: قد أعْلمْتني الآن وطيَّبته لك، قال: فرجع، ولم يحتمل قلبه؛ قال: فأتاه، وقال: يا هذا، إني لم آت هذا الأمر مِن قِبَل وجهه، فأُحبُّ أن تستردَّ هذا البيع؛ قال: فمَا زال به، حتى رَدَّه عليه»[٢].

يونس بن عبيد الولي.. وهو التاجر الأمين التَّقِي:

□ عن مؤمل بن إسمَاعيل قال: «جاء رجلٌ من أهل الشام إلى سوق الخزّازين، فقال: مطرف بأربعمئة، فقال يونس بن عُبَيْد: عندنا بمئتين؛ فنادى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس إلى بني قشير ليُصَلِّي بهم، فجاء وقد باع ابن أَختِه المطرف من الشامي بأربعمئة؛ فقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعْناه من ذا الرجل، قال يونس: يا عبد الله، هذا المطرف الذي عرضتُ عليك بمئتي درهم، فإن شئت خذه وخذ

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٨).
(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١١٨).

مائتين، وإن شئت فدعه؛ قال له: مَن أنت؟ قال: رَجُلٌ من المسلمين، قال: أسألك بالله من أنت، وما أسمك؟ قال: يونس بن عُبيد؛ قال: فوالله، إنا لنكونُ في نَحْرِ العَدُوِّ، فإذا اشتدَّ الأمرُ علينا، قلنا: اللهم ربَّ يونس بن عُبيد فرِّج عنا، أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله، سبحان الله»[١].

□ وعن غسّان بن المفضل قال: «جاءت امرأة بمطرف خزّ إلى يونس ابن عُبيد، فألقتْه إليه ليعرضه في السُّوق، فنظر إليه، فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا، قال: فألقاه إلى جاره، فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومئة، قال: أرى ذلك ثمنه، أو نحوًا من ثمنه؛ قال: فقال لها: اذهبي، فاستأمري أهلك في بيعه: القدرة، وعشرين ومئة؛ قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين، قال: ارجعي إليهم فاستأْمِريهم»[٢].

□ عن أحمد بن سعيد الدارمي قال: «سمعتُ النضر بن شميل وسعيد ابن عامر يقولان: إلّا الحرير، وقال أحدهما: الخزّ في موضع، كان إذا غلا هناك، إلّا بالبصرة؛ وكان يونس بن عُبيد خزّازًا، فعلم بذلك؛ فاشترى من رجل متاعًا بثلاثين ألفًا، فلمَّا كان بعد ذلك، قال لصاحبه، هل علمتَ أن المتاع كان غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لو علمتُ لم أَبع، قال: هَلُمّ إلى مالي، فخذ مالك، فردّ عليه الثلاثين ألفًا»[٣].

□ وعن سكن قال: «جاءني يونس بن عُبيد بشاة، فقال: بِعْها، وابرأ من أنها تقلب العلف وتنزع الوتد، ولا تبرأ بعدما تبع، ولكن ابرأ، وبيّن

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٥).
(٢) «الحلية» (٣/ ١٦).
(٣) «الحلية» (٣/ ١٦).

قبل أن يقع البيع»[١].

□ وعن أمية قال: كان يونس بن عبيد يشتري الإبريسم من البصرة، فيبعث به على وكيله بالسوس، وكان وكيله يبعث إليه بالخزّ، فإن كتب وكيله إليه؛ إن المتاع عندهم زائد، لم يشتر منهم أبدًا، حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه: إن المتاع عندهم زائد»[٢].

أمانة الحسن بن صالح:

□ عن عبّاد قال: «بِعْنا جارية للحسن بن صالح، فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مَرّة دمًا!!!»[٣].

زاذان الأمين:

□ عن محمد بن جحادة قال: «كان زاذان يبيع الكرابيس، فكان إذا جاءه رجل، أراه شرّ الطرفين، وسامه سومة واحدة»[٤].

محمد بن واسع زين القُرّاء الأمين:

□ عن الربيع قال: «رأيت محمد بن واسع يمرُّ، ويعرض حمارًا له على البيْع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أَبِعْه»[٥].

أمانة الوفاء بالعقود المالية:

* قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة].

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٨).

(٢) «الحلية» (٣/ ١٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٢٩).

(٤) المصدر السابق (٤/ ١٩٩).

(٥) «الحلية» (٢/ ٣٤٩).

* وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

والعقود متنوعة؛ فهناك عقد البيع، وعقد الإيجار، وعقد الشركة، وغيرها، وكل عَقْد يُبْرمه المرء مع غيره هو أمانة يجب الوفاء بها.

١- الأمانة في عقد استئجار الأجراء:

ينبغي مراعاة الأمانة في استئجار الأُجَراء، والمبادرة في إعطائهم حقوقهم وأجورهم، لقول رسول الله ﷺ: «**أعْطُوا الأجيرَ أجَره قَبْل أن يَجِفَّ عَرَقُه**»(١).

• وضرب لنا النبي ﷺ مثالًا في أمانة حفظ الأجر لصاحبه وأدائه إليه -ولو بعد حين- في قصة الثلاثة الذين دخلوا في جبل فانحطت عليهم صخرة، **فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله تعالى بأفضل أعمالكم، فقال أحدهم: «اللهم إنْ كنت تعلم أني استأجرت أجيرًا بفرقٍ (٢) من ذرةٍ فأعطيته، وأبى ذلك أنْ يأخذ، فعمدْت إلى ذلك الفرق، فزرعته، حتَّى اشتريت منه بقرًا وراعيها، ثم جاء، فقال: يا عبد الله أعْطني حقِّي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئُ بي؟ قال: فقلتُ: ما أستهزئُ بك، ولكنَّها لك. اللهمَّ إنْ كنت تعلمُ أني فعلت ذلك ابتغاءَ**

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وأبو يعلىٰ عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» عن جابر، والحكيم عن أنس، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (١٤٩٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٤).

(٢) فَرْق وفَرَق: لغتان بتحريك الراء - وهو الفصيح- وتسكينها مكيال يسع ثلاثة آصع ويُقدَّر وزنه عند الجمهور ٦٥١٦ جرامًا. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٣٧).

وجهِكَ، فأفرُج عنَّا. فكشفَ عنهم»[١]، فهنا برزت عظمة أمانة الرجل في حفظ أجر الأجير، ولمَّا جاء يطلب أجرته وفّاه إيّاها وتبرَّع بذلك النمَاء»[٢].

الأمانة في الوَصِيّة:

والوصيّة هي التبرُّع بالمَال بعد الموت، والمقصود بأمانة الوصيّة ما يتعلّق بالجانب المَالي.

• قال رسول الله ﷺ: **«ما حَقُّ امرئٍ مُسْلِمٍ له شيءٌ يُوصي به يبيتُ ليلتيْن إلَّا ووصِيَّتُهُ مكتوبةٌ عنده»**[٣].

□ قال ابن قدامة: «ولا تجب الوَصِيّة إلَّا على مَن عليْه دَيْن، أو عنده وديعة، أو عليه واجبٌ يوصي بالخروج منه، فإن الله تعالى فرض أداء الأمانات، وطريقه في هذا الباب الوصية»[٤].

والوَصِيّة مستحبَّة لمن ترك خيرًا في حق من لا يرث من الأقارب إذا كانوا فقراء في قول عامة أهل العلم[٥].

❋ قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة].

---

(١) رواه البخاري في كتاب «البيوع»، باب إذا اشترىٰ شيئًا لغيره بغير إذنه فَرَضيَ. رقم (٢٢١٥).

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٤٠٩)، (٦/ ٥٠٧- ٥٠٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٨)- كتاب الوصايا- باب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) في كتاب الوَصِيّة، ومالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) «المغني» (٨/ ٣٩٠).

(٥) «المغني» (٨/ ٣٩١، ٣٩٤).

* ومن الأمانة في الوصيّة أن لا يضار فيها الورثة، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٢].

□ قال قتادة في تفسير ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: «إن الله تعالى كَرِه الضرار في الحياة، وعند الموتِ، ونهى عنه»(١). وقد عُدَّ الإضرار في الوصية من الكبائر.

ومن الإضرار أن يزيد على الثلث، أو يوصي لوارث(٢).

وقد اتفق العلمَاء على رَدِّ ما زاد على الثلث، وعدم صحة الوصية لوارث إذا لم يُجزها الورثة(٣).

هذا من جهة أمانة الموصِي، وأما من جهة أمانة الموصَى إليه؛ فإن قَبِلَ الوصية بعد وفاة الموصِي وقبضها، فلا يصح رد الوصية، ويجب على المُوصَى أن يقوم بأمانة إنفاذ الوصية على الوجه الصحيح(٤)، وإن وجد جَوْرًا أو حيفًا أو إثمًا في الوصية، عليه أن يعدل فيها بمَا يتفق مع الوجه الشرعي»(٥)،(٦).

الأمانة في الودائع:

الوديعة من أشهر أنواع الأمانة، وفي قبول حفظها ثوابٌ لمن يعلم من

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٦٥).
(٢) «تفسير القرطبي».
(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٢٧/ ١٤٩)، و«المغني» (٨/ ٣٩٦، ٤٠٤).
(٤) «المغني» (٨/ ٤١٥).
(٥) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم (٤/ ١٨٦).
(٦) «الأمانة في الإسلام» (ص١٩٧- ١٩٨).

تفسير الأمانة. والنبي ﷺ كانت عنده ودائع لكفار قريش، ولمَّا أُمِر بالهجرة أودعها عند أم أيمن، وأوصى عليًّا رضي الله عنه، بأن يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس»[١].

□ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الودائع»[٢].

وقد قيل: «قوام العَالَم بشيئين: كاسبٌ يَجْمع، وساكنة تحفظ»[٣].

أمانة طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

«استودع عروة بن الزبير طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق مالًا من مال بني مصعب بن الزبير لمَّا خرج إلى الشام، وأم طلحة عائشة بنت طلحة بن عبد الله، فبلغ عروة أن طلحة يبني ويبتاع الرقيق والإبل، والغنم، فلمّا قدم كره أن يكشفه وأن يقتضيه المَال، فجعل يلقاه ويستحي من تقاضيه، فقال له طلحة ذات يوم: ألا تُريد مالك؟ فقال: بلى، قال: فأَرْسِل فخُذه، فقال عروة: متى؟ قال: متى شئت، فبعث مع عروة رسولًا، فإذا هو قد هدم عليه بيتًا، فاستخرج المَال، فأتى به، فتمثَّل عروة ثَمَّ ذلك:

فما استخبأتَ مِن رَجُل خبيئًا ... كمثل الدِّين أو حسبٍ عتيقِ
ذوو الأحساب أكرم ما تُراثٍ ... وأصبرُ عند نائبة الحقوق[٤]

(١) «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٤٧٢)، و«المغني» (٩/ ٢٥٦).
(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٤٠).
(٣) «المبسوط» (١١/ ١١٠).
(٤) «الحلية» (٢/ ١٧٦ - ١٧٧).

عامر بن عبد قيس رحمه الله المجاهد الأمين المُخْلص:

لمَّا هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض[1] أقبل رجل بفرس من ذهب مسرج بسرج من فضّة، على لببه[2] وثفره[3] الياقوت والزُّمُرُّد! فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثله قط! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه! فقالوا: هل أخذتَ منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله – تعالى – ما أتيتُكُم به، فعرفوا أنَّ للرجُل شأنًا. فقالوا: مَن أنتَ؟ فقال: لا والله لا أخبركم ألتحمدوني وتطروني، ولكنِّي أحمد الله تعالى وأرضى بثوابه، فأتبعوه رَجُلًا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس»[4].

وليّ الله إبراهيم بن أدهم الأمينُ أيُّ أمين:

▫ عن داود بن الجراح قال: «كان إبراهيم بن أدهم ينظر كرمًا في كورة غزّة، فجاء صاحب الكرم، ومعه أصحابه، فقال: ائتنا بعِنَبٍ نأكل، فأتاه بعِنب يُقال له: الخافوني، فإذا هو حامضٌ؛ فقال له صاحب الكرم: من هذا تأكل؟ قال: ما آكلُ مِن هذا، ولا مِن غيره؛ قال: لم؟ قال: لأنك لم تجد لي شيئًا من العنب، قال: فأتني برُمَّان؛ فأتاه برمّان، فإذا هو حامض؛ قال: مِن هذا تأكل؟ قال: لا آكل من هذا، ولا من غيره، ولكِن رأيته أحمر حسنًا، فظننتُ أنه حلو؛ فقال: لوْ كنت إبراهيم بن أدهم، ما عدَا؛ قال:

---

(١) الأقباض: جَمْع قَبْض، وهو ما قُبض وجُمِع من الغنيمة – «لسان العرب» (١١/ ١٤).

(٢) لببه: أي موضع مقدمته «القاموس المحيط» (١٧٠).

(٣) ثفره: أي مؤخرته – «القاموس المحيط» (ص٤٥٨).

(٤) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٩).

فلمَّا عَلِم أنهم عرفوه، هرب منهم وترك كِرَاه»[(١)].

□ وفي «السير» في ترجمة إبراهيم بن أدهم: «قال إبراهيم بن أدهم: أقبلت إلى العراق، فعملتُ فيها أيّامًا، فلم يَصْفُ لي منها الحلالُ، فقيل لي: عليك بالشام فذكر حكاية نظارته الرُّمَّان، وقال الخادم له: أنت تأكلُ فاكهتنا، ولا تعرفُ الحلو من الحامض؟ قلتُ: والله ما ذُقتها فقال: أتراكَ لو أنك إبراهيم بن أدهم! فانصرف، فلمَّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عُنُق[(٢)] من الناس، فاختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وأنا هارب»[(٣)].

□ ومرّ يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر[(٤)] كرمًا، فقال: ناولنا من هذا العِنَب، فقال: ما أَذِن له صاحبه، قال: فقلب السوط وأمسك بموضع الشيب، فجعل يقنع رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه، وقال: اضرب رأسًا طالمَا عصى الله، قال: فأعجز الرجل عنه»[(٥)].

أمانة والد عبد الله بن المبارك رحمه الله:

وَرَد في ترجمة شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك أن والده كان يعمل وكيلًا أو ناطورًا[(٦)] في بستان لثري من كبار أثرياء بلدته، ولم يكن لهذا

(١) «الحلية» (٧/ ٣٧١- ٣٧٢).

(٢) العُنُق: الجماعة من الناس والرؤساء.

(٣) انظر ترجمة إبراهيم بن أدهم في «السير» (٧/ ٣٨٧- ٣٩٦).

(٤) أي: يحرسه.

(٥) «الحلية» (٧/ ٣٧٩).

(٦) أي: حارسًا لبستان.

الثري إلَّا ابنة واحدة، يأتي إليها كبار الأغنياء وهو يردُّهم بأدب، وكان هذا الثَّرِي مُعْجَبًا أَيَّمَا إعجاب بأمانة خادمة «المبارك»، فدعاه يومًا وسأله عن رأيه في الزواج فقال: يا سيدي إن اليهود يزوِّجون على المَال، والنَّصَارى يزوِّجون على الجمَال، والعرب يزوِّجون على الأحساب والأنساب، والمؤمنون يزوِّجون على الصلاح والتقـوى فانظر يا سيدي - ماذا ترى؟ قال: والله.. وأنا أزوِّج على التقوى، ولا أزوِّجها إلَّا لك. فتزوجها فولدت له عبد الله بن المبارك شيخ الإسلام وإمام الورعين الذي سار على نهج أبيه فكان يقول: لأن أردَّ درهم فيه شبهة أحبُّ إليَّ من الجهاد في سبيل الله.

أمانة سفيان الثوري رحمه الله :

□ عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «قدم سفيان البصرة، والسلطان يطلبه، فصار إلى بستان، فأجَّر نفسه لحفظ ثمَاره، فمَرَّ به بعض العشَّارين فقال: مَنَ أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أرُطبُ البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبك! البرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطب الساعة. ورجع إلى العامل، فأخبره ليُعجبه، فقال: ثكلتك أمك! أدركه، فإن كنت صادقًا فإنه سفيان الثوري، فخذه لنتقرّب به إلى أمير المؤمنين، فرجع في طلبه فمَا قدر عليه»[١].

الأمانة في رعاية الأسرة:

• مرّ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع**

(١) «السير» (٧/ ١٨٨- طبع المكتبة التوفيقيّة.

في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

فالزوجة والمرأة أمانة:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خَطَب في حَجَّة الوداع، فكان ممَا قال: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهُنّ بأَمَان الله، واستحللتم فُرُوجَهُنَّ بكلمة الله، وإن لكم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشكُم أحدًا تكْرَهُونَه..**»[1].

* والزوجان مؤتمنان على رعاية ميثاق الزواج الذي وصفه الله بالميثاق الغليظ قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء: ٢١]، فعقد الزواج أمانة عظيمة، لا يجوز خيانته والتفريط فيه.

أمانة الزوج تجاه حقوق زوجته:

أ- **القوامة الأسرية**: الزوج مؤتمن على القيام بشؤون أسرته والإنفاق عليها، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

• وقال النبي ﷺ: «**.. ألا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكُم أَنْ تُحْسِنُوا إِليهنَّ في كِسوتِهِنَّ وطَعَامِهِنَّ**»[2].

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي في «سننه»-كتاب تفسير القرآن-باب سورة التوبة (٣٠٨٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

• وقال رسول الله ﷺ: «حَقُّ المرأة على الزوج أن يُطعِمَها إذا طَعِم، ويكسوها في البيت[١].

إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّحَ [٢]، ولا يهجرَ إلَّا في الفراش» وعلى الزوج أن يراعي النفقة الحلال. سئل أحمد بن حنبل عن حديث النبي ﷺ: «كَفَى بِالمرءِ إثْمًا أنْ يُضَيِّع من يَقُوتُ»[٣]. قال: «إذا كان يسعى على عياله كيف يضيعهم؟ قيل له: فإن أطعمهم حرامًا يكون ضيعة لهم؟ قال: شديدًا»[٤]. وعمل الأبطال أكل الحلال والسعي على العيال.

• كمَا أن على الزوج أن يرعى أهله بمَا اؤتمن عليه من حقوق وواجبات، قال رسول الله ﷺ: «.. وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيكَ حَقًّا»[٥].

• وعليه أن يحسن عشرتها، وأن يحسن خُلُقه معها، فقد قال ﷺ: «خياركم خياركم لنسائهم»[٦].

---

(١) لا يسمعها ما تكره كقبَّح الله وجهك ونحوه.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم عن معاوية بن حيدة، وكذا رواه ابن حبان، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٣٣)، و«صحيح الجامع» (٣١٤٩).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود في «سننه» كتاب الزكاة- باب في صلة الرحم (١٦٩٢)، والبيهقي في «سننه» عن ابن عمرو، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (٨٩٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (١/ ٤٦٩)، و«صحيح الجامع» (٤٤٨١).

(٤) «الحث على التجارة» لأبي بكر الخلال (ص٢٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب الصوم- باب حق الضيف في الصوم (١٩٧٤).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه عن ابن عمرو، ورواه أحمد، والترمذي، وابن حبان عن أبي هريرة، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٢٦٥).

• وقال ﷺ: «**خياركم خيرُكم لأهله**»(١).

• وقال ﷺ: «**خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(٢).

• وقال ﷺ: «**من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرًا فليتكلَّم بخير أو ليسكُت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقت مِن ضِلْع، وإن أعوج شيء في الضِّلْع أعلاهُ، إن ذهبتَ تُقيمُه كَسَرتَهُ، وإن تركتَهُ لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء**».

ب- **تأديب الزوجة وتعليمها**: الزوج مؤتمن على تأديب زوجته وتعليمها ما يقوم به صحة عبادتها، وما ينفعها من أمور دينها، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لهم أَجْرَان: -وذكر منهم- ورجلٌ كانت عِندَهُ أَمَةٌ فأَدَّبَها فأحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وعَلَّمَهَا فَأَحسنَ تَعْلِيمَهَا، ثم أعْتَقَهَا فتزوَّجَهَا**»(٣).

□ وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «الاعتناء بالأهل والحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء»(٤).

• وكان النبي ﷺ يُوصي أصحابه ﷺ بتعليم أهليهم فيقول ﷺ: «**ارجِعُوا إلى أَهْلِيكُم، فَأَقِيمُوا فِيهِم وَعَلِّمُوهُم..**»(٥).

وليحرص على تعليمها أمور عقيدتها، ويحرص على حال قلبها

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي كبشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٦٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن عائشة، ورواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه الطبراني في «الكبير» عن معاوية، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٣١٤).

(٣) رواه البخاري (٩٧) في كتاب العلم- باب تعليم الرجل أمَته وأهله.

(٤) «فتح الباري» (١/ ١٩٠).

(٥) رواه البخاري – كتاب الأذان- ، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة- رقم (٦٣١).

ورعايته، ويحضُّها على التهجد، وكثرة الذكر، وقراءة القرآن، والترقِّي في مراتب الإيمَان ومدارجه، ويوصيها بعلو الهمة في أعمَال القلوب.

ج- **العفاف والستر**: الزوج مؤتمن على حفظ امرأته، ومنعها من التبرج والاختلاط بالرجال الأجانب، ومأمور بسترها وإعفائها وحمايتها من الوقوع في الفواحش، أو إثارة الفتنة، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

□ قال ابن تيمية: «إن المرأة يجب أن تصان وتحفظ بمَا لا يجب مثله في الرجل؛ ولهذا خصت بالاحتجاب، وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت، ما لا يجب في حق الرجل؛ لأن ظهور النساء سبب الفتنة»[١].

د- **حفظ الأسرار**: الزوج مؤتمن على حفظ أسرار زوجته بأن لا يتكلم بمَا يكون بينه وبينها من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك[٢]، وما يجري فيه من أمور خاصة من قول أو فعل ونحوه، فهو من أعظم الأمانة التي يجب على الزوج أن يحفظها.

• قال النبي ﷺ: «**إنَّ من** [٣] **أَعظَمِ الأَمانةِ** [٤] **عند الله يوم القيامة، الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا**»- وفي رواية-: «**إنَّ من أَشَرِّ النَّاس عند الله مَنزلَة يَوم القيامة، الرجل يُفضي إلى امرأتِهِ، وتُفْضي**

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٢٩٧).
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٨).
(٣) وفي رواية عن ابن نمير «إن أعظم».
(٤) إن من أعظم الأمانة: علىٰ حذف المضاف، أي: أعظم خيانة الأمة.

إليه، ثم يَنشرُ سِرَّهَا»(١).

فالأزواج الذين ينشرون أسرار نسائهم، أولئك شرار الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة.

ومن الأمثلة في أمانة حفظ الأسرار الزوجية ما روي عن بعض الصالحين: أنه أراد أن يطلق امرأة، «فقيل لَهُ: ما الذي يريبك منها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته. فلمَّا طلقها، قيل له: لِمَ طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري؟»(٢).

هـ- الغَيْرَةُ على الزوجة: الزوج مؤتمن على زوجته، ومن لوازم أمانته أن يَغَارَ عليها، ولذلك قيل: «كُلُّ أُمَّة وُضِعَت الغَيْرَةُ في رجالها، وُضِعَت الصِيَانَةُ في نسائها»(٣).

وأن يراعي الزوج الاعتدال في هذه الغَيْرَة، فإن الغَيْرَةَ منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم. فالغَيْرَةُ المحمودةُ هي التي في محلها ومِمَا لا بُدَّ منه.

• فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يَغَارُ، وإنَّ المؤمنَ يَغَار..**»(٤).

• وقال سعد بن عبادة ﷺ: «لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لَضَرَبْتُه

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١١٧).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٢٣).

(٤) رواه أحمد، والبخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٣)، ورواه مسلم في كتاب التوبة، باب غيره الله تعالى، (٢٧٦١)، ورواه الترمذي عن أبي هريرة.

بالسَّيفِ غير مُصْفِحٍ»[١]. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سعد؟ لأنا أَغْيَرُ منهُ، والله أَغْيَرُ مني**»[٢].

□ وكان الحسن البصري يقول: «أتَدَعُون نساءَكُم يُزاحمون العُلُوج[٣] في الأسواق؟ قَبَّحَ الله من لا يغار»[٤].

□ والغَيْرَة المذمومة هي ما تدعو الزوج إلى التمَاس عثرات زوجته والتجسس عليها وتَخْوينها، وهو أمر منهي عنه، روى جابر رضي الله عنه: «نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يطرقَ الرَّجُلُ أهلَهُ ليلًا يَتَخوَّنُهُم أو يلْتَمِسُ عَثَرَاتِهم»[٥].

ثانيًا: أمانة الزوجة تجاه حقوق زوجها:

أ- طاعتها لزوجها: الزوجة مؤتمنة وملزمة بطاعة الزوج الذي له حق القوامة عليها ما دام لم يأمرها بمعصية، والمرأة الصالحة الأمينة هي التي تحفظ معروف زوجها وتطيعه في المعروف، قال تعالى:

---

(١) مِصْفَح: قال القاضي عياض: «هو بكسْر الفاء وسكون الصاد المهملة، ورويناه أيضًا بفتح الصاد، فمن فتح جعله وصفًا للسيف وحالا منه، ومن كسر جعله وصفًا للضارب وحالاً منه»- «فتح الباري» (٩/ ٣٢١).

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح وكتاب الحدود باب من رأىٰ مع امرأته رجل فقتله (٦٨٤٦)، ورواه مسلم في كتاب اللعان (١٤٩٩).

(٣) العُلُوج: جمع عِلْج، الرجل من كُفّار العجم- «لسان العرب» (٩/ ٣٤)، و«القاموس المحيط» (ص٢٥٤).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٠٤).

(٥) رواه مسلم -كتاب الإمارة- ، باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً، لمن ورد من سفر (٣/ ١٥٢٨).

﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد في قول الله تعالى: ﴿قَـٰنِتَـٰتٌ﴾: «يعني مطيعات لأزواجهن»[١].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صَلَّت المرأةُ خَمسَهَا، وصَامَت شَهرَهَا، وحَصَّنَت فَرجَها، وأطَاعَت بَعلَهَا دَخلَت الجَنَّة من أي أَبوابِ الجَنَّةِ شَاءَت**»[٢].

ب- **حفظ نفسها وعرضها**: الزوجة مؤتمنة على حفظ نفسها وعرضها، قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع: «.. **وَلَكُم عَلَيهن أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُم أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ**..».

□ وجاء عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قوله: «من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها»[٣].

□ وقال جرير يرثي امرأته في عفافها:

كَانَت إذا هَجَرَ الخَليلُ فِرَاشَها ... خَزنَ الحَدِيثِ وعَفَّتِ الأسرار[٤]

ج- حفظ أسرار الزوج: الزوجة مؤتمنة على حفظ أسرار زوجها، ويجب عليها أن تحرص أشد الحرص على عدم إفشائها، ولا شك أن حفظ سر الزوج من أخص خصائص أمانة الزوجة تجاه زوجها، ومن

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩٣).
(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.
(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٩).
(٤) «ديوان جرير»، شرح محمد حبيب، تحقيق د. نعمان طه (٨٦٥).

أكثرها إسهامًا في ديمومة الحياة الزوجية واستقرارها.

• ومن أعظم الأسرار ما يكون من أمور الاستمتاع جاء في حديث النبي ﷺ: «**إنَّ من أَعَظَم الأَمانةِ عند اللهِ يوم القيامةِ، الرَّجل يُفْضِي إلى امرأتِهِ وتُفْضِي إليهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»[١].

وكذلك ما يعتري الزوج من مشكلات مالية أو اجتمَاعية فيفضي إليها بهمومه، ويتنفس الصعداء في تبسطه في الحديث معها، فتقتضي الأمانة أن تراعي الزوجة حديثه، وتنفيس كربته، وقضاء حاجته، والستر على حاله أمام القريب والبعيد.

د- حفظ مال الزوج وعدم الإسراف في إنفاقه: الزوجة مؤتمنة على حفظ مال زوجها وعدم الإسراف في المأكل والمشرب، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

* وقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان].

• وغاية هذه الأمانة أن المرأة لا تتصرف في مال زوجها إلّا بإذنه إلّا في الصدقة المعتدلة، كمَا في حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تَصَدَّقَت المرأةُ من طعام زوجِها، غَير مُفْسِدَةٍ، كان لها أجرُها، ولزوجِها بمَا كَسَب، وللخازنِ مثل ذلك**»[٢]، ويُعْفَى من ذلك الشيء اليسير الذي لا يُؤبَه لَهُ، ولا يَظهر فيه النقصان، أو إذا كان الزوج يأذن لها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» -كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدّق (١٤٣٧).

إجمالًا [١].

هـ- السماح لمن يأذن لَهُ الزوج في دخول المنزل، وخروجها منه بإذنه: الزوجة مؤتمنة بأن لا تسمح لأحد بدخول المنزل إلَّا بإذن الزوج، قال النبي ﷺ: «**فأمَّا حَقُّكُم على نِسَائِكُم فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ من تَكْرَهُونَ، ولا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُم لِمَن تَكْرَهُونَ**»، وهي مؤتمنة على أن لا تدخل أحدًا منزل الزوج وهو يكره دخوله، سواء أكان الداخل امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك [٢].

وهي كذلك مؤتمنة بأن لا تخرج من منزل زوجها إلَّا بإذنه، بل حتى ذهابها إلى المسجد لأداء الصلاة والعبادة مشروط بإذن الزوج، وعلى الزوج أن لا يمنع أهله من الذهاب إلى المسجد إذا لم يكن هناك محذور في ذهابها.

و- التزامها بأحكام العِدَّة والحيض ونحوها: الزوجة مؤتمنة في عِدَّتِها وحيضِها، وما يتعلق بذلك من عِدَّةِ الوفاة وانقضائها، والاختلاف في المهر والنزاع فيه ونحو ذلك [٣].

فيجب على المرأة أن تحسب عدتها بعناية، حتى لا تفرِّط في شيء من حقوق زوجها ومنعه من الاستمتاع بها، بل من الأمانة أن تُعلم زوجها بانقضاء حيضها، ولا تسمح لَهُ بجمَاعها أثناء فترة الحيض والنفاس،

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٣٠٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ١٨٤).

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٥٥، و٧٥، و١٠٦، و٣٢٧)، و«الكافي» لابن عبد البر (ص٢٥٣، ٢٥٥)، و«الروض المربع» (٢/ ٢٨٢، و٣٠٨- ٣٠٩).

وهذا من أعظم الدِّيانة والرِّعاية في حق زوجها بمَا أحل الله تعالى له.

وكذلك من أمانة الزوجة إعلام زوجها بمَا كتب الله تعالى لها من الحمل في بطنها لتتأكد رعايته على المولود له، خاصة عندما تضيق سبل المعاشرة بالمعروف بينهمَا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]»[(١)].

أمانة الزوجيْن في تربية الأولاد:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أدِّبوهم وعلِّموهم».

ويتعاون الزوجان في تربية أولادهمَا تربية إسلامية سليمة.

أ- **أمر الأولاد بأداء الصلاة**: الزوجان مؤتمنان على حث أولادهمَا بأداء الصلاة منذ صغرهم، كمَا أوصى بذلك النبي ﷺ: «**مُرُوا صِبْيَانَكُم للصَّلاةِ إذَا بَلَغُوا سَبعًا، واضرِبُوهُم عَلَيها إذَا بَلَغُوا عَشرًا، وفَرِّقُوا بَينَهم في المضَاجع**»[(٢)].

ب- **تربية الأولاد وتعليمهم**: الزوجان مؤتمنان على تربية أولادهما وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، يقول ابن القيم: «فمن أهملَ تعليمَ ولدِهِ ما ينفعه، وتَرَكَهُ سُدى، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءة، وأكثرُ

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص١٥٠- ١٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الصلاة- باب متى يؤمر الصبي بالصلاة؟ (٤٩٥)، وقال عنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: «حديث حسن صحيح».

الأولادِ إنمَا جاء فسادُهُم من قِبَلِ الآباءِ وإهمَالِهِم لهم، وتركِ تعليمِهِم فرائضَ الدين وَسُنَنَه، فأضاعوها صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسِهِم ولم ينفعوا آباءَهُم كِبَارًا»[1].

□ ولله در القائل:

لـيس اليتـيم مـن انتهـى أبـوا ... هُ وخَلَّفـاه في الحيـاة ذلـيلًا
إن اليتـيم هـو الـذي تـرى لـه ... أُمًّـا تخلَّـتْ أوْ أبًـا مـشغولًا

والواجب على الأبويْن في أمانتهمَا هذه أن يتَّقيا في ذرياتهمَا، ويشرفوا على تعليمهم العلم النافع، وتحفيظهم كتاب الله وتعليمهم السُّنَّة الشريفة ويبرزا لهم محاسن الدين الإسلامي، ويعرفانهم تاريخ المسلمين وقوادهم وأبطالهم وعلمَائهم وعُبّادهم. ويعلِّمانهم مكارم الأخلاق، ويحلِّيان أولادهمَا بها، ويحثُّوهم على الأخذ بأسباب الدنيا حتى يكونوا أبناء مخلصين للإسلام يُشار إليهم بالبنان، ويرغِّبانهم في التنافس في طلب الدار الآخرة والحرص عليها. وغرس خلق الأمانة فيهم وتربيتهم على ذلك.

أمانة الأولاد في البِرِّ بوالديهم:

حق الوالدين عظيم ومعروفهمَا لايجازى، فليس أعظم إحسانًا ولا أكثر فضلًا بعد الله تعالى منهمَا، لذا فإن أمانة الأولاد في البر بالوالدين جِدُّ عظيمة، حيث أوصى المولى عَزَّ وَجَلَّ بالوالدين إحسانًا بعد الأمر بعبادته، إعلانًا لقيمة هذا البرِّ في قوله سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ

---

(١) «تحفة المورود بأحكام المولود» لابن قيم الجوزية (ص١٣٩).

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

• وأوصى النبي الكريم ﷺ ببر الوالدين، وجعله أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة مباشرة، روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «**الصَّلاةُ على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَين**». قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[١].

□ **وتتجلى أمانة الأبناء في البر بوالديهم في أمور عديدة أهمها:**

أ- **الإحسان إلى الوالدين**: تتمثل الأمانة في الإحسان إلى الوالدين، والقيام بهمَا في حالة نشاطهمَا وضعفهمَا، والسهر على خدمتهمَا، قال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

ويدخل في الإحسان طاعة الوالدين ما لم يأمرا بمعصية، وحسن صحبتهمَا في الدنيا، والابتعاد عمَا يؤذيهمَا.

ب- **الإنفاق على الوالدين**: يجب الإنفاق على الوالدين المحتاجين، والقيام بتفقد حاجاتهمَا دومًا، قال جل جلاله: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وهو جزء من بعض **جميلهمَا** على أولادهمَا بأن يتحمل الأبناء بعض **الأمانة الواجبة تجاه البر بوالديهم**، وهو واجب جسيم، يتألم في سبيلهمَا الكثير من **المشاق للفوز برضا الله تعالى**.

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة (٥٢٧).

ج- عدم إيذاء الوالدين: تظهر خطورة الإخلال بأمانة الأولاد تجاه البِرِّ بالوالدين بإيذائهما بقول أو فعل، من نَهْرِهِمَا أو سَبِّهِمَا أو عَدَم احترامهما الذي هو العُقُوق المنهي عنه، وهو من الكَبائر، فقد سئل النبي ﷺ عن الكبائر فقال ﷺ: «**الكَبَائِرُ: الشِّرْكُ باللهِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعقوق الوالدَيْن**»[١].

ومن أمانة الأبناء بالبر بوالديهم أن يأمراهما بالمعروف وينهاهما عن المنكر متى وقعا في مُحرَّم، وأن ينصاحاهما دائمًا في الخير»[٢]. تحبُّ أولادك طبعًا، فأحببْ والديْك شرعًا، وارع أصلًا أنبت لك فرعًا، وتذكر طيب المرعى أولًا وأخيرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

أمانة حفظ الأسرار:

• قال رسول الله ﷺ: «**إنما المجالس بالأمانة**»[٣].

فالمجالس تعقد بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، ويجب أن تحفظ أسرارها، ولا يحل للمرء أن يفشي من أسرار إخوانه ما لا يحبون أن يخرج عنهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَديثَ ثم الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**»[٤].

---

(١) رواه البخاري واللفظ له -في كتاب الأدب- باب عقوق الوالدين من الكبائر (٥٩٧٧)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»- باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٨).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٤٧٦).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود عن جابر، والديلمي عن ابن مسعود، وابن المبارك عن أبي بكر بن حزم مرسلًا، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٧٨).

(٤) حسن: رواه الترمذي في كتاب «البر والصلة»، باب ما جاء أن المجالس بالأمانة، وقال عنه: حسن (١٩٥٩): رواه أبو داود (٤٨٦٨)، وقال الألباني في «صحيح سنن

□ قال المباركفوري في شرحه للحديث: «تَحْسُنُ المَجَالِسُ أو حُسْنُ المجَالس وشَرَفُها بأَمَانة حَاضِريها على ما يقع فيها من قَول وفعل؛ فكأن المعنى ليكن صاحب المجلس أمينًا لما يسمعه ويراه»[(١)].

□ ويؤكد هذا المعنى العظيم الحسن البصري بقوله: «إنما تُجالسونا بالأمانة، كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلَّا في الدينار والدرهم، إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل، فنطمئن إلى جانبه، ثم ينطلق فيسعى بنا..»[(٢)].

وينبغي أن يراعي أن حفظ الأسرار مشروط بأن لا يؤثر في حق الله تعالى أو حق المسلمين، وإلَّا عُدَّ من الخيانة لحق الله تعالى أو حق المسلمين[(٣)].

إن أمناء الأسرارِ عزيزٌ وجودهم، فهم أقل وجودًا من أمناء الأحوال، «وحفظ المَال أيسر من كتم الأسرار»[(٤)]،والسبب في صعوبة حفظ الأسرار كما يقول الراغب الأصفهاني: «إن للإنسان قوتين: آخذة، ومعطية، وكلتاهما تتشوف إلى الفعل المختص بها، ولو لا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لَمَّا أتاك بالأخبار من تزوده، فصارت هذه القوة تتشوف إلى فعلها الخاص بها، فعلى الإنسان أن يُمسكها، ولا يُطلقها إلى حيث ما

أبي داود» (٣/ ٩٢٢) وهو في «صحيحة» برقم (١٠٨٩)، وفي «صحيح الجامع» (٤٨٦).

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٩٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٢٥).

(٣) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (٢/ ٣٦١).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦)، و«المستطرف» لشهاب الدين الأبشيهي (١/ ٣٢٦).

يجب إطلاقها»[١].

□ قال الكفوي: «كل ما افْتُرِضَ على العباد فهو أمانة كصلاةٍ وزكاة وصيام وأداءَ دَيْن، وأَوْكدها الودائع، وأَوْكد الودائع كَتْمُ الأسرار»[٢].

□ وذكر الماوردي بعض الخصال التي تعين من استودع سرًّا أن يحفظه، وتوجب حفظ الأمانة، وهي أن يكون: «ذا عقل صاد، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتومًا بالطبع»[٣]،[٤].

أبو بكر الصديق الحافظ الأمين لِسِرِّ رسول الله ﷺ:

□ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب حين تأَيَّمت حفصة بنت عمر من خُنَيْس بن حذافة السهمي – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ- فتُوُفِّيَ بالمدينة –، فقال عمر بن الخطاب: أتيتُ عثمان ابن عفّان، فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوّج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إنْ شئتَ زوَّجتك حفصة بنت عمر، فصَمَت أبو بكر، فلم يرجع إليّ شيئًا، وكنتُ أوجد[٥] عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها

---

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٢٩٧).

(٢) «الكُليات» (ص١٨٧).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦).

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٢-١٦٣).

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٢١): أيْ أشدُّ موجدة أيْ غضبًا على أبي بكر من غضبي على عثمان، وذلك لأمْرَين: أحدهما: ما كان بينهما من أكيد المودّة، وذلك لأن النبي ﷺ آخى بينهما، والثاني: لكون عثمان أجابه أوّلًا ثم اعتذر له. ثانيًا: لكون أبي بكر لم يعد عليه جوابًا.

=

رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلَّك وجدتَ عليَّ حين عَرضتَ عليَّ حفصة، فلم أرجعِ إليك شيئًا. قال عمر: قلتُ: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلَّا أني كنتُ قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشيَ سر رسول الله، ولو تركها رسول الله قبِلْتُها»[١].

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أكتم الناس لِسرِّ رسول الله ﷺ:

□ كان حذيفة رضي الله عنه أمينًا على سِرِّ رسول الله ﷺ على المنافقين، وكان يُقال له: «صاحب السِّرِّ الذي لا يعلمه أحدٌ غيره»[٢].

حفظ أم أبيها فاطمة عليها السلام ورضي الله عنها لِسرِّ رسول الله ﷺ:

□ كانت رضي الله عنها حافظةً لِسرِّ أبيها رسول الله ﷺ. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنَّا كُنَّا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا لم تغادِرْ منا واحدةٌ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تُخطئ مِشيتَهَا من مِشيةِ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا رآها رحَّب وقال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسَها عن يمينه – أو عن شمَاله– ثم سَارَّهَا، فَبَكَت بُكاءً شديدًا، فلمَّا رأى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثانية، فإذا هي تضحك. فقلت لها: – أنا من نسائه– خَصَّك رسول الله بالسِّرِّ من بيننا ثم أنت تبكين، فلمَّا قام رسول الله ﷺ سألتُها عمَّا سَارَّهَا؟ قالت: ما كُنتُ

ووقع في رواية ابن سعد: «فغضب عليّ أبو بكر، وقال فيها: كنتُ أشدُّ غضبًا حين سكتَ مني على عثمـان» اهـ.

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر «صحيح البخاري» –كتاب فضائل الصحابة– باب مناقب عمّار وحذيفة رضي الله عنهما، رقم (٣٧٤٢).

لأفشي على رسول الله ﷺ سِرَّهُ. فلمَّا توفي قلت لها: عزمت عليك بمَا لي عليك من الحق – لَمَا أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: أما حين سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعمَ السلفُ أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلمَّا رأى جزعي سارَّني بالثانية: قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة»[١].

حفظ الغلمان لأسرار الكبار:

ولا يتوقف الأمر على أمانة حفظ الأسرار عند الرجال والنساء من الصحابة بل حتى الغلمان، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه – الغلام الصغير الذي يخدم رسول الله ﷺ يقول: «أَسَرَّ إليَّ النبي ﷺ سرًّا فما أخبرتُ به أحدًا بعده، ولقد سألتني أم سُلَيم فما أخبرتُها به»[٢].

وكل امرئ عُهد إليه بسر يجب أن يحفظه؛ سواء أكان حاكمًا أم طبيبًا أم موظفًا أم عاملًا..، وكما قيل: «قلوب العقلاء حصون الأسرار»[٣].

□ وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في حفظ الأمين للسر:

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الاستئذان»، باب من ناجى بين يدي الناس، ولم يخبره بسر صاحبه..، رقم الحديث (٦٢٨٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الاستذان»، باب حفظ السر، رقم الحديث (٦٢٨٩).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦).

وأمــــينٍ حَفَّظتـــــه سِرَّ نفـــــسي فوعاهُ حِفْظَ الأمين الأمينَا[١]، [٢]

أمانة ستر العورات[٣]:

أمانة سَتْر العورات ضرورية، «فلا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات، الأَوْلى في الدين والدنيا سَتْرها، ولا تبقى السَّلامة مع انكشافها»[٤].

□ قال النووي: «السِّتْرُ المندوب إليه.. السِّتْرُ على ذوي الهيئات ونحوهم؛ ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيُستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى وَلِيِّ الأمْرِ، إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن السِّتْرَ على هذا يطعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات..»[٥].

• قال رسول الله ﷺ: **«من ستر أخاهُ المسلمَ في الدنيا، ستره الله يوم القيامة»**[٦].

• وقال ﷺ: **«من نَفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِن كُرَب الدنيا نفّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة، ومَن يَسَّر على مُعْسِر، يسَّرَ الله عليه في الدنيا**

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٤٦٧).
(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٣-١٦٤).
(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٦).
(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٦).
(٥) «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١٣٥).
(٦) صحيح: رواه أحمد عن رجل، ورواه أحمد، والحميدي عن أبي أيوب وعقبة، ورواه أحمد، عن سلمة بن مخلد، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وابن الجارود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤١).

والآخرة، ومن سَتَرَ مُسْلِمًا ستره الله في الدنيا والآخرة..»(١).

أمانة الكلمة:

* امتنَّ الله على الإنسان فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن]، فكيف إذا كان هذا البيان أرقى البيان معنًى ولفظًا.

إن أحسن وشي رقمته الأقلام، وأبهى كلمات وبيان نطق به الإسلام، وأبهى زهر تفتَّحتْ عنه الآكام، قول يفوح بعبير الإسلام نفحُه، ويُشرِق في سماء الطروس صبحه، كزهر الروض أو نفحة الصبا سارية على الزِّند والبان.

□ نريد كلامًا وقولًا يُغرِّدُ على دوحة الإسلام لا ينقُّ نقيق الضفادع.

* قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ لَيتكلَّمُ بالكلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ الله لا يُلْقِي لَها بَالًا يَرْفَعُهُ الله بها دَرَجاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتكلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَها بَالًا يَهْوِي بِهَا في جَهَنَّمَ**»(٢).

□ نريدُ كلامًا راقيًا من نفوس تُدرِك قيمة الجمال ما وُجِدت على الأرض نفوس تدرك قيمة الخير.. كلام يُسْقي ويرشح من نبع الكتاب والسُّنَّة الذي لا تُكدِّرهُ الدِّلاء.. كل كلمة كأنها زهرة تفوح، أو نجم يلوح، تظهر فيه صفات الجمال والخير، ينطق بأبلغ ما تفهمه النفوس من المعاني يفيض الجَمال على نفسه، فيصبح قطعة من هذا الجمال.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في «الرقاق» (٦٤٧٨)، ومسلم في «الزهد والرقائق» (٢٩٨٨)، ومالك في «الموطأ» في كتاب «الكلام» (٢/ ٧٥٢) رقم (٦).

□ ومن أمانة الكلمة: أن تكون الكلمة راقية طاهرة، كالرِّياض المنوَّرة بأزهارها، وكالطيور المغرِّدة بألحانها، كالأشجار المُصَفَّفَة بأغصانها، وكالنجوم المتلألئة بالنور الدائم. وكعذوبة نور النهار والمَاء البارد على الظمأ.

□ نريد كلامًا رقيقًا صورة لِرِقَّة النَّفْس، دقيقًا متناهيًا في العمق، صورة لِدقَّة نظرة صاحبه إلى الحياة، يُري الناس أن الكلام أُمة من الألفاظ عاملةٌ في حياة أمَّة من الناس، ضابطة لها المقاييس التاريخية، مُحْكِمة لها الأوضاع الإنسانية، مشترِطة فيها المثَلَ الأعلى، حَامِلةً النور الإلهي على الأرض.

□ نريد كلامًا عاليًا يُنْشِئُ الأُمَّة إنشاءً ساميًا، ويدفعها إلى المعالي دفعًا، ويردُّها عن سفاسِف الحياة، ويملأ سرائرها يقينًا ونفوسَها حَزْمًا، وأبصارها نظرًا وعقولها حِكْمة.

□ نريد رَجُلًا يكون لأمته ولِلُغَتها في مواهب قلمه وكلامه لقبٌ من ألقاب التاريخ.

□ نُريد المسلم نقي الكلمة؛ كأنه إنسانٌ من الفلك يُخَزِّن الأشعة ويريقُها في يده الأنوار والظلال يعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت عَلَى الناس معاني الحياة، ولا تزال الحكمة تُلقي إليه الفكرة الجميلة؛ ليعطيها هو صورة فكرتها وتوحي إليه معنى الحق ليؤتيها هو معنى جمال الحق، هو أبدًا وراء ما لا ينتهي من جمال أوله في نفسه وآخره في الجمال الأقدس الذي مسح عَلَى هذه النفس الجميلة السامية فما دام فيه طهر الإسلام وشفافيته ورقة الذوق، فهو دائب يعلم ممزقًا حياته في سُبحات النور تمزيقًا يجتمع منه أدبه، ويجتمع منه شعره، وما شعره إلَّا صورة حياته» اهـ.

الأمانة في الولايات:

• تعد الأمانة في الولايات [١] من أكبر الأمانات التي تطوق صاحبها، ويسأل عنها أشد السؤال إن تعمد التفريط فيها، واستهان بها، قال رسول الله ﷺ محذرًا الولاة من الغش في القيام بواجب الرعية بقوله ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعِيهِ الله رعِيَّةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيتهِ، إلَّا حَرَّمَ الله عليه الجنة**» [٢].

القويُّ الأمين كليم الرحمن موسى عليه السلام:

* وقد عُرف نبي الله موسى عليه السلام بالأمانة قبل أن ينبأ ويرسل إلى فرعون وقومه، حينما لجأ إلى مَدْيَن [٣] خوفًا من بطش فرعون وقومه، وسقيه للفتاتين، قال المولى عز وجل: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل «القوي الأمين»: «قَوِيٌّ فيما وَلِيَ، أَمِينٌ فيما استودع» [٤]. والأمانة والقوة هما الركنان المقصودان في كل شيء

---

(١) مفهوم ولاية الأمر لا يقتصر على الولاية العامة أو الكبرى، بل يدخل في هذا المفهوم جميع العاملين في الدولة على مختلف مراتبهم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار.

(٣) مَدْين: مدينة على البحر الأحمر، محاذيةً لتبوك.

(٤) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٠).

مع أن اجتماعهما في الناس قليل(١).

وضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في تولية الأمناء في الولايات، فكان يتفرس في الأشخاص القادرين، فيضعهم موضع الاختبار والتجربة، فالاختبار في الاختيار، ويتابعهم بملاحظاته، فمن وجده أهلًا أسند إليه أمانة الولاية والقيادة(٢). وهذا ما فعله ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، لَمَّا أراد أن يبعثه إلى اليمن، اختبر أمانته وعلمه وفطنته وقدراته في مواجهة الأمور، ذلك أن الولاية توجب المحافظة على حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، وتتطلب خلقًا أمينًا راسخًا.

□ وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشعر مسؤولية أمانة الخلافة بالبحث عن الأمناء والنصحاء، فيقول: «أنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أَكِلُهُ إلى أحد، ولا أستطيع ما بعُدَ منه إلَّا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله»(٣).

□ وكان زياد ابن أبيه إذا وَلَّى رجلًا عملًا أوصاه، مؤكدًا أن يكون من الأمناء بقوله: «خذ عَهْدَكَ، وسِر إلى عملك، .. واعلم أنك تصير إلى أربع خلال، فاختر لنفسك: إنَّا إنْ وَجدناك أمينًا ضعيفًا استبدلنا بك لضعفك، وسَلَّمَتْكَ من مَعَرَّتِنَا(٤) أمَانَتُكَ، وإن وَجدناك قويًّا خائنًا، استهنا بقوتك،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٤).

(٢) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٦٦٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١٥).

(٤) المعرّة: الأذى.. «لسان العرب» (١٣/ ١٤٠).

وأَحْسنَّا على خيانتك أدبك، فأوجعنا ظهرك، وأثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمَين جمعنا عليك المضرَّتين، وإن وَجدناك أمينًا قويًا زدناك في عملك، ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك، وأَوْطَأنا عقبك»[(١)].

□ وصفات الأمناء صفات نسبية حسب الوظيفة التي تسند إلى المكلف واستعداداته الشخصية، ومن يجمع بين القوة والأمانة قليل في بني الإنسان، والقوي الذي لا يؤتمن والموثوق العاجز هم أكثر الناس، والذين فيهم شيء من القوة وشيء من الأمانة كثيرون[(٢)]، يقول ابن تيمية: «إذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قُدِّم الأمين؛ مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها وحفظها، فلا بد فيه من قوة وأمانة، فَيُوَلَّى عليها شاهد قوي يستخرجها، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته. وكذلك في إمارة الحرب، إذا أُمِرَ الأميرُ بمشاورة أهل العلم والدين جمع بين المصلحتين»[(٣)]، فلا بد من الموازنة بين الوظيفة المكلف بها والمصالح المترتبة عليها وبين صفات المتصف بها، فكلما كانت المصالح المترتبة على أمانة المكلف أَوْ ذِي الولاية ذات قيمة اجتماعية للمجتمع، كانت صفاته أكمل وأجمل.

□ ويرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن من كان له نسب عال ومال وَفِير أبعد عن الخيانة وأقرب إلى الفقه والأمانة»[(٤)].

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٤)، ومقال: في إشراقة آية للدكتور عبد الكريم بكّار، مجلة البيان، العدد ٧١، رجب ١٤١٤هـ (ص١٠-١١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٨).

(٤) «القضاة في عهد عمر بن الخطاب» للدكتور ناصر الطريفي (١/ ١٩٩).

□ وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: «لا تستقضين إلَّا ذا مال وذا حسب، فإن ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس»(١).

□ كما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري، يستشيره في أقوام يستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب الحسن إليه: «عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة»(٢).

* وينبغي عدم ائتمان أهل الكتاب وإطلاعهم على مصالح المسلمين، فإنه «لمَّا استكتب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كاتبًا نصرانيًّا انتهره عمر رضي الله عنه وقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة]، فقال أبو موسى: والله ما توليته وإنما كان يكتب، فقال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لا تدنهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنهم إذ خونهم الله تعالى، ولا تعزهم بعد أن ذلهم الله تعالى»(٣)، على أنه ربما وجد من الكفار من يعامل المسلمين بالأمانة والصدق، كما أن «خُزَاعَة عَيْبَةَ(٤) نُصْح رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٥).

---

(١) «أخبار القضاة» لوكيع (١/ ٧٦-٧٧).
(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩١).
(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٨٤).
(٤) عيْبة نصح: أي موضع أمان ووفاء.
(٥) رواه البخاري (٢٧٣).

قوة الأمين:

* القوة هي أحد الركنيْن المقصوديْن في الولايات، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

□ يقول عمر رضي الله عنه في خطبة له: «ألا وإني وجدتُ صلاحَ ما ولاني الله تعالى بأداء الأمانة، والأخذ بالقوة»[١]. واستشار عمر رضي الله عنه الصحابة فيمن يوليه، وقال: «ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم، أو رجل قوي مسدد؟ فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أما الضعيف المسلم فإنه إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المسدد، فإن سداده لنفسه وقوته للمسلمين»[٢].

• ولا تعني القوة في الولاية عدم مراعاة الرفق [٣]، فإن الله سبحانه رفيق يحب الرفق، فمن تولى أمانات المسلمين فرفق بهم استحق دعاء النبي ﷺ: «**اللهم من وَلِيَ من أمرِ أُمَّتِي شَيئًا فَشَقَّ عَلَيهم، فَاشقُقْ عَلَيهِ، وَمَن وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[٤].

□ الولاية مسؤولية جسيمة، وأمانة ثقيلة لا يصحُّ أن تُسنَدَ إلَّا لمن كان أهلًا لها، قادِرًا أن يقوم بحقِّها، ويستوفي حقوقها، ففي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تَستَعمِلني؟ قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ على

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ١١٧).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤١٤).

(٣) الرِّفْق: «هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف» -«فتح الباري» (١٠/ ٤٩٩).

(٤) رواه أحمد، ومسلم في كتاب «الإمارة»، باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٨).

مِنْكَبِي، ثُمَّ قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وإِنَّهَا يوم القِيَامَةِ خِزْيٌ ونَدَامةٌ، إلَّا من أخَذَها بحَقِّهَا، وأَدَّى الذي عليْهِ فيها»(١)، وفي رواية: «لا تَأَمَّرَنَّ على اثنَين، ولا تولَّيَنَّ مَالَ يَتيم»(٢)، مع أن أبا ذر رضي الله عنه ليس بالرجل المتهم، لا في دين ولا في خلق، بل وصفه النبي ﷺ فقال: «ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء من رَجُلٍ أصدق لهجة من أبي ذر»(٣).

• وقال ﷺ: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»(٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «ما أظلّت الخضراء ولا أقَلَّت الغبراء، من ذي لهجة أصدق، ولا أوفى، من أبي ذر شبهُ عيسى ابن مريم»(٥).

فمنعه من الولاية التي هي واجب عظيم وتكليف ثقيل خشية عليه، ومراعاة لحاله.

□ يقول ابن تيمية مبينًا واجب الولاة في تولية أمور المسلمين من يكون أولى الناس بهذا التكليف الثقيل: «يجب على وَلِيِّ الأمر أن يُولي على

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الإمارة»، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٥).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في مقدمة «سنن ابن ماجه» رقم (١٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٦٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٣٨)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٢٩).

(٥) حسن: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي ذر، وحسَّنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٦٢٣٠)، و«صحيح الجامع» (٥٥٣٨).

كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل»(١).

□ والصدق والأمانة وصفان متلازمان في شأن من يُوَلَّى الإمارة قال عمر رضي الله عنه: «أحبكم إلينا أحسنكم خلُقًا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة»(٢).

□ قال القلقشندي: «إن مرتبة الحكم لا تُعطي إلَّا أهلها، والأقضية لا يُنْصَب لها إلَّا من هو كفؤٌ لها، ومَن هو مُتَّصَفٌ بصفات الأمانة والصيانة والعفّة والديانة، فمن هذه صفاته استحقَّ أن يُوَجَّه ويُستَخدم، ويترقى ويتقدّم»(٣).

● ومن الأمانة في اختيار الوُلاة ألا يُوَلَّى هذا الأمر من سأله، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ أنا ورجُلان من قومي، فقال أحدُ الرَّجُليْن: أَمِّرْنا يا رسولَ الله، وقال الآخر مثله، فقال ﷺ: «**إنَّا لا نُولي هذا الأمرَ من سَألَه ولا من حَرِصَ عَلَيه**»(٤)؛ ولأن المرء إذا سأل شيئًا وُكِلَ إليه، وأصبحت المسألة عليه كبيرة، ويستثنى من ذلك إذا سأل المرء المنصب لأجل الإصلاح ولديه قدرة على إدارة الأمر الذي طلبه ليحقق النفع(٥)، وذكر الله عز وجل في كتابه عن نبيه يوسف عليه السلام مع عزيز

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨٣).

(٣) «صبح الأعشى» (١٤/ ٣٤١).

(٤) رواه البخاري - كتاب «الأحكام»- باب ما يُكرَه من الحرص على الإمارة، (٧١٤٩)، ورواه مسلم في كتاب «الإمارة»، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (١٧٣٣).

(٥) «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» للعز بن عبد السلام (٢/ ٣٤٦).

مصر حينما طلب الوزارة: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾ [يوسف].

□ قال ابن تيمية: «أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، هذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة»[١].

□ وقال ابن تيمية رحمه الله: «فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك، بعد الاجتهاد التام، وأخذه للولاية بحقها، فقد أَدَّى الأمانةَ، وقام بالواجب في هذا»[٢].

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قَلَّدَ رجلًا على عِصَابَة[٣]، وهو يجد في تلك العِصَابة من هو أرضى لله منه فقد خَانَ اللهَ، وخَانَ رسولَهُ، وخَانَ المؤمنين»[٤]، إذ إن تولية غير الأهل أو غير الكفء خيانة ومشاركة في الإثم».

عمر بن الخطاب رضي الله عنه القوي الأمين.. يا خالق عمر سبحانك:

سبحان من سوّى هذه النفس السامقة البالغة في السمّو منتهاه.. بذكر عمر رضي الله عنه تطيب المجالس، أتعب مَن بعده من الولاة وأهل الأمانات، فما بينهم وبينه أبعدُ مما بين الثرى والثريا..

تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... فمن أين يدري الناس أَنَّى توجَّهْنا

□ ولله در القائل عنه:

أنت تدري أيُّها الحيرانُ عنا ... كيف فوق الشمس أزمانًا حَلَلْنا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٢).

(٣) العِصَابة: الجماعة من الناس- مختار الصحاح (ص٤٣٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٧).

«بينا عثمان بن عفان رضي الله عنه في مالٍ له بالعالية في يومٍ صائف [١] إذ رأى رجُلًا يسوق بِكْرَيْن – من الإبل – وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد، ثم يروح.

ثم دنا الرجل فقال لمولاه: انظر مَن هذا؟، فنظر فقال: أرى رجُلًا مُعْتَمًّا بردائه، يسوق بِكْرَيْن.

ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظر، فإذا عمر بن الخطّاب!!

فقال: هذا أمير المؤمنين.

فقام عثمان فأخرَج رأسه من الباب فإذا نَفْح السَّمُوم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟!!

فقال عمر: بكران مِنْ إبل الصدقة تخلَّفَا، وقد مُضِي بإبل الصدقة، فأردتُ أن أُلحقهما بالحِمَى وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هَلُمَّ إلى الماء والظِّل، ونكفيك.

فقال: عُد إلى ظِلِّك يا عثمان!

فقال عثمان: مَن أحبَّ أن ينظر إلى القويِّ الأمين، فلينظر إلى هذا، فعاد إلينا فألقى نفسه» [٢].

إني أخافُ أن أُسألُ عمَّا بك!!!

□ وعن سالم بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدْخِل يده في دبر البعير، ويقول: «إني خائفٌ أن أُسأَل عَمَّا بك» [٣].

---

(١) صائف: أي حار.

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ١٦٠)، وسنده صحيح.

(٣) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢١٧).

□ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلتُ: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ فقال: بعيرٌ نَدَّ[١] من إبل الصدقة أطلبه، فقلتُ: لقد أذللت الخلفاء من بعدك.

فقال: يا أبا الحسن لا تلمني، فوالذي بعث محمدًا بالنبوة لو أن عناقًا[٢] ذهبت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة»[٣].

قال عمر: لا تنظروا إلى صيام أحدٍ ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صِدْق حديثه إذا حدَّث، وأمانته إذا ائتمِن، وورعه إذا أشفى»[٤]،[٥].

□ وانظر إلى موقف عمر بن الخطاب الذي تزدان الدنيا بأمانته أعباء الخلافة انظر إلى موقفه من الأحنف بن قيس لما قدم عليه في يوم صائف شديد الحر، وكان عمر رضي الله عنه يرعى بعيرًا من إبل الصدقة، فقال له عمر: «يا أحنف ضع ثيابك، وَهَلُمَّ فَأَعِن أميرَ المؤمنين على هذا البعير، فإنه لمن إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة. فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا؟ قال عمر: وأي عبدٍ هو أعبد مني ومن الأحنف، إنه من ولى أمر المسلمين، فهو عبدٌ من المسلمين، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة، وأداء الأمانة».

---

(١) أي: هرب.
(٢) الماعز.
(٣) «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي.
(٤) أشفى: أي أشرف على الدنيا وأقبلت عليه.
(٥) «الحلية» (٣/ ٢٧).

نعم أديت الأمانة أعظم أداء:

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنا أول من أتى عمر حين طُعِنَ. فقال: احفظْ عنِّي ثلاثًا، فإنِّي أخافُ أنْ لا يدركني الناس، أما أنا فلم أقْضِ في الكَلالَةِ[1] قضاءً. ولم استخْلِفْ على الناس خليفةً. وكُلُّ مملُوكٍ له عتيقٌ. فقال له الناسُ: استخْلِفْ. فقال: أيُّ ذلك أفعلُ فقدْ فعلهُ من هو خيرٌ منِّي: أنْ أدعَ إلى الناس أمرهم فقد تركَهُ نبيُّ الله ﷺ، وأنْ أستَخْلِفَ فقد استخْلفَ منْ هو خيرٌ منِّي أبو بكرٍ، فقلتُ له أبْشِرْ بالجنَّةِ، صاحبْتَ رسول الله ﷺ فأطلْتَ صحْبتَهُ. ووُلِّيت أمر المؤمنين فقويتَ، وأدَّيت الأمانة. فقال: أما تبشيرك إيَّاي بالجنة، فوالله لو أنَّ لي - قال عفَّانُ: فلا والله الذي لا إله إلَّا هو - لوْ أنَّ لِيَ الدُّنيا بمَا فيها لافتديتُ به من هول ما أمامي قبل أنْ أعلم الخبر. وأما قولك في أمر المؤمنين، فوالله لوددتُ أنَّ ذلك كفافًا لا لي ولا عليَّ، وأمَّا ما ذكرت من صحبة نبيِّ الله ﷺ فذلك»[2].

□ وقال عمر رضي الله عنه: «والله ما أحدٌ أَحقُّ بهذا المال من أحد، وما أنا أحقُّ به من أحد، ووالله ما من المسلمين أحدٌ إلَّا وله في هذا المال نصيب، إلَّا عبدًا مملوكًا، ولكِنَّا على منازلنا من كتاب الله عز وجل، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقِدمُه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي

(١) الكلالة: أن يموت الرجل وليس له والد أو ولد يرثه، بل يرثه ذو قرابته.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٧) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢٩٥): «إسناده صحيح. وأصل الحديث في البخاري».

بجبل صنعاء من هذا المال وهو يرعى مكانه»[١].

عثمان ذو النورين رضي الله عنه يُوصي عمال الخراج بالحق، والأمانة والوفاء:

□ «كان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى عُمَّالِ الخراج قال فيه: «أمَّا بعد، فإن الله خلق الخلْق بالحق، فلا يقبل إلَّا الحق، خذوا الحقَّ، وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم»[٢].

أشجّ بني أمية عمر بن عبد العزيز الخليفة الأمين:

□ رحم الله هذا الإمام الخليفة الراشد قسطاس الموازين.. كان رحمه الله إمام هدى وسراجًا نشر نور العدل في كل مكان من أركان دولته، وقام بأمانة الخلافة أجمل قيام، قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك: «دخلتُ عليه وهو في مصلاه ودموعهِ تجري على لحيته، فقلت: أحَدَثَ شيء؟ فقال: إني تقلدتُ أَمْرَ أُمَّة محمد ﷺ، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ إلى الله تعالى، فخشيت أن لا تثبت حُجَّتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت»[٣].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١١).
(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٤٥).
(٣) «الكامل في التاريخ» (٤/ ١١٩) لابن الأثير.

□ وعن أبي شعيب عبد الله بن مسلم يحدث عن أبيه، قال: «دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتُب، قال: وشمعةٌ تُزهِر، وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرَّجُل وأطفئت الشمعة، وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه، فرأيت عليه قميصًا فيه رقعة، قد طبَّق ما بين كتفيه، قال:فنظر في أمري»[١].

□ و«كانت لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر جارية، فبعثت بها إليه، وقالت: إني قد كنت أعلم أنها تعجبك، وقد وهبتها لك، فتناول منها حاجتك، فقال لها عمر: اجلسي يا جارية، فوالله ما شيء من الدنيا كان أعجبُ إليّ أن أناله منك، فأخبريني بقصتك، وما كان من سَبْيك، قالت: كنتُ جاريةً من البربر، جنى أبي جناية، فهرب من موسى بن نصير عامل عبدالملك على إفريقية، فأخذني موسى بن نُصَير فبعث بي إلى عبد الملك، فوهبني عبد الملك لفاطمة، فأرسلتْ بي إليك، فقال: كِدْنا والله أن نفتضح، فجهّزها وأرسل بها إلى أهلها»[٢].

□ انظر إلى قدوة الحُكّام والمصلحين والمجددين عمر بن عبد العزيز حين يستشعر واجب الأمانة فيأتي بالدرر والأعاجيب: يمنح العطايا، يُسَدِّد ديون رعيّته، يزوِّج الشباب، بل ويُقرض أهل الذمة الضعفاء ويساعدهم.

□ ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام: «كتب عمر بن العزيز إلى عبدالحميد

(١) «الحلية» (٥/ ٣٢٣).

(٢) «الحلية» (٥/ ٢٦٠-٢٦١).

ابن عبد الرحمن – وهو بالعراق- أن أخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه عبد الحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه: أن انظر كل من أدان [١] في غير سفه ولا سرف فاقض عنه، فكتب إليه، إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: أن انظر كل بكرٍ ليس لَهُ مالٌ فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه [٢]، فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا: أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوي به على عمل أرضه، فإنَّا لا نريدهم لعام ولا لعامين» [٣].

الأمانة في تحمل المسؤولية تجاه المجتمع وأفراده:

أمانة اتقان الأعمال والمهام المتعلّقة بالمجتمع ومصلحة الأمّة:

• قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحبُّ إذا عَمِل أحدكم عملًا أن يتقنه» [٤].

نبي الله موسى الكليم عليه السلام وأمانة أداء الواجب:

* قد ضرب لنا نبي الله موسى عليه السلام المثل الرائع في أمانة أداء الواجب

---

(١) هو بمعنى استدان.

(٢) أي: ادفع له الصداق وهو المهر.

(٣) «كتاب الأموال» لأبي عبيد (ص٢٦٥).

(٤) حسن: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٣٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٣٤-٣٣٥) عن عائشة رضي الله عنها، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٤٤) رقم (١٨٧٦)، و«الصحيحة» (١١١٣).

المبرم مع أبي المرأتين اللتين سقى لهما، وهو أجرته في رعي ماشيته ثماني حجج تزويجه ابنته، كما قص المولى عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص]، فأتم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أداء واجبه على النحو الأتم والأكمل(١).

فأداء الواجبات على النحو المطلوب يجعل مراقبة المولى عَزَّ وَجَلَّ هي الأساس المتين، ومن ثم تظهر قوة الإرادة المبنية على السمو في النفس والروح.

وما أعظم أمانة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ :

* هذا الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقوم بتحمُّل مسؤولية خزينة ملك مصر الأكبر، يؤديها بأمانة وإخلاص، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، فلم يكن نبي الله يوسف يطلب المنصب لشخصه، إنما قام بتحمُّلِ مسؤولية وواجب ثقيل في نجاة شعب كامل من مجاعة كبرى(٢).

□ وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يشبع وهو على خزائن الأرض ولَمَّا سُئل عن ذلك قال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجياع».

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٦٨).

(٢) انظر: «الأمانة في الإسلام» (ص٢٥٥).

الفاروق وأمين الأمّة وأمانة تحمل المسؤولية خدمة للأمة :

□ لما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، قال لعمر ولأبي عبيدة رضي الله عنهما: «إني لا بُدَّ لي من أعوان، فتقدم عمر رضي الله عنه وقال:أنا أكفيك القضاء، وقال أبو عبيدة رضي الله عنه: أنا أكفيك بيت المال [١]، وقد قاما بأداء واجباتها الوظيفية ومسؤوليتها بإخلاص وإتقان».

زيد بن ثابت رضي الله عنه وأمانة تبادل المراسلات السياسية :

□ لله در زيد بن ثابت وما أعظم أمانته رضي الله عنه وتحمُّلَه مسؤولية عظيمة، وهي تبادل المراسلات السياسية للنبي ﷺ ما يسمى حديثًا «بالدبلوماسية»، وذلك حينما أمره النبي ﷺ بأن يتعلم السريانية: «**يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي..**» [٢]، فقام زيد رضي الله عنه بتحمل مسؤولية تعلم كتابهم في خمس عشرة ليلة حتى حذقه، وكان يقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه، ويجيب عنه إذا كتب بأمانة وإتقان، فهو بهذا قد أدى الوظيفة المناطة بِهِ على خير وجه.

وأغلى أمانة : «جَمْع القرآن الكريم» قام بهذا زيد بن ثابت الأمين رضي الله عنه :

□ عن زيد بن ثابتٍ قال: «بعث إليَّ أبو بكرٍ لمقتل أهل اليمامة، وعنده عمر. فقال أبو بكرٍ: إنَّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتْل استحَرَّ [٣] يوم اليمامةِ بقُرَّاءِ القرآنِ، وإنِّي أخشى أن يسْتحِرَّ القتْلُ بقرَّاءِ القرآنِ في المواطنِ كُلِّها

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٢٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٦)، ورواه أبو داود في كتاب العلم – باب رواية حديث أهل الكتاب رقم (٣٦٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٠٨).

(٣) استحَرَّ: اشتد وحمي.

فيذْهب قرآنٌ كثيرٌ، وإنِّي أرَى أن تأمرَ بجمع القرآن. قلتُ: كيف أفعلُ شيئًا لَمْ يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعُني في ذلك حتَّى شرح الله صدري للذي شرحَ له صدْرَ عمر، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمرُ. قال زيدٌ: قال أبو بكرٍ: وإنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نَتَّهِمُكَ، قد كنت تكتب الوحي لرسولِ الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه. قال زيدٌ: فوالله لو كلَّفَني نقل جبلٍ من الجبال ما كان بأثقل عليَّ ممَّا كلَّفني من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلانِ شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكرٍ: هو – والله- خيرٌ، فلم يزل يحُثُّ مراجعتي حتَّى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدْر أبي بكرٍ وعمر، ورأيتُ في ذلك رأيًا. فتتبَّعْتُ القرآن أجمعه من العُسُبِ (١) والرِّقاع واللِّخَافِ (٢) وصدور الرِّجال فوجدتُ آخر سورة التَّوْبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها مع خزيمة –أو أبي خزيمة- فألحقتها في سورتها. وكانت الصحف عند أبي بكرٍ حياته حتى توفَّاهُ الله ﷻ ثم عند عمر حياته حتى توفَّاهُ الله، ثمَّ عند حفْصَة بنتِ عمر»(٣).

□ قال محمد بن عبيد الله: «اللِّخَافُ: يعني الخزفَ».

وأمانة عجيبة لميمون بن مهران:

□ قال رَحِمَهُ اللهُ: «لولا أنا على حمر كراء، لسلَّمنا على آل فلان، وعلى آل

---

(١) العسب: جريد النخل.
(٢) اللخاف: حجر رقيق محدّد.
(٣) رواه البخاري (٧١٩١).

الشام !!!»[١].

ومن أسرار الأمانة:

□ قال مالك بن دينار: «كفى بالمرء خيانةً أن يكون أمينًا للخونة»[٢].

□ وقال الأعمش: «أعظم الخيانة: أداء الأمانة إلى الخائنين»[٣].

□ وقال: «نقض العهد وفاءُ العهد لمن ليس له عهد»[٤].

□ وقال يحيى بن أبي كثير: «لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع، فإنك لا تدري على أيّ شقَّيه يقع»[٥].

أمانة الأغنياء تجاه مجتمعهم أعلى قمة سامية لها فِعْل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

□ قال طلحة بن عبد الله بن عوف: «كان أهل المدينة عيالًا على عبدالرحمن بن عوف، ثلثٌ يقرضهم، وثلث يقضى دَيْنهم، ويصلُ ثُلُثًا»[٦].

وقد أعتق رضي الله عنه ثلاثين ألف بيت!![٧].

(١) «الحلية» (٤/ ٨٧).
(٢) «الحلية» (٢/ ٣٧٣).
(٣) «الحلية» (٥/ ٤٨).
(٤) «الحلية» (٥/ ٤٨).
(٥) «الحلية» (٣/ ٦٩).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٨٨).
(٧) المصدر السابق (١/ ٩٢).

الأمانة في العلم: الحفظ، والأداء، والتأليف، والنشر:

أمانة حفظ العلم والسُّنَّة:

قيّض الله تعالى علماء قاموا بحفظ السُّنَّة والعلم وضبطها ورعايتها من شرِّ أهل البدع والأهواء، و«لولا أهل الحديث أصحاب المحابر لخطبَتِ الزنادقة على المنابر»، و«الملائكة حراس السماء، وأهل الحديث حُرّاس الأرض»، و«لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» يا لها من عبارات جميلة تدل على أمانة الأمة السامقة تجاه هدي نبيها ﷺ:

وقد نبَّه ابن تيمية على أمانة العلماء في حفظ العلم وأدائه للأمة، بقوله: «فالمرصدون للعلم، عليهم حفظ علم الدِّين، وتبليغه، فإذا لم يبلغوا –الأمة– علم الدِّين، أَوْ ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة]»[(١)].

□ وقد أبدع علماء السلف في الحديث عن أهمية رعاية الأمانة في أداء العلم وحاجة العباد إلى العلماء الأمناء، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم أن: «حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء؛ لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس؛ لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون صاحبًا لإيمان أو حكمه، فإن فارقه الإيمان أو حكمه في نفس من أنفاسه، فقد عطب وقرب هلاكه وليس إلى حصول ذلك سبيل إلَّا بالعلم، فالحاجة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٨٧).

إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب»[١].

وخصّ الله هذه الأمّة بالإسناد دون غيرها من الأمم، لحرص الأمة على نقل الحديث عن رسولها ﷺ وإنه لعلم عجيب عجيب..

أمانة الأداء:

* تضافرت النصوص الشرعية المتعددة في أهمية أمانة الأداء، منها: قول المولى عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

• وعني النبي ﷺ بتأدية العلم وتبليغه بقوله: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آية..**»[٢].

• وقوله ﷺ: «**تَسمعُون، ويُسْمَعُ منكم، ويُسْمَعُ ممن يَسْمَعُ مِنكُم**»[٣].

• وضرب النبي ﷺ في تأدية أمانة العلم والهدى مثلًا بالغيث النافع في الأرض الطيبة[٤]، بِقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَل مَا بَعَثَني الله من الهُدَى والعِلم كَمَثَل الغيثِ الكثيرِ أَصَابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبلت الماءَ فَأَنبتَ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ الله بها النَاسَ فَشَرِبُوا وسَقَوا وزَرَعُوا، وأصابَ منها طائفةٌ أخرى، إنَّما هي قِيعانٌ لا**

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨١).
(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل (٣٤٦١).
(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود – كتاب العلم- باب فضل نشر العلم (٣٦٥٩)، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن حبان، والبزار عن ثابت بن قيس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٨٤)، و«صحيح الجامع» (٢٩٤٧)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤١١).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٠-٦١).

تُمسكُ ماءً ولا تُنبِتُ كلأً، فذلكَ مَثَلُ مَن فَقِهَ في دينِ الله ونَفَعَهُ ما بَعَثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ من لم يَرفَعْ بذلك رأسًا ولم يقبلْ هُدَى الله الَّذِي أَرسِلتُ بِهِ»[١].

□ قال القرطبي: «شَبَّه –النبي ﷺ– السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة؛ شَرِبَت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه؛ غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «نَضَّرَ الله امرءً سَمِعَ مَقَالَتي فَأَدَّاها كما سمعها»[٢]، ومنهم من يسمع العلم، فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره»[٣].

□ قال الخطيب البغدادي عن أصحاب الحديث الذين حملوا أمانة حفظ حديث النبي ﷺ وأمانة أدائه لله درهم: «حَفَظَةُ الدِّين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن»[٤].

□ ومن أمانة الأداء عدم كتم العلم، وصيانة العلم عن التحريف.

---

(١) رواه البخاري – واللفظ له– في كتاب العلم – باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم (٧٩)، ورواه مسلم في كتاب الفضائل– باب بيان ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم رقم الحديث (٢٢٨٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٧٧).

(٤) «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٨).

بلغ من أمانة أهل العلم وحرصهم على صيانة العلم من التحريف قول: لا أدري، حينما يُسأل عن أمر لا يعلمه، ويقولها في شجاعة أدبية وأمانة علمية، والمتأمل لسير العلماء يجدهم في كثير من المسائل التي يجهلونها يقولون: لا ندري، قال مالك بن أنس: «ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول: لا أدري»[(١)].

□ ومما روي عن مالك: «أنه جاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فَسَلْ، فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها، فبهت الرجل -كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء- فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، قال: تقول لهم: قال مَالِكٌ: لا أُحسن»[(٢)].

أمانة التأليف:

لا تُعرف أمة في تاريخ الإنسانية بلغت ما بلغته الأمة الإسلامية من الدقة والأمانة والإخلاص والصدق، تجاه ما ألف من تراثها وحفظه وصيانته وتبليغه للناس.

□ والتأليف كما قال العلماء: «لا يخرج عن سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلَّا فيها «إما شيءٌ لم يُسبق إليه فيخترعه، أو شيءٌ ناقصٌ يتمِّمُهُ، أو شيءٌ مغلق يشرحه، أو شيءٌ طويلٌ يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيءٌ متفرقٌ يجمعه، أو شيءٌ مختلطٌ يرتبه، أو شيءٌ أخطأ فيه مصنِّفُهُ

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٧٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٣)، و«إحياء علوم الدين» (١/ ٣٩).

فيُصلحهُ»[١].

والأمانة شرط في جميعها، إذ ينبغي رعاية أمانة التأليف المكتوبة المتداولة بين الناس في أي علم من العلوم الدينية أو الدنيوية النافعة.

ومن أمانة التأليف: الدقَّة في نقل الأقوال، ونسبتها إلى أصحابها، فإن «من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله»[٢].

«والمتأمل لكتب المتقدمين أمثال: كتاب «الفهرست» لابن النديم، وكتاب «المخصص» لابن سِيْدَه، و«تهذيب التهذيب»، و«الدرر الكامنة» لابن حجر وغيرهم، يجد اهتمامهم بالدقة العلمية وأمانة التأليف، وإسناد الشيء إلى صاحبه كما هو»[٣].

وأخيرًا أمانة النشر:

فمن أمانة النشر نشْر الكتب باستئذان مؤلِّفيها، وألا يلحق شططًا بالمشترين فيكون سببًا في منع العلم وانتشاره وتحمّله، وليتق الناشر ربه في نشر النافع من العلوم خدمة للأمة ونشرًا للعلم النافع.. وليتق الله ألا ينشر الغثاء المدمر للأمة وشبابها.

وقد زخرت دُور النشر في منتصف القرن الرابع عشر الهجري بناشرين علماء أمثال: محب الدين الخطيب، ومحمد حسام الدين القدسي، ومحمد منير الدمشقي، وغيرهم ممن حظوا بكل احترام وسمعة طيبة نتيجة لمصداقيتهم وتحريهم الأمانة في النشر.

---

(١) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (١/ ٣٥).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٩).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص٢٢٧-٢٢٨).

أمانة الشهادة لهذا الدين:

□ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي: «إن الإسلام اليوم في حاجة شديدة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية.

فما أجمل أن يتحوّل الإسلام إلى واقعٍ تراه الأعين في صورة أشخاص يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، يراهم الناس فيروْن الإسلام بكل ما جاء به من عقائد وشرائع ومعاملات وأخلاقيّات، ولذا فقد كان رسول الله ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالًا وأن يربي قلوبهم، فكان الواحد منهم قُرآنًا يمشي بين الناس في دنيا الناس.

□ يقول الأستاذ سيد قطب: «ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا وحوّل إيمانهم بالإسلام عملًا، وطبع من المصحف عشرات النسخ ثم مئاتٍ وألوفًا، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، وإنما طبعها بالنور على صحائف القلوب وأطلقها تُعامل الناس وتأخذ منهم وتُعطي وتقول بالفعل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله جلّ وعلا.

ومن هذا المنطلق فإن المسلم مطالبٌ بأمانة عظيمة تجاه هذا الدين ألا وهي أن، يتخلَّق بخلُق الإسلام ومعاملاته، وأن يعتقد أنه هو وحده الذي يجب أن يحمل همّ الإسلام على عاتقه.. فلو ظنَّ كل مسلم أنه هو الذي يحمل همّ الإسلام على عاتقه لما رأينا مقصِّرًا ولا رأينا متخاذلًا عن تلك الأمانة، فهو يُراقب الله جل وعلا، ويعلم أن هذا هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، ويشعر بالشهادة للدين أنه ينصر الحق جل وعلا [(١)].

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص٢٣٠).

لله درُّ أمين الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح:

□ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأهل نجْران: «لأبعثنَّ إليكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين. فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ فبعث أبا عبيدة»(١).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلِّ أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة**»(٢).

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ أمَّةٍ أمينٌ، وأمين أمتي أبو عبيدة بن الجرّاح**»(٣).

□ وعن أبي رافعٍ: «أنَّ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مستندًا إلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما وعنده ابن عمر، وسعيد بن زيدٍ، فقال: اعلموا أنِّي لم أقل في الكلالةِ شيئًا، ولم أستخلِفْ من بعدي أحدًا وأنَّ منْ أدرك وفاتي منْ سَبْي العرب، فهو حرٌّ من مال الله عز وجل فقال سعيد بن زيدٍ: أما أنك لو أشرْتَ برجُلٍ من المسلمينَ لائْتَمنك الناس. فعل ذلك أبو بكرٍ وأتمنَهُ الناسُ، فقال عمر: قدْ رأيتُ من أصحابي حرْصًا سيِّئًا، وإني جاعلٌ هذا الأمر إلى هؤلاء النَّفَرِ السِّتَّةِ الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. ثمَّ قال عمر: لو أدركني أحد رجلين، ثمَّ جعلتُ هذا الأمر إليه لوثقتُ به: سالمٌ موالى أبي حذيفةَ، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاحِ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٨٢٢، ٢٨٢٣) وقال: هذا حديث حسن، ورواه أبو داود (٥١٢٨)، وهو حديث حسن.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢١٢): =

أمنية عُمَرية:

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا لمن حوله: «تمنُّوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدَّق، ثم قال عمر: تمنَّوْا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، قال عمر: أتمنّى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان»(١).

وعند أبي نعيم في «الحلية».

□ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه تمنَّوْا، فقال رجل أتمنَّى لو أن لي هذه الدار، مملوءة ذهبًا، أنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنَّوْا، فقال رجل: أتمنّى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله، وأتصدَّق؛ ثم قال: تمنَّوْا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنَّى لو أن هذه الدار مملوءة رجالًا، مثل أبي عبيدة بن الجراح»(٢).

«إسناده صحيح».

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) «الحلية» (١/ ١٠٢).

والمسجد الأقصى والقدس وفلسطين أمانة فمن ضيَّعها :

مَرْثِيَّةُ حُلْمٍ (١)

دَعْنِي وَجُرْحِي فَقَدْ خَابَتْ أَمَانِينَا ... هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ النَّبْضَ يُحْيِينَا

يَا سَاقِيَ الْحُزْنِ لَا تَعْجَبْ فَفِي وَطَنِي ... نَهْرٌ مِنَ الْحُزْنِ يَجْرِي فِي رَوَابِينَا

كَمْ مِنْ زَمَانٍ كَئِيبِ الْوَجْهِ فَرَّقَنَا ... وَالْيَوْمَ عُدْنَا وَنَفْسُ الْجُرْحِ يُدْمِينَا

جُرْحِي عَمِيقٌ خُدِعْنَا فِي الْمُدَاوِينَا ... لَا الْجُرْحُ يُشْفَى وَلَا الشَّكْوَى تُعَزِّينَا

كَانَ الدَّوَاءُ سُمُومًا فِي ضَمَائِرِنَا ... فَكَيْفَ جِئْنَا بِدَاءٍ كَيْ يُدَاوِينَا

هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يُدَاوِي جُرْحَ أُمَّتِهِ ... هَلْ مِنْ إِمَامٍ لِدَرْبِ الْحَقِّ يَهْدِينَا

كَانَ الْحَنِينُ إِلَى الْمَاضِي يُؤَرِّقُنَا ... وَالْيَوْمَ نَبْكِي عَلَى الْمَاضِي وَيُبْكِينَا

مَنْ يُرْجِعُ الْعُمْرَ مِنْكُمْ مَنْ يُبَادِلُنِي ... يَوْمًا بِعُمْرِي وَنُحْيِي طَيْفَ مَاضِينَا

إِنَّا نَمُوتُ فَمَنْ بِالْحَقِّ يَبْعَثُنَا ... لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ سِوَى صَمْتٍ يُوَاسِينَا

صِرْنَا عَرَايَا أَمَامَ النَّاسِ يُفْزِعُنَا ... لَيْلٌ تَخَفَّى طَوِيلًا فِي مَآقِينَا

صِرْنَا عَرَايَا وَكُلُّ الْأَرْضِ قَدْ شَهِدَتْ ... أَنَّا قَطَعْنَا بِأَيْدِينَا أَيَادِينَا

يَوْمًا بَنَيْنَا قُصُورَ الْمَجْدِ شَامِخَةً ... وَالْآنَ نَسْأَلُ عَنْ حُلْمٍ يُوَارِينَا

---

(١) ديوان «طاوعني قلبي في النسيان»، شعر: فاروق جويدة، ط١، مكتبة غريب (ص٥١-٧٦).

أَيْنَ الإِمَامُ رَسُولُ الله يَجْمَعُنَا ... فَالْيَأْسُ وَالْحُزْنُ كَالْبُرْكَانِ يُلْقِينَا

دِينٌ مِنَ النُّورِ بَيْنَ الخَلْقِ جَمَّعَنَا ... وَدِينُ طَهَ وَرَبُّ النَّاسِ يُغْنِينَا

يا جَامِعَ النَّاسِ حَوْلَ الحَقِّ قَدْ وَهِنَتْ ... فِينَا الْمُرُوءَةُ أَعْيَتْنَا مَآسِينَا

يَبْرُوتُ فِي الْيَمِّ مَاتَتْ قُدْسُنَا ذُبِحَتْ ... وَنَحْنُ فِي الْعَارِ نَسْقِي وَحْلَنَا طِينَا

بَغْدَادُ تَبْكِي وَطَهْرَانٌ يُحَاصِرُهَا ... بَحْرٌ مِنَ الدَّمِ بَاتَ الآنَ يَسْقِينَا

هَذِي دِمَانَا رَسُولَ الله تُغْرِقُنَا ... هَلْ مِنْ زَمَانٍ بِنُورِ الْعَدْلِ يَحْمِينَا

أَيُّ الدِّمَاءِ شَهِيدٌ كُلُّهَا حَمَلَتْ ... فِي اللَّيْلِ يَوْمًا سِهَامَ الْقَهْرِ تُرْدِينَا

***

الْقُدْسُ فِي الْقَيْدِ تَبْكِي مِنْ فَوَارِسِهَا ... دَمْعُ الْمَنَابِرِ يَشْكُو لِلْمُصَلِّينَا

أَقْزَامُنَا ضَيَّعُونَا حِينَمَا فَسَقُوا ... بَاعُوا المآذِنَ وَالْقُرْآنَ وَالدِّينَا

أقزامنا أَشْعَلُوا النِّيرَانَ في غَدِنَا ... وَمَزَّقُوا الصُّبْحَ في أَحْشَاءِ وَادِينَا

مَا لِي أَرَى الخَوْفَ فِينَا سَاكِنًا أَبَدًا ... مِمَّنْ نَخَافُ أَلَمْ نَعْرِفْ أَعَادِينَا؟

أقزامنا مَنْ أَضَاعُوا السَّيْفَ مِنْ يَدِنَا ... وَأَوْدَعُونَا سُجُونَ اللَّيْلِ تَطْوِينَا

أقزامنا مَنْ تَوَارَى صَوْتُهُمْ فَزَعًا ... وَالأَرْضُ تُسْبَى وَبَيْرُوتٌ تُنَادِينَا

أقزامنا أَوْهَمُونَا آهِ كَمْ زَعَمُوا ... وَكَمْ خُدِعْنَا بوَعْدٍ عَاشَ يُشْقِينَا

قَدْ خَدَّرُونَا بِصُبْحٍ كَاذِبٍ زَمَنًا ... فَكَيْفَ نَأْمُلُ فِي يَأْسٍ يُمَنِّينَا

أَيُّ الحَكَايَا سَتُرْوَى عَارُنَا جَلَلٌ ... نَحْنُ الهَوَانُ وَذُلُّ الْقُدْسِ يَكْفِينَا

مَنْ بَاعَنَا خَبِّرُونِي كُلُّهُمْ صَمَتُوا ... وَالأَرْضُ صَارَتْ مَزَادًا لِلْمُرَابِينَا

هَـلْ مِـنْ زَمَـانٍ نَقِـيٍّ فِي ضَـمَائِرِنَا ... يُحْيِي الـشُّمُوخَ الَّـذِي وَلَّى فَيُحْيِينَـا

يَا سَاقِيَ الحُـزْنِ دَعْنِي إِنَّنِي ثَمِـلٌ ... إِنَّـا شَرِبْنَـاهُ قَهْـرًا مَـا بِأَيْـدِينَا

عُمْرِي شُمُوعٌ عَلَى دَرْبِ المُنَى احْتَرَقَـتْ ... وَالْعُمْرُ ذَابَ وَصَارَ الحُلْمُ سِـكِّينَا

كَمْ مِنْ ظَـلَامٍ ثَقِيـلٍ عَـاشَ يُغْرِقُنَـا ... حتَّـى انْتَفَـضْنَا فَمَزَّقْنَـا دَيَاجِينَـا

الْعُمْرُ فِي الحُلْمِ أَوْدَعْنَاهُ مِـنْ زَمِـنٍ ... وَالحُلْـمُ ضَـاعَ وَلَا شَيْءٌ يُعَزِّينَـا

كُنَّـا نَـرَى الحَـقَّ نُـورًا فِي بَـصَائِرِنَا ... وَالآنَ لِلزَّيْـفِ حِـصْنٌ فِي مَآقِينَـا

كُنَّـا إِذَا مَـا تَـوَارَى الحُلْـمُ عَانَقَنَـا ... حُلْـمٌ جَدِيـدٌ يُغَنِّـي فِي رَوَابِينَـا

كُنَّـا إِذَا خَانَنَـا فَـرْعٌ نُقَطِّعُـهُ ... وَفَـوْقَ أَشْـلَائِهِ تَمْـضِي أَغَانِينَـا

كُنَّـا إِذَا مَـا اسْـتَكَانَ النُّـورُ فِي دَمِنَـا ... فِي الصُّبْحِ نَنْسَى ظَلَامًا عَاشَ يَطْوِينَـا

كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ فِينَا الْيَأْسُ وَانْكَـسَرَتْ ... مِنَّـا الـسُّيُوفُ وَنَادَانَـا مُنَادِينَـا

عُـدْنَا إِلَى اللهِ عَـلَّ اللهَ يَرْحَمُنَـا ... وَالآنَ نَخْجَـلُ مِنْـهُ مِـنْ مَعَاصِـينَا

الآنَ يَرْجُفُ سَـيْفُ الـزُّورِ فِي يَـدِنَا ... فَكَيْفَ صَارَتْ كُهُوفُ الزَّيْفِ تُؤْوِينَا

هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ السَّيْفَ مُشْتَعِلًا ... لَا شَيْءَ وَاللهِ غَـيْرُ الـسَّيْفِ يُبْقِينَـا

يَا خَالِدَ السَّيْفِ لَا تَعْجَبْ فَفِي زَمَنِي ... بَـاعُوا المَـآذِنَ وَالْقُـرْآنَ رَاضِـينَا

قُمْ مِنْ تُرَابِكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ فِي دَمِنَا ... ثَـأْرٌ طَوِيـلٌ لَهِيـبُ الْعَـارِ يَكْوِينَـا

قُـمْ يَـا بِـلَالُ وَأَذِّنْ صَـمْتُنَا عَـدَمٌ ... كُلُّ الَّذِي كَـانَ طُهْـرًا لَمْ يَعُـدْ فِينَـا

هَلْ مِنْ صَلَاحٍ بِسَيْفِ الحَقِّ يَجْمَعُنَـا ... فِي الْقُـدْسِ يَوْمًـا فَيُحْيِيهَـا وَيُحْيِينَـا

هَلْ مِنْ صَلَاحٍ يُدَاوِي جُرْحَ أُمَّتِهِ ... وَيُطْلِعُ الصُّبْحَ نَارًا مِنْ لَيَالِينَا

هَلْ مِنْ «صَلَاحٍ» لِشَعْبٍ هَدَّهُ أَمَلٌ ... مَا زَالَ رَغْمَ عِنَادِ الْجُرْحِ يَشْفِينَا

هَلْ مِنْ «صَلَاحٍ» يُعِيدُ السَّيْفَ فِي يَدِنَا ... وَلْتَبْتُرُوهَا فَقَدْ شَلَّتْ أَيَادِينَا

حُزْنِي عَنِيدٌ وَجُرْحِي أَنْتَ يَا وَطَنِي ... لَا شَيْءَ بَعْدَكَ مَهْمَا كَانَ يُغْنِينَا

إِنِّي أَرَى الْقُدْسَ فِي عَيْنَيْكَ سَاجِدَةً ... تَبْكِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ الْآنَ تُبْكِينَا

آهٍ مِنَ الْعُمْرِ جُرْحٌ عَاشَ فِي دَمِنَا ... جِئْنَا نُدَاوِيهِ يَأْبَى أَنْ يُدَاوِينَا

مَا زَالَ فِي الْعَيْنِ طَيْفُ الْقُدْسِ يَجْمَعُنَا ... لَا الْحُلْمُ مَاتَ وَلَا الْأَحْزَانُ تُنْسِينَا

لَا الْقُدْسُ عَادَتْ وَلَا أَحْلَامُنَا هَدَأَتْ ... وَقَدْ نَمُوتُ وَتُحْيِينَا أَمَانِينَا

مَا أَثْقَلَ الْعُمْرَ لَا حُلْمٌ وَلَا وَطَنٌ ... وَلَا أَمَانٌ وَلَا سَيْفٌ لِيَحْمِينَا

❊❊❊

متى تغضب؟

أعيرونا مدافعَكُم ليومٍ.. لا مدامعَكُمْ
أعيرونا وظلُّوا في مواقعكُمْ
بني الإسلام! ما زالت مواجعَنا مواجعُكُمْ
مصارعَنا مصارعُكُمْ
إذا ما أغرق الطوفان شارعنا
سيغرق منه شارعُكُمْ
يشق صراخنا الآفاق من وجعٍ
فأين تُرى مسامعُكُمْ؟!

❊❊❊

ألسنا إخوةً في الدين قد كنا.. وما زلنا

فهل هُنتم، وهل هُنّا

أنصرخ نحن من ألمٍ ويصرخ بعضكم: دعنا؟

أيُعجبكم إذا ضعنا؟

أيُسعدكم إذا جُعنا؟

وما معنى بأن «قلوبكم معنا»؟

لنا نسبٌ بكم - والله - فوق حدودِ

هذي الأرض يرفعنا

وإن لنا بكم رحمًا

أنقطعها وتقطعنا؟!

معاذ الله! إن خلائق الإسلام

تمنعكم وتمنعنا

ألسنا يا بني الإسلام إخوتكم؟!

أليس مظلة التوحيد تجمعنا؟!

أعيرونا مدافعَكُمْ

رأينا الدمع لا يشفي لنا صدرًا

ولا يُبري لنا جُرحًا

أعيرونا رصاصًا يخرق الأجسام

لا نحتاج لا رزًا ولا قمحًا

تعيش خيامنا الأيام

لا تقتات إلَّا الخبز والملحا
فليس الجوع يرهبنا ألا مرحى له مرحى
بكفٍّ من عتيق التمر ندفعه
ونكبح شره كبحًا
أعيرونا وكفوا عن بغيض النصح بالتسليم
نمقت ذلك النصحا
أعيرونا ولو شبرًا نمر عليه للأقصى
أتنتظرون أن يُمحى وجود المسجد الأقصى
وأن نُمحى
أعيرونا وخلوا الشجب واستحيوا
سئمنا الشجب و«الردحا»

أخي في الله أخبرني متى تغضب؟
إذا انتهكت محارمنا
إذا نُسفت معالمنا ولم تغضبْ
إذا قُتلت شهامتنا إذا ديست كرامتنا
إذا قامت قيامتنا ولم تغضبْ
فأخبرني متى تغضبْ؟
إذا نُهبت مواردنا إذا نكبت معاهدنا
إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد الأقصى

وظلت قدسنا تُغصبْ

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

عدوي أو عدوك يهتك الأعراض

يعبث في دمي لعبًا

وأنت تراقب الملعبْ

إذا لله، للحرمات، للإسلام لم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟!

رأيت هناك أهوالًا

رأيت الدم شلالًا

عجائز شيَّعت للموت أطفالًا

رأيت القهر ألوانًا وأشكالًا

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

وتجلس كالدمى الخرساء بطنك يملأ المكتبْ

تبيت تقدس الأرقام الأصنام فوق ملفّها تنكبْ

رأيت الموت فوق رؤوسنا ينصب

ولم تغضبْ

فصارحني بلا خجلٍ لأية أمة تُنسبْ؟!

إذا لم يُحْيِ فيك الثأرَ ما نلقى

فلا تتعبْ

فلست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبًا

فعش أرنبْ ومُت أرنبْ

ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الذلِّ

ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الوحلِّ

وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ

ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالهولِ

وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ!!

ألَم تنظر إلى الأحجار في كفيَّ تنتفضُ

ألم تنظر إلى الأركان في الأقصى

بفأسِ القهر تُنتقضُ

ألست تتابع الأخبار؟ حيٌّ أنت!

أم يشتد في أعماقك المرضُ

أتخشى أن يقال يشجع الإرهاب

أو يشكو ويعترضُ

ومن تخشى؟!

هو الله الذي يُخشى

هو الله الذي يُحيي

هو الله الذي يحمي

وما ترمي إذا ترمي

هو الله الذي يرمي

وأهل الأرض كل الأرض لا والله

ما ضروا ولا نفعوا، ولا رفعوا ولا خفضوا

فما لاقيته في الله لا تحفلِ

إذا سخطوا له ورضوا

ألم تنظر إلى الأطفال في الأقصى

عمالقةٌ قد انتفضوا

تقول: أرى على مضضٍ

وماذا ينفع المضضُ؟! أتنهض طفلة العامين غاضبة

وصُنَّاع القرار اليوم لا غضبوا ولا نهضوا؟!

ألم يهزك منظر طفلة ملأت

مواضع جسمها الحفرُ

ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ

بظهر أبيه يستترُ

فما رحموا استغاثته

ولا اكترثوا ولا شعروا

فخرّ لوجهه ميْتًا

وخرّ أبوه يُحتضرُ

متى يُستل هذا الجبن من جنبَيْك والخورُ؟

متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟

متى بركانك الغضبيُّ للإسلام ينفجرُ

فلا يُبقي ولا يذرُ؟

أتبقى دائمًا من أجل لقمة عيشكَ

المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟

متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟

وقالوا: الحرب كارثةٌ

تريد الحرب إعدادًا

وأسلحةً وقُوَّادًا وأجنادًا

وتأييد القوى العظمى

فتلك الحرب، أنتم تحسبون الحرب

أحجارًا وأولادًا؟

نقول لهم: وما أعددْتُمُ للحرب من زمنٍ

أألحانًا وطبّالًا وعوّادًا؟

سجونًا تأكل الأوطان في نهمٍ

جماعاتٍ وأفرادًا؟

حدودًا تحرس المحتل توقد بيننا

الأحقاد إيقادًا

وما أعددتم للحرب من زمنٍ

أما تدعونه فنًّا؟

أأفواجًا من اللاهين ممن غرّبوا عنَّا؟

أأسلحة، ولا إذنا

بيانات مكررة بلا معنى؟

كأن الخمس والخمسين لا تكفي

لنصبر بعدها قرنا!

أخي في الله! تكفي هذه الكُرَبُ

رأيت براءة الأطفال كيف يهزها الغضبُ

وربات الخدور رأيتها بالدم تختضبُ

رأيت سواريَ الأقصى كالأطفال تنتحبُ

وتُهتك حولك الأعراض في صلفٍ

وتجلس أنت ترتقبُ

ويزحف نحوك الطاعون والجربُ

أما يكفيك بل يخزيك هذا اللهو واللعبُ؟

وقالوا: كلنا عربٌ

سلام أيها العربُ!

شعارات مفرغة فأين دعاتها ذهبوا

وأين سيوفها الخَشَبُ؟

شعارات قد اتَّجروا بها دهرًا

أما تعبوا؟

وكم رقصت حناجرهم

فما أغنت حناجرهم ولا الخطبُ

فلا تأبه بما خطبوا

ولا تأبه بما شجبوا

***

متى يا أيها الجنديُّ تطلق نارك الحمما؟

متى يا أيها الجنديُّ تروي للصدور ظما؟

متى نلقاك في الأقصى لدين الله منتقما؟

متى يا أيها الإعلام من غضب تبث دما؟

عقول الجيل قد سقمت

فلم تترك لها قيمًا ولا همما

أتبقى هذه الأبواق يُحشى سمها دسما؟

دعونا من شعارات مصهينة

وأحجار من الشطرنج تمليها

لنا ودُمى

تترجمها حروف هوانّنا قمما

***

أخي في الله قد فتكت بنا علل

ولكن صرخة التكبير تشفي هذه العللا

فأصغ لها تجلجل في نواحي الأرض

ما تركت بها سهلًا ولا جبلا

تجوز حدودنا عجْلى

وتعبر عنوة دولا

تقضُّ مضاجع الغافين

تحرق أعين الجهلا

فلا نامت عيون الجُبْنِ

والدخلاءِ والعُمَلا

وقالوا: الموت يخطفكم وما عرفوا

بأن الموت أمنية بها مولودنا احتفلا

وأن الموت في شرف نطير له إذا نزلا

ونُتبعه دموع الشوق إن رحلا

فقل للخائف الرعديد إن الجبن

لم يمدد له أجلا

وذرنا نحن أهل الموت ما عرفت

لنا الأيام من أخطره وجلا

«هلا» بالموت للإسلام في الأقصى [1]

---

(١) للدكتور عبد الغني التميمي.

ومسك الختام

سِهَامُ اللَّيْلِ

لعبد الله العفاني

✍ نَظَرَ إلَيْهَا، تِلْكَ الوَليدةِ الغَرِّيَّةِ الرَّاقِدَةِ عَلى فِراشِ المَوْتِ، وقرأ في نظراتِها معَانِيَ العِتَابِ فكانتْ هَذي المشاعِرُ:

ذَوَتْ (١) مَا بَيْنَ أَطْلالِ الـ ... سَّرِيرِ.. كَزَهْرِ نِسْرِينِ (٢)

تجاذَبُهَا رِيَاحُ المَوْ ... تِ بَيْنَ صَقِيعِ تَشْرِينِ (٣)

يُقاسِي جِلْدُهَا المَرْهُو ... فُ (٤) وَخْزًا الملايين

وتَشْكُو الإبْرَةُ العَجْمَا ... ءُ ضِيقًا بِالمَيَادِينِ

تَمُورُ بِجِسْمِهَا الذَّاوِي ... أنابِيبُ الشَّرَايِينِ

تُحَاوِلُ أنْ تَبُثَّ الرُّو ... حَ فِي أَشْلَاءِ خَشُّونِ (٥)

تُدَافِعُ دَمْعَةً حَرَّى ... بَكَاهَا القَلْبُ مِنْ هُونِ

وتَكْبِتُ صَرْخَةً ثَكْلَى ... تَثُورُ لِجُرْحٍ مَطْعُونِ

وتَكْظِمُ بَيْنَ أَضْلُعِهَا ... بَرَاكِينَ البَرَاكِينِ!!

---

(١) ذَوَتْ: ذَوَي العُودُ: ذَبُلَ وهُو ألَّا يُصِيبَهُ رِيُّهُ أو يَضْرِبَهُ الحَرُّ فيَذْبُلَ ويَضْعُفَ: يَبِسَ.

(٢) نِسْرِينِ: النِّسْرِين: ضَرْبٌ مِنَ الرَّيَاحِين.

(٣) تَشْرِينَ: أَحَدُ شُهُورِ السَّنَةَ السِّرْيانيةِ (يُقابِلُهُ ديسمبر في السَّنَةِ الرُّوميَّة).

(٤) المَرْهوفُ: رَهَفَ: رَفَّ لَطُفَ.

(٥) خشون: طائر.

وتَنْفُثُ غَيْظَهَا المَحْمُو ... مَ فِي قَسَمَاتِ مَحْزُونِ
وتَصْبُغُ فُلَّ عَيْنَيْهَا ... بِلَوْنِ الدَّمِّ والطِّينِ
وتَرْنُو مِلْءَ عَيْنَيْهَا ... إِلَى عَيْنَيَّ .. تُحْصِينِي
فَتَذْبَحُنِي بِسَيْفِ اللَّحْـ ... ـظِ صَامِتَةً وتُحْيِينِي
وتُقْرِئُنِي بِنَظْرَتِهَا ... دَمِيَّاتِ[1] المَكَانِينِ[2]
وتَارِيخًا بِعُمْقِ الدَّهْـ ... ـرِ يَدْهَمُنِي ويُؤْبِينِي
وأَحْزَانَ الإِبَاءِ الحُـ ... ـرِّ مِنْ صَبْرًا لِيَاسِينِ
وعَتْبًا[3] يَطْعَنُ الأَوْدَا ... جَ[4] لَكِنْ مَا يُوَارِينِي
ويَتْلُو اللَّحْظُ قَافِيَةً ... بِلَا صَوْتٍ وتَلْحِينِ
ويَهْدُرُ صَمْتُهَا رَعْدًا ... ويَصْرُخُ بِي.. يُنَاجِينِي
ويَسْكُبُ مِلْءَ أَنْحَائِي ... ويَحْفُرُ مِلْءَ عِرْنِينِي[5]
ويَكْتُبُ مِلْءَ أَحْدَاقِي ... عَنَاوِينَ العَنَاوِينِ!!
لِمَاذَا يَا أَشِقَّاءَ الـ ... ـطِّوَى والدِّينِ تَنْسُونِي؟!

---

(١) دَمِيَّاتِ: جَمْعُ دَمِيَّةٍ: صِيغَةِ مُبَالَغَةٍ مِنْ دَامِيَةٍ.
(٢) المَكانين: جَمْعُ المَكْنُونِ.
(٣) عَتْبًا: عِتَابًا: لَوْمَكَ الرَّجُلِ عَلَى إِسَاءَةٍ كانَتْ لَهُ إِلَيْكَ.
(٤) الأَوْدَاجَ: جَمْعُ وَدَجٍ: عِرقٍ في العُنُقِ (الأخدعُ) وهما ودَجانِ يقطعُهُما الذَّابحُ فلا تَبْقى حَيَاةٌ.
(٥) عِرْنِينِي: أَوَّلُ الأَنْفِ تَحْت مُجْتَمعِ الحَاجِبَيْنِ وهُو أَوَّلُ الأنف: رَأْسُ الأَنْفِ.

لِمَاذَا كُلَّمَا اسْتَنْصَرْ … تُ لَهْفَى لا تُغِيثُونِي؟!

ꕥꕥꕥ

هُنَا أَهْلِي.. ولا شَجَرٌ … يُهَدْهِدُ جَوْعَةَ الحِينِ!!

ومَا إلَّا فُتَاتُ المَوْ … تِ مِنْ فِيهِ الثَّعَابِينِ؟!

وشَيْخٌ لَاهِثُ الأَشْدَا … قِ يَلْعَقُ عَجْمَ[1] زَيْتُونِ!!

وطِفْلٌ دَامِيَ الشَّفَتَيْـ … ـنِ يَقْضِمُ شَوْكَةَ التِّينِ!!

ومُسْتَفْتٍ: تُرَى حَلَّتْ … لَهُ مَوْتَاهُ في الدِّينِ؟!

ومَا قَلْبٌ لَهُ يَبْكِي … وفِي فَتْوَاهُ يُفْتِينِي!!

ꕥꕥꕥ

هُنَا ظَمَأٌ يُثِيرُ النَّا … رَ تَحْتَ سُيُولِ كَانُونِ[2]

هُنَا ظَمَأٌ ولا قَطْرٌ … يَبُلُّ فَمِي فَيُحْيِينِي!!

وأُمٌّ مَاتَ فِي دَمِهَا الـ … حَلِيبُ فَلَيْسَ يَدْعُونِي!!

وبَيْنَ عَوِيلِ كَفَّيْهَا … يَمُوتُ أَخِي ويَرْنُونِي!!

يُكَابِدُ حَشْرَجَاتِ الرُّو … حِ مِنْ ظَمَإٍ ويُفْنِينِي!!

وأَرْقُدُ بَعْدَهُ شَبَحًا … أَمُصُّ دَمِي ولَيْمُونِي!!

ꕥꕥꕥ

---

(١) عَجْمَ: العَجَمْ: النَّوَى: نَوى التَّمر والنَّبِق.

(٢) كانون: أَحَدُ الشُّهُورِ السِّرْيَانِيَّةِ (يُقابلُ يناير في السَّنَةِ الرُّومِيَّةِ).

هُنَـا سَـوْطُ الـصَّقِيعِ المُـ ـرُّ يَجْلِـدُنِي ويُبْلِينِـي!!
وريـحُ الزَّمْهَرِيـرِ الـصَّـ ـرُّ تُـصْيمُنِي وتَنْفِينِـي!!
هُنَـا بَـرْدٌ ولا نَـارٌ لَا أَسْـهَالُ مِـسْكِينِ!!

ﭑﭒﭓﭔﭑﭒ

هُنَـا جَـسَدٌ حَيِـيُّ الطَّـرْ فِ قُـدْسِيُّ المَكَـانِينِ
يَـذُوبُ لِهَمْـسَةِ الـشُّحْرُو رِ بَـلْ فَـوْحِ الرَّيـاحِينِ!!
ويَحْمَـرُّ الحَيَـاءُ البِكْـ ـرُ فِيـهِ لِنَظْـرَةِ العِـينِ!!
فكَيْـفَ بِـهِ وقَـدْ تَرَكُـو هُ عُرْيَـانَ البَـسَاتِينِ؟!
تَنَاهَـشُهُ كِـلَابُ العِـرْ ضِ أَوْ سُـودُ الغَـرَابِينِ!!
هُنَـا جَـسَدٌ ولا خِـرَق تُثُـورُ لِنَظْـرَةِ الـدُّونِ
هُنَـا وَطَـنٌ كَطُهْـرِ الثَّلْـ ـجِ فِي عَزَمَـاتِ حِطِّـينِ
وَقُـدْسٌ بَـيْنَ عَيْنَيْهَـا ثُـواءُ الحَـقِّ والـدِّينِ
ومَـسْرَى أَحْمَـدَ الوَضَّـا ءَ والرُّسْـلِ المَيَـامِينِ
وقَلْـبٌ مِـنْ حَوَالَيْهَـا مِـنَ الزَّيْتُـونِ والتِّـينِ
هُنَـا طُهْـرٌ يُدَنِّـسُهُ لُعَـابُ كِـلَابِ صِـهْيُونِ!!

ﭑﭒﭓﭔﭑﭒ

هُنَـا.. واسْتَرْسَـلَتْ عَـبَرًا تُهَـا العَجْـمَاءُ تَغْـزُونِي
هُنَـا جُـوعٌ.. هُنَـا ظَمَـأٌ وبَـرْدٌ لَـيْسَ يُخْلِينِـي

وَأَكْــــوَانٌ مُـــــسَاوِمَةٌ بِمِـــلْءِ الأَرْضِ تَـــأْتِينِي!!

تَلُـــوكُ العَجْـــزَ بَـــيْنَ يَـــدَ يَّ لكِـــنْ لَـــيْسَ تُغْرِينـــي

فَمِلْئِـــــي عِـــزَّتِي بِاللّـــــــهِ دُونَ الكَـــوْنِ تُـــؤْبِيني

فَلِـــمْ ماتـــت دمـــاء العِـــــزِّ في قَلْـــبِ الـــسَّلاطِينِ؟!

وكَيْـــفَ اسْـــتَبْدَلَ الأَشْرَا فُ دَمَّ العِـــزِّ بـــالهُونِ؟!

وكَيْـــفَ اسْـــتَمْرَأَ الأَعْـــرَا بُ ذَاكَ العَـــيْشَ فِي الطِّـــينِ؟!

وتَحْـــــتَ عَبَـــــاءَةِ الأَرْزَا قِ بَـــاعُوا الـــدِّينَ بِـــالتِّينِ!!

أَتَجْـــرِي فِي دِمَـــائِكمو دِمَـــــاءٌ فَلْتُجِيبُـــــوني

فَـــسَالَتْ دَمْعَتِـــي الحَـــرَّى بِقَلْبِـــي كَـــيْ تُوَاسِـــيني

تُحَـــاوِلُ أَنْ تُهَدْهِـــــدَنِي ولَكِـــنْ لَـــيْسَ تَـــشْفِيني

فَتَعْتَــصِرُ الجَـــوَابَ الـمُــــ ـــرَّ مِـــنْ نَـــبْضِ الـــشَّرَايِينِ:

أَيَـــا بِنْـــتَ الـــشُّهُورِ العَـــشْـ ـــرِ رِفْقًـــا إِذْ تَلُـــومِيني!!

وكُفِّـــي لَحْظَـــكِ المَـــسْنُو نَ إِنَّ العُتْـــبَ يُفْنِينـــي

وَمِـــلْءَ فُـــؤَادِيَ المَـــذْبُو حِ مَـــا يَكْفِـــي لِتَكْفِينِـــي!!

فَـــمَا يُبْكِيـــكِ مِـــنْ زَمَـــنٍ يُـــؤَرِّقُنِي ويُـــدْمِيني

لأَنِّيَ أَقْـــــــــرَأُ الآتِي عَـــلَى نُـــورٍ مِـــنَ الـــدِّينِ

فَـــذَاكَ العُمْـــرُ ضَـــيَّعْنَا هُ فِي ذَنْـــبٍ وتَهْـــدِينِ

وآثَـــارٍ.. مُجَـــاهِرَةٍ خَبِيثَـــاتِ الأَفَـــانِينِ

تَـذُوبُ لَهَـا الـذُّنُوبُ الغُلْـ ـفُ[١] فِي فِكْـرِ الـشَّيَاطِينِ

ومَــا زِلْنَــا نَتُــوقُ لِعَــا هِـرٍ فِي الغَـربِ مَـأْفُونِ!! [٢]

ونَلْعَـــقُ مُنْـــتِنَ الأَقْـــذَا رِ فِي نَعْـــلِ المَلاعِـــينِ!!

ونَـسْتَجْدِي رَغِيــفَ الـذُّ لِّ مِــنْ خُبْــزِ القَــرَابِينِ!!

ونُهْــدِي سَــيْفَنَا الذَّهَبِـــ ـــيَّ ذَبَّــاحَ المَــسَاكِينِ!!

ونَحْبُـــو صَـــقْرَنا القَنَّـــا صَ قَتَّــالَ الحَــسَاسِينِ!!

ونُهْــدِي زَيْـــتَ تُرْبَتِنَـــا لِمَــنْ حَرَقُــوا بَــسَاتِينِي!!

ونَـشْكُرُ مَـنْ لَغَـوْا[٣] فِي العِـرْ ضِ مِــنْ أَمِّ المَيَــامِينِ!!

فَكَيْـــفَ الله يَنْـــصُرُنَا بِأَرْجَــاسِ الفَــرَاعِينِ؟!

❊❊❊

فَــوَا أَسَــفَى لأَرْجَــاسِي وإِحْجَــامِ الــسَّلاطِينِ!!

أَلَيْـسُوا الـرَّأْسَ مِـنْ وَطَنِـي وتفكِــيرِي وعِزْنِينِـــي؟!

وهَـــلْ جَـــسَدٌ بِـــلَا رَأْسٍ سَـــوَى تَخْبِيطِ مَجْنُـــونِ؟!

---

(١) الغُلْفُ: جَمْعُ الأَغْلَفِ: المُغَطَّي أي: الذي لم تُرتَكَبْ مِنْ قَبْل.

(٢) مَأْفُونٍ: نَاقِص العَقْلِ.

(٣) لَغَوْا: اللَّغو واللَّغَا: السَّقْطُ وما لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وغَيْرِه، وجِمَاعُ اللَّغْوِ: الخَطَأُ إذا كَانَ اللَّجاجُ والغَضَبُ والعَجَلَةُ.

أَلَيْسُوا القَلْـبَ مِـنْ وَطَنِـي ... ونَـبْضُ القَلْـبِ يُحْيِينِـي؟!

وَهَـلْ جَـسَدٌ بِـلَا قَلْـبٍ ... سِـوَى أَشْـبَاحُ تِنِّـينِ؟!

فَكَيْـفَ إِذَا تَهَـاوَى الـرَّأْ ... سُ واجْتُثَّـتْ شَرَايِينِـي؟!

ودِيـسَتْ بَـيْنَ أَوْحَـالِ الْـ ... ـهَوَى شُـمُّ العَـرَانِينِ[1]؟!

فَيَـا مَـنْ قَـدْ تَنَاسَـيْتُمْ ... إِبَـاءَ العُـرْبِ والـدِّينِ:

أَمَـا اهْتَـزَّتْ مَـشَاعِرُكُمْ ... لِـذَا العَـارِ الفِلْـسْطِينِي؟!

بِـمَا تَلْقَـوْنَ رَبَّ العَـرْ ... شِ فِي غَـدِكُمْ؟! أَجِيبُـونِي

أَلَا فَلْتَزْرَعُـوا ذا الـدِّ ... يـنَ فِي قَلْبِـي وتَكْـوِينِي

فَـأَنْتُمْ مِـنْ صَـمِيمِ الـشَّعْـ ... ـبِ مِـنْ تُـرْبِ المَلَايِـينِ

فَـإِنْ عُـدْنَا فَقَـدْ عُـدْتُمْ ... وإِنْ عُـدْتُمْ تُعِيـدُونِي

وإِنْ ضِـعْنَا فَقَـدْ ضِـعْتُمْ ... وإِنْ ضِـعْتُمْ تُـضِيعُونِي

فَمِـنْ رَحِـمِ ابْتِهَـالِ الـتُّرْ ... بِ إِشْرَاقُ البَـسَاتِينِ

وَوَهْمًـا تَفْـرِزُ الأَوْحَـا ... لُ غَـيْرَ الوَحْـلِ والطِّـينِ

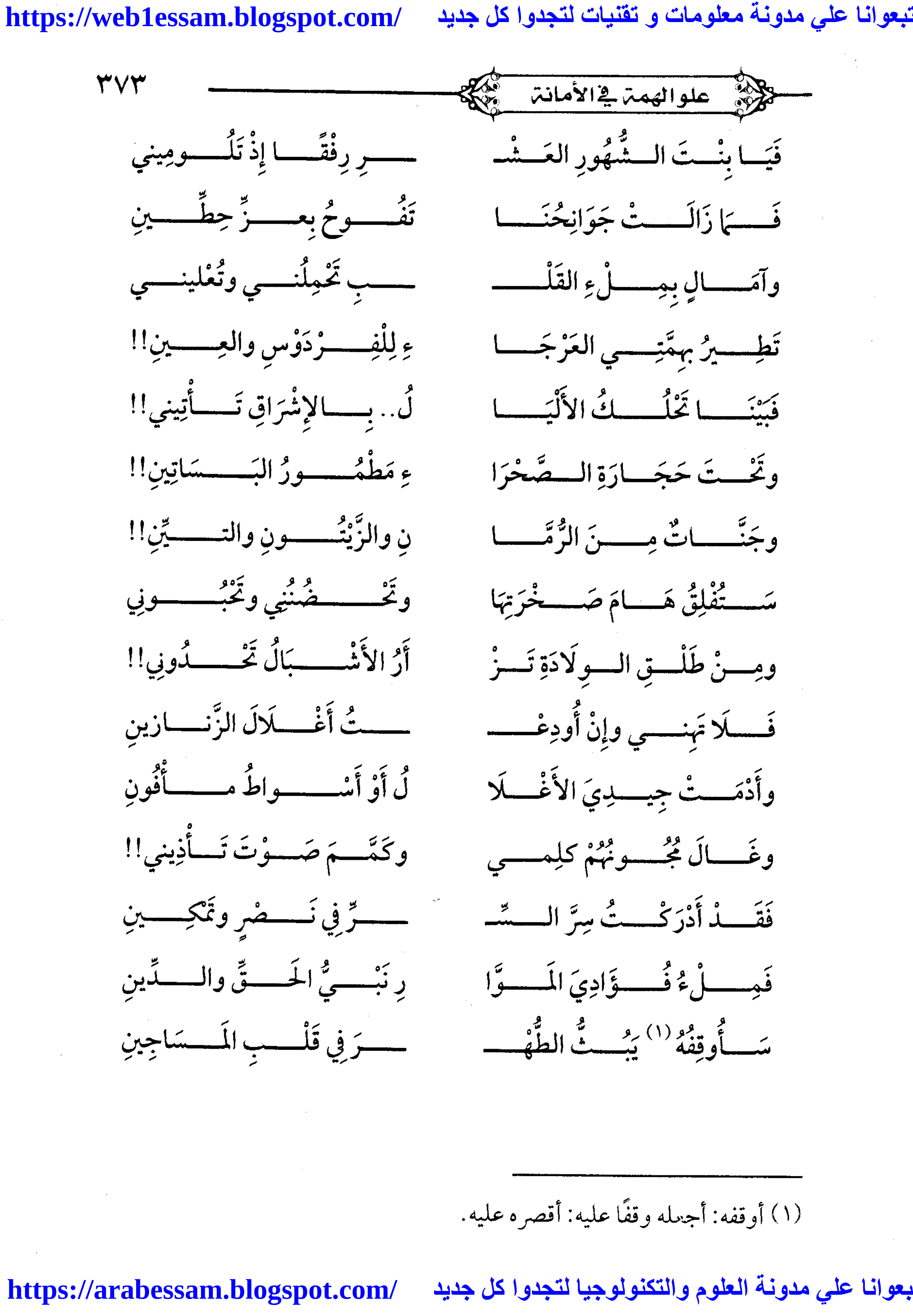
ومِـنْ غَيْـثِ التَّـسَابِيحِ الـ ... ـطَّهُورِ يَثُـورُ لَيْمُـونِي

وزَوْرًا تَنْبُـتُ الأَزْهَـا ... رُ مِـنْ سَـيْلِ الفَـراعِينِ

فَبَـيْنَ الـتُّرْبِ والأَمْطَـا ... رِ يَـسْمُقُ طُهْـرَ تِنِّينِـي

---

(١) العَرَانِين: جَمْعُ العِرْنِين.



فَيَا بِنْتَ الشُّهُورِ العَشْـ ... ـرِ رِفْقًا إِذْ تَلُومِينِي

فَمَا زَالَتْ جَوَانِحُنَا ... تَفُوحُ بِعِزِّ حِطِّينِ

وآمَالٍ بِمِلْءِ القَلْـ ... ـبِ تَحْمِلُنِي وتُعْلِينِي

تَطِيرُ بِهِمَّتِي العَرْجَا ... ءِ لِلْفِرْدَوْسِ والعِينِ!!

فَبَيْنَا تَحْلُكُ الأَلْيَا ... لُ.. بِالإِشْرَاقِ تَأْتِينِي!!

وتَحْتَ حِجَارَةِ الصَّحْرَا ... ءِ مَطْمُورُ البَسَاتِينِ!!

وجَنَّاتٌ مِنَ الرُّمَّا ... نِ والزَّيْتُونِ والتِّينِ!!

سَتُفْلِقُ هَامَ صَخْرَتِهَا ... وتَحْضُنُنِي وتَحْبُونِي

ومِنْ طَلْقِ الوِلَادَةِ تَـزْ ... أَرُ الأَشْبَالُ تَحْدُونِي!!

فَلَا تَهِنِي وإِنْ أُودِعْـ ... ـتُ أَغْلَالَ الزَّنَازِينِ

وأَدْمَتْ جِيدِيَ الأَغْلَا ... لُ أَوْ أَسْوَاطُ مَأْفُونِ

وغَالَ مُجُونُهُمْ كَلِمِي ... وكَمَّمَ صَوْتَ تَأْذِينِي!!

فَقَدْ أَدْرَكْتُ سِرَّ السِّـ ... ـرِّ فِي نَصْرٍ وتَمْكِينِ

فَمِلْءُ فُؤَادِيَ المَوَّا ... رِ نَبْيُّ الحَقِّ والدِّينِ

سَأُوقِفُهُ[1] يَبُثُّ الطُّهْـ ... ـرَ فِي قَلْبِ المَسَاجِينِ

---

(١) أوقفه: أجعله وقفًا عليه: أقصره عليه.

ويَقْفُــو [١] يُوسُــفِيَّ الهَــدْ ... يِ فِي لَيْــلِ الفَــرَاعِينِ

ويقْــدَحُ شُــعلَةَ التوحيــ ... دِ في حَالــةِ القَــرَابِينِ

لِيُــذْهِبَ نُــورَهُ الأَوْهَــا ... مَ فِي تُلْمُــودِ شــارُونِ

سَــأَقذِفُها سِــهَامَ اللــيـ ... ـلِ فــأَرْتقِبي أَفــانِينِ

لَهَــا مِــنْ دَمْعَتِــي مَــدَدٌ ... ومِــنْ عَــوْنِ المــسَاكِينِ

ومِـنْ صَـوْمِ البُطُـونِ الـضُّمْـ ... ـرِ مِــنْ أعْــواد زيتــون

لهــا نهــش الــصقيع المُــ ... ـرِّ فِي أنيــارِ ســجِّينِ!!

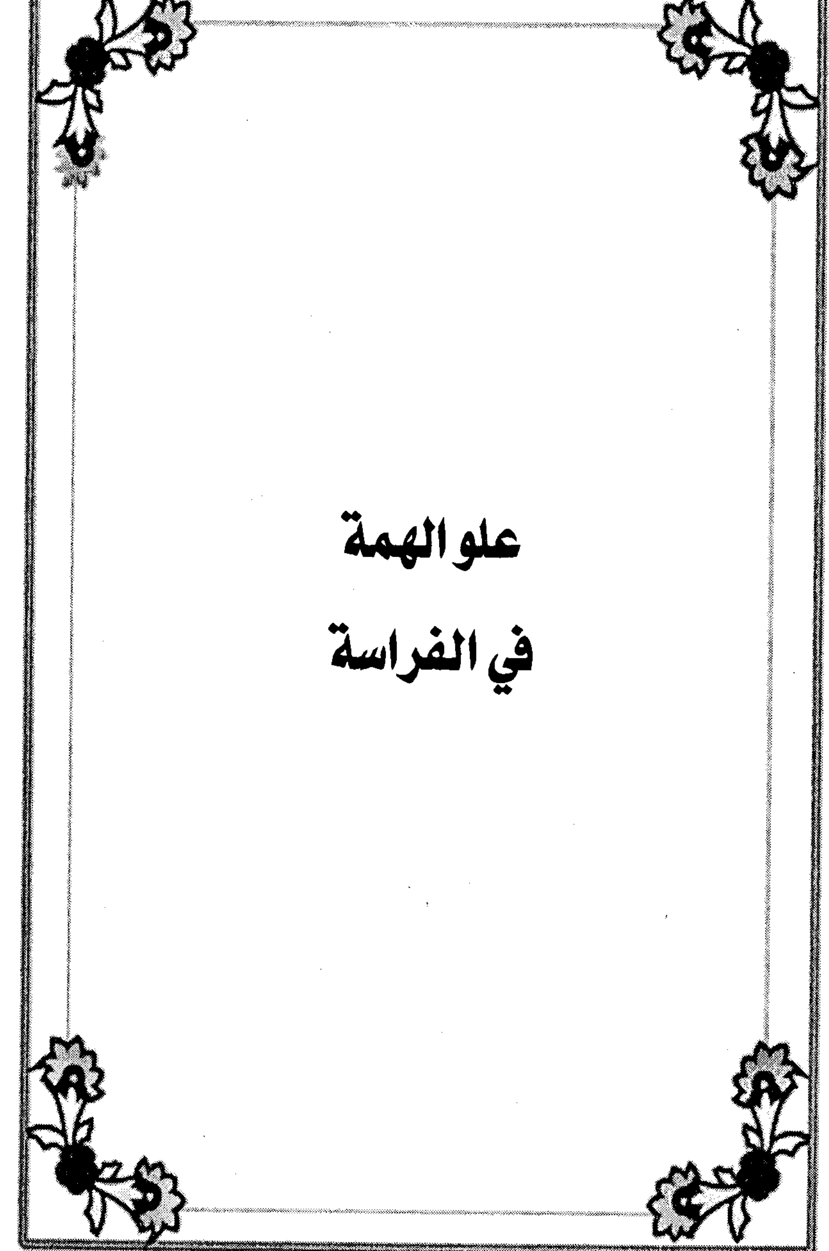
تَــذُوبُ لَهَــا جِبَــالُ الأَرْ ... ضِ بَــيْنَ التَّــوِ وَالحِــيْنِ

في أمــرِ الله حــينَ يرِيــ ... ـدُ بــين الكــافِ والنــونِ

◇◇◇

---

(١) يقفو: يتبع الأثر.



علو الهمة
في الفراسة



علو الهمة في الفراسة[١]

إن لله ضنائن وذخائر من خلْقه، وسابقون مفرَدُون من عباده، علت هممهم، وصفت قُصودهم في تجرُّدهم لمحبوبهم ﷻ، وخَلُص قصدُهم من كل إرادة تزاحم مراد الله تعالى، وصحّ سلوكهم على الدرب النبويِّ المحمدي، وطهرت قلوبهم من الشبهات والشهوات والآفات والعوائق والقواطع، ونبتت أجسامهم من أكْل الحلال.. طلبوه طلبًا حثيثًا، لا يُدخلون بطونهم غيره ولو استفُّوا التراب، عَمَّر الله سرائرهم، مثلمَا أخلصوا ظواهرهم وسرَّهم له، فصحَّت وصدقت فراستهم فكانوا ينظرون إلى الغيب من ستر رقيق..

وا حسرتاهُ تقضّى العمر وانصرمتْ ... ساعاته بين ذل العجز والكَسَلِ

والقوم قد أخذوا دَرْب النَّجاةِ وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلى على مَهَلِ

الفراسة لغة:

لغة «الفراسة» الاسم من قولك: «تفرّستُ» فيه خيرًا. وهو يتفرَّس أي يتثبَّت وينظُرُ[٢].

فهي إذن ذهن سريع الاستدلال، بدون حد وسط، من المعلوم على المجهول.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٥- ١٩٥) «منزلة الفراسة»، فراسة المؤمن.. قصص واقعية لإبراهيم بن عبد الله الحازمي - ٤ مجلدات، و«الطرق الحُكمية في السياسة الشرعية» لابن قيم الجوزية المجلد الثاني (٦٥٥/ ١٢٣)- طبع دار الفوائد.

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ١٦٠)، و«المصباح المنير» (٢/ ٤٦٧).

وقيل هي القدرة على التنبؤ يهبها الله لمن يشاء من أوليائه وأصفيائه.

وقيل: هي معرفة ما يكون بالإلهام أو التقدير والظن.

أنواع الفراسة:

□ قال ابن القيم رحمه الله:

والفراسة ثلاثة أنواع:

إيمانية: وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده. يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده. يثبُ على القلب كوثوب الأسد على الفريسة. لكن «الفريسة» فعلية بمعنى مفعولة. وبناء «الفراسة» كبناء الولاية والإمارة والسياسة.

هذه «الفراسة» على حسب قوة الإيمَان. فمن كان أقوى إيمَانًا فهو أحَدُّ فراسة.

□ قال أبو سعيد الخراز: «من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه مع الحق بلا سهو ولا غفلة. بل حكم حق جرى على لسان عبده».

□ وقال الواسطي: «الفراسة شعاشع أنوار لمعت في القلوب، وتمكن معرفة جملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها، فيتكلم عن ضمير الخلق».

□ وقال الداراني: «الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمَان».

□ وسئل بعضهم عن الفراسة؟ فقال: «أرواح تتقلب في الملكوت.

فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق، نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان».

□ وقال عمرو بن نجيد: «كان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطئ، ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمّر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال: لم تخطئ فراسته».

□ وقال أبو جعفر الحداد: «الفراسة أول خاطر بلا معارض، فإن عارضه معارض آخر من جنسه، فهو خاطر وحديث نفس».

□ وقال أبو حفص النيسابوري: «ليس لأحد أن يدعي الفراسة. ولكن يتقي الفراسة من الغير؛ لأن النبي ﷺ قال: «**اتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله**»، ولم يقل: تفرسوا. وكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو في محل اتقاء الفراسة؟.

□ وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: «إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون من حيث لا تحتسبون».

□ وكان الجنيد: «يومًا يتكلم على الناس. فوقف عليه شاب نصراني متنكرًا فقال: أيها الشيخ ما معنى قول النبي ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**».

فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه إليه. وقال: أسلِمْ. فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام.

وقيل في بعض الكتب القديمة: «إن الصديق لا تخطئ فراسته».

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حيث قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى عليه السلام: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢١]. وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما، حيث استخلفه.

وفي رواية أخرى: وامرأة فرعون حيث قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩][1].

□ وكان الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة. وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ووقائع فراسته مشهورة. فإنه ما قال لشيء: «أظنه كذا» إلّا كان كما قال.

✍ وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة.

وأصل هذا النوع من الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهمَا الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. كان ميتًا بالكفر والجهل، فأحياه الله بالإيمَان والعلم. وجعل له بالقرآن الإيمَان نورًا يستضيء به الناس على قصد السبيل ويمشي به في الظلم. والله أعلم.

الفراسة الثانية: فراسة الرياضة والجوع، والسهر والتخلي؛ فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر. ولا تدل على إيمَان ولا على ولاية. وكثير من الجهال يغتر بها. وللرهبان فيها وقائع معلومة. وهي

---

(١) «بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٩٤- ٩٥).

فراسة لا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم. بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة. وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وللأطباء فراسة معروفة من حذقهم في صناعتهم. ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم. وقريب من نصف الطب: فراسة صادقة، يقترن بها تجربة. والله سبحانه أعلم.

الفراسة الثالثة: الفراسة الخِلْقية. وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم. واستدلوا بالخلق على الخُلُق لمَا بينهمَا من الارتباط الذي اقتضته حكمه الله. كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل. وبكبره، وبسعة الصدر، وبُعْد ما بين جانبيه: على سعة خُلق صاحبه. واحتماله وبسطته. وبضيقه على ضيقه، وبخمود العين وكُلال نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه. وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة – وهو الشكل – على شجاعته وإقدامه وفطنته. وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقابها على خيانته ومكره وخداعه. ومعظم تعلق الفراسة بالعين. فإنها مرآة القلب وعنوان ما فيه؛ ثم باللسان.. فإنه رسوله وترجمانه. وبالاستدلال بزرقتها مع شقرة صاحبها على رداءته. وبالوحشة التي ترى عليها على سوء بداخله وفساد طويته.

وكالاستدلال بإفراط الشعر في السبوطة على البلادة. وبإفراطه في الجعودة على الشر، وباعتداله على اعتدال صاحبه.

وأصل هذه الفراسة: أن اعتدال الخلقة والصورة: هو من اعتدال المزاج والروح. وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال. وبحسب انحراف الخلقة والصورة عن الاعتدال: يقع الانحراف في

الأخلاق والأعمَال.

هذا إذا خُلِّيت النفس وطبيعتُها.

ولكن صاحب الصورة والخلقة المعتدلة يكتسب بالمقارنة والمعاشرة أخلاق من يقارنه ويعاشره، ولو أنه من الحيوان البهيم. فيصير من أخبث الناس أخلاقًا وأفعالًا، وتعود له تلك طباعًا، ويتعذر – أو يتعسر – عليه الانتقال عنها. وكذلك صاحب الخلقة والصورة المنحرفة من الاعتدال يكتسب بصحبة الكاملين بخلطتهم أخلاقًا وأفعالًا شريفة. تصير له كالطبيعة. فإن العوائد والمزاولات تعطي الملكات والأخلاق.

فليتأمل هذا الموضع ولا يعجل بالقضاء بالفراسة دونه. فإن القاضي حينئذ يكون خطؤه كثيرًا، فإن هذه العلامات أسباب لا موجبة. وقد تتخلف عنها أحكامها لفوات شرط، أو لوجود مانع.

وفراسة المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء: بعينه، وأذنه، وقلبه، فعينه للسيمَاء والعلامات وأذنه للكلام وتصريحه وتعريضه، ومنطوقه ومفهومه، وفحواه وإشارته، ولحنه وإيمَانه ونحو ذلك. وقلبه للعبور: والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه. فيَعْبُر إلى ما وراء ظاهره، كعبور النَّقَّاد من ظاهر النقش والسكة إلى باطن النقد والاطلاع عليه: هل هو صحيح، أو زغل؟ وكذلك عبور المتفرس من ظاهر الهيئة والدَّالِّ، إلى باطن الروح والقلب. فنسبة نقده للأرواح من الأشباح كنسبة نقد الصيرفي ينظر للجوهر من ظاهر السكة والنقد.

وكذلك نقد أهل الحديث. فإنه يمر إسناد ظاهر كالشمس على متن

مكذوب. فيخرجه ناقدهم، كمَا يخرج الصيرفي الزغل من تحت ظاهر من الفضة، وكذلك فراسة التمييز بين الصادق والكاذب في أقواله وأفعاله وأحواله[١].

الفراسة في الكتاب والسُّنَّة:

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)﴾ [الحجر].

□ قال مجاهد بن جبر المكي التابعي الجليل: «المتفرسين».

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «للناظرين. وكذا قال الضحاك».

□ وقال قتادة: «للمعتبرين».

□ وقال مقاتل: «للمتفكرين».

□ وقال أبو عبيدة: «للمتبصرين».

ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم وما آل إليه أمرهم: أورثه فراسة وعبرة وفكر ونظرة.. وأيضًا فإن المعاني التي تكون في الإنسان وغيره من خير أو شر يلوح عليه وسم على تلك المعاني، كالسكون والديانة والهيبة والخوف.

فالتوسم: تفعل من الوسم. وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها. يقال توسمت فيه الخير إذا رأيت مِيْسَمَ ذلك فيه، ومن قول عبد الله بن رواحة للنبي ﷺ:

إنِّي توسمتُ فيكَ الخيرَ أعرِفه ... والله يعلم أنِّي ثابتُ البصرِ

□ وقال شاعر آخر:

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٦) وما بعدها.

توسمته لما رأيت مهابةً عليه وقلتُ المرءُ من آل هاشم [(١)]

وهذه الآية تدل على فراسة النظر والعين.

* أما فراسة السمع والأذان فيدل عليها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [محمد: ٣٠].

□ قال العلّامة ابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين»: «واللحن ضربان: صواب وخطأ. فلحن الصواب نوعان:

أحدهما: الفطنة ومنه الحديث: **«ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»**.

والثاني: التعريض والإشارة: وهو قريب من الكناية ومنه قول الشاعر:

وحديثٌ ألذه وهو مما يشتهي السامعون يوزن وزنًا

منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحيانًا وخير الحديث ما كان لحنًا

والثالث: فساد المنطق في الإعراب. وحقيقته: تغيير الكلام عن وجهه، إمّا إلى خطأ، وإمّا إلى معنى خفي لم يُوضَع له اللفظ.

ومقصود الآية: أنه سبحانه أقسم على معرفتهم من لحن خطابهم فإن معرفة المتكلم وما في ضميره من كلامه: أقربُ من معرفتهِ بسيمَاه وما في وجه. فإن دلالة الكلام على قصد قائله وضميره أظهر من السيمَاء المرئية»[(٢)] اهـ.

(١) «فراسة المؤمن» (١/ ١٧- ١٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٥).

«الفراسة» في السُّنَّة المطهَّرة:

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى عبادًا يَعْرِفُون الناسَ بالتوسُّمِ»(١).

* وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»(٢).

---

(١) حسن: رواه الطبراني، والبزار، والحكيم الترمذي، والقضاعي، وحسن إسناده الهيثمي في «المجمع»، والسخاوي، وأبو الشيخ، والواحدي والألباني في «الصحيحة» (١٦٩٣)، و«صحيح الجامع» (٢١٦٨).

(٢) حسن: وقد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة نذكر منهم:

١- أبو سعيد الخدري. وقد روىٰ حديثه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٨١، ٢٨٢) والترمذي (٤/ ١٣٢) وابن جرير في «التفسير» (١٤/ ٣١) والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٢٤٢) والعقيلي في «الضعفاء» وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٢٧) عن عمرو بن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد، به وهذا إسناده ضعيف لضعف عطية العوفي.

٢- أبو أمامة الباهلي، وحديثه رواه الطبراني وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٨) وابن عدي وابن عبد البر في «الجامع» (١/ ١٩٦) من حديث أبو صالح عبد الله بن صالح: حدثني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن أبي أمامة.. وهذا إسناد لا بأس فكيف وله شواهد ولذلك فقد حسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٨) والسيوطي في «اللآلي» (٢/ ٣٣٠) وشيخنا عبد العزيز بن باز في تعليقاته علىٰ «سنن الترمذي» ومنه سمعت ذلك.. وقال أيضًا. والآية تدل عليه.. يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر] .

٣، ٤-وورد من حديث أبي هريرة وفيه سليمان بن أرقم. وورد أيضًا من حديث ابن عمرو فيه فرات بن السائب: «متروك».

٥- ورد من حديث ثوبان بلفظ: «احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وبتوفيق الله». رواه الطبراني وأبو نعيم والعسكري وابن جرير وأبو الشيخ في الأمثال (١٢٨) وفيه مؤمل بن سعيد في حديثه نكارة.

٦- ورد من حديث أبي الدرداء موقوفًا بلفظ: «اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن كان فيما خلا قبلكم من الأمة ناس محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحدٌ، فهو عمر بن الخطاب**»[١].

ومعنى قوله: «**محدَّثون**»: المحدث هو الملهم يُلقى الشيء في رُوعه يريد: قومًا يصيبون إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فقالوه، وتلك منزلة جليلة من منازل الأولياء.

أسباب قوة الفراسة:

□ قال الإمام ابن القيم: «وللفراسة سببان:

أحدهما: جودة المتفرِّس وحِدَّة قلبه وحسن فطنته.

والثاني: ظهور العلامات والأدلة على المُتفَرَّس فيه، فإذا اجتمع السببان لم تكد تُخْطِئ للعبد فراسة، وإذا انتفيا لم تكد تصح له فراسة، وإذا قوى أحدهما، وضعف الآخر كانت فراسته بَيْنَ بين»[٢].

□ قال إبراهيم الحازمي:

للفراسة الإيمانية القلبية أسباب، منها:

١ - الإيمَان العميق بالله.

بنور الله، إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم» رواه الديلمي. انتهى من «فراسة المؤمن» (ص٢٠-٢١) للحازمي.

وحسنه الشيخ حسن أبو الأشبال في تحقيقه لـ «جامع بيان العلم» للحافظ ابن عبدالبر (١/ ٦٧٧).

(١) رواه البخاري ومسلم (٢٣٩٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٩).

٢- الإخلاص لله في السر والعلن.

٣- الإكثار من ذكر الله.

٤- جودة القريحة وقوة الذكاء.

٥- صفاء الفكر وحدة الخاطر.

٦- طهارة القلب من الشبهات والشهوات.

٧- تفريغ القلب من هموم الدنيا.

٨- الابتعاد عن المعاصي والذنوب.

٩- الأخلاق الحسنة في الباطن والظاهر.

١٠- تقوى الله سبحانه وإفراده بالعبادة وحده.

١١- حسن الفطنة وسرعة البديهة.

١٢- ظهور العلامات والأدلة على المتفرَّس فيه.

١٣- أكل الحلال.

١٤- غض البصر عن المحارم.

١٥- تعمير الباطن بالمراقبة والظاهر باتباع السنة.

١٦- إنه نور وإلهام قلبي يقذفه الله في قلب من يشاء الله من عباده المؤمنين.

١٧- مخالفة الهوى.

١٨- الصدق. فإن الكاذب لديه عمى وضباب وعدم وضوح الرؤية لنفسه فكيف لغيره؟

١٩- معرفة الفراسة الخلقية مثل الوجه والعين والأنف والصحة

والمرض غير ذلك فإنها دليل على الفراسة الإيمَانية.

٢٠- حياة القلب ونوره»[١].

فكُلَّمَا عَلَتْ همة الرجل في تحصيل هذه الأسباب، والعمل بها كُلَّمَا قويت فراسته وبلغ الغاية السامية والمنزلة العالية منها.

فراسة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفراسة عباد الله الصالحين:

فراسة إبراهيم الخليل ﷺ:

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا رأت سارةُ إبراهيمَ قد شُغف بأم إسماعيل غارت غيرة شديدة، وحلفت لتقطعن عضوًا من أعضاء هاجر، فبلغ ذلك هاجر، فلبست درعًا وجرت ذيلها، فهي أول نساء العالمين جرت الذيل، وإنمَا فعلت ذلك لتعفي أثرها في الطريق على سارة، فقال إبراهيم عليه السلام: هل لك في خير أن تَعْفِي عنها وتَرْضَيْ بقضاء الله عز وجل؟ قالت: وكيف لي بمَا قد حلفتُ؟ قال: خفضيها [٢]، فتكون سنة النساء وتبر يمينك؟ قالت: أفعل. فخفضتها فمضت السنة للنساء بالخفض منها[٣].

فراسة إسماعيل عليه السلام وفطنته:

□ عن سعيد بن جبير قال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لمَا شب إسمَاعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسمَاعيل عليه السلام، فسأل

(١) «فراسة المؤمن» (١/ ٢٣- ٢٤).

(٢) الخفض للإناث كالختان للذكور.

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير، وكتاب «الأنبياء» من «صحيح البخاري».

امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بشرٍّ، في ضيق وشدة وشكت إليه، فقال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغَيِّر عتبة بابه، فلمَّا جاء فأخبرته قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك»[١].

فراسة سليمان بن داود عليه السلام:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**خرجت امرأتان معهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما، فاتخذتا يختصمان في الصبي الباقي فاختصمتا إلى داود عليه الصلاة والسلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرّتا على سليمان عليه السلام، فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة. فقال ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما، فقالت الصغرى: أتشقّه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل حظي منه لها، فقال: هو ابنك، فقضى به لها**» أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

فراسة النبي ﷺ وقوّة الفِطنة لَدَيْه:

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه، فذلك كثير وليس هو مرادنا ها هنا.

• عن علي رضي الله عنه قال: لمَا سار رسول الله ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين - رجلًا من قريش ومولًى لعقبة بن أبي معيط -، فأما القرشي فأفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: «كم القوم؟» فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فأبى، ثم أن النبي ﷺ سأله: «كم ينحرون من الجزر؟» فقال: عشرًا لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألفٌ، كل جزور لمئة وتبعها»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله! إن لي جارًا يؤذيني فقال: «انطلق وأخرج متاعك إلى الطريق» فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «انطلق واخرج متاعك إلى الطريق»، فجعلوا يقولون: اللهم العنه. اللهم اخزه، فبلغه فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك [(٢)].

• وعن زيد بن أسلم، أن رجلًا قال لحذيفة يا حذيفة: نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله، أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٣) رقم (٩٤٨).

(٢) حسن صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٤)، وأبو داود رقم (٥١٣١) (١٤/ ٦٢) مع العون، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١١/ ٥٠٦) رقم (٦٦٣٠)، وابن حبان (٢/ ٢٧٨) رقم (٥٢٠)، والحاكم (٤/ ١٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٧٩) رقم (٩٥٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال عنه الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه». وله شواهد من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه. رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٥)، والحاكم (٤/ ١٦٦)، والبزار (٢/ ٢٥٣) رقم (١٨١٠) «الزوائد» والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٧٩) رقم (٩٥٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٣٤) رقم (٣٥٦). قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي. وقال الألباني رحمه الله: «حسن صحيح». اهـ. «صحيح الأدب المفرد» (٧٢).

رضي الله عنه: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه، والله ما تدري يا أخي لو أدركته كيف كنت تكون. لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الخندق في ليلة باردة مظلمة مطيرة، وقد نزل أبو سفيان وأصحابه بالعرصة، فقال رسول الله ﷺ: **«مَن رجلٌ يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة»**. فما قام منا أحد، ثم قال: **«من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة»**، فوالله ما قام منا أحد. فقال: **«من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي يوم القيامة»** فوالله ما قام أحد منا. فقال أبو بكر: يا رسول الله! ابعث حذيفة. قال رسول الله ﷺ: **«يا حذيفة»** فقلت: لبيك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: **«هل أنت ذاهب»**، فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولكنني أخشى أن أؤسر. فقال: **«إنك لن تؤسر»** فقلت: مرني يا رسول الله بمَا شئت. فقال: **«اذهب حتى تدخل بين ظهراني القوم، فأت قريشًا، فقل: يا معشر قريش، إنمَا يريد الناس إذا كان غدًا أن يقولوا أين قريش، أين قادة الناس، أين رؤوس الناس، فيقدمونكم، فتصلون القتال فيكون القتل بكم، ثم ائت قيسًا فقل يا معشر قيس، إنمَا يريد الناس إذا كان غدًا أن يقولوا: أين أحلاس الخيل، أين الفرسان، فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل فيكم»**.

فانطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم، فجعلت أصطلي معهم على نيرانهم، وجعلت أبث ذلك الحديث الذي أمرني به، حتى إذا كان وجاء السحر قام أبو سفيان فدعا اللات والعزى وأشرك، ثم قال: «لينظر كل رجل من جليسه ومعي رجل منهم يصطلي على النار، فوثبت عليه، فأخذت بيده مخافة أن يأخذني فقلت: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان. فقلت: أولى، وبعث الله عليهم تلك الليلة الريح، فمَا تركت لهم بناء إلَّا

هدمته ولا إناء إلَّا أكفأته ثم رحلوا»[(١)].

وفي هذا الحديث أيضًا فراسة حذيفة بن اليمَان رضي الله عنه.

• وعن محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لمَّا سار إلى بدر نزل قريبًا منها، ثم ركب هو ورجل من أصحابه، قال ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان أنه وقف على شيخ، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركمَا حتى تخبراني من أنتمَا. فقال رسول الله ﷺ: **«إذا أخبرتنا أخبرناك»**. قال: وذاك بذاك، ثم قال الشيخ: إنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكَان كذا وكذا بالمكان الذي فيه رسول الله ﷺ، وبلغنا أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي به قريش، فلمَّا فرغ من خبره قال: فمن أنتم؟ قال رسول الله ﷺ: **«نحن من ماء العراق»**، قال أحمد بن علي: أوهمه النبي ﷺ بأنه من العراق، فكان العراق

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٩٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٣٣) (٢١٥) من طريق محمد بن كعب القرظي – ومحمد لم يدرك حذيفة- . «البداية والنهاية» (٦/ ٦٤). ورواه أبو عوانة (٤/ ٣٢٠) (٦٨٤٢) من طريق عبد العزيز ابن أخي حذيفة. ورواه الحاكم (٣/ ٣١)، والبزار (٧/ ٣٤٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٥٠)، وابن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» (٤/ ٤٠٣)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ البوصيري والحافظ ابن حجر من طريق ابن أبي شيبة وحسناه. «مختصر إتحاف السادة المهرة» (٧/ ٢٨)، و«المطالب العالية» (٤/ ٤٠٣)، والحديث أصله في «صحيح مسلم» (١٧٨٨) (١٢/ ٣٨٧) ولكن بدون ذِكر الشاهد.

يسمى ماء[١].

أعظم الأمة فراسة الصديق أبو بكر رضي الله عنه:

□ قال ابن القيم: «كان الصِّدِّيق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة وبعده عمر ابن الخطاب رضي الله عنه»[٢].

وكان الصديق رضي الله عنه يقول في سفر الهجرة لمن يسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم: من هذا بين يديك؟ فيقول: «هادٍ يدلني على الطريق»[٣].

□ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أفرس الناس ثلاثة امرأة فرعون في موسى، حيث قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. وصاحب يوسف[٤]، حيث قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. وأبو بكر الصديق في عمر رضي الله عنهما، حيث جعله الخليفة بعده»[٥].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤)، وابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٢٥٥) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٧).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٧).
(٣) رواه البخاري (٧/ ٢٩٣) رقم (٣٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٤) عزيز مصر.
(٥) صحيح: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٠٧)، وابن جرير في «التفسير» (٧/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢١١٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٣٧١) رقم (٢٥٥٥)، والحاكم (٣/ ٩٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (٢٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٥٥) بأسانيدهم عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال الحاكم: «فرضي الله عن ابن مسعود لقد أحسن في الجمع بينهم بهذا الإسناد الصحيح» اهـ وقال الذهبي: «صحيح». تلخيص المستدرك (٣/ ٩٠).

فراسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

□ قال ابن القيم رحمه الله: «ولله فراسة إمام المتفرسين، وشيخ المتوسمين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم تكن تخطئُ له فراسة، وكان يحكم بين الأمة بالفراسة المؤيدة بالوحي»[(١)].

● قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به**»[(٢)].

□ وقال رضي الله عنه: «ما كُنَّا نُبْعدُ أن السكينة تنطق على لسان عمر»[(٣)].

□ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما نزل بالناس أمرٌ قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر رضي الله عنه إلَّا نزل فيه القرآن على نحو ما قال»[(٤)].

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم عن الأمم ناس محدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»[(٥)].

* ومن فراسته التي تفرد بها عن الأمة أنه قال: «يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]».

□ وقال رضي الله عنه: «يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب».

---

(١) «الطرق الحُكمِيّة» (٢/ ٧٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه واللفظ له، وابن سعد وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٦٠٣٤)، و«صحيح الجامع» (١٨٣٤).

(٣) إسناده لا بأس به: رواه البيهقي في «الدلائل»، والبغوي في «شرح السنَّة».

(٤) صحيح: رواه الترمذي، وصححه ابن حبان.

(٥) رواه البخاري.

* واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيرة، فقال لهن عمر رضي الله عنه: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] فنزلت كذلك»[(١)].

□ وشاوره رسول الله ﷺ في الأسرى يوم بدر، فأشار بقتلهم، ونزل القرآن بموافقته[(٢)].

□ «ومر به سواد بن قارب ولم يكن يعرفه، فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا كاهن أو كان يعرف الكهانة في الجاهلية! فلمَا جلس بين يديه قال له ذلك عمر فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين ما استقبلتَ أحدًا من جلسائك بمثل ما استقبلتني به فقال له عمر رضي الله عنه: ما كنا عليه في الجاهلية أعظم من ذلك، ولكن أخبرني عمَا سألتك عنه فقال: صدقت يا أمير المؤمنين كنت كاهنًا في الجاهلية ثم ذكر القصة»[(٣)].

□ وقال نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «بينمَا عمر جالس إذْ رأى رجلًا[(٤)]،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٢) (١/ ١٠٦) ورقم (٤٤٨٣) (٨/ ١٨) من حديث أنس رضي الله عنه. ورواه مسلم مختصرًا من حديث ابن عمر (١٥/ ١٧٦) رقم (٢٣٩٩). وأحمد (١/ ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٧) وقد نظم السيوطي -رحمه الله تعالى- موافقات عمر في قصيدة له سماها: «قطف الثمر في موافقات عمر»، مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوىٰ (٢/ ١١٣).

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٦٣) (١٢/ ٣٢٧). والآية التي نزلت كما في رواية مسلم ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] . وللشيخ عبدالفتاح رواه المكي كتاب «الكوكب الأغر في موافقات عمر للقرآن والتوراة والأثر» ذكر فيه عشرين موافقة.

(٣) «مدارج السالكين»(٢/ ١٨٧).

(٤) وهو سواد بن قارب، كما جاء مصرحًا به في رواية الحاكم (٣/ ٦٠٨)، وأبي

فقال: «لست ذا رأي إن لم يكن هذا الرجل قد كان ينظر في الكهانة[1]، ادعوه لي، فدعوه، فقال: هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئًا؟ قال: نعم»[2].

• عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني لأظنه، إلَّا كان كمَا يظن. فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليّ الرجل فدعى به فقال له فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجلًا مسلمًا. قال: فإني أعزم عليك إلَّا ما أخبرتني قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فمَا أعجب ما جاءتك به جنيَّتُك قال: بينمَا أنا في السوق يومًا جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجنّ وإبلاسها ويأسها من بعد أنكاسها؟ ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عمر رضي الله عنه: صدق، بينمَا أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلَّا الله فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادى: يا جليح أمر نجيح، رجل

يعلىٰ في «معجمه» (١/ ٢٦٣) رقم (٣٢٩)، سكت عنه الحاكم، وقال الذهبي في «تلخيص المستدرك» (٣/ ٦٠٩): «الإسناد منقطع». وكذا قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٥٦٩). وقال الحافظ ابن حجر لما ذكر طرقه: «وهذه الطرق يقوي بعضها بعضًا» اهـ «الفتح» (٧/ ٢١٧).

(١) الكاهن: هو الذي يتعاطىٰ الخبر عن الكائنات في مستقل الزمان، ويدع معرفة الأسرار.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٢١٥) رقم (٣٨٦٦) ولم يذكر فيه اسم الرجل.

فصيح يقول: لا إله إلَّا الله. فقمت فمَا نشبنا أن قيل: هذا نبي»[١].

□ وقال مالك عن يحيى بن سعيد: «إن عمر بن الخطاب قال لرجل[٢]: «ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحُرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحَرَّة النار[٣]. قال: بأيها؟ قال: بذات لظَى. فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا»[٤]. فكان كمَا قال.

□ ومن فراسته: أنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر: احبس هذه. احبس هذه.. فيقول الرجل:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) وهو جمرة بن شهاب بن ضرام الجهني مخضرم «الإصابة» (١/ ٢٦٣)، شرح الزرقاني علىٰ «الموطأ» (٤/ ٣٨٢).

(٣) قرب المدينة وهي حرة لبني سليم. «معجم البلدان» (٢/ ٢٨٧).

(٤) رواه مالك (٢/ ٩٧٣)، ومن طريق مالك رواه ابن وهب في «الجامع» (١/ ١٣٥) رقم (٧٨)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٤٠٠) رقم (١٢٧٦). وإسناده منقطع، يحيىٰ بن سعيد لم يدرك عمر. انظر: «شرح الزرقاني» (٤/ ٣٨٢). ورواه عبد الرزاق (١١/ ٤٣) رقم (١٩٨٦٤) عن معمر عن رجل عن ابن المسيب أن رجلاً أتىٰ.. فذكره. وسمىٰ الحافظ ابن حجر الرجل في رواية عبد الرزاق: الزهري. «الإصابة» (١/ ٢٦٣). ونصر ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- سماع سعيد ابن المسيب من عمر ﷺ. انظر: «تهذيب السنن» (٩/ ١٦٢) و(١٣/ ٣٥٧) مع العون، و«زاد المعاد» (٢/ ٢٢٤)، «نصب الراية» (٣/ ٣٦). ووصله أبو القاسم ابن بشران في «فوائده» من طريق موسىٰ بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر لرجل -فذكره- . انظر: «الإصابة» (١/ ٢٦٣)، و«شرح الزرقاني» (٤/ ٣٨٢)، وذكر الحافظ ابن حجر له طرقًا أخرىٰ. «الإصابة» (١/ ٢٦٣).

والله: والله، كل ما حدثتك به حق، غير ما أمرتني أن أحبسه[(١)].

□ ومن فراسته.. ما رواه القرطبي في «تفسيره»: «قال: روي أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه دخل عليه قوم من مُذحج فيهم الأشتر. فصعّد فيه النظر وصوّبه وقال: أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث.

فقال: ما له قاتله الله إني لأرى للمسلمين منه يومًا عصيبًا.. فكان منه في الفتنة ما كان[(٢)].

□ ومن فراسته رضي الله عنه: تنبؤه بوفاته وحضور أجله، فعن معداب بن أبي طلحة: «أن عمر بن الخطاب قال: رأيتُ ديكًا نقرني ثلاث نقرات، ولا أراه إلَّا حضور أجلي»[(٣)].

فمَا مر إلَّا تلك الجمعة حتى طعن.

□ وروي عن عمر رضي الله عنه إنه خرج يعس المدينة بالليل فرأى نارًا موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء وكره أن يقول يا أهل النار. وهذا من غاية الذكاء[(٤)].

فراسة عثمان رضي الله عنه:

□ دخل رجل على عثمَان، فقال له عثمَان رضي الله عنه: «يدخل عليَّ أحدكم والزنا في عينيه، فقال: أَوَحْيٌ بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن فراسة

---

(١) انظر: «سيرة عمر بن الخطاب» لابن الجوزي (٧/ ١٣٤)، وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١٣٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٤٤).

(٣) رواه مسلم، وانظر «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٦٢- ٦٣).

(٤) «فراسة المؤمن» (ص٣٩).

صادقة»[١].

□ ومن هذه الفراسة: أنه ﷺ، لمَّا تفرس أنه مقتول ولا بد أمسك عن القتال، والدفع عن نفسه، لئلا يجري بين المسلمين قتال، وآخر الأمر يقتل هو ﷺ. فأحب أن يقتل من غير قتال يقع بين المسلمين[٢].

فراسة علي بن أبي طالب ﷺ:

□ من ذلك: «أن رجلين من قريش دفعا إلى امرأة مئة دينار وديعة، وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه. فلبثا حولًا، فجاء أحدهما، فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إِلَيَّ الدنانير. فأبت، وقالت: إنكمَا قلتمَا لي: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلست بدافعتها إليك، فثقل عليها بأهلها وجيرانها حتى دفعتها إليه، ثم لبث حولًا آخر، فجاء الآخر، فقال: ادفعي إليّ الدنانير. فقالت: إن صاحبك جاءني فزعم أنك قد مِتَّ، فدفعتها إليه. فاختصمَا إلى عمر ﷺ فأراد أن يقضي عليها. فقال: ادفعنا إلي علي بن أبي طالب ﷺ فعرف علي أنهمَا قد مكرا بها، فقال: أليس قلتمَا: لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه؟ قال: بلى، فقال: إن مالك عندها، فاذهب فجئ بصاحبك حتى تدفعه إليكمَا»[٣].

□ ومن ذلك: «أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل رجلًا: كيف أنت؟

---

(١) «الطرق الحكيمة» لابن قيم الجوزية (ص٢٩)، وانظر «المسند» لأحمد (١/ ٦٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١/ ٤٨٥) (٧٨٥)، والضياء في «المختارة» (١/ ٢٥٠) (٣٨٧).

(٢) نفس الهامش السابق.

(٣) «الطرق الحكيمة» (٢/ ٧٩- ٨٠).

فقال: ممن يحب الفتنة، ويكره الحق، ويشهد على ما لم يره، فأمر به إلى السجن. فأمر علي برده، وقال: صدق، قال: كيف صدّقته؟ قال: يحب المَال والولد، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [التغابن: ١٥] ويكره الموت، وهو حق، ويشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، ولم يره، فأمر عمر رضي الله عنه بإطلاقه، قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته»[١].

□ وأتى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه رجلٌ أسود، ومعه امرأة سوداء، فقال: «يا أمير المؤمنين، إني أغرس غرسًا أسود، وهذه سوداء على ما ترى، فقد أتتني بولد أحمر، فقالت المرأة: والله يا أمير المؤمنين ما خنته، وإنه لولده. فبقي عمر لا يدري ما يقول، فسئل عن ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال للأسود: إن سألتك عن شيء أتصدقني؟ قال: أجل والله، قال: هل واقعت امرأتك وهي حائض؟ قال: قد كان ذلك، قال علي: الله أكبر، إن النطفة إذا اختلطت بدم خلق الله عز وجل منها خلقًا كان أحمر، فلا تنكر ولدك، فأنتَ جَنيْت على نفسِك»[٢].

□ وقال جعفر بن محمد: «أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار كانت تهواه، فلمَّا لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله. فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني. فهمّ بعقوبة الشاب فجعل يستغيث، ويقول: يا أمير

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١١٨)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (٣٩٨).
(٢) «الطرق الحُكميّة» (٢/ ١١٩- ١٢٠).

المؤمنين، تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة ولا هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بمَاء حار شديد الغليان، فصُبَّ على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه وذاقه، فعرف طعم البيض وزجر المرأة، فاعترفت»[١].

□ وجاءت إلى علي رضي الله عنه امرأة، فقالت: «إن زوجي وقع على جاريتي بغير أمري. فقال للرجل: ما تقول! قال: ما وقعت عليها إلَّا بأمرها. فقال: إن كنت صادقة رجمته. وإن كنت كاذبة جلدتك الحد، وأقيمت الصلاة، وقام ليصلي. ففكرت المرأة في نفسها لم ترى لها فرجًا في أن يرجم زوجها ولا في أن تجلد. فولت ذاهبة ولم يسأل عنها علي»[٢].

□ ومن ذلك: «أن امرأة رُفعت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد زنت، فسألها عن ذلك؟ فقالت: نعم يا أمير المؤمنين، وأعادت ذلك وأيدته. فقال علي: إنها لتستهل[٣] به استهلال من لا يعلم أنه حرام. فدرأ عنها الحد[٤]. وهذا من دقيق الفراسة»[٥].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٢٠)، و«مختصر الحزمي» (١٠٥)، و«المغني» (١٠/ ٩٢)، و«الشرح الكبير» (٢٠/ ٤٩٧)، و«الإنصاف» للمرداوي (٢٠/ ٤٩٧) و«الفروع» (٥/ ٢٢٥).

(٢) «الطرق الحكمية».

(٣) أي ترفع صوتها -انظر «المصباح المنير» (٦٣٩)، و«مختصار الصحاح» (٦٩٧).

(٤) رواه عبد الرزاق (٧/ ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥)، والبيهقي في «سننه» (٨/ ٤١٥)، وابن حزم في «المحلىٰ» (١١/ ٤٠٢)، والقائل عثمان وليس علميًا رضي الله عنهما.

(٥) «الطرق الحكمية» (٢/ ١٤٠).

□ ومن قضايا علي رضي الله عنه: أنه أُتي برجل وُجد في خَرِبة بيده سكين متلطخ بدم، وبين يديه قتيل يتشحَّط في دمه، فسأله؛ فقال: «أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلمَّا ذهبوا به أقبل رجل مسرعًا، فقال: يا قوم، لا تعجلوا. ردوه إلى علي، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، ما هذا صاحبه، أنا قتلته. فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت: إنك قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع؟ وقد وقف العَسَسُ على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف، وفي يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذتُ في خربة؟ فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قسامة، فاعترفت بمَا لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله. فقال علي: بئس ما صنعت. فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغَلس [1]، فذبحت بقرة وسلختها، فبينمَا أنا أسلخها والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها، فقضيت حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه فراعني أمره، فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي، فلم أشعر إلَّا بأصحابك قد وقفوا عليّ، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له قاتل سواه. فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي، فاعترفت بمَا لم أجْنه، فقال علي للمقرّ الثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال: اعتراني فلس، فقتلت الرجل طمعًا في ماله، ثم سمعت حس العسس، فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف، فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس،

---

(١) الغَلَس بفتحتيْن: ظلمة آخر الليل.. «القاموس المحيط» (٧٢٣)، و«مختار الصحاح» (٤٧٨).

فأخذوه وأتوك به. فلمَّا أمرتَ بقتله علمت أني أبوء بدمه أيضًا فاعترفت بالحق. فقال علي للحسن رضي الله عنهما: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسًا، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢]، فخلى عليٌّ رضي الله عنه عنهمَا، وأخرج دية القتيل من بيت المَال»[1].

☐ وقال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال له رضي الله عنه: «أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

☐ وعن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: «خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجحدته. فسأله البينة. فلم تكن عنده.

وجاءت المرأة بنفر، فشهدوا أنها لم تتزوج وأن الغلام كاذب عليها وقد قذفها. فأمر عمر بضربه. فلقيه عليّ رضي الله عنه. فسأل عن أمرهم، فأخبر فدعاهم، ثم قعد في مسجد النبي ﷺ، وسأل المرأة فجحدت، فقال للغلام: اجحدها كمَا جحدتك. فقال: يا ابن عم رسول الله ﷺ، إنها أمي. قال: اجحدها، وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك. قال: قد جحدتها، وأنكرتها. فقال عليّ لأولياء المرأة: أمري في هذه المرأة جائز؟ قالوا: نعم، وفينا أيضًا. فقال عليّ: أشهد من حضر قد زوَّجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه، يا قنبر ائتني بطينة فيها دراهم، فأتاه بها، فعَدَّ

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ١٤١ - ١٤٢).

أربعمئة وثمَانين درهمًا، فدفعها مهرًا لها، وقال للغلام: خذ امرأتك، ولا تأت إلَّا وعليك أثر العرس.

فلمَّا ولى قالت المرأة: يا أبا الحسن! الله الله هو النار، هو والله ابني.

قال: وكيف ذلك؟ قالت: إن أباه كان هجينًا، وإن إخوتي زوّجوني منه، فحملت بهذا الغلام. وخرج الرجل غازيًا فقتل، وبعثت بهذا إلى حي بني فلان، فنشأ فيهم، وأنفت أن يكون ابني، فقال علي: أنا أبو الحسن، وألحقه بها، وثبَّت نسبه»(١).

فراسة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

□ عن بكير بن سمَار عن عامر بن سعد: أن أخاه عُمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلمَّا رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب!! فلمَّا أتاه قال: يا أبت، أرضيت أن تكون أعرابيًّا في غنمك والناس يتنازعون الملك في المدينة؟! فضرب سعد صدر عُمر، وقال: اسكت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ يحب العبد التقي الغني الخفي**»(٢).

□ وقد صدق سعد في فراسته في ابنه عمر؛ إذ استعاذ بالله من شره، فلعله كان يعرف عنه التطلع إلى الفتن السياسية والطمع في الإمارة، فكان أن ابتلي عمر هذا بالدخول في أكبر فتنة، فاستعمله عبيد الله بن زياد على الري وهمدان، ثم أمره حين قدم الحسين إذ هدده ابن زياد بعزله وهدم داره، فكان على رأس الجيش الذي قتل شهيد كربلاء الحسين بن علي

---

(١) انظر: «الطرق الحكمية»، و«فراسة المؤمن».

(٢) رواه أحمد، ومسلم.

رضي الله عنهما ثم انتقم الله للحسين بن علي، لمَّا غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة فقتل عمر بن سعد وابنه حفصًا»[١].

فراسة خزيمة بن ثابت رضي الله عنه:

• ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت، عن الزهري قال: أخبرنا عمارة ابن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه وإلَّا بعته. فقام النبي ﷺ: «**أليس قد ابتعته منك؟**» قال: لا. فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهمَا يتراجعان. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا يشهد أني قد بايعتك، فمن جاء من المسلمين، قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺ لا يقول إلَّا حقًّا، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا يشهد إني قد بايعتك. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «**بم تشهد؟**» فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لخزيمة: «**لَم تشهد ولَم تكن معنا؟**» قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السمَاء، أفلا أصدقك بمَا تقول؟»[٢].

---

(١) «فراسة المؤمن» (ص٥١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢١٦، ٢١٧)، وأبو داود (٣٦٠٧).

فراسة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

• عن يحيى بن سالم الأسدي قال: سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن عليّ قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه طوامير (صحائف) وكتب فقال: هذه كتبهم وبيعتهم فقال: لا تأتيهم، فأبى، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إني محدثك حديثًا، إن جبريل أتى النبي ﷺ، فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله، والله ما يليها أحد منكم أبدًا، وما صرفها الله عنكم إلَّا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع. قال: فأعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل[(١)].

□ ورحم الله ابن عمر رضي الله عنهما فقد كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.. فقد مات الحسين بن علي عليهم رضوان الله شهيدًا قتيلًا في كربلاء سنة ستين (٦٠هـ) من الهجرة النبوية.

□ قال ابن القيم: «ومن ذلك فراسة ابن عمر في الحسين لمَّا ودّعه، وقال: «أستودعك الله من قتيل»[(٢)]، ومعه كتب أهل العراق، فكانت فراسة ابن عمر أصدق من كتبهم»[(٣)].

---

(١) «البداية والنهاية» في ترجمة الحسين بن علي، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٩٦).

(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٣٥٦)، والبيهقي (٧/ ١٦١)، و«تاريخ دمشق» (١٤/ ٢٠١، ٢٠٢)، و«السير» (٣/ ٢٩٢).

(٣) «الطرق الحكمية».

فراسة ابن عباس رضي الله عنهما:

□ عن عقبة بن سمعان: «أن الحسين بن علي بن أبي طالب لمَّا أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال: «يا ابن عم إنه قد أرجف (ردَّد) الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ فقال: قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: أخبرني إن كانوا قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم، وعمَّاله تجبى بلادهم، فإنهم إنمَا دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك إن يستفزوا عليك الناس، ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك، فقال الحسين؛ إني أستخير الله وأنظر ما يكون، فخرج ابن عباس عنه، ودخل ابن الزبير فقال له: ما أدري ما ترك لنا هؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين، وولاة الأمر دونهم، أخبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم وأستخير الله. —وفي رواية: أتتني بيعة أربعين ألفًا يحلفون بالطلاق والعتاق أنهم معي —.

فقال ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها، فلمَّا كان من العشي أو من الغد، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال: يا ابن عم! إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غُدُر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم، وإلَّا فسر إلى اليمن؛ فإن به حصونًا وشعابًا، ولأبيك شيعة، وكن عن الناس في معزل، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب.

فقال الحسين: يا ابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير.

فقال له: فإن كنت ولابد سائرًا فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إني لخائف أن تقتل كمَا قتل عثمَان ونساؤه وولده ينظرون إليه، ثم قال ابن عباس أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز، فوالله الذي لا إله إلَّا هو لو أعلم أنك إذا أخذت، بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعتني وأقمت لفعلت ذلك.

قال: ثم خرج من عنده، فلقي ابن الزبير فقال: قرَّت عينك يا ابن الزبير؟ ثم قال:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا ... لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري ... صيادُك اليوم قتيل فأبشري

ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز..»[1].

✍ وصدق والله ابن عباس فقد مات الحسين شهيدًا في كربلاء ومات معه أبناءه إلَّا زين العابدين ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

فراسة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

فراسة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقد استعمله عمر رضي الله عنه على البحرين. فكرهه أهلها فعزله عمر، فخافوا أن يرده عليهم. فقال دهقانهم[2]: إن

(١) انظر: «السير» (٣/ ٣٦٦) و(٣/ ٣٥٣- ٣٥٤)، و«البداية والنهاية» لابن كثير ترجمة «الحسين بن علي رضي الله عنهما».

(٢) «فراسة المؤمن» (ص٦١- ٦٣).

فعلتم ما آمركم به لم يرده علينا. قالوا: مُرْنا بأمرك. قال: تجمعون مئة ألف درهم، حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول: إن المغيرة اختان[١] هذا، ودفعه إليَّ، فجمعوا ذلك. فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة اختان هذا[٢]، فدفعه إليَّ. فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب، أصلحك الله، إنمَا كانت مئتي ألف، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة. فقال عمر للدهقان: ما تقول؟ فقال: لا والله، لأصدقنك، والله ما دفع إليَّ قليلًا ولا كثيرًا. ولكن كرهناه وخشينا أن تردَّه إلينا، فقال عمر للمغيرة: ما حملك على هذا؟ قال: الخبيث كذب عليَّ فأردتُ أن أخزيه»[٣].

وخطب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى جميلًا، فأرسلت إليهمَا المرأة: لا بد أن أراكمَا، واسمع كلامكمَا، فاحضرا إن شئتمَا. فأجلستهمَا بحيث تراهمَا، فعلم المغيرة أنها تؤثر عليه الفتى، فأقبل عليه، فقال: لقد أوتيت حسنًا وجمالًا وبيانًا. فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم. فعدد عليه محاسنه، ثم سكت. فقال المغيرة: فكيف حسابك؟ فقال: لا يسقط عليّ منه شيء، وإني لأستدرك منه أقل

---

(١) الدُّهقان: بالكسر والضم: القوي على التصرف مع حدّة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم.. معرَّب «القاموس المحيط» (١٥٤٦)، و«لسان العرب» (٣/ ١٦٣)، و«النهاية» (٢/ ١٤٥).

(٢) خانه خيانة واختانه فهو خائن: بأن يؤتمن فلا ينصح «القاموس المحيط» (١٥٤١)، و«مختار الصحاح» (١٩٣).

(٣) «تاريخ دمشق» (٦٠/ ٣٠، ٣١)، و«الإصابة» (٣/ ٤٣٢)، و«السير» (٣/ ٢٦)، و«الطرق الحكمية» (٢/ ٩٨).

من الخردلة، فقال له المغيرة: لكني أضع البَدْرَة [(١)] في زواية البيت، فينفقها أهل بيتي على ما يريدون، فمَا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليَّ من الذي يحصي عليَّ أدنى من الخردلة. فتزوجت المغيرة» [(٢)]، [(٣)].

فراسة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

ومنها: فراسة عمرو بن العاص لمَّا حاصر غزَّة، فبعث إليه صاحِبُها: أن أرسل إليَّ رجلًا من أصحابك أكلمه. ففكر عمرو بن العاص، وقال: ما لهذا الرجل غيري، فخرج حتى دخل عليه، فكلمه كلامًا لم يسمع مثله قط. فقال له: حدثني، هل أحد من أصحابك مثلك؟ فقال: لا تسل، من هواني عندهم بعثوني إليك، وعرَّضوني لمَا عرضوني، ولا يدرون ما يصنع بي. فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب، إذا مرَّ بك فاضرب عنقه، وخذ ما معه. فمر برجل من نصارى غسان فعرفه، فقال: يا عمرو قد أحسنت الدخول، فأحسن الخروج. فرجع فقال له الملك: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيمَا أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت الخروج فآتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة رجال خيرًا من أن يكون عند واحد. قال: صدقت عجل بهم. وبعث إلى البواب: خلّ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أَمِنَ قال: لا

---

(١) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم «مختار الصحاح» (٤٣)، و«القاموس» (٤٤٤).

(٢) «تاريخ دمشق» (٦٠/ ٥١)، وانظر «الأذكياء» (٢٩).

(٣) «الطرق الحكمية» (٢/ ٩٨- ٩٩).

عدت لمثلها. فلمَّا كان بعدُ رآه الملك، فقال: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غدرك»[(١)].

فراسة الحسن بن علي رضي الله عنهما:

□ ومن ذلك: «فراسة الحسن بن علي رضي الله عنهما لمَّا جيء إليه بابن مُلْجِم قال له: أريد أُسارك بكلمة. فأبى الحسن، وقال: تريد أن تَعضَّ أذني. فقال ابن ملجم: والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صمَاخيها»[(٢)].

□ قال أبو الوفاء ابن عقيل: «فانظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة العاجلة ما يذهل الخلق، وفطنته إلى هذا الحد، وإلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استزادة الجناية»[(٣)].

فراسة الحسين بن علي رضي الله عنهما:

□ ومن ذلك: فراسة أخيه الحسين رضي الله عنهما: «أن رجلًا ادعى عليه مالًا. فقال الحسين: ليحلف على ما ادعاه ويأخذه، فتهيأ الرجل لليمين، وقال: والله الذي لا إله إلَّا هو. فقال الحسين: قل: والله، والله، والله إن هذا الذي تدعيه عندي، وفي قِبَلي. ففعل الرجل ذلك، وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتًا. فقيل للحسين: لم فعلت ذلك؟ أي عدلت عن قوله: والله الذي لا إله إلَّا هو إلى قوله: والله والله والله. فقال: كرهت أن يثني على

---

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ٩٩- ١٠٠)، فانظر «تاريخ دمشق» (٤٦/ ١٥٥)، و«الأذكياء» (٣٠).

(٢) «الطرق الحكمية» (٢/ ١٠٠- ١٠١).

(٣) «الطرق الحكمية» (٢/ ١٠١»، قال ابن الجوزي في «الأذكياء» (٢٥) «قرآت بخط أبي الوفاء بن عقيل» فذكر القصة وقول ابن عقيل.

الله، فيحلم عنه»[١].

فراسة العباس رضي الله عنه:

□ ومن ذلك: فراسة العباس رضي الله عنه ما ذكره مجاهد قال: «بينمَا رسول الله ﷺ في أصحابه إذ وجد ريحًا. فقال: «**ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ**». فاستحيا الرجل، ثم قال: «**ليقم صاحب هذه فليتوضأ، فإن الله لا يستحيي من الحق**» فقال العباس رضي الله عنه: ألا نقوم كلنا نتوضأ؟»[٢] هكذا رواه الفريابي عن الأوزاعي مرسلًا، ووصله عنه محمد بن مصعب القرقساني، فقال: عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

فراسة جرير بن عبد الله البجلي:

□ وقد جرت مثل هذه القصة في مجلس عمر رضي الله عنه. قال الشعبي: «كان عمر رضي الله عنه في بيت، ومعه جرير بن عبد الله البجلي، فوجد عمر ريحًا، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لمَا قام فتوضأ. فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعًا. فقال عمر: يرحمك الله نِعْم السيد كنت في الجاهلية، ونِعْم السيد أنت في الإسلام»[٤].

فراسة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما:

□ عن الزبير بن بكار، حدثني محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن

---

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ١٠١)، و«الأذكياء» (٢٥).
(٢) رواه عبد الرزاق (١/ ١٤٠) (٥٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٧٣).
(٣) «الطرق الحكمية» (٢/ ١٠٢).
(٤) «الأذكياء» (٢٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٧٤١)، و«السير» (٢/ ٥٣٥).

مروان قال لرأس الجالوت، أو لابن رأس الجالوت: «ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقًا بعد خلق غير أنا نرمقهم، فإن سمعنا منهم من يقول في لعبه: من يكون معي رأيناه ذا همة وحنو وصدق فيه، وإن سمعناه يقول: مع من أكون كرهناها منه، فكان أول ما علم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان، وهو صبي، فمر رجل، فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقري وقال: يا صبيان، اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه. ومرّ به عمر بن الخطاب، وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففروا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أُجْرِم، فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة، فأوسع لك»[1].

فراسة كعب بن سور قاضي البصرة:

◻ «أتت امرأةٌ إلى عمر بن الخطاب فشكرت عنده زوجها وقالت: هو من خير أهل الدنيا، يقوم الليل حتى الصباح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم أدركها الحياء، فقال: «جزاك الله خيرًا فقد أحسنت الثناء». فلمَّا ولت قال كعب بن سُور: يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال: وما اشتكت؟ قال: زوجَها. قال: عليَّ بهمَا. فقال لكعب: اقض بينهمَا، قال: أقضي وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت إلى ما لم أفطن له، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء: ٣]، صم ثلاثة أيام، وأفطر عندها يومًا، وقم ثلاث ليال، وبت

(١) انظر الترجمة في «الحلية» (١/ ٣٢٩)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٣٣٢)، و«الإصابة» (٢/ ٣٠٩)، و«السير» (٣/ ٣٦٣- ٣٨٠).

عندها ليلة، فقال عمر: «هذا أعجب إليَّ من الأول» فبعثه قاضيًا لأهل البصرة فكان يقع له في الحكومة من الفراسة أمور عجيبة. وكذلك شريح في فراسته وفطنته»(١).

فراسة عبد الملك بن مروان:

□ ومن أحسن الفراسة: «فراسة عبد الملك بن مروان لمَّا بعث الشعبي إلى ملك الروم فحسد المسلمين عليه. فبعث معه ورقة لطيفة إلى عبد الملك. فلمَّا قرأها قال: تدري ما فيها؟ قال: لا. قال: فيها «عجبٌ، كيف ملَّكت العرب غير هذا؟» أفتدري ما أراد؟ قال: لا. قال: حسدني بك، فأراد أن أقتلك. فقال الشعبي: لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرني. فبلغ ذلك ملك الروم، فقال: والله ما أخطأ ما كان في نفسي»(٢).

فراسة شريح:

□عن مجالد بن سعيد قال: «قلت للشعبي يقال في المثل: إن شريحًا أدهى من الثعلب وأحيل فمَا هذا؟ فقال لي في ذلك: إن شريحًا خرج أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه، فيحاكيه ويخيل بين يديه، فيشغله عن صلاته، فلمَّا طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة، وأخرج كميه وجعل قلنسوته وعمَامته عليه،

---

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ٦٦) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق (٧/ ١٤٩)، «الطبقات» لابن سعد (٧/ ٦٣)، «أخبار القضاة» لوكيع (٣/ ٢٨٨).

(٢)«الطرق الحكمية» (٢/ ١٠٣) انظر: «المعرفة والتاريخ» للفسوي (٢/ ٥٩٤)، و«تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٢٥)، و«تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٨٦)، «الأذكياء» (٣٥)، و«تهذيب الكمال» (١٤/ ٣٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ١٢٧).

فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتى شريح من خلفه، فأخذه بغتة، فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل».

□ عن مجالد عن الشعبي قال: «شهدت شريحًا وقد جاءته امرأة تخاصم رجلًا، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: يا أبا أمية، ما أظن هذه البائسة إلَّا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن أخوة يوسف وجاءوا أباهم عشِاءً يبكون»[(١)].

□ عن شيخ من قريش قال: «عرض شريح ناقة يبيعها، فقال له المشتري: يا أبا أمية، كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت. قال: كيف الوطء؟ قال: افرش ونم. قال: كيف نجاؤها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها. فلم ير شيئًا ممَّا وصف، فرجع إليه فقال: لم أر فيها شيئًا ممَا وصفتها به. قال: ما كذبتك. قال: أقلني. قال: نعم»[(٢)].

□ قال القرشي: «وحدثني أبو القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال: إن شريحًا خرج من عند زياد وهو مريض، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولًا يسأله كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى. قال: يأمر بالوصية وينهى عن النياحة».

□ قال ابن الجوزي: «وقد روينا أن عدي بن أرطأة أتى شريحًا وهو في مجلس القضاء فقال لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: اسمع مني. قال: لهذا جلست مجلسي. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: الحبيب القريب، قال: وتزوجت امرأة من قومي، قال: بارك الله لك

---

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ٦٦- ٦٧).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ٩٠).

بالرفاء والبنين. قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها. قال: الشرط أملك. قال: وأريد الخروج. قال: في حفظ الله. قال: اقض بيننا. قال: قد فعلت»[١].

فراسة إياس بن معاوية بن قُرَّة:

□ تقدم إلى إياس بن معاوية أربع نسوة، فقال إياس: «أما إحداهن فحامل، والأخرى مرضع، والأخرى ثيب، والأخرى بكر. فنظروا فوجدوا الأمر كمَا قال. فقالوا: وكيف عرفت؟ فقال: أما الحامل: فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها، فعلمت أنها حامل، وأما المرضع: فكانت تضرب ثدييها. فعلمت أنها مرضع، وأما الثيب: فكانت تكلمني وعينها في عيني فعلمت أنها ثيب، وأما البكر: فكانت تكلمني وعينها في الأرض، فعلمت أنها بكر»[٢].

□ وقال المدائني[٣] عن روح[٤]: «استودع رجل رجلًا من أبناء الناس مالًا، ثم رجع فطلبه فجحده، فأتى إياسًا فأخبره. فقال له إياس: انصرف فاكتم أمرك، ولا تعلمه أنك أتيتني، ثم عُد إليَّ بعد يومين. فدعا

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٦١)، و«المستجاد من فعلات الأجواد» للتنوخي (ص٢٥٩) أنها حديث مع القاضي إياس بن معاوية، «الأذكياء» (ص٧٥)، و«فراسة المؤمن» (ص١٠١).

(٢) «الطرق الحكمية» (٢/ ٦٧)، وانظر: «تاريخ دمشق» (١٠/ ١٣)، و«أخبار القضاة» (١/ ٣٧١)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ١١٨)، و«فيات الأعيان» (١/ ١٣٢).

(٣) هو علي بن محمد بن عبد الله المدائني انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٠٠).

(٤) روح بن عبادة بن العلاء القيسي ثقة مشهور انظر «طبقات ابن سعده» (٧/ ٢١٧).

إياس المُودَع، فقال: قد حضر مال كثير، وأريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأَعِدَّ له موضعًا وحمالين. وعاد الرجل إلى إياس، فقال له انطلق إلى صاحبك فاطلب المَال. فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي. فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي، وإلَّا أتيت القاضي، وشكوت إليه، وأخبرته بأمري. فدفع إليه ماله. فرجع الرجل إلى إياس، فقال: قد أعطاني المَال. وجاء الأمين إلى إياس لموعده، فزبره[1] وانتهره، وقال: لا تقربني يا خائن»[2].

□ واستودع رجل لغيره مالًا، فجحده، فرفعه إلى إياس، فسأله فأنكر، فقال للمدعي: أين دفعته إليه؟ فقال: في مكان في البرية، فقال: وما كان هناك، قال: شجرة، قال: اذهب إليها فلعلك دفنت المَال عندها ونسيت، فتذْكُر إذا رأيت الشجرة، فمضى، وقال للخصم: اجلس حتى يرجع صاحبك، وإياس يقضي وينظر إليه ساعة بعد ساعة. ثم قال له: يا هذا، أترى صاحبك بلغ مكان الشجرة؟ قال: لا، قال: يا عدو الله، إنك خائن، قال: أقلني، قال: أقالك الله، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: اذهب معه فخذ حقك»[3].

□ قال ابن قيم الجوزية: «ومن فراسة الحاكم: ما ذكره حماد بن سلمة عن حميد الطويل: أن إياس بن معاوية اختصم إليه رجلان، استودع

---

(١) الزَّبْر: الزجر والانتهار «مختار الصحاح» (٢٦٧).

(٢) «الطرق الحكمية» (ص٦٨)، انظر: «تاريخ دمشق» (١٠/ ٢٨)، و«أخبار القضاة» (١/ ٣٧١) و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٢٤).

(٣) «تاريخ دمشق» (١٠/ ٢٨)، و«أخبار القضاة» (١/ ٣٤٢)، و«الطرق الحكمية» (٢/ ٦٩- ٧٠).

أحدهما صاحبه وديعة، فقال صاحب الوديعة: استحلفه بالله مالي عنده وديعة. فقال إياس بن معاوية: بل أستحلفه بالله ما لك عنده وديعة ولا غيرها»[(١)].

وهذا من أحسن الفراسة، فإنه إذا قال: «ماله عندي وديعة» احتمل النفي، واحتمل الإقرار، فينصب «ماله» بفعل محذوف مقدر، أي دفع إلي، أو أعطاني ماله، أو يجعل «ما» موصولة، والجار والمجرور صلتها ووديعة خبر عن «ما» فإذا قال: «ولا غيرها» تعين النفي»[(٢)].

□ وقال حماد بن سلمة: «شهدت إياس بن معاوية يقول في رجل ارتهن رهنًا، فقال المرتهن: رهنته بعشرة، وقال الراهن: رهنته بخمسة، فقال: إن كان للراهن بينة أنه دفع إليه الرهن فالقول ما قال الراهن، وإن لم يكن له بينة بدفع الرهن إليه، والرهن بيد المرتهن، فالقول ما قال المرتهن؛ لأنه لو شاء لجحده الرهن»[(٣)].

قلت: وهذا قول ثالث في المسألة، وهو من أحسن الأقوال، فإن إقراره بالرهن – وهو في يده ولا بينة للراهن – دليل على صدقه، وأنه محق، ولو كان مبطلًا لجحده الرهن رأسًا»[(٤)].

□ وقال إبراهيم بن مرزوق البصري: «جاء رجلان إلى إياس بن معاوية، يختصمان في قطيفتين: إحداهما حمراء، والأخرى خضراء، فقال

---

(١) «تهذيب الكمال» (٣/ ٤٢١).
(٢) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨٠- ٨١).
(٣) «تهذيب الكمال» (٣/ ٤٢١).
(٤) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨١)، وانظر «الموطأ» (٧٣٢)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٨٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٣٤٥).

أحدهما: دخلت الحوض لأغتسل، ووضعت قطيفتي، ثم جاء هذا، فوضع قطيفته تحت قطيفتي، ثم دخل فاغتسل، فخرج قبلي، وأخذ قطيفتي فمضى بها، ثم خرجت فتبعته، فزعم أنها قطيفته، فقال: ألك بينة؟ قال: لا. قال: ائتوني بمشط، فأتي بمشط، فسرح رأس هذا، ورأس هذا، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر، ومن رأس الآخر صوف أخضر، فقضى بالحمراء للذي خرج من رأسه الصوف الأحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه الصوف الأخضر»[(١)].

□ وقال أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن مصعب: «أن معاوية بن قُرَّة شهد عند ابنه إياس بن معاوية – مع رجال عدَّلهم – على رجل بأربعة آلاف درهم، فقال المشهود عليه: يا أبا وائلة، تَثَبَّت في أمري، فوالله ما أشهدتهم إلَّا بألفين. فسأل إياس أباه والشهود: أكان في الصحيفة التي شهدوا عليها فضل؟ قالوا: نعم، كان الكتاب في أولها والطينة[(٢)] في وسطها، وباقي الصحيفة أبيض. قال: أفكان المشهود له يلقاكم أحيانًا، فيذكركم شهادتكم بأربعة آلاف درهم؟ قالوا: نعم، كان لا يزال يلقانا، فيقول: اذكروا شهادتكم على فلان بأربعة آلاف درهم، فصرفهم، ودعا المشهود له. فقال: يا عدو الله، تغفلت قومًا صالحين مغفلين، فأشهدتهم على صحيفة جعلت طينتها في وسطها، وتركت فيها بياضًا في أسفلها، فلمَّا ختموا الطينة قطعت الكتاب الذي فيه حقك ألفا درهم، وكتبت في

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨٣) و«أخبار القُضاة» (١/ ٣٨٨)، و«تهذيب الكمال» (٣/ ٤٢٣).

(٢) الطينة: ختم الكتاب «القاموس» (١٥٦٦).

البياض أربعة آلاف فصارت الطينة في آخر الكتاب، ثم كنت تلقاهم فتلقنهم، وتذكرهم أنها أربعة آلاف، فأقر بذلك، وسأله الستر عليه. فحكم له بألفين وستر عليه»[١].

□ وقال نعيم بن حماد عن إبراهيم بن مرزوق البصري: «كنا عند إياس بن معاوية، قبل أن يُستقضى، وكنا نكتب عنه الفراسة، كمَا نكتب عن المحدث الحديث، إذ جاء رجل، فجلس على دكان مرتفع بالمِرْبَد[٢]، فجعل يترصد الطريق، فبينمَا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلًا، فنظر إلى وجهه، ثم رجع إلى موضعه، فقال إياس: قولوا في هذا الرجل، فقالوا: ما نقول؟ رجل طالب حاجة. فقال: هو معلم صبيان، قد أبق[٣] له غلام أعور، فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته، فقال: هو غلام لي آبق. قالوا: وما صفته؟ قال: كذا وكذا، وإحدى عينيه ذاهبة، قلنا: وما صنعتك؟ قال: أعلِّم الصبيان. فقلنا لإياس: كيف علمت ذلك؟ قال: رأيته جاء، فجعل يطلب موضعًا يجلس فيه، فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه، فنظرت في قَدْره فإذا ليس قدره قدر الملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك، فلم أجدهم إلَّا المعلمين، فعلمت أنه معلم صبيان، فقلنا: كيف علمت أنه أبق له غلام؟ قال: إني رأيته يترصد الطريق، ينظر في وجه الناس. قلنا: كيف علمت أنه أعور؟ قال: بينمَا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلًا قد ذهبت إحدى عينيه،

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨٤- ٨٥).

(٢) سوق الإبل في البصرة «معجم البدان» (٥/ ١١٥).

(٣) أبق العبد: إذا هرب من سيده «المصباح المنير» (٢)، و«القاموس المحيط» (١١٦).

فعلمت أنه شبهه بغلامه»[(١)].

□ وقال الحارث بن مرة: «نظر إياس بن معاوية إلى رجل، فقال: هذا غريب، وهو من أهل واسط، وهو معلم، وهو يطلب عبدًا له أبق. فوجدوا الأمر كمَا قال. فسألوه؟ فقال: رأيته يمشي ويلتفت، فعلمت أنه غريب، ورأيته وعلى ثوبه حمرة تربة واسط فعلمت أنه من أهلها، ورأيته يمر بالصبيان فيسلم عليهم ولا يسلم على الرجال، فعلمتُ أنه معلم، ورأيته إذا مر بذي هيئة لم يلتفت إليه، وإذا مر بذي أسمال تأمله، فعلمت أنه يطلب آبقًا»[(٢)].

□ وقال هلال بن العلاء الرقي عن القاسم بن منصور عن عمر بن بكير: «مرَّ إياس بن معاوية، فسمع قراءة من عِلِّية، فقال: هذه قراءة امرأة حامل بغلام، فسئل، كيف عرفت ذلك؟ فقال: سمعت صوتًا ونفسها يخالطه، فعلمت أنها حامل وسمعت صوتًا وصحلًا[(٣)]، فعلمت أن الحمل غلام، ومرَّ بعد ذلك بكتَّاب فيه صبيان، فنظر إلى صبي منهم، فقال: هذا ابن تلك المرأة فكان كمَا قال»[(٤)].

□ قال سفيان بن حسين: «ذكرت رجلًا بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا! قال: السند والهند

---

(١) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨٦)، وانظر: «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٢)، و«تهذيب الكمال» (٣/ ٤٢٦)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٢٦).
(٢) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨٧).
(٣) صحل صوته: بحّ أو احتد «القاموس المحيط» (١٣٢١).
(٤) «الطرق الحكمية» (٢/ ٨٧- ٨٨)، و«تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٢)، و«أخبار القضاة» (١/ ٢٦٢)، و«تهذيب الكمال» (٣/ ٣٢٨)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٢٥).

والترك؟ قلت: لا. قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعدها».

وقال الأصمعي عن أبيه: «رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني وإذا هو أحمر طويل الذراع غليظ الثياب يلون عمامته وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلَّا علاه».

وقد قال له بعضهم: ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك، فقال: بحق أتكلم أم بباطل؟ فقيل: بل بحق، فقال: كلمّا كثر الحق فهو خير».

ولامه بعضهم في لباسه الثياب الغليظة فقال: «إنمَا ألبس ثوبًا يخدمني ولا ألبس ثوبًا أخدمه».

وقال الأصمعي: «قال إياس بن معاوية: إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه».

□ وقال بعضهم: «سأل رجل إياسًا عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فأخبرني عن المَاء؟ فقال: حلال، قال: فالسكر، قال: حلال، فالتمر قال: حلال، قال: فما باله إذا اجتمع حرم؟ فقال إياس: أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التبن؟ قال: لا توجعني، قال: فهذه الغرفة من المَاء؟ قال: لا توجعني شيئًا، قال: أفرأيت إن خلطت هذه بهذا، وهذا بهذا حتى صار طينًا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أيوجعك؟ قال: أي والله وتقتلني، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت»[١].

---

(١) «فراسة المؤمن» (١/ ٩٣- ٩٤) و«المختار من نوادر الأخبار» للمقري (ص ٢٠٠، ٢٠١).

□ وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض، فقال: تحت هذا دابة، فنظروا فإذا حية، فقيل له: من أين علمت؟ قال: رأيت ما بين الآجُرَّتين نديًا من بين جميع تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئًا يتنفس»[١].

□ وقال الجاحظ: «وحج إياس فسمع نباح كلب، فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمع نباحه، فقال: قد أُرسل، فانتهروا إلى المَاء فسألوهم فكان كمَا قال، فقيل له: من أين علمت؟ قال: كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد، ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى»[٢].

□ ومرّ إياس ليلة بمَاء فقال: «اسمع صوت كلب غريب، فقيل له: كيف عرفته. قال: بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين. فسألوا: فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه»[٣].

فراسة القاضي أبو حازم[٤]:

وكان القاضي أبو خازم له في ذلك العجب العُجاب، وكانوا ينكْرون عليه، ثم يظهر الحق فيمَا يفعله.

□ قال مُكرِّم بن أحمد: «كنت في مجلس القاضي أبي خازم فتقدم

---

(١) «وفيات الأعيان» (١/ ٢٤٨)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٣٣٥)، و«الحيوان» للجاحظ.

(٢) «الأذكياء» (ص٧٦).

(٣) «وفيات الأعيان» (١/ ٢٢٤).

(٤) هو عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني الحنفي القاضي أبو خازم- بالخاء المعجمة- انظر «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٣٩).

رجل شيخ ومعه غلام حَدَثٌ، فادعى الشيخ عليه ألف دينار دينًا، فقال: ما تقول؟ قال: نعم. فقال القاضي للشيخ: ما تشاء؟ قال: حبسه، قال: لا، فقال الشيخ: إن رأى القاضي أن يحبسه فهو أرجى لحصول مالي. فتفرس أبو خازم فيهمَا ساعة. ثم قال: تلازما حتى أنظر في أمركمَا في مجلس آخر، فقلت له: لم أخرت حبسه؟ فقال: ويحك، إني أعرف في أكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه المحق من المبطل، وقد صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطئُ، وقد وقع لي أن سمَاحة هذا بالإقرار عين كذبه ولعله ينكشف لي من أمرهما ما أكون معه على بصيرة، أما رأيت قلة تغاضبهمَا في المناكرة، وقلة اختلافهما، وسكون طباعهمَا مع عظم المَال؟ وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع حتى يُقِرَّ مثل هذا طوعًا عجلًا، منشرح الصدر على هذا المَال، قال: فبينمَا نحن كذلك نتحدث إذ أتى الآذن يستأذن على القاضي لبعض التجار، فأذن له، فلمَّا دخل قال: أصلح الله القاضي، إني بليت بولد لي حدث يُتْلِف كل مال يظفر به من مالي في القيان [1] عند فلان. فإذا منعته احتال بحيل تضطرني إلى التزام الغرم عنه. وقد نصب اليوم صاحب القيان يطالب بألف دينار دينًا حالًّا، وبلغني أنه تقدم إلى القاضي ليقرَّ له فيحبسه، وأقع مع أمه فيمَا ينكد عيشنا إلى أن أقضي عنه، فلمَّا سمعت بذلك بادرت إلى القاضي لأشرح له أمره، فتبسم القاضي، فقال: عليَّ بالغلام والشيخ. فأرهب أبو خازم الشيخ، ووعظ الغلام. فأقرَّا، فأخذ الرجل ابنه وانصرفا» [2].

---

(١) القيان: جمع قَيْنَة هي الأمة مغنِّية كانت أو غير مغنِّية.

(٢) «الطرق الحكمية» (٢/ ٧٠- ٧١)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٦٦)، و«تاريخ =

□ وروي أن رجلًا جاء إلى أبي حازم فقال له: «إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني. فقال له أوَيس قد طلقتها؟ قال: لا. قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلَّا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كمَا حلفت لي وأنت في عافية!!»[(١)].

فراسة ابن النسوي:

□ قال الشيخ: «حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقري قال: كان حاجب باب ابن النسوي ذكيًا، فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت براده، فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجلًا وامرأة، فقيل له: من أين علمت هذا؟ قال: في الشتاء لا يبرد المَاء، وإنمَا هذه علامة بين هذين».

□ وبه حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه قال: «حدثني أبي قال: جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتُهمَا بالسرقة فأقامهمَا بين يديه، ثم قال: شربة ماء فجاء بها، فأخذ يشري ثم ألقاها من يده عمدًا فوقعت فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج: اذهب أنت، وقال للآخر: رد ما أخذت، فقيل له من أين علمت؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج وهذا المنزعج بريء لأنه لو تحركت في البيت فأرة لازعجته ومنعته أن يسرق»[(٢)].

□ قال ابن الجوزي وذكر بعض مشايخنا: «أن رجلًا من جيران ابن

دمشق» (٣٤/ ٨٤)، و«السير» (١٣/ ٥٤٠).

(١) «فراسة المؤمن» (ص١٠٤).

(٢) «الأذكياء» (ص٧١)، و«فراسة المؤمن» (١٠٥).

النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف، فقال له ابن النسوي: كُلْ. فامتنع، فقال: كأنني بك وأنت تقول من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُلْ، فمَا أكلت قط أحل من هذا. قال بحكم المداعبة: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال:إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم، فقال: كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: من؟ فقالت: امرأة تستأذن، فأذن لها، فدخلت فأكبت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليَّ وما يقربني والأولاد يطلبونه، فضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي وتلك ليلة، فقلت لها: صناعته؟ فقالت: خباز، قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، ويعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنت بنت من؟ فقالت: بنت فلان، قلت: فمَا اسم بناتك؟ قالت: فلانة وفلانة.. قلت: أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى، فقالت: هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت: خذي شقتك وانصرفي. فمضت فبعثت إليه اثنين وقلت: احضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك إنمَا استدعيتك لأعطيك كرا طعام وعمالته تقيمه خبزًا للرحالة، فسكن روعه وقال: ما أريد له عمالة. قلت: بلى. صديق مخسر عدو مبين. أنت مني وإليَّ. كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير، قلت: الله الله لا أحتاج أن أوصيك بها لا تضيق صدرها فقبل يدي، فقلت: امض إلى دكانك وإن كانت لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلمَّا كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت، وكان هذا الصحن معها وأقسمت

عليَّ بالله أن لا أرده، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا ترده، فهل هو حلال؟ فقال: والله ما في الدنيا أحل من هذا. قال: فكُلْ، فأكل»[١].

فراسة أبي حنيفة:

□ عن أبي يوسف قال: «دعى المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة: «يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدَّك، كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلَّا متصلًا باليمين، فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين: إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمَانهم؛ فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة، فلمَّا خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي. قال: لا. ولكنك أردت أن تشيط بدمي، فخلصتك وخلصت نفسي!!»[٢].

□ وعن عبد الواحد بن غياث قال: «كان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه؟ قال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال: بالحق. قال: انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه،

---

(١) «فراسة المؤمن» (ص١٠٥- ١٠٧)، و«الأذكياء» (ص٧١).

(٢) «وفيّات الأعيان» (٥/ ٤١١).

ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته».

□ وعن علي بن عاصم قال: «دخلت على أبي حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض لا تزد. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه يكثر، فتتبع مواضع السواد لعله يكثر»[١].

□ وعن يحيى بن جعفر قال: «سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلَّا بخمسة دارهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت: يا أعرابي، ما رأيك في السويق؟ فقال: هات. فأعطيته سويقًا ملتوتًا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة. قلت: بخمسة دارهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاستزددت الخمسة وبقي معه المَاء»[٢].

□ وعن عبد المحسن بن علي قال: «ذكر أبو حنيفة وفطنته، فقال استودع رجل من الحجاج رجلًا بالكوفة وديعة، فحج ثم رجع، فطلب وديعته، فأنكر المستودع وجعل يحلف له، فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره، فقال: لا تعلم أحدًا بجحوده. قال: وكان المستودع يجالس أبا حنيفة، فخلا به وقال له: إن هؤلاء قد بعثوا يستشيرونني في رجل يصلح للقضاء. فهل تنشط؟ فتمَانع الرجل قليلًا، وأقبل أبو حنيفة يرغبه فانصرف على ذلك وهو طمع، ثم جاء صاحب الوديعة، فقال له أبو

---

(١) «حدائق الأزاهر» للأندلسي (٩٩)، وانظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٤١٢)، و«فراسة المؤمن» (ص١٠٨).

(٢) «ثمرات الأوراق» لابن حجة (ص١٢٠).

حنيفة: اذهب إليه وقل له: أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا. قال: فذهب الرجل فقال له: فدفع إليه الوديعة، فلمَّا رجع المستودع قال أبو حنيفة: إني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا»[١].

□ وعن ابن الوليد قال: «كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده، فقال يومًا لأبي حنيفة: إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة، وقد خطبت إليهم، وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج، فقال أبو حنيفة: فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك فأجابهم إلى ما طلبوه فلمَّا عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة، فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أبو أن يحملوها إلَّا بعد وفاء الدين كله فمَاذا ترى؟ قال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك اقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه، فلمَّا دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وإنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فاكترى جملين وجاء بهمَا وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وأنه يريد حمل أهله بعد، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة ليسألوه ويتسعينوه في ذلك، فقال لهم أبو حنيفة: له أن يخرجها حيث شاء. قالوا له: ما يمكننا أن ندعها تخرج. فقال لهم أبو حنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوه إلى

---

(١) «الأذكياء» (ص٨٧)، و«فراسة المؤمن» (ص١٠٩).

ذلك. فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه، فقال له الفتى: وأنا أريد منهم شيئًا آخر فوق ذلك، فقال أبو حنيفة: أيمَا أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك، وإلَّا أقرت المرأة لرجل يدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال، فقال الرجل: الله الله لا يسمعوا بهذا، فلا آخذ منهم شيئًا، فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر»[١].

□ وعن أحمد بن الدفاق قال: «بلغني أن رجلًا من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج، فقال أهل المرأة: نسأل عنه أبا حنيفة، فأوصاه أبو حنيفة، فقال: إذا دخلت عليَّ فضع يدك على ذكرك، ففعل ذلك، فلمَّا سألوه عنه قال: قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم».

□ وبلغنا أن رجلًا جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالًا في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة: «ليس هذا فقهًا فأحتال لك فيه، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى[٢]، ففعل الرجل ذلك، فلم يمض إلَّا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ!».

□ قال: وبلغنا أن رجلًا ابتلي بمحبة امرأة، فأتى أبا حنيفة، فأخبره أن ماله قليل، وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه، فقال له أبو حنيفة: أتبيعني

---

(١) «الأذكياء» (ص٨٧، ٨٨).

(٢) «وفيات الأعيان» (٥/ ٤١١)، و«فراسة المؤمن» (ص١١١).

أحليلك بأثني عشر ألف درهم؟ قال: لا. قال: فأخبر القوم أني أعرفك، فمضى فخطبها، فقالوا: من يعرفك، فقال أبو حنيفة، فسألوا أبا حنيفة عنه، فقال: ما أعرفه إلَّا أنه حضر عندي يومًا فساوم في سلعة له باثني عشر ألف درهم، فلم يبع، فقالوا: هذا يدل على أنه ذو مال، فزوجوه، فلمَّا تيقنت المرأة حاله قالت: لا يضيق صدرك وهذا مالي بحكمك، ثم مضت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها فقالت: فتوى، فدخلت فأسفرت عن وجهها، فقال: تستري، فقالت: ما يمكن قد وقعت في أمر لا يخلصني منه إلَّا أنت. أنا بنت هذا البقال الذي على رأس الدرب، وقد بلغت عمرًا واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجني، ويقول لمن يخطبني: ابنتي عوراء قرعاء شلاء، ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها. ويقول ابنتي زمنة وكشفت عن ساقيها وأريد أن تدبرني، فقال: ترضين أن تكوني لي زوجة؟ فقبلت قدميه، وقالت: من لي بغلامك، فقال: امضي في دعة الله، فخرجت، فحضر البقال ودفع إليه خمسين دينارًا وقال: زوجني ابنتك. فكتب كتابًا بمئة دينار، فقال البقال: يا سيدي، استر ما ستر الله أنا لي بنت أزوجك. قال: دع هذا عنك، رضيت بابنتك القرعاء الشلاء الزمنة، فزوجه على المئة والخمسين ومضى، فحدث زوجته فقالت: والله لا كان إلَّا يكون هذا إلَّا على يد أبي حنيفة، فلمَّا كان عشية تلك الليلة أجلسها أبوها في صن وحملها بينه وبين غلامه، فلمَّا رآها أبو حنيفة قال: ما هذا؟ فقال البقال: أشهد على أمها إن كانت لي بنت غيرها، فقال أبو حنيفة: هي طالق ثلاثًا أعد عليَّ الكتاب، ثم جاءت تلك المرأة إليه، فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقالت: وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير».

□ وقال أبو حنيفة: «خدعتني امرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت: احتفظ به حتى يجيء صاحبه!!».

□ ومن المنقول عن بعض الفقهاء، جاء رجلٌ إلى أبي حنيفة فقال له: «إذا نزعتُ ثيابي ودخلتُ النهر اغتسل، فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى ثيابك لئلا تسرق!!»[١].

فراسة الإمام الشافعي:

□ قال الحميدي: قال الشافعي رحمه الله: «خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة؛ حتى كتبتها وجمعتها. ثم لمَّا حان انصرافي، مررت على رجل في طريقي: وهو مُحْتَبٍ بفناء داره، أزرق العينين. ناتئ الجبهة، سناط [٢]. فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم. قال الشافعي: وهذا النعت أخبث ما يكون، في الفراسة – فأنزلني، فرأيت أحرم رجل: بعث إليَّ بعشاء وطيب، وعلف لدابتي، وفراش ولحاف. فجعلت أتقلب الليل أجمع: ما أصنع بهذه الكتب؟-: إذ رأيت هذا النعت، في هذا الرجل، فرأيت أكرم رجل- فقلت: أرمي بهذه الكتب». فلمَّا صبحت، قلت للغلام: أسرج؛ فأسرج، فركبت ومررت عليه وقلت له: إذا قدمت مكة، ومررت بذي طوى [٣] فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي.

---

(١) «المراح والمزاح» للغزي (ص٥٣)، و«فراسة المؤمن» (ص١١٢).

(٢) سناط: هو الكوسج الذي لا لحية له أصلا. انظر «مختار الصحاح».

(٣) ذو طوىٰ: واد بقرب مكة علىٰ نحو فرسخ، ويعرف في وقتنا بالزاهر في طريق التنعيم.

فقال لي الرجل: أمولًى لأبيك أنا؟!. قلت: لا.

قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟! فقلت: لا.

فقال: أين ما تكلفت لك البارحة؟ قلت: وما هو؟

قال: أشتريت لك طعامًا بدرهمين؛ وإدامًا بكذا؛ وعطرًا بثلاثة دراهم؛ وعلفًا لدابتك بدرهمين، وكراء الفراش واللحاف درهمان.

قال: قلت: يا غلام؛ أعطه، فهل بقي من شيء؟

قال: كراء المنزل؛ فإني وسعت عليك، وضيقت على نفسي.

قال الشافعي: «فغبطت نفسي بتلك الكتب فقلت له بعد ذلك: هل بقي من شيء؟ قال: امضِ؛ أخزاك الله. فما رأيت قط شرًّا منك.

فقال الشافعي في نفسه: لقد عظم اعتقادي في تلك الأجزاء التي جمعتها في علم الفراسة وتيقنت أن هذا العلم حق»[1].

□ وقال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي فجاءه رجل برقعه كتب فيها:

سل المفتي المكي هل في تزوارٍ ونظرة[2] مشتاق الفؤاد جناح

فأجابه الشافعي:

معاذ إله العرش أن يُذْهب التُّقى تلاحُقُ أكبادٍ بهنّ جراح

قال: الربيع فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا. فقلت:

(١) «فراسة المؤمن» (ص١١٣- ١١٤) وانظر «الحلية» (١٤٤)، و«مفتاح دار السعادة» (ص٥٦٧)، و«توالي التأسيس» (ص٥١)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٥٨٢- ٥٨٣).

(٢) وفي رواية: ضمّة.

يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب؟ فقال: لي يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر يعني شهر رمضان، وهو حدث السنّ. فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطئ، فأفتيته بهذا. قال الربيع: فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي.

قال: فمَا رأيت فراسة أحسن منها»(١).

□ ويروى أن رجلًا راح يفحص النائمين واحدًا إثر الآخر. فقال الشافعي لتلميذه البار الربيع المزني: قم واذهب لهذا الرجل وقل له: إنه يبحث عن عبد أسود مصاب بمرض في إحدى عينيه. قال الربيع: فقمت ونفذت الأمر فقال الرجل: نعم، هذا صحيح. وبعدها ذهب الرجل إلى الشافعي وسأله: أين عبدي؟ ابحث عنه في السجن، فإنه هناك. فرحل الرجل ووجد عبده بالفعل في السجن، فخاطب الربيع الشافعي قائلًا: اشرح لي هذا الذي حدث لأنك سببت لنا حيرة.

أجاب قائلًا: رأيت رجلًا يدخل من باب الجامع ويلف حول النائمين، قلت: إنه يبحث عن هارب. وحين اقترب من السود وتجاهل البيض، قلت: أحد عبيده السود قد فر هاربًا، وحين رأيته يتفحص العين اليسرى، استنبطت أن العبد لا بد أن يكون مصابًا بمرض في عينه، قلنا له: وكيف عرفت أنه في السجن. أجاب مطبقًا «الحديث» على العبيد «**إذا جاعوا سرقوا وإذا شبعوا نكحوا**» واستنبطت أنه لا بد أن يكون قد اقترف

---

(١) «فراسة المؤمن» (ص١١٥).

أحد هذين الجرمين، وأنتم ترون الآن أنه كذلك»[(١)].

□ ويروى أن الشافعي ومحمد بن الحسن كانا جالسين بفناء الكعبة فدخل رجل من باب المسجد فقال أحدهما أراه نجارًا، وقال الآخر: بل حدادًا فتبادر من حضر إلى الرجل فسألوه فقال لهم: كنت نجارًا وأنا الآن حدادًا»[(٢)].

□ وعن حرملة بن يحيى: «سمعت الشافعي وقد سأله رجل فقال: حلفت بالطلاق إن أكلت هذه الثمرة أو رميت بها. قال: تأكل نصفها وترمي نصفها!!»[(٣)].

فراسة يحيى بن أكثم:

□ ذكر أبو يعلى عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي سمعت أبي يقول: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنه عشرون أو نحوها، فقال له أحدهم: كم سنو القاضي؟ قال: فعلم أنه قد استصغر. فقال له: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وَجَّه به النبي ﷺ قاضيًا على أهل مكة يوم الفتح. وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضيًا إلى أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيًا على أهل البصرة»[(٤)].

---

(١) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي، و«توالي التأسيس» لابن حجر، و«فراسة المؤمن» (ص١١٦).
(٢) «فراسة المؤمن» (ص١١٦).
(٣) الهامش السابق.
(٤) «وفيات الأعيان» (٦/ ١٥١).

فراسة الليث بن سعد:

□ عن أبي علي الحسن بن مليح الطرائفي بمصر، حدثنا لولو الخادم -خادم الرشيد- قال: «جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاه في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتمَّا جميعًا بهذا اليمين، ونزلت بهمَا مصيبة لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذا اليمين فلم يجد منها مخرجًا، ثم كتب إلى سائر البلدان من عماله إن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلمَّا اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، وكنت واقفًا بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بمَا شاء فيه، فسألهم عن يمينه، وكنت المعبر عنه، وهل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد في من أشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، وهارون يراعي الفقهاء واحدًا واحدًا.. فقال له: بقى ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، فقلت له: إن أمير المؤمنين يقول: مالك لا تتكلم كمَا تكلم أصحابك؟.

فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال: إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم، ولمَا أحضرت هذا المجلس، فقال: يخلي أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك.

فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، ثم قال: تكلم، فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة إلَّا هذا الغلام وليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان

وعلى طرح التعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به؟ .. قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين. فقرأ. فلمَّا بلغ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ قال: قف يا أمير المؤمنين ها هنا.. فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين: والله.. فاشتد على الرشيد وعليَّ ذلك.. فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه – وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب– ثم رفع هارون رأسه فقال: والله، قال: الذي لا إله إلَّا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين: تخاف مقام الله.. قال هارون: إني أخاف مقام الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان وليست بجنة واحدة كمَا ذكر الله تعالى في كتابه، فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد. ثم قال هارون: يا شيخ اختر ما شئت وسل ما شئت تجب فيه. فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك.. فقال: وهذا الخادم.

فقال: يا أمير المؤمنين، والضياع التي لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إليَّ لأنظر في أمورها. قال: بل نقطعك إقطاعًا..

فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد من هذا شيئًا بل تكون في يدي لأمير المؤمنين فلا يجري على حيف العمَال وأعز بذلك.

فقال: لك ذلك، وأمر أن يكتب له ويسجل بمَا قال، وخرج من بين

يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم. وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه فاستأذن في الرجوع إلى مصر فحمل مكرمًا»[١].

فراسة أبي بكر الباقلاني:

◻ عن الحسين بن عثمان وغيره: «أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلمَّا ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملك في أمره، وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كمَا جرى رسم الرعية أن يقبِّل الأرض بين يدي الملك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه، إلَّا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تفكيره بين يديه، فلمَّا وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذٍ إلى الملك فعلم الملك من فطنته وهابه»[٢].

فراسة ابن الجوزي رحمه الله:

◻ كان رحمه الله له ذهن وقّاد وجواب حاضر يدلُّ على علو همة في الفراسة والفطنة: «سمع ابن الجوزي من بعض أهل العلم أن الخليفة المستضيء بالله قد غضب على إنسان من حاشيته فأراد أن يعاقبه فهرب، فلزم أخاه، فصادر الخليفة الأخ، وأخذ ماله، فشكى المصادر إلى ابن

---

(١) «وفيات الأعيان» (٤/ ٥٤٩)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٨٠ - ١٨١)، و«ترتيب المدارك» (٤/ ٦٠٠).

الجوزي، وذكر له القضيّة فقال له: إذا انقضى مجلس وعظي فقم قدّامي حتى تذكرني، وكان الخليفة يسمعُ وعظَه من خلف السِّتْر، فلمَّا كان أوّل مجالسهم للوعظ بعد ذلك وانقضى المجلس قام ذلك الإنسان المصادر فلمَّا رآه الشيخ أبو الفرج أنشد مُعَرِّضًا بكون البريء لا يُؤاخذ بذنب الجريء مُحَرِّضًا الخليفة على العدل والإحسان، وأن يُعاد المَال المأخوذ على ذلك الإنسان فقال:

قفي ثم أخبرينا يا سعادُ بذنب الطرف لم سُلِبَ الفؤادُ
وأي قضية حكمت إذا ما جنى زيد به عمرو يقادُ؟؟
يعاد حديثكم فيزيد حسنًا وقد يستحسن الشيء المعاد

فقال الخليفة المستضيء بالله من وراء الستر: يعاد، يعني المال، فأعيد على ذلك الشخص ماله وانجبر حاله[(١)].

ويدلُّ هذا أيضًا على علو فراسة الخليفة وفطنته.

فراسة الشيخ ياسين الزركشي في الإمام النووي:

□ يقول الشيخ ياسين الزركشي: «رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى[(٢)]، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي حبه، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن؟!.

قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن توصية به، وقلت له: هذا الصبي، يرجى أن يكون أعلم زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي منجم

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٢٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي.
(٢) بلدة من أعمال حوران، بينها وبين دمشق منزلان.

أنت؟ فقلت: لا، وإنمَا انطقني الله بذلك، فذكر ذلكم لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن، وقد ناهز الاحتلام»[١].

فراسة سلطان العلماء العز بن عبد السلام:

□ جاء شخص إلى سلطان العلمَاء العزِّ بن عبد السلام وقال له: «رأيتك في النوم تُنْشِدُ:

وكنتُ كذي رِجْلَيْنِ رجل صحيحة ورجل رَمى فيهـا الزمـانُ فَـشُلَّتِ

فسكت ساعة ثم قال: أعيش من العمر ثلاثًا وثمانين سنة فإن هذا الشعر لكثير عزة، ولا نسبةً بيني وبينه غير السن أنا سني وهو شيعي، وأنا لست بقصير وهو قصير، ولست بشاعر وهو شاعر، وأنا سلمي وهو ليس بسلمي، لكنه عاش هذا القدر، قلت فكان الأمر كمَا قال رحمه الله»[٢].

علو فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية:

□ قال شيخ الإسلام قيم الجوزية عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لقد شاهدتُ من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورًا عجيبة وما لم أشاهده منها أعظمُ وأعظمُ ووقائع فراسته تستدعي سِفْرًا ضخمًا..

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمئة، وأن جيوش المسلمين تُكْسَر، وإن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وإن كَلَب الجيش وحدته في الأموال.. وهذا قبل أن يِهِمّ التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنين وسبعمئة لمَا تحرك التتار وقصدوا

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٣٩٦- ٣٩٧).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٤٥- ٢٤٦).

الشام، أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم في القطيعة، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك.

وكان الشيخ تقي الدين يحلف للأمراء والناس أنكم في هذه الكره منصورون، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

وسمعته يقول ذلك. قال: فكلَّمَا أكثروا عليّ قلت: لا تكثروا كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنكم منصورون في هذه الكره. وإن النصر لجيوش الإسلام.

قال: وأطمعت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

وكانت فراسته الجزئية في هاتيْن الواقعتين مثل المطر وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وهذه الوقعة – المعركة- هي وقعة شقحب. وكانت فراسته رحمه الله كالمطر.. فقد حصل النصر للمسلمين. ولله الحمد والمنة».

«ولمَّا طُلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله – بعدما أنضجت له القدور، وقلبت له الأمور من المناوئين والحاسدين، اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك. فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدًا. قالوا: أتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي.

ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس».

□ ولمَّا تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك. وقالوا: الآن بلغ مراده منك. فسجد لله شكرًا وأطال. فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذُلِّه ومفارقة عزِّه من الآن، وقلب زوال أمره. فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تُغلب دولته. فوقع الأمر مثل ما أخبر به.

□ قال ابن القيم: «وقال مرة: يدخل عليَّ أصحابي أو غيرهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أمورًا لا أذكرها لهم. فقلت له - أو غيري - لو أخبرته؟ فقال: أتريدون أن أكون معرفًا كمعرف الولاة؟ وقلت له يومًا: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح. فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال: شهرًا».

□ وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي ممَا عزمت عليه ولم ينطق به لساني.

□ وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يُعَيِّن أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها. وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم»(١).

فراسة الأصمعي وفطنته:

□ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: «بعث إليّ الرشيد، فدخلتُ فإذا صَبيَّة، فقال: مَن هذه الصَّبيَّة؟ قلت: لا أدري. قال:

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٩ - ١٩٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٢٤ - ٢٦).

هذه مواساة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله. قال: نعم، فقبل رأسها، فقلت: إن أطعته أدركته الغيرة، فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية، فوضعت كمي على رأسها وقبلت كمي، فقال: والله يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك. أعطوه عشرة آلاف درهم»[١].

ذكاء البخاري وفطنته:

□ قال الحافظ أبو أحمد بن عدي: «سمعت عدة مشايخ يحكون: أن محمد بن إسمَاعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث: فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه؛ فعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر. ودفعوا إلى عشرة أنفس: إلى كل رجل عشرة أحاديث؛ وأمورهم إذا حضروا المجلس: أن يلقوا ذلك على البخاري. وأخذوا الموعد للمجلس. فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء – من أهل خراسان وغيرها– ومن البغدادين. فلمَّا اطمأن المجلس بأهله: انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث. فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فمَا زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته؛ والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفقهاء ممن حضر المجلس، يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم. ومن كان منهم غير ذلك، يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث

(١) «الأذكياء» (ص١٣٦).

من تلك الأحاديث المقلوبة. فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فلم يزال يلقي عليه واحدًا بعد آخر، حتى فرغ من عشرته؛ والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمَام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة؛ والبخاري لا يزيدهم على «لا أعرفه». فلمَّا علم البخاري أنهم قد فرغوا: التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا؛ وصوابه كذا وحديثك الثاني قلت: كذا، وصوابه كذا، والثالث والرابع؛ على الولاء[1]، حتى أتى على تمَام العشرة. فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه. وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها. فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل». وذكر مختصرًا في مفتاح السعادة.

□ قال الحافظ ابن حجر: «هنا يخضع للبخاري؛ فمَا العجب من رده الخطأ إلى الصواب: فإنه كان حافظًا. بل العجب من حفظه للخطأ –على ترتيب ما ألقوه عليه– من مرة واحدة» وقد وقع له أيضًا نحو هذا في كل من سمرقند والبصرة: ممَا تضمَّن فوائد أخرى جليلة»[2].

فطنة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

□ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله: أرأيت لو نزلت واديًا فيه شجر أكل منه، ووجدت شجرًا لم

---

(١) على الولاء: أي بالتوالي.

(٢) انظر: مقدمة «فتح الباري»، و«تاريخ بغداد» (٢/ ١٥- ١٦).

يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «**في التي لم يرتع منها**» تعني: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها»[(١)].

فراسة أسماء ذات النِّطَاقَيْن رضي الله عنها وفطنتها:

◻ عن عبد الله بن الزبير، عن أسمَاء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «لمَا توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمل أبو بكر جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فأتاني جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت. قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فعمدت إلى أحجار جعلتها في كوة البيت كان أبو بكر يحصل ماله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب، وقلت: ترك لنا هذا فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب، فقال: أما إذا ترك لكم هذا، فنعم، ولا والله ما ترك لنا قليلًا ولا كثيرًا»[(٢)].

◻ وعن ابن أبي الزناد قال: «كان عند أسمَاء بنت أبي بكر قميص رسول الله ﷺ فلمَّا قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيمَا ذهب وفيمَا انتهت، فقالت أسمَاء: للقميص أشد عليَّ من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أردّه أو تستغفر لي أسمَاء، فقيل لها: قالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله. قالوا: أفليس تريد القميص. قالت: قولوا له: فليجيء، فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه. فقالت: قبضت

---

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام»،و«البداية والنهاية»،و«السير» للذهبي.

القميص يا عبد الله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنمَا عنت عبد الله بن عروة»[١].

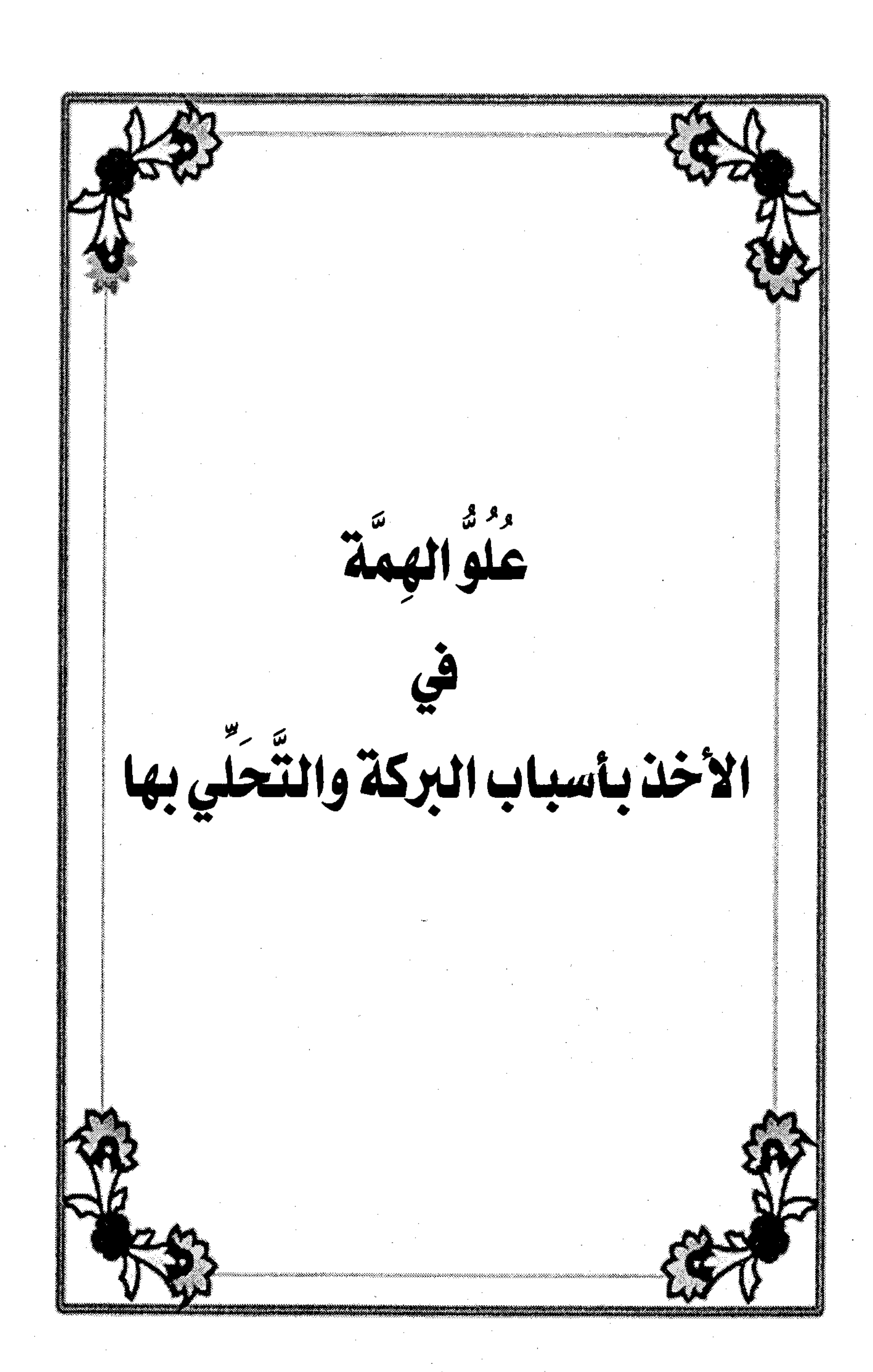
ونختم بفراسة الإمام زيد بن ثابت رضي الله عنه:

□ عن محمد بن سيرين قال: «حجَّ بنا الوليد، فمرَّ بنا على المدينة، فأدخَلَنا على زيد بن ثابت، ونحنُ سبعة وَلَدُ سيرين، فقال له: هؤلاء بنو سيرين، فقال زيد: هذان لأُمٍّ، وهذان لأمٍّ، وهذان لأمٍّ، وهذان من أمٍّ. قال: فمَا أخطأ»[٢].

---

(١) «فراسة المؤمن» (ص١٩٢ - ١٩٣).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٥٧)، وانظر «السير» ترجمة ابن سيرين (٤/ ٦٠٦-٦٢٢).



عُلُوُّ الهِمَّة
في
الأخذ بأسباب البركة والتَّحَلِّي بها



عُلُوُّ الهِمَّة في الأخذ بأسباب البركة والتَّحَلِّي بها

عُلاة الهمم مباركون أيْنَما حَلُّوا، وهم أحْرَصُ الناس على التمسُّك بأسباب البركة والأخذ بها:

علاة الهمم مبارَكون، وهم أولى الناس بقول القائل:

قومٌ كـرامُ الـسَّجايا أيـنما جلـسوا ... يبقـى المكـان عـلى آثـارهم عَطِـرًا

□ أو كما قال القائل:

تحيا بكـم كـل أرض تنزلـون بهـا ... كــأنَّكُمْ في بقــاعِ الأرض أمطــارُ

وتشتهي العين فيكم منظرًا حـسنًا ... كــأنكم في عيــون النــاس أقــمارُ

لا أوحشَ الله ربعًا مـن زيـارتكم ... يا مَن لهم في الحشا والقلب تـذكارُ

تغلغلت البركة في أعماق حياتهم فملأتها ثقة ويقينًا بقيمة الخير، وأثَّروا هم بأعمالهم الصالحة في الحياة بأسرها، وأثْرَوْها، وصبغوها من أرواحهم الطاهرة، وقلوبهم الطيبة الخيِّرة، فكثرت ينابيع الخير من آثارهم وأيديهم، بعد أن أسِنت الحياة بأدران المادة، وتكدَّر صفوها بمطامع غيرهم وجشعهم ودنسهم وآثامهم.

□ علاة الهمم مباركون امتد أثرهم الطيب في أجيال وأجيال وعبر قرون وقرون، أناس موتى، ولكن تحيا القلوب والأرواح بذكرهم.

مباركون، وليست بركتهم كلمة ينطق بها اللسان، أو تصافحها الآذان، أو تقع عليها الأعين، تنطقها حروفًا، أو نسمعها أصواتًا، أوْ نراها رسْمًا، وتبقى بعد ذلك خاوية من أي معنى أول مدلول.

□ ظهرت بركاتهم مألوفة واضحة تراها الأعين في علم يورث للأجيال، أو كرامات ومواعظ أثّرت في الآلاف من الناس فكانت الهداية بهذه المواعظ، أو كرامات، أو جلب أرزاق لعوام الناس كانوا هم سببه بدعائهم لربهم، أوْ بركات غير محسوسة، ولكن يستشعر الناس آثارها في أنفسهم ووجدانهم بقُربهم من هؤلاء المباركين علاة الهمم، تنعكس عليهم بالرضا والسكينة.

□ والبركة: زيادةٌ ونماءٌ، كثرةُ خيرٍ، وغزارةُ نفعٍ.

* قال تعالى لنبيه نوح عليه السلام أول رسول أُرسِل: ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨].

خليل الرحمن معلم الخير الأُمَّة المبارَك:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ..﴾ [النحل: ١٢٠].

والأمة هو الإمام معلم الخير العامل القدوة.

* وقال تعالى: ﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ۝١١٣﴾ [الصافات].

* أفاض الله على خليله ﷺ بركات الدين والدنيا بأن أكثرنا نسلهما وجعلنا منهم أنبياء ورُسُلًا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٢٧﴾ [العنكبوت].

* وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠﴾ [الصافات].

* وقال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ

﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١﴾ [مريم].

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

محمد رسول الله ﷺ المبارك:

علَّمنا ربنا تبارك وتعالى أن نُصَلِّي ونُسلم عليه في صلواتنا.. وهو المبارَك أينما كان.. بأبي هو وأمي..

إذا نحــنُ أدلجنــا وأنــت إمامنــا ... كفى بالمطايا طيــبُ ذكــرك حادِيـا

وإِنْ نحنُ أضللنا الطريقَ ولم نجِدْ ... ضـياءً كفانـا نـورُ وجهـك هاديـا

وإني لأستغــشى ومــا بي غَــشوة ... لَعَـلَّ خيـالًا منـك يلقـى خيالِيَـا

□ كانت البركة فيه ومعه وعنده ﷺ.

□ فكلامه مبارك، يقول الكلمة المُوجَزَة، فتحمل في طيَّاتها مِن العبر والعظات ما يَدْهَشُ لِرَوْعتها العقلُ حُسْنًا وبلاغةً، فلا أبْدَع، ولا أوجَزَ، ولا أعجزَ من هذا الكلام الباهي الزاهي..

كأنَّهُ الرَّوْض حَيَّتْهُ الـصَّبَا سَـحَرًا ... وزاره الغيــثُ فازدانــت خمائِلُــهُ

□ وَيُلْقِي الخُطبة، فيجعل الله فيها من النفع والتأثير والبركة ما يبقى صداه في الأجيال جيلًا بعد جيل.

□ والبركة في عمره ﷺ، فقد عاش ثلاثًا وعشرين سنة في إبلاغ رسالته ليس إلَّا، فكان في هذه الفترة الوجيزة من الفتح والنصر والنفع والعلم والإيمان والإصلاح ما لا يقوم به غيره في قرون ودهور، ففي

ثلاثٍ وعشرين سنة فحسْب، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وعَلَّم القرآن، ونَشَر السُّنَّة، وقضى على الكُفْرِ، وأسَّس دولة العدلِ، وأقام أعظم حضارة راشدة عرفتها الإنسانية.. فسبحان من بارك في لحظات عمُره ودقائق حياته..

مَـرَّتْ سـنينٌ بالـسُّعودِ وبالهَنَـا فكأنَّهَـا مِـن حُـسْنِها أيَّـامُ

• وبُورِكَ له في آثاره، فقد مَرَّ بصاحب قبريْن يُعذَّبان، أحدهما كان لا يتنزَّه من البول، والآخر كان يمشي بالنميمة بين الناس، فَشَقَّ ﷺ عصًا خضراء كانت معه وغرسها على القبريْن، وقال: «**أرجو أن يخفَّفَ عنها من العذاب حتى تيبسا**»(١).

□ ومَرِض علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالرَّمَدِ يوم خيبر، حتى أصبح لا يَرَى شيئًا، فنفث عليه النبي ﷺ فأبصر – بإذن الله – في الحال لبركة دعائه ونفثه ﷺ:

مَـرِض الحبيـبُ فزرْتُـهُ فَمَرِضـت مِـن خـوفي عليـه

وأتـى الحبيـبُ يـزورني فـشُفَيت مِـن نظـري إليـه

□ وكان الجيشُ في الخندق ألف رجلٍ، وقد بَلَغ بهم الجوع مبلغًا عظيمًا، فدعا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الرسول ﷺ وثلاثةً معهم على عَناقٍ من وَلَد الماعز ذَبَحها وشيءٍ من طعام الشعير، فدعا ﷺ الجيش جميعًا وسَبَقهم، ودَعَا على الطعام ونَفَث، ثم أدخلهم عَشرةً عَشَرة، فأكلوا جميعًا وشبعوا جميعًا، وبَقِي الطعام بحاله، ووُزِّع على أهل المدينة، فما بقي بيتٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦، ٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إلَّا دَخَلَه من ذلك الطعام..

✍ فلا إله إلَّا الله! يا لها من معجزة باهرة وآية ظاهرة على صِدقه وبركته ونبوَّته..

عُلُـــوٌّ في الحيـــاةِ وفي المـــماتِ ... بحـــقٍّ فيـــك كـــل المعجـــزاتِ

عليـــك تحيـــةُ الـــرحمن تَـــسْرِي ... بتبريـــكٍ غـــوادٍ رائحـــاتِ

□ وسافر معه جيشٌ قِوَامه ألفٌ وأربعمئة رجل، فانتهى ماؤهم وأشرفوا على الهلاكِ، وانقطعوا في البيداء، فدعا ﷺ بقِرْبَة صغيرة فيها قليل من ماءٍ، فصَبَّه على يده الشريفة الطاهرة المباركة، فثارت من بين أصابعه أنهارُ الماء، فملأ للناس أوعيتهم، وعَبَّؤُوا قِرَبَهم، وسَقَوا رواحلهم، وشَرِبوا وتوضؤوا، واغتسلوا جميعًا، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾ [الطور].

وأبيضُ يُستسقى الغـمام بوجهـه ... ثِـمالُ اليتـامى عـصمةٌ للأرامِـلِ

✍ فحيَّا الله ذاك الكَفَّ الطاهر المبارك الذي ما خان، ولا غَشَّ، ولا غدر، ولا نَهَب، ولا سَلَب، ولا سَرَق، ولا سَفَك..

يَــدٌ بيــضاءُ لــوْ مُــدَّتْ بليــلٍ ... عظــيم الهَــوْلِ أشرَقــتِ الليــالي

□ وزار سعدَ بن أبي وقَّاص رضي الله عنه وهو مريضٌ ملتهب الجسم، فوضع يَدَه المباركة على صدْر سعد، فوجَدَ بَرْدَها كالثَّلْج، فشُفِي بإذْن الله.

□ يقول سعدٌ رضي الله عنه بعد سنوات طويلة: «والله لكأني أجدُ بَرْدَها الآن على صدري».

□ ورَشَّ ﷺ بقيَّة وَضوئه على جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو مَريضٌ،

فَشُفِي بإذن الله، وحَلَق رأسه بمنًى يوم النَّحْر، فأعطى شِقَّه الأيمن أبا طلحة الأنصاري؛ لأن صوته في الجيش خيرٌ من ألف فارس جائزة له، والنِّصْف الآخَر وُزِّع على الناس، فكادوا يقتلون عليه، فمنهم من حَصَل عَلى شَعْرَةٍ، ومنهم مَن تقاسم هو وصاحبُه شعْرَةً واحدة، ومنهم من كان يضعُ هذه الشعرة في الماء إذا أراد أن يشرب..

جَعلتُ لِعرَّافِ اليمامة حُكْمَهُ وعَرَّاف نَجْد إنْ هما شفَياني

فوالله ما رُقْيَةٌ يُعلِّمانها ولا شربةٌ إلَّا بها سَقَيَانِي

فجئتُ إلى المعصومِ حتى أعَلَّنِي بشَرْبَةِ حقٍّ من هُدًى وبيانِ

□ ومسحَ رأسَ أبي محذورة وهو صغير، فأقسم أبو محذورة لا يُحْلَقُ هذا الشَّعْر الذي مَسَّهُ كَفُّ الرسول ﷺ، فبقي طيلة حياته حتى طالَ ودُفِن معه.

□ وكان الصِّبيان يأتونه ﷺ بآنيتهم، فيضعُ كفَّه المبارك في إناء الماء واللبن، فيجدون فيه البركة والشفاء بإذن الله.

✍ وقصصُ بَرَكتِه لا تنتهي، وأحاديث معجزاتِه لا تنقضي، فهو المبارَكُ أينما حَلَّ وأينما ارتحل، وهو المُوَفَّق أينما سار وقام.

بركات الصِّدِّيق رضي الله عنه وآله:

□ لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعظم الصحابة بركة وخيرًا على الأمة.. ورضي الله عن الصحابي القائل عن موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الرِّدَّة: «لو أطاعنا أبو بكر لكفرنا»، لقد ثبَّت الله بثبات الصِّديق وشجاعته الصحابة، ولو مال لمالوا.

□ قال علي بن المديني رحمه الله: «إن الله أعزَّ الإسلام برجلَيْن لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الرِّدَّة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة».

واستقام الناس باستقامته على دين الله عز وجل، وبدأت الشمس رحلتها المباركة، وبدأت دنيا الفتوحات العظيمة في عهد الصديق، وهي من بركة أيامه وأثر جهاده، وكلها في ميزان حسناته يوم القيامة، وآخر بركاته اختياره لعمر بن الخطاب من بعده».

• عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء. فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء! فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة رضي الله عنها: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلَّا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا. فقال أُسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

قالت رضي الله عنها: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبت العقد تحته»[١].

□ قال الحافظ في «فتح الباري»: «المقصود بآل أبي بكر: نفسُه وأهلُه وأتباعه، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها رضي الله عنهما وتكرار البركة منهما، وفي

---

(١) رواه البخاري - كتاب التيمُّم (١/ ٤٣١)، وأحمد (٦/ ١٧٩).

رواية عمرو بن الحارث: «لقد بارك الله للناس فيكم».

عمر الفاروق المبارك رضي الله عنه:

إذا ذُكِر الصالحون فحَيَّهلًا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعند ذكر عمر تنزل الرحمة.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قد كان فيمن خلا من الأمم ناسٌ مُحَدَّثون، فإن يكنْ في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب**»[١].

□ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «ما سمعت عمر يقول لشيءٍ قط: إني لأظنُّ كذا وكذا، إلَّا كان ما يظن»[٢].

□ وعن علي رضي الله عنه: «كنا نُحدِّث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه»[٣].

والسكينة هنا: الملائكة.

وما أعظم بركات الفاروق، فعلى يديه المباركتين كان فتح الشام والعراق، وزوال ملك كسرى وقيصر، ودخول الناس من العجم في دين الله أفواجًا.

□ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه خطب يومًا بالمدينة، فقال: يا

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٦٩) والمحدث: قال ابن وهب الملهم.. انظر «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٦٤)، وذكر الترمذي (٥/ ٦٣٢٢) عن سفيان بن عيينة: «محدثون: مفهمون»..

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) حسن الإسناد: رواه الطبراني في «الأوسط»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٧) وحسَّن إسناده.

سارية بن زنيم.. الجبل.. من استرعى الذئب فقد ظلم.

قال: فقيل له: تذكُر سارية –وسارية- بالعراق؟!

فقال الناس لِعَلِيٍّ: أما سمعتَ عمر يقول: يا سارية وهو يخطب على المنبر؟!.

فقال: ويحكم دعوا عمر؛ فإنه ما دخل في شيء إلَّا خرج منه، فلم يلبث إلَّا يسيرًا حتى قدم سارية، فقال: سمعت صوت عمر، فصعدتُ الجبل»[(١)].

وعثمان ذو النورين مبارَك وأيُّ مبارك:

كانت الفتوحات في عصره رضي الله عنه كالماء المنهمر.

□ عن سليمان بن يسار: «أن جهجاه الغفاري أخذ عصا عثمان التي يتخصَّر بها فكسرها على ركبته فوقعت في ركبته الآكلة».

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه سيدٌ مبارك فتح الله على يديه خيبر:

• عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «كان عليٌّ قد تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان به رمَدٌ فقال: أنا أتخلَّفُ عن رسول الله ﷺ؟ فخرج عليٌّ فلحِق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان مساءَ الليلة التي فَتحَها الله في صَبَاحِها قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لأُعطين الراية- أو ليأخذن الراية- غدًا رَجُلًا يُحِبُّه الله**

(١) حسن: رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ح٢٥٣٧)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٣١): «وهذا إسناد جيِّد حسن»، وأشار إليها ابن حجر وقال: «وهو إسناده حسن»، «الإصابة» (٤/ ٩٨). وقال الشيخ الألباني في «حاشية المشكاة» (٣/ ٢٠١): «رواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن». له صُحْبَة وسارية بن زنيم أمَّره عمر على جيش، وسيَّره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين.

ورسولُهُ – أو قال يُحب الله ورسولَه- يفتح الله عليه» [(١)]، فإذا نحن بِعَليٍّ، وما نرجوه فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه» [(٢)].

□ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «.. قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلَّا يومئذٍ، قال: فتساورتُ لها رجاءَ أن أُدْعَى لها، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فأعطاهُ إياها..» [(٣)].

وخرج مرحب بطل يهود فقتله عليٌّ، ثم كان الفتح على يديْه.

• وبارك الله لعلي في قضاياه فكان أقضى الصحابة، وفيه قال النبي ﷺ: «**إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله**».

□ قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: «**لا ولكنه خاصِفُ النعل**» [(٤)]، وكان علي يخصف وقتها نعل النبي ﷺ، وهو الذي قاتل الخوارج.

• وفيه قال النبي ﷺ: «.. **لو يعلم الجيش الذين يُصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيهم ﷺ، لتكلُوا عن العمل**» [(٥)].

سعد بن أبي وقاص المبارك هازم الفرس وفاتح المدائن وصاحب أعظم عبور في التاريخ:

• خال رسول الله ﷺ الذي قال عنه النبي ﷺ: «هذا خالي، فَلْيُرِني

---

(١) سنده ثقات: ذكره الطبراني في «تاريخه» (٤/ ٣٦٦) واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩)، و«كرامات أولياء الله عز وجل» (٧٠) (ص١٢٤).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).

(٣) جزء من حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٤٠٥).

(٤) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٢) عن أبي سعيد الخدري.

(٥) جزء من حديث رواه مسلم (٧٤٨)، وأبو داود (٤٧٦٨) عن علي.

امرؤٌ خالَهُ»(١).

• وهو المبارك الذي رمى بأول سَهْمٍ في سبيل الله، وهو الذي جمع له النبي ﷺ بين أبويه في يوم أُحُد، فقال: «**يا سعد ارم فداك أبي وأمي**»(٢).

فقذف المشركين فيه بألف سهم.

□ وهو الذي أوصى بثلث ماله في سبيل الله.

وهو فارس الإسلام، مستجاب الدعوة:

• عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: سمعتُ سعدًا يقول: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم استجب له إذا دعاك**»(٣) يعني: سعدًا.

□ وهو فارس الإسلام الذي يدير معركة القادسية الفاصلة على جبهة فارس، وهو منبطِحٌ على وجههِ من كثرة الدمامِل التي منعته حتى من الجلوس.

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٦٨)، وصححه على شرط الشيخيْن، ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي (٣٧٥٢) عن جابر مرفوعًا، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣١٢)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٩٧).

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٣٧٥٥)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وابن ماجه (١١٢٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٩٢)، وأحمد (١/ ٩٢، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٧)، وفي «فضائل الصحابة» (١٣٠٤، ١٣١٤)، وأبو يعلى (١/ ٣٣٤)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٤٠٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ١٠٠)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١٢٩٤).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٩٩)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان في «موارد الظمآن» (٥/ ٢٢) واللفظ له، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٢، ٩٣).

ويوم القادسية يوم تحدو به الرُّكْبان ولا يُنسى مدى الأزمان..

فالقادسية ما يزال حديثُها	عِبَرٌ تُضيء بأروع الأمثالِ
تحكي مفاخرنا وتذكرُ مجدنا	فتجيبها حطين بالمنوال
صفحاتٌ مجْدٍ في الخلود سطورها	عَزَّ الرِّجال بها على الأنذالِ

أعظم عبور وأبركه في التاريخ هو عبور سعد إلى المدائن:

بعد معركة القادسية بشهرين كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص بالسَّير إلى المدائن لفتحها، وسار سعد بجيشه من نصر إلى نصر حتى وصل إلى «بهرسير»، وبذلك أصبح سعد وجيشه في الضفّة المقابلة لـ«المدائن»، وحاول سعد أن يُؤمن عبورَ جيشه في السُّفُن، فلم يقدِر على شيء منها؛ لأن الفُرْس ضَمُّوا السُّفُن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها[١].

□ وكان النهر عريضًا طافِحًا بالماء، يَقْذِف بالزَّبد لشدة جريانه، وموجه متلاطِمٌ، وزاد المدُّ فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفي ليلة من ليالي سعدٍ، رأى رؤيا، خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة، وعبرتْ، وقد أقبلَت من المدِّ بأمر عظيم فصدَّق الرؤيا، وعزم على عبور النهر، فجمع الجيش، وقام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إن عدوَّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تَخْلُصُون إليه معه، وهم يَخلُصون إليكم إذا شاءوا؛ فيُناوِشُونَكم في سفنهم، وليس وراءكم شيءٌ تخافون أن تُؤْتَوْا منه، فقد كفاكُمُوهُ أهل الأيَّام، وعَطَّلُوا ثغورهم، وأفنوْا ذادتهم، وقد رأيت من الأوْفقِ أن تبادروا جهاد العدوِّ بنيَّاتكم قبل

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١١١٩).

أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمتُ على قطْع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعًا: عزم الله لنا، ولك على الرُّشد فافعل [(١)].

وندب سعد الناس للعبور، ثم قال: «من يبدأ، ويحمى لنا الفِرَاض [(٢)]؛ لكيلا يمنعونا من العبور».

□ عن حبيب بن صهبان قال: «جاء رجل من المسلمين فقال الناس: هو حُجْر بن عدي، وقال أبو عبيدة النحوي: هو قيس بن مشكوح المرادي، فلما أقحم أقحموا، فلمَّا رآهم العدو قالوا: ديوان يعني شياطين شياطين فهربوا، فدخلنا عسكرهم فوجدنا من الصفراء والبيضاء، وكان الرجل يقول: من يُعطى صفراء بيضاء..» [(٣)].

□ وفي «تاريخ الطبري»: «ندب سعد الناس للعبور .. فانتدب عاصم ابن عمرو التميمي، وانتدب معه ست مئة من أهل النجدات، فعبر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد مع جيشه بعدهم، ففاجئوا أهل فارسِ بأمرٍ لم يكن في حسابهم.

نجحت خطة سعد نجاحًا يُذهَلُ له المؤرِّخُون [(٤)].

✍ إنه سعد الأسد غاديًا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وبركات سعدٌ لا تنتهي، فالفتوحات الإسلامية التي جَرَتْ في

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١١١٩)، وابن الأثير (٢/ ١٩٨) و«فتوح الشام» للواقدي (٢/ ١٢٧).

(٢) الفِرَاض: جمع فَرْضة: وهي ثغور المخاضة من الناحية الأخرى، ويُسَمَّى في المصطلح العسكري رأس جسر.

(٣) «كرامات أولياء الله» للالكائي رقم (١٠٩) (ص١٥٢-١٥٣).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٨).

العراق، وفي شرقه وشماله حتى نهاية سنة عشرين الهجرية فتحها سعد بنفسه، أو أرسل إليها الجيوش والقادة لفتحها، وحتى الجيش الذي فتح نهاوند أرسله سعد، ولكنَّ فَتْحها جرى بعد عزله.

لقد فتح سعد العراق، وأكثر بلاد فارس، وأذربيجان، والجزيرة وبعض أرمينية، أي أنه فتح العراق الحديث، وأكثر إيران بحدودها اليوم، وفتح القسم الجنوبي من تركيا المتاخمة لإيران، والقسم الواقع في شمالي إيران والذي يحدّ روسيا. وفوق ذلك قصَّر الكوفة وكوَّفها، فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الإسلامي في الشرق كله، وأمدَّت العالم الإسلامي بعدد ضخمٍ من قادة الفتح والفاتحين.. فرضي الله عن سعد الفاتح العظيم الأسد في تامورهِ[١] مجاب الدعوة.

ولي الله خالد بن الوليد سيف الله المسلول، وفارس الإسلام المبارك رضي الله عنه:

□ عن قيس قال: «أُتِيَ خالدٌ بسُمٍّ فقال: ما هذا؟ قالوا: سُمٌّ فشربَه»[٢].

ولما رأى ابنُ بقيلة حكيم نصارى العرب ومعمَّرهم ورأس أهل الحيرة وكبير المفاوضين لخالد من أهل الحيرة.. لما رأى ذلك وأن السُّمَّ لم يؤثِّر في خالد كبير أولياء الله المتقين، وسيد المجاهدين في الشام والعراق، قال ابن بقيلة عندها: «والله يا معشر العرب لتملكنّ ما أردتم».

لقد خُلِق خالد بن الوليد المبارك رضي الله عنه ليكون قائدًا، فعاش قائدًا، ومات سيِّدًا، وآثاره باقية في التاريخ، وانتصاراته كانت ولا تزال وستبقى

---

(١) تاموره: أي عرينه.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٠٩).

معجزةً من معجزات تاريخ العرب، والإسلام، بل تاريخ الحرب لكل الأمم في كل مكان.

□ قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: «لا أعرفُ قائدًا عبقريًّا في تاريخ المسلمين -غير الرسول القائد صلوات الله وتسليمُه عليه- يمكن أن يفضل على القائد العبقري خالد بن الوليد رضي الله عنه».

□ وقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان والله سدَّادًا لنحور العدو ميمون النقيبة».

□ وفي حروب الردة قام خالد وحده بأوفر قسط من حروب الردَّة؛ فله في قتال أهل الردة الأثر العظيم، وقمع بسيفه أخطر الفتن في الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها.

□ وفي العراق أقام خالد سنة وشهرين فقط، قاتل خلالها القوات الفارسية وحلفاءها خمس عشرة معركة، لم ينهزم ولم يخطئ، ولم يخفق قط في واحدة منها. وبقيت نتائج فتوح خالد في العراق ظاهرة للعيان، لقد رفع خالد معنويات الجيش الإسلامي، وثقته بأن في مقدوره التغلُّب على جيوش الفرس، وكانوا من قبل يعتقدون أن مجرد التفكير في مثل ذلك من المستحيلات.

□ أما في أرض الشام فلَعَلَّ أثر خالد أكثر وضوحًا من أثره في العراق، فنتائج فتوح خالد في أرض الشام لا تزال باقية حتى اليوم، فقد فتح خالد تدمر، والقريتين، وحوارين، ومرج راهط، وفتح بصُري، وكانت أجنَّادين يومًا من أيام خالد رضي الله عنه.

□ وفي معركة اليرموك الفاصلة أتى خالد بالأعاجيب وشرب من

دماء الروم وسحقهم، وانتصر عليهم انتصارًا فذًّا، وكان العامل الرئيسي في فتح دمشق، بل هو فاتحها في الحقيقة، وخالدٌ في معركة فِحْل بيسان حديثٌ ومَثَلٌ لِمَن حضره، وهو قاتل البطريق الرومي توذرا، وله الأعاجيب في فتح حِمْصِ والبقاع، وفي قنسرين، وفي مرعش، لقد رفع خالد معنويَّات المسلمين في الشام، وسحق معنويَّات الروم، وانتصر على جيوش نظامية كثيفة.

ورفع المستوى المعاشي للعرب المسلمين داخل الجزيرة العربية من جرَّاء الغنائم العظيمة التي حصلوا عليها من الروم، وتلك آثار مباركة كافية لتخليد عدد كبير من القادة، فكيف وهي من صُنْع رجل واحد هو خالد بن الوليد رضي الله عنه؟! لقد بلغت قيادة خالد في أرض الشام حدَّ الرَّوْعَة والذروة، فكان خالد هناك بحق: قائد القادة، ومطمح الأنظار، ومعقد الآمال، سواءً كان قائدًا عامًّا أو قائدًا مرؤوسًا، أَوْ جنديًّا بسيطًا، أو قابعًا في داره بين عشيرته وأهله، ذلك هو مقام الذروة الذي بلغه خالد رضي الله عنه، لقد أصبح أُمَّة في رجل؛ لأنه أصبح يحمل مجد أُمَّةٍ وبطولة جيل!!

لقد أصبح لا يُمثِّل نفسه فحسب -بل يُمَثِّل مجدًا وفِكْرةً: مجد عبقرية العرب المسلمين في القيادة، وفكرة الفتح الإسلامي، وما أعظم وأروع عبقرية القيادة العربية المسلمة في الحروب، وما أشرف وأنصع فكرة الفتح الإسلامي في التاريخ!!!.

بركات حبر القرآن وترجمانه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

انظر أخي إلى بركة ابن عباس وعلمه، وانظر إلى مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج، ورجوعِ أكثرهم إلى الحق.

□ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لما اعتزلت حروراء [١]، وكانوا في دارٍ على حِدَتهم قلتُ لعليٍّ: يا أمير المؤمنين أبرِد عن الصلاة لعلِّي آتي هؤلاء القوم فأكلِّمَهم. قال: فإني أتخوّفهم عليك، قال: قلتُ: كَلَّا إن شاء الله.

قال: فلبستُ أحسن ما أقدرُ عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلتُ على قوم لم أرَ قومًا قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم مُعَلَّبة من آثار السجود، قال: فدخلتُ، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أُحدِّثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحيُ وهم أعلمُ بتأويله، فقال بعضهم: لا تُحدِّثوه، وقال بعضهم: لنُحَدِّثنه. قال: قلتُ: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: نُنقِم عليه ثلاثًا، قلتُ: ما هُن؟ قالوا: أولهن أنه حكَّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقَاتَل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كُفَّارًا لقد حَلَّت لهم أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حُرِّمت عليه دماؤهم، قال: قلتُ: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قال: قلتُ: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله المُحْكم وحدَّثتكم مِن سُنَّة نبيكم ﷺ ما لا تُنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم.

قال: قلتُ: أما قولُكم إنه حَكَّم الرجالَ في دين الله، فإنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

(١) حروراء: أي الخوارج وهم يُنسبون إلى هذه القرية ويُقال لهم: «الحروريّة».

فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحقُّ، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال: خرجتُ من هذه؟ قالوا: اللهم نعم قال: وأما قولكم: إنه قاتل ولم يَسْب ولم يغنم، أتسْبونَ أمَّكم أم تستحلُّون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأُمِّكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتيْن فاختاروا أيهما شئتم؟ أخرجتُ من هذه؟ قالوا: اللهم نَعم. قال: وأما قولكم: إنه مَحَى نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دَعَا قُريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال: «**اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**». فقالوا: والله لو كنا نعلمُ أنَّكَ رسول الله ما صددْناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب يا علي، محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضلَ من عليّ، أخرجتُ من هذه، قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفًا وبقى منهم أربعةُ آلافٍ فقُتِلوا»[(١)].

فنجَّى الله ببركة علم ابن عباس رضي الله عنهما عشرين ألفًا من الخوارج.

العباس بن عبد المطلب المبارك رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ:

□ عن أنس رضي الله عنه قال: «إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب قال: ويقول: اللهم إنا كُنَّا إذا أقحطنا

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٨- ٣٢٠).

توسَّلنا بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسَّلُ إليك بِعَمِّ نبينا فاسْقِنا، قال: فيُسْقَوْن»[١].

□ قال العباس رضي الله عنه لما استسقى به عمر: «اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلَّا بذنب، ولم يُكْشَف إلَّا بتوبة، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصَبت الأرض وعاش الناس، وكان ذلك عام الرمادة سنة ثمان عشرة، وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمِّي سقى الله الحجازَ وأهله ... عشيَّة يستسقى بشيبته عُمَرْ
توجَّه بالعباس في الجَدْب راغبًا ... إليه فما إنْ رامَ حتى أتى المَطَرْ
ومنا رسول الله فينا تراثه ... فهل فوق هذا للمُفاخِرِ مُفْتَخَرْ[٢]

□ كان العباس رضي الله عنه من صالحي الصحابة:

• فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا العبَّاس بن عبد المطلب أجودُ قريش كَفًّا وأوْصَلُها**»[٣].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جعل على العباس وولده كِسَاءً،

---

(١) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (٨٧) (ص١٣٥)، أخرجه البخاري بنحوه (٣٧١٠)، وابن حبان (٢٨٥٠- الإحسان)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٩٤).

(٣) سنده قوي: أخرجه أحمد (١/ ١٨٥) واللفظ له، والحاكم (٣/ ٣٢٨)، عن سعد، وصححه، ووافقه الذهبي إلَّا أنه قال: فيه يعقوب بن محمد الزهري، وهو كثير الوهم، وساقه الحاكم من حديث أحمد بن صالح متابعًا، وقد تابعه أيضًا علي بن المديني، ورواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في «الأوسط».

ثم قال: «**اللهم اغفر للعبَّاس وولده مغفرة ظاهرةً وباطنة، لا تغادر ذنْبًا، اللهم اخلفه في ولده**»[(١)].

وعمران بن حصين المبارك رضي الله عنه تُسلِّم عليه الملائكة:

□ عن مطرِّف بن عبد الله قال: «قال لي عمران بن حُصَيْن: إني أحدِّثك حديثًا عسى الله أن ينفعك به، إن رسول الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرِّمه. ولقد كان يُسَلِّم عليَّ – يعني الملائكة – فلما اكتويت أمسك، فلما تركتُه عادَ إليَّ»[(٢)].

بركة البراء بن مالك الشهيد مجاب الدعوة، وأثر دعوته في انتصار جيش المسلمين:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من أشعثَ أغبرَ ذِي طِمرَيْن لا يُؤبَهُ له، لو أقسم على الله لأبرَّه – منهم البراء بن مالك**»[(٣)].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من ضعيف متضعَّف ذو طمرين، لو أقسم على الله عز وجل لأبرَّه، منهم البراء بن مالك**»[(٤)]. وإن البراء لقي زحفًا من المشركين، وقد أوجف المشركون في

---

(١) إسناد جيد: قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٩٨): إسناده جيد، رواه أبو يعلى في «مسنده».
(٢) رواه مسلم حديث رقم (١٢٢٦).
(٣) صحيح: رواه الترمذي، والضياء عن أنس، وصححه الألباني في تحقيق «المشكاة» (٦٢٣٩)، و«تخريج مشكلة الفقر» (١٢٥)، و«صحيح الجامع» (٤٥٧٣).
(٤) صحيح رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٩٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورواه أبو نعيم والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧)، (١/ ٣٥٠) ورواه الترمذي بمعناه (ح٣٨٥٤)، ورواه اللالكائي في «شرح

المسلمين، فقالوا له: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك، فاقسم على الله.

فقال: أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، فمُنحوا أكتافهم. ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجفوا في المسلمين فقالوا: أقسِمْ يا براء على ربك. فقال: أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيِّك ﷺ، فمُنِحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيدًا رحمة الله عليه.

كرامة لعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري وخبيب بن عدي الأنصاري رضي الله عنهما:

□ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة عينًا، وأَمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذُكِروا لحي من هذيل يُقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مئة رجل رامٍ فاقتصُّوا آثارهم، فلما حسَّ بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضعٍ فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، قال عاصم ابن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيَّك ﷺ، فرموهم بالنَّبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر. فلمَّا استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم، إِنَّ لي بهؤلاء أسوة – يريد القتلى – فجروه وعالجوه فأبى أني يصحبهم، فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩)، «كرامات أولياء الله» رقم (١٠٦) (ص١٤٨- ١٤٩).

بدر فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا – وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر–، فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدُّ بها فأعارته، فدرج بُنَيٌّ وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مُجلِسُه على فخذه والموسى بيده قالت: ففزعت فزعةً عرفها خبيب، فقال: أتخشَيْن أن أقتلَه؟ ما كنتُ لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قِطْفًا من عِنَبٍ في يده وإنَّه لموثَق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرِزْق رزقه الله خبيْبًا. فلمَّا خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أُصَلِّ ركعتيْن فتركُوه، فركع ركعتيْن، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ثم قال: «اللهم أحْصِهم عدَدًا واقتلهم بددًا، ولا تُبْق منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

فلستُ أُبالي حين أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... على أيِّ جَنْبٍ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله – وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خُبيب هو الذي سنَّ لِكُلِّ مسلمٍ قُتِلَ صبرًا الصلاة، وأُخْبِرَ -يعني النبيَّ ﷺ وأصحابه خبرهم–، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حُدِّثُوا أنه قُتِل أن يؤتوا بشيء منه يُعرف – وكان قتل رجلًا عظيمًا من عُظمائهم– فبعث الله لعاصمٍ مثل الظُّلَّة من الدَّبر فَحَمَتْه مِن رُسُلِهم، فلم يقدروا أن يقصعوا منه شيئًا»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٩)، وأحمد (٢/ ٢٩٤ و٣١٠)، وأبو داود (٢٦٦٠) و(٢٦٦١)، والنسائي، والطيالسي (٢٥٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٣).

الصحابي الجليل سفينة مولى رسول الله ﷺ وقصته مع الأسد:

□ عن ابن المنكَدِر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أَوْ أُسِرَ في أرض الروم، فانطلق هاربًا يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد فقال: أبا الحارث [(١)] أنا مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيْت وكيت، فأقبل الأسدُ له بصبصة حتى قام إلى جنبه كلَّما سَمِع صوتًا أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد»[(٢)].

عُلاة الهمم المباركون يضعُون نصب أعينهم «أسباب البركة» ويتحلَّون بها ويعيشون معها وبها:

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أي لو آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ﴾ أي: قطر السماء ونبات الأرض.

وقيل: المراد بالبركات السماوية والأرضية الأشياء التي تُحمد عواقبها ويَسعد في الدارين صاحبها، وقد جاءت البركة بمعنى السعادة في

---

(١) هذه كنية الأسد.

(٢) حسن: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٠٦) وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للبزار والطبراني وقال: «رجالها ثقات» انظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٦٦)، وحسَّنه الألباني في تحقيق «المشكاة».

كلامهم؛ فلتُحمَل هنا على الكامل من ذلك الجنس ولا يُفتح ذلك إلَّا للمؤمن بخلاف نحو: المطر والنبات والصحة والعافية، فإنه يُفتح له وللكافر أيضًا استدراجًا ومكرًا، وقيل: البركات السماوية إجابة الدعاء والأرضية قضاء الحوائج فَلْيُفْهَم[1].

□ وها نحن نجمل أسباب البركة ليعلم الناس أي روعة وجلال لعلاة الهمم، وأي حرص شديد لهم على هذه الأسباب:

مما يجلب البركة وفيه بركة.

١- **بركة القرآن الكريم:** في تلاوته والعمل به، والتحاكم إليه واتباع أحكامه:

* قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

* وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

□ قال الإمام ابن قيم الجوزية موضحًا بركة العمل بالقرآن[2]: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل

---

(١) «روح المعاني» للألوسي (٩/ ١١).
(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٣٥٢).

التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا.

وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو أنزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلَّا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه». اهـ.

□ ويقول القرطبي في «التفسير»[١]: «مبارك، أي: بورك فيه، والبركة الزيادة».

□ ويقول الألوسي في «التفسير»[٢]: «قوله «مبارك»، أي: كثير الفائدة والنفع؛ لاشتماله على منافع الدارين وعلوم الأولين والآخرين صفة بعد صفة».

□ ثم قال رحمه الله: «قال الإمام[٣]: جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عن هذا الكتاب المتمسك به يحصل به عز الدنيا وسعادة الآخرة، ولقد شاهدنا والحمد لله عز وجل ثمرة خدمتنا له في الدنيا؛ فنسأله أن لا يحرمنا سعادة الآخرة إنه البر الرحيم». اهـ.

□ وينقل صاحب «الظلال»[٤]: «بعد تفسير آية سورة الأنعام: إنها سنة من سنن الله أن يرسل الرسل، وأن ينزل عليهم الكتاب، وهذا

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٣٨).

(٢) «روح المعاني» (٧/ ٢٢١).

(٣) يقصد الفخر الرازي في «التفسير الكبير» (١٣/ ٨٠).

(٤) في «ظلال القرآن» (٢/ ١١٤٧).

الكتاب الجديد الذي ينكرون تنزيله هو كتاب مبارك، وصدق الله، فإنه لمبارك والله.

مبارك بكل معاني البركة: إنه مبارك في أصله. باركه الله وهو ينزله من عنده، ومبارك في محله الذي علم الله أنه له أهل - قلب محمد الطاهر الكريم الكبير.. ومبارك في حجمه ومحتواه، فإن هو إلَّا صفحات قلائل بالنسبة لضخام الكتب التي يكتبها البشر، ولكنه يحوي من المدلولات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه ما لا تحتويه عشرات من هذه الكتب الضخام في أضعاف أضعاف حيزه وحجمه.

وإن الآية الواحدة تؤدي من المعاني، وتقرر من المدلولات والمفهومات والموحيات المؤثرات، وتقرر من الحقائق ما يجعل الاستشهاد بها لا نظير له.

وإنه لمبارك في أثره، وهو يخاطب الفطرة والكينونة البشرية بجملتها خطابًا مباشرًا عجيبًا لطيف المدخل، ويوجهها من كل منفذ وكل درب وكل ركن، فيفعل فيها ما لا يفعله قول قائل؛ ذلك أنه به من الله سلطانًا، وليس في قول القائلين من سلطان.

ولا نملك أن نمضي أكثر من هذا في تصوير بركة هذا الكتاب، وما نحن ببالغين لو مضينا شيئًا أكثر من شهادة الله له بأنه «مبارك» ففيها فصل الخطاب». اهـ.

□ وقد قال الفخر الرازي في «تفسيره»[١] : «قوله: «مبارك»، أي: كثير خيره دائم بركته ومنفعته. يبشر بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح

(١) «تفسير الفخر الرازي» (١٣/ ٨٠).

والمعصية، ثم فُسر ذلك بأن ما فيه من العلوم النظرية فأشرفها وأكملها العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه وما فيه من العلوم العملية لا توجد في غير مثله سواء كانت أعمال جوارح أو أعمال قلوب.

□ وقال صاحب «المنار»[(١)] بعد نقل كلام الرازي هذا: «فليعتبر بهذا من يضيعون جل أوقاتهم في طلب العلم الديني بعلوم الكلام وغيرها، مما يعدون الرازي الإمام المطلق فيها لعلهم يرجعون إلى كتاب الله تعالى ويهتدون به، ويطلبون السعادة من فيضه دون غيره».

أما عن بركة العمل به:

* فلا شك أن القرآن الكريم بركاته في العمل به وفي تلاوته لا في تعليقه وعمله حجاب يُحتمى به من الشرور، وبركات القرآن والعمل به تعم الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يقول رب العباد: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه]. وقال أيضًا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. إلى آخر الآيات التي تبين أن هدى القرآن بركة على العاملين به.

ومن بركات القرآن ما ورد في «الصحيحين» من حديث اللديغ الذي رقاه الصحابة بفاتحة الكتاب فبرئ بإذن الله.

□ ويقول ابن قيم الجوزية[(٢)] عن نفسه: «مكثت بمكة مدة يعتريني أدواءٌ ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيبًا. فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا فكان كثيرًا منهم يبرأ سريعًا»،

---

(١) «تفسير المنار» (٤/ ٥١٧).

(٢) «الجواب الكافي لمن سائل عن الدواء الشافي» لابن القيم (ص٥).

ثم يقول رحمه الله: «ولكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل» اهـ.

أمَّا عن بركة تلاوته:

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ [فاطر].

□ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة، وتخرج منه الشياطين، ويتسع بأهله، ويكثر خيره».

• وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**».

قال معاوية: «بلغني أن البطلة السحرة»[1].

ومما ورد في بركة المعوذتين:

□ عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٩٠) وأحمد (٥/ ٢٤٩) والدارمي في «فضائل القرآن» باب (١٣، ١٥)، و«الزهراوين»: لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما و«غمامتان» المراد: أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[١][٢].

ولعُلاة الهمم أوفر نصيب من تلاوة القرآن وتدبره، وقيام الليل به، والعمل به وتنفيذ أحكامه على أنفسهم وخاصَّتهم.

٢- بركة التقوى والإيمان بالله :

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

□ يقول الفخر الرازي في «تفسيرها»[٣] : «بيَّن سبحانه في هذه الآية أنهم لو أطاعوا لفتح الله عليهم أبواب الخيرات من بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشي والأنعام وحصول الأمن والسلامة؛ وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب والأرض تجري مجرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله وتدبيره»اهـ.

□ ويقول الحافظ ابن كثير في «تفسيرها»[٤] : «أي: لو آمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل وصدقت به واتبعته واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات، لفتح عليهم بركات من قطر السماء ونبات الأرض».

□ ويقول صاحب «الظلال» في تفسيرها[٥] : «فلو أن أهل القرى

(١) أخرجه الإمام البخاري -كتاب الطب (١٠/ ١٩٥).
(٢) «البركة» لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد (ص١٧-٢٠)- دار الصحابة للتراث- طنطا.
(٣) «التفسير الكبير» (١٤/ ١٨٥) بإيجاز.
(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤٧) بتصرف.
(٥) «الظلال» (٣/ ٥٨٦).

آمنوا بدل التكذيب، واتقوا بدل الاستهتار، لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض هكذا ﴿بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مفتوحة بلا حساب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، والتعبير القرآني بعمومه وشموله يلقي ظلال الفيض الغامر الذي لا يتخصص بما يعهده البشر من الأرزاق والأقوات، إن الإيمان بالله وتقواه ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض وعدًا من الله، ومن أوفى بعهده من الله؟

والبركات التي يعد الله بها الذين آمنوا واتقوا في توكيد ويقين: «ألوان شتى لا يفصلها النص ولا يحددها. وإيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان النابع من كل مكان لا تحديد ولا تفصيل ولا بيان، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها ما يعهده الناس وما يتخيلونه، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال.

إن البركات الحاصلة بالإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيِّبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في آن وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتَّردِّي والضلال»اهـ.

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق]. يقنعه برزقه: ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٣] يعني البركة في الرزق.

□ قال الأعمش رحمه الله: «من كان رأس ماله التقوى كلَّت الألسن عن وصف ربحه»[(١)].

٣- بركة التوكُّل على الله:

• وقال ﷺ مرغبًا في التوكل على الله: «لو أنكم تتوكلون على الله حق

(١) «البركة» (ص٢١- ٢٢).

توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[١].

• وعن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»[٢].

• وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»[٣].

وعُلاة الهمم في الذروة السامقة من مقام التوكل، وقد مرّ بك علو الهمَّة في التوكل على الله عز وجل.

٤- تسمية الله في جميع الأعمال، وتكرار التسمية في كل الأحوال، والحمد بعده:

• عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجلُ بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر انظر: «صحيح الجامع» برقم (٥٢٥٤)، وكان الاعتماد في «تخريج الأحاديث في معظم الأحيان على كتاب «صحيح الجامع» لفضيلة الشيخ العلامة المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله ونفعنا بعلمه.

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير»، و«الكامل» لابن عدي عن أبي الدرداء، انظر: «صحيح الجامع» برقم (١٦٣٠).

(٣) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٢٤٠).

(٤) رواه مسلم.

• ودرءً لأن يأكل الشيطان مع الإنسان، ويمحق البركة. قال رسول الله ﷺ: «من نسي أن يذكر الله ﷻ في أول طعامه فليقل حين يذكر: بسم الله أوله وآخره؛ فإنه يستقبل طعامًا جديدًا أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب به»(١).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا قال: قال ﷺ: «قال إبليس: كل خلقك بينت رزقه، ففيم رزقي؟ قال: فيما لم يذكر اسمي عليه»(٢).

وكان من هديه ﷺ أن يحمد الله بعد الطعام والشراب.

• فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»(٣).

• وعن أبي أمامة أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحَمْدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدِّعٍ وَلَا مُستغنًى عنه رَبَّنا»(٤).

ويسن كذلك تسمية الله ﷻ عند الخروج والدخول للمنزل.

• فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسالك خير المَوْلج وخير المخرج، بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلِّم على أهله»(٥).

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والطبراني في «الكبير». انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٩٨).

(٢) صحيح: انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٧٠٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٠٠ - ١١٧) وابن السني برقم (٤٨٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ١٨٧)، وابن ماجه والترمذي (٩/ ٤٣٣)، وقال: «حسن صحيح»، ومودع: أي غير متروك.

(٥) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٢٨).

• وأيضًا عند الجماع، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولدٌ، لم يضره شيطان أبدًا»**(١).

٥- الاجتماع على الطعام وبركة بعض الأطعمة: «الثريد- العسل- اللبن والتمر»:

إن الكفَايَةَ تَنشَأُ عن بركة الاجتماع، وإن الجمع كلما كَثُرَ فَسَمى وحمد الله ازدادت البركة، ومما روي في ذلك.

• فعن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده وحشي أنهم قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: **«فلعلكم تأكلون متفرقين؟»**، قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: **«اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى، يبارك لكم فيه»**(٢).

• وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلوا جميعًا ولا تفرقوا، فإن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة، كلوا جميعًا ولا تفرقوا؛ فإن البركة في الجماعة»**(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٠/ ٥)، وأبو داود (٢/ ٦١٧)، وابن ماجه (١٩١٩)، والترمذي (٤/ ٢١٤)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) حسن: أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقي وابن حبان والحاكم، انظر: «صحيح الجامع» برقم (١٤٢).

(٣) حسن: انظر: «صحيح الجامع» برقم (٤٥١٠)، وذكره في «السلسلة الصحيحة» (١٦٨٦) بلفظ: **«إن الطعام الواحد يكفي الاثنين، وإن طعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة، وإن طعام الأربعة يكفي الخمسة والستة»**.

• وقال ﷺ: «**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**»[(١)].

أما عن فضل بعض الأطعمة:

• فقد ثبت في فضل الثريد أحاديث صحاح، كما في البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[(٢)].

• وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعًا قال: «**البركةُ في ثلاث: الجماعات، والثريد، والسحور**»[(٣)].

□ ومما قال ابن قيم الجوزية[(٤)]: «الثريد وإن كان مركبًا، فإنه مركب من خبز ولحم فالخبز أفضل الأقوات، واللحم سيد الإدام فإذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية».

• وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت إذا ثردت غطته شيئًا حتى يذهب فوره، ثم تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه أعظم للبركة**»[(٥)].

• عن أم سالم الراسبية قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال: «**بركة أو بركتان**»[(٦)].

---

(١) حسن: أخرجه أبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء. انظر: «صحيح الجامع» برقم (١٧١).

(٢) مسلم (٢٤٤٦) عبد الباقي.

(٣) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١٠٤٥).

(٤) «زاد المعاد» (٤/ ٢٩٥).

(٥) انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٩٢) (٦٥٦) وقال أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٠) والدارمي (باب ٧٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه في «الأطعمة» (٢٢٢١) وفي «الزوائد»: رجاله ثقات.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أتي باللبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين»(١).

• وكان ﷺ إذا قُدِّم له لبن قال: «**اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام أو الشراب إلَّا اللبن**»(٢).

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير تمراتكم البَرْنيُّ، يُذهب الداء ولا داء فيه**»(٣).

• وقال ﷺ: «**بيت لا تمر فيه جياع أهله، أو جاع أهله**»(٤).

• وعن عبيد الله بن رافع عن جدته سلمى أن النبي ﷺ قال: «**بيت لا تمر فيه، كالبيت لا طعام فيه**»(٥).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعم سحور المؤمن التمر**»(٦).

فضل عجوة المدينة:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**في عجوة العالية أوَّل**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٥).

(٢) حسن: أخرجه أحمد.

(٣) حسن: «الكامل» لابن عدي والبيهقي في «الشعب» والضياء،انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٠٣).

(٤) أخرجه مسلم أشربة (٢٥٣- ١٥٢) والترمذي «أطعمة» (١٧)، انظر: «صحيح الجامع» برقم (٢٨٤٤).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٦)، و«صحيح الجامع» (٨٤٥)

(٦) انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٦٢)، وقال أخرجه ابن حبان (٨٨٣)، والبيهقي (٤/ ٢٣٦- ٢٣٧).

البُكرة على ريق النفس شفاء من كل سِحْرٍ أو سُمٍّ»[١].

وأخرجه مسلم بلفظ: «إن في عجوة العالية شفاء، أو أنها ترياق أول البُكرة»[٢] لم يذكر فيه الريق.

□ قال الشيخ الألباني: «وله شاهد من حديث سعيد بن أبي وقاص مرفوعًا بلفظ: «من أكل سبع تمرات عجوة ما بين لابتي المدينة على الريق، لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي قال: وأظنه قال: «وإن أكلها حين يمسي، لم يضره شيء حتى يصبح».

فضل العسل:

* أما عن عسل النحل فبركته عظيمة، يكفي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[النحل].

٦- بركة أهل الخير فيهم:

وقد مرّ حديث عائشة رضي الله عنها، وقوله: «أسيد بن حضير رضي الله عنه: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر».

٧- الجماعة بركة:

ما اجتمع أناس على الخير إلّا وبارك الله لهم.

• فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة في ثلاثة في:

---

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٠٠٠)، وقال أخرجه أحمد (٦/ ٧٧، ١٠٥، ١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٦/ ١٢٤).

الجماعة والثريد والسحور»[١].

• وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[٢].

٨- البركة مع العلماء وهم أكابرنا:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة مع أكابركم»[٣].

٩- بركة الوقت:

□ قال الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرًا على دراهمكم ودنانيركم».

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء إلَّا على يومٍ غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي».

□ وقال الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه لما استخلفه: «اعلم أن لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملًا بالليل لا يقبله بالنهار».

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٤٥)، و«صحيح الجامع» (٢٨٨٢).

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، والقضاعي، وحسنة الألباني في «الصحيحة» (٦٦٧)، و«صحيح الجامع» (٣١٠٩)، و«صحيح الترغيب» (٩٦٦)، وتخريج «السنة» لابن أبي عاصم (٩٣).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو نعيم في «الحلية»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وكذا رواه أبو بكر الشافعي، وابن عدي، وابن مخلد، العطار، والخطيب، والضياء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٨)، و«صحيح الجامع» (٢٨٨٤).

١٠- كثرة الاستغفار:

* قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

• وقد حث ﷺ على كثرة الاستغفار فقال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلَّا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر له فأنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت. من قالها في النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل موقنًا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»(١).

• وقال ﷺ: «طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»(٢).

١١- الصدقة والإنفاق والسخاء والكرم:

* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة].

• قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلَّا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٩٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن عبد الله بن بسر، وأبو نعيم في «الحلية» عن عائشة، وأحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء موقوفًا، ورواه الضياء، وصححه الألباني في تخريج «المشكاة» (٢٣٥٦)، و«صحيح الجامع» (٣٩٣٠).

ممسكًا تلفًا»(١).

• وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «داوُوا مرضاكم بالصَّدَقة»(٢).

١٢- اتخاذ المال الحلال واجتناب الشبهات:

• فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ثم ذكر: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذِّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»(٣).

□ وقال سهل بن عبد الله التستري: «لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت».

وقال: «من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت مطعمته حلال أطاعته جوارحه، ووفقت للخيرات»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: رواه أبو الشيخ في «الثواب»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٥٨).

(٣) أخرجه مسلم، والترمذي في «سننه».

(٤) «البركة» (ص٥٣).

١٣- البر وصِلة الأرحام وحُسْنُ الخُلُق:

• عن عمر بن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلة القرابة مثراة في المال، محبة في الأهل، منسأة في الأجل**»(١).

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب**»(٢).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**صلة الرحم وحسن الخلق، وحسن الجوار يُعمرن الديار ويزدن في الأعمار**»(٣).

١٤- التبكير في طلب العلم والرزق:

لقد حث ﷺ على التبكير في طلب العلم والسعي إلى الرزق، وذلك لعلمه بما فيه من البركة. فهو لا ينطق عن الهوى.

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بورك لأمتي في بُكورها**»(٤).

• وعن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»(٥). قال: وكان إذا بعث سرية، أو جيشًا بعثهم في أول النهار

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» انظر: «صحيح الجامع» (٣٧٦٨).

(٢) صحيح: أخرجه القضاعي انظر: «صحيح الجامع» (٣٧٦٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٩٠٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد والبيهقي انظر: «صحيح الجامع» (٣٧٦٧)، و«السلسلة الصحيحة» (٥١٩).

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٤١).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ١٥٤)، وأبو داود (٧/ ٢٦٥)، والترمذي (٤/ ٤٠٢) =

قال: وكان صخر تاجرًا، فكان يبعث تجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله.

١٥- حمد الله وشكره، والمواظبة على الدعاء:

* قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والحمد صفة الأنبياء عباد الله الصالحين، وهو مقولة أهل الجنة.

١٦- التيسير على المُعسرين، وإعانة المسلمين، وقضاء حوائجهم، ورحمتهم:

وقد مرّ.

١٧- الصدق في البيع:

بصدقك في بيعك وقولك الحق تدخل الجنة في الآخرة، وفي الدنيا يبارك لك ربك.

• فعن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا - أو قال حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**»[١].

□ وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «في الحديث حصول

وحسَّنه، والنسائي، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وابن حبان عن صخر، ورواه ابن ماجه عن ابن عمر، ورواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن عبد الله بن سلام، وعن عمران بن حصين، وعن كعب بن مالك، وعن النواس بن سمعان، وقال المنذري: رواه جماعة من الصحابة، وبعض أسانيده جيدة، وبعضها حسنه، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٩٠٨)، و«صحيح الجامع» (١٣٠٠).

(١) رواه البخاري (٤/ ٣٠٩)، ومسلم (١٠/ ١٧٦).

البركة لهما إن حصل منهما الشرط وهو الصدق والتبين، ومحقها إن وجد ضدهما وهو الكذب والكتم. وهل تحصل البركة لأحدهما إذا وجد منه المشروط دون الآخر؟ ظاهر الحديث يقتضيه، ويحتمل أن يعود شؤم أحدهما على الآخر بأن تنزع البركة من المبيع إذا وجد الكذب أو الكتم من كل واحد منهما، وإن كان الآخر ثابتًا للصادق المبيِّن والوزر حاصل للكاذب الكاتم، وفي الحديث أن الدنيا لا يتم حصولها إلَّا بالعمل الصالح، وأن شؤم المعاصي يذهب بخير الدنيا والآخرة»اهـ.

□ وقال الأشج الصيدلاني: «مرّ بي رجل فرأى قلة الناس عندي وكثرتهم عند غيري فقال: أتريد أن تكثر مبايعتك ويحسُن حالك؟ قلت: نعم. فقال: أصدق واصبر سنة، فإن الصدق يستحيي لنفسه أن يبطئ عنك أكثر من سنة. ففعلت فكثر زحام الناس عند حانوتي، ثم مر بي فرأى كثرة الناس عندي فقال: احذر ولا تتكل على ما وهمتهم من الصدق، فتدعوك نفسك إلى ضعف ربحك اليوم، فإنك إن عدت إلى الكذب زاد عليك الكساد. فلم أزل قابلًا لوصيته، ثم مر بي بعد سنوات، فقال: قليل الربح مع كثرة الحرفاء أربح من كثرة مع قلة الحرفاء، وقد قالوا: الزم الصحة يلزمك العمل؛ ولو حلفت أنها كلمة نبي لرجوت أن لا أحنث، ثم لم أره بعد ذلك، فرحمه الله حيًّا وميتًا فقد نصح»[1].

١٨- السفر للتجارة ابتغاء الرزق:

* قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾

[المزمل: ٢٠].

(١) «محاضرات الأدباء» (١/ ٤٦٦)، و«البركة» (ص٦٥).

والحركة لقاح الجد العقيم.

□ وقال أبو تمام:

أرادت بأن يحوي الرغيباتِ وادع وهل يفرس الليث الطلى وهو رابض؟[١]

□ وقال المبرد: «الفقر في أوطاننا غربة، والمال في الغربة أوطان وكل بلاد أخصبت فبلادي».

١٩- أخذ المال بسخاوة نفس من أسباب البركة:

إن الرضا بما قسمه الله من دلائل الإيمان. وبتوفر عدم الشده في أخذ المال موجب للبركة.

• فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: **«يا حكيم، إن هذا المال خَضِرةٌ حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارَك له فيه..»**[٢].

٢٠- الزواج ويسُر المؤونة:

* قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

• وقال ﷺ: **«ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»**[٣].

(١) «ديوان أبي تمام» (٢/ ٢٩٧) طبع دار المعارف.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٣٣٥).

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٠).

٢١- **بركة العدل:**

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليُوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لعيش بَعْد المسيح**[(٢)]**، يُؤذن للسماء في القَطْرْ**[(٣)]**، ويُؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حَبَّكَ على الصفا**[(٤)] **لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضرُّه، ولا تشاحَّ**[(٥)]**، ولا تحاسد، ولا تباغض**»[(٦)].

• وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع**[(٧)] **الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيَّات لا تضرُّهم، فيمكث (أي: عيسى عليه السلام) أربعين سنة، ثم**

---

(١) رواه البخاري واللفظ له (٤/ ٤١٤)، (٥/ ١٢١)، (٦/ ٤٩٠)، ومسلم - كتاب الإيمان- باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا ﷺ، وابن منده في كتاب الإيمان (١/ ٥١٣).

(٢) أي: بعد نزول المسيح وقتله للدجال.

(٣) القطر: المطر.

(٤) الصفا: الصخرة الملساء.

(٥) لا تشاحَّ: أي لا مُعاداة.

(٦) إسناده صحيح: رواه أبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين»، ورواه الديلمي (٢/ ١٦١)، وابن المحب في «صفات رب العالمين»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٢٦)، و«صحيح الجامع» (٣٨١٤).

(٧) ترتع: أي تلعب.

يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[(١)].

٢٢- بركة العيدين:

□ عن أم عطية ﵂ قالت: «كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نُخرج البكر من خدرها، حتى نُخرج الحُيَّض فيكن خلف الناس فيكبرون تكبيرهم ويدعون بدعائهم. «يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته»[(٢)].

والمراد به: «أي: البركة والطهر» التطهر من الذنوب.

٢٣- بركة ليلة القدر، والصيام:

* قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان].

□ قال الإمام الألوسي في «التفسير»[(٣)]: «هي ليلة القدر على ما روي عن ابن عباس وقتادة وابن جبير ومجاهد وابن زيد والحسن، وعليه أكثر المفسرين والظاهر معهم..

وقيل: ليلة النصف من شعبان.

ووصف الليلة بالبركة لما أن إنزال القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها، أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وفضيلة العبادة، أو لما فيها من ذلك وتقدير الأرزاق وفصل الأقضية

---

(١) جزء من حديث صحيح: رواه أحمد (٩٢٥٩)، وأبو داود (٤/ ١١٧)، وابن جرير (٩/ ٣٨٨)، وابن حبان (٨/ ٢٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٨)، وصحح سنده أحمد والطبري الشيخ أحمد شاكر.

(٢) رواه البخاري- كتاب العيدين (٢/ ٤٦١).

(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ١١٠).

كالآجال وغيرها، وإعطاء تمام الشفاعة له عليه الصلاة والسلام. اهـ.

□ وقال الإمام القرطبي [(١)]: «الليلة هي ليلة القدر، ويقال ليلة النصف من شعبان. والأول أصح لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾[القدر].

□ قال الشنقيطي رحمه الله: «أبهم الله تعالى هذه الليلة المباركة هنا، ولكنْ بَيَّنَ أنها هي ليلة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ وبين كونها «مباركة» المذكورة هنا في قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر] إلى آخر السورة.

فقوله: ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ أي: كثيرة البركات والخيرات، ولا شك أن ليلةً هي خير من ألف شهر – إلى آخر الصفات التي وصفها الله بها في سورة القدر – كثيرة البركات والخيرات جدًّا، وقد بين تعالى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أُنزل فيها القرآن من شهر رمضان في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح، ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل» [(٢)] اهـ.

وكذلك بركة شهر رمضان:

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «**قد جاءكم رمضان شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب**

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٢٦).

(٢) «أضواء البيان» (٧/ ٣١٩).

الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشيطان، فيه ليلة خير من ألف شهر، مَنْ حُرِم خيرها فقد حرم»[١].

٢٤- بركة السحور:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحروا، فإن في السحور بركة**»[٢].

□ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «المراد بالبركة الأجر والثواب أو البركة لكونه يقوي على الصوم وينشط له ويخفف المشقة فيه، وقيل: البركة ما يتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر.

والأولى أن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة: وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوي على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب بالصدق على من يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة وتدارك فيه نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام. اهـ.

• فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان فقال: «**هلم إلى الغداء المبارك**»[٣] يعني السحور.

ومما جاء أيضًا في بركة السحور قول النبي ﷺ: «**إن السحور بركة أعطاكموها الله، فلا تدعوها**»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٣٠).
(٢) رواه البخاري (٤/ ١٣٩)، وأحمد (٣/ ١٢).
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٦/ ٤٧٠)، وصححه في «صحيح الجامع» (٧٠٤٣).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٣٦).

• وقال ﷺ: «إن الله تعالى جعل البركة في السحور والكيل»[(١)].

• وقال ﷺ: «السحور أكلةُ بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[(٢)].

٢٥- البركة في الوفاء بالمكيال والميزان:

• فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه»[(٣)].

• وقال ﷺ: «كيلوا طعامكم، فإن البركة في الطعام المكيل»[(٤)].

• وقال ﷺ: «إن الله تعالى جعل البركة في السحور والكيل»[(٥)].

٢٦- بركة ماء زمزم:

• قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِب له»[(٦)].

يا طيبَ زمزمَ مَطْعَمًا أو مشربًا   تهفو لورْدِ نعيمِه الأرواحُ

---

(١) حسن: رواه الشيرازي في «الألقاب» عن أبي هريرة، وحسَّنه في «الصحيحة» (١٢٩١)، و«صحيح الجامع» (١٧٣٥).

(٢) حسن: رواه أحمد عن أبي سعيد، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٦٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٦٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٣٤٥).

(٤) صحيح: أخرَجه ابن النجار عن علي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٥٩٩).

(٥) حسن: رواه الشيرازي في «الألقاب» عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٩١)، و«صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٦) رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن ماجه، والبهقي في «سننه» عن جابر، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «الإرواء» (١١٢٣)، و«الصحيحة» (٨٨٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٥٠٢).

جبريـلُ أطلقـه بهمـزِ جناحـه فـإذا بـه مـستر سـلًا ينـداحُ

من قال زمـزمُ قُدِّسـت أسرارُهـا عنـد الإلـه فـما عليـه جُنـاحُ

• عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال أبو ذرٍّ في حديث طويل، ثم ذكر سؤال النبي ﷺ له: «**متى كنت هاهنا؟**» قال: قلت: قد كنت هاهنا من ثلاثين بين ليلة ويوم قال: «**فمن كان يطعمك؟**» قال: قلت: ما كان لي طعام إلَّا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت علي بطني وما أجد على كبدي سُخْفَةَ جوع. قال: «**إنها مباركة، إنها طعام طعم وشفاء سقم**»[١].

□ وقال النووي: «**طعام طعم**»، أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

• وقال أيضًا ﷺ: «**إنها لمباركة، هي طعام طُعمٍ، وشفاء سقمٍ**»[٢].

• وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**زمزم طعامُ طُعمٍ، وشفاء سُقم**»[٣].

• وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وفيه طعام من الطُّعم، وشفاء من السُّقم، وشر ماءٍ على وجه الأرض ماءُ بوادي بدهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام، يصبح يتدفق، ويمسي لا بلال بها**»[٤].

---

(١) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» (١٦/ ٢٠)، وأحمد (٥/ ١٧٥)، والطيالسي (٤٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود الطيالسي انظر: «صحيح الجامع» برقم (٢٤٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة والبزار انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٥٧٢).

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٥٦).

□ قال سُوَيد بن سعيد: «رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة، فقال: «اللهم إن ابن أبي الموال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لِمَا شُرِب له»، وهذا أشربه لعطش القيامة ثم شربه»[١].

□ وسئل ابن خزيمة: من أين أُتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»، وإني لما شربت، سألت الله علمًا نافعًا»[٢].

□ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وأنا شربته مرة وسألت الله -وأنا حينئذٍ في بداية طلب الحديث- أن يرزقني حالة الذهبي في حفظ الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة، فسألته رتبة أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك»[٣].

٢٧- زيت شجرة الزيتون المباركة:

* كفانا تدليلًا على بركته قوله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ.. ﴾ [النور].

□ يقول الألوسي في تفسير كلمة «مباركة» وفي الشجرة ما نصه [٤]:

﴿ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾: أي كثيرة المنافع بأن رويت ذبالته بزيتها، وقيل: إنما

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٠/ ١١٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء».

(٣) جزء في حديث: «ماء زمزم لما شرب له» للحافظ ابن حجر (ص٣٧).

(٤) «روح المعاني» للألوسي (١٨/ ١٦٧).

وصفت بالبركة؛ لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين، وقيل: بارك فيها سبعون نبيًّا منهم إبراهيم عليه السلام.

و ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾: أي بدل من شجرة: وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة، ثم الإبدال عنها أو بيانها تفخيم لشأنها» اهـ.

□ قال الإمام القرطبي في «التفسير»[١]:

﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾، أي: من زيت شجرة فحذف المضاف والزيتون أعظم الثمار نماء والرمان كذلك.

□ قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي»: «شجرة مباركة يعني: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ وصفتها بالبركة لكثرة منافعها وانتفاع أهل الشام بها كذا أميل، والأظهر لكونها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين»اهـ.

• وعن أبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا الزيت؛ فإنه مبارك وائتدموا به وادهنوا به؛ فإنه يخرج من شجرة مباركة**»[٢].

• وروي أيضًا الحديث السابق بلفظ مختلف من حديث عمر رضي الله عنه، وأبي أسيد، وأبي هريرة رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ: «**كلوا الزيت، وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة**»[٣].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٧)، والدارمي (٢/ ١٠٢)، والترمذي (٥/ ٥٨٤ «تحفة الأحوذي»)، وقال المنذري: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وهو كما قال: وقال محقق «زاد المعاد» (٤/ ٣١٧): «رجاله ثقات».

(٣) «زاد المعاد» (٤/ ٣١٦).

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الزيتون منافع: «يُسرج بالزيت، وهو إدام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتُفله، وليس فيه شيء إلَّا وفيه منفعة، حتى الرماد يغسل به الإبرِيسِم». «وهو الحرير».

٢٨- الأماكن المباركة: مكة، المدينة، الشام اليمين - المسجد الأقصى وما حوله - مصر - وادي العقيق:

• قد اختص سبحانه وتعالى بعض الناس وبعض الأمكنة ببركة عظيمة، فقد كان رسول الله ﷺ كثير الدعاء لأهل المدينة بالبركة، فمن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا بركة مع بركة**»، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان [(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه**»، قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر [(٢)].

* قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران].

(١) أخرجه مسلم (٩/ ١٤٦)، وابن السني في «عمل اليوم» برقم (٢٨٠).
(٢) أخرجه مسلم (٩/ ١٤٥)، والترمذي (٩/ ٤١٩) تحفة.

□ قال الإمام الألوسي [(١)]: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: كثير الخير، لما أنه يضاعف فيه ثواب العبادة قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: لأنه يغفر فيه الذنوب لمن حجه وطاف به واعتكف عنده.

□ وقال القفال: «يجوز أن تكون بركته ما ذكر في قوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧].

وقيل: «بركته دوام العبادة فيه ولزومها، وقد جاءت البركة بمعنيين: النمو وهو الشائع، والثبوت وفيه البركة لثبوت الماء فيه»اهـ.

• وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اللهم اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة**»[(٢)].

□ قال الحافظ ابن حجر: «أي من بركة الدنيا بقرينة قوله في الحديث الآخر: «**اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا**»، ويحتمل أنه يريد ما هو أعم من ذلك».

• وعن هشام بن عروة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة وأشد، وصححها لنا، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حماها بالجحفة**»[(٣)].

• وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما بين لابتي المدينة حرام قد حرمه رسول الله ﷺ كما حرم إبراهيم مكة، «**اللهم اجعل البركة فيها بركتين، وبارك لهم في صاعهم ومدهم**»[(٤)].

---

(١) «روح المعاني» (٤/ ٥).
(٢) رواه البخاري (٤/ ٩٧)، وأحمد (٣/ ١٤٢).
(٣) رواه البخاري، ومسلم.
(٤) رواه أحمد (١/ ١٦٩).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: «**أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عُمرة في حجة**»[1].

ومما ورد في بركة المسجد الأقصى وما حوله:

* قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ..﴾ [الإسراء: ١].

□ قال الألوسي في «تفسيره»[2]: قوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾: بركته بما خص به من كونه متعبد الأنبياء عليهم السلام، وقبلة لهم، وكثرة الأنهار والأشجار حوله.

وفي الحديث أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات، وخص فلسطين بالتقديس.

وقيل: بركته أن جعل سبحانه مياه الأرض كلها تنفجر من تحت صخرته، والله تعالى أعلم بصحة ذلك.

وهو أحد المساجد الثلاث التي تشد إليها الرحال، والأربع التي يمنع من دخولها الدجال، فقد أخرج أحمد في «المسند» أن الدجال يطوف الأرض إلَّا أربعة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، والطور، والأقصى.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢)، ووادي العقيق هو بقرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال.

(٢) «روح المعاني» (١٥/ ١١).

ومما ورد في بركة الشام ومصر:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ..﴾ [الأعراف: ١٣٧].

□ قال الإمام القرطبي [(١)]: «الأرض هي أرض الشام ومصر».

□ وقال الإمام الألوسي [(٢)]: «والمراد بالأرض على ما روي عن الحسن وقتادة وزيد بن أسلم أرض الشام وذكر محيي السنة البغوي أنها أرض الشام ومصر».

والمراد بالبركة فيها بالخصب وسعة الأرزاق، أو بذلك ويكون فيها مساكن الأنبياء عليهم السلام والصالحين، وذلك ظاهر على تقدير أن يراد بمشارق الأرض ومغاربها الشام ونواحيها».

• عن أبي أمامة رضي الله عنه: «صفوة الله من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، ولتدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب» [(٣)].

• عن جبير بن نفير عن مسلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه، وقال: «**كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من**

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٧٢).

(٢) «تفسير روح المعاني» (٩/ ٣٧).

(٣) صحيح: رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، والطبراني في «المعجم الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٠٩).

أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحي إليَّ أني مقبوض غير ملَبث، وأنتم تتبعوني أفنادًا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام»[(١)] »اهـ[(٢)].

٢٩- بركة السُّكْنَى بالمدينة المنوَّرة، والأماكن المباركة:

لا يخفى ما في نزول الأماكن المباركة كمكة والمدينة وبيت المقدس حيث يتمكن عالي الهمة من العبادة في المساجد الثلاثة التي تُضاعف فيها الصلاة.

• وقال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[(٣)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إني أُحرِّم ما بين لابتيْ المدينة، أن يقطع عضاهها، أو يُقتلِ صيدها، المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعوها أحد رغبة عنها إلَّا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة، ولا يريد أحد أهل المدينة بشرٍّ إلَّا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أوْ ذوب الملح في الماء**»[(٤)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها،**

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢/٢١٧- ٢١٨)، وابن حبان (١٦١٧)، وأحمد (٤/١٠٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٣٥). وأذال الناس: أي أهان الناس. وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها كما في «النهاية».

(٢) «البركة» (ص ٤١ – ٤٥).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجه، ويأرز: أي يجتمع.

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن سعد ولأوائها: أي الضيق في المعيشة.

فإني أشفع لمن يموت بها»[(١)].

٣٠- اتخاذ النخل وثمارها فإنها بركة:

إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم.

• فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس، إذ أتي بجمار نخلة، فقال النبي ﷺ: **«إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم»**، فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله، ثم التفت، فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكت. فقال النبي ﷺ: **«هي النخلة»**[(٢)].

□ قال الحافظ ابن حجر [(٣)]: «وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعًا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى». اهـ.

٣١- اتخاذ الغنم والماشية والخيل والصلاة في مرابض الغنم:

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تصلوا في مباركِ الإبل، فإنها من الشياطين، وصلوا في مرابض الغنم، فإنها بركة»**[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٩١).

(٢) رواه البخاري في «الأطعمة» (٩/ ٥٦٩)، وأحمد (٢/ ٤١).

(٣) «فتح الباري» (١/ ١٤٥).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٨) وأبو داود كتاب الطهارة باب (٧١)، والصلاة باب (٢٥) (٢/ ١٥٩) عون المعبود انظر: «صحيح الجامع» برقم (٧٣٥١).

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا في مراح الغنم، وامسحوا رغامها، فإنها من دواب الجنة»[١].

• وقال ﷺ: «الإبلُ عِزٌ لأهلها، والغنم بركةٌ، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»[٢].

□ قال صاحب «عون المعبود»: «قال في غاية المقصود: والمعنى أن الغنم ليس فيها تمرد ولا شر وهي ضعيفة، ومن دواب الجنة، وفيها سكينة فلا تؤذي المصلي ولا تقطع صلاته، فهي ذو بركة فصلوا في مرابضها» اهـ.

• وعن أم هانيء أن النبي ﷺ قال لها: «اتخذي غنمًا؛ فإن فيها بركة»[٣].

• وعن عروة البارقي يرفعه قال: «الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»[٤].

• وقال ﷺ: «اتخذي غنمًا؛ فإنها تروح بخير، وتغدو بخير»[٥].

---

(١) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١١٢٨) وقال: رواه ابن عدي والبيهقي ولا بأس به لشواهده.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٠٥) وأبو يعلى في «مسنده» (٤/ ١٦١٤) انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (١٧٦٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٤٢٤)، وابن ماجه في «التجارات» (٢٣٠٤) وفي «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات (ق١٤٢/ ٢) انظر: «صحيح الجامع» برقم (٨٢) و«السلسلة الصحيحة» برقم (٧٧٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «التجارات» (٢٣٠٥)، وفي «الزوائد» إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) حسن: انظر: «صحيح الجامع» برقم (٨٣)، و«السلسلة الصحيحة» (٧٧٣).

أمَّا ما ورد في بركة الخيل:

• فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«البركة في نواصي الخيل»**[١].

□ قال ابن حجر تفسيرًا للبركة: «وقع عند مسلم من رواية جرير عن حصين: قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: **«الأجر والغُنْم»**.

□ وقال الخطابي: «فيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير الوجوه».

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة، والمنفق على الخيل كالباسط كفه بالنفقة لا يقبضها»**[٢].

□ وقيل لبعض الحكماء: «أي الأموال أشرف؟ قال: فرس تتبعها فرس في بطنها فرس».

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الخيلُ ثلاثةٌ: ففرس للرحمن، وفرسٌ للشَّيطان، وفرسٌ للإنسان، فأما فرس الرحمن، فالذي يُرتبطُ في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، أما فرسُ الشيطان فالذي يُقامر أو يراهنُ عليه، وأما فرسُ الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من الفقر»**[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١١٤)، والبخاري كتاب «الجهاد» (٦/ ٥٤)، ومسلم (١/ ١٨) انظر: «صحيح الجامع» برقم (٢٨٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٥٠).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل في نواصي شُقرها الخير»[١].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل لثلاثةٍ: هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي هي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو روضةٍ، فما أصابت في طيلها من المرجِ والرَّوضةِ كانت له حسناتٍ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنَّت شَرفًا أو شرفَين كانت آثارُها وأرواثُها حسناتٍ له، ولو أنها مرَّت فشربتْ ولم يُرد أن يسقيها كان ذلك له حسناتٍ، ورجل ربطها تغنيًا وسترًا وتعففًا، ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها فهي له سترٌ، ورجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً لأهل الإسلام، فهي له وزر»[٢].

• وعن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنمُ»[٣].

• عن سوادة بن الربيع قال: أتيت النبي ﷺ، وأمر لي بذود، وقال لي: «مُر بنيك أن يقصوا أظافرهم عن ضروع إبلهم ومواشيهم»، وقال لهم: «فليحتلبوا عليها سخالها، لا تدركها السنة وهي عجاف»، قال: «هل لك من مال؟» قلت: نعم، لي مال وخيل ورقيق، قال: «عليك بالخيل فارتبطها، الخيل معقود في نواصيها الخير»[٤].

---

(١) حسن: أخرجه الخطيب البغدادي انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٥١).
(٢) أخرجه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي.
(٣) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.
(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ» والبزار والطبراني في «الكبير» انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (١٩٣٦).

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها، وادعُوا لها بالبركة، وقلدوها، لا تقلدوها الأوتار»[١].

• وعن جابر أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير واليمن إلى يوم القيامة، وأهلها مُعانُون عليها، قلدوها ولا تقلدوها الأوتار»[٢].

□ وقد روي لامرئ القيس:

الخير ما طلعت شمس وما غربت معلقٌ بنواصي الخيل معصوبُ

□ وقال الجاحظ: «لم تكن أمة قط أشد عجبًا بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيف إليهم بكل لسان ونسُبت إليهم بكل مكان، فقالوا فرس عربي».

٣٢- البركة في الحجامة:

والبركة في الحجامة عظيمة حتى أن النبي ﷺ كان كثيرًا ما يحتجم.

• فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: يا نافع: قد تَبَيَّغ بي الدم فالتمس لي حجَّامًا واجعله رفيقًا إن استطعت، ولا تجعله شيخًا كبيرًا ولا صبيًا صغيرًا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحجامة على الريق أمثل، وفيه شفاء وبركة وتزيد في العقل وفي الحفظ فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت ويوم الأحد

---

(١) حسن: أخرجه أحمد انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٥٥).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «الأوسط» انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٥٦).

نحريًا واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، فإن اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء وضرب بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جذام ولا برص إلَّا يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء»(١).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مررت ليلة أُسري بي بملأ إلَّا قالوا: يا محمد مر أمتك بالحجامة»**(٢).

• وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حجَّمَهُ أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام، وكلم مواليه فخففوا عنه من ضريبته وقال: **«خير ما تداويتم به الحجامة»**(٣).

٣٣- إكرام الطعام ولعق الأصابع وعدم أكله حارًّا:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»**(٤).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان يلعق أصابعه الثلاث إذا أكل وقال: **«إذا وقعت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، وليسلت أحدكم الصحفة؛ فإنكم لا تدرون في أي**

---

(١) حسن صحيح: أخرجه ابن ماجه في «الطب» (٣٤٨٧)، انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣١٦٩)، و«السلسلة الصحيحة» برقم (٧٦٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٧٩) والترمذي (٢٠٥٤)، وقال محقق «زاد المعاد» (٤/ ٥٢) حديث صحيح بشواهده.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٧٧) عبد الباقي انظر: «صحيح الجامع» (٣٣٢٣) و«السلسلة الصحيحة» برقم (١٠٥٣).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٤١٥) والترمذي كتاب «الأطعمة» باب (١٠) انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٨٢).

طعامكم البركة»[١].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يمسح يده بالمنديل، حتى يلعقها أو يُلعقها»[٢].

• وعن جابر رضي الله عنه بزيادة: «فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»، وعنه رضي الله عنه قال: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى، وليأكلها ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل، حتى يلعقها أو يلعقها؛ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»[٣].

• عن عبد الله بن بسر قال: أهديت للنبي ﷺ شاة والطعام يومئذٍ قليل، فقال لأهله، أطبخوا هذه الشاة وانظروا إلى هذا الدقيق فاخبزوه واطبخوا وأثردوا عليه، قال: وكان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أصبح وسبحوا الضحى أتي بتلك القصعة والتقوا عليها، فإذا كثر الناس جثا رسول الله ﷺ، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله جعلني عبدًا كريمًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا»، ثم قال رسول الله ﷺ: «كلوا من جوانبها، ودعوا ذروتها يبارك لكم فيها».

ثم قال: «خذوا فكلوا، فوالذي نفس محمد بيده ليفتحن عليكم أرض فارس والروم، حتى يكثر الطعام فلا يذكر اسمُ الله عليه»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٧)، ومسلم «الأشربة» (١٣/ ٣٠٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والبيهقي انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٧٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والبيهقي. انظر: «صحيح الجامع» برقم (١٦٥٩).

(٤) أخرجه الألباني في «سلسلة الأحاديث» برقم (٣٩٣)، وقال: «حديث صحيح»، =

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدكم من الطعام فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها**»، قال أبو الزبير: سمعت جابر بن عبد الله يقول ذلك سمعته من النبي ﷺ: «**ولا يرفع الصحفة حتى يلعقها أو يُعلقها؛ فإن في آخر الطعام البركة**»[١].

□ يقول الشيخ الألباني[٢] بعد حديث لعق الأصابع:

• وفي الحديث أدب جميل من آداب الطعام الواجبة، ألا وهو لعق الأصابع ومسح الصحفة بها، وقد أخل بذلك أكثر المسلمين اليوم متأثرين في ذلك بعادات أوربا الكافرة، وآدابها القائمة على الاعتداد بالمادة، وعدم الاعتراف بخالقها والشكر له على نعمه، فليحذر المسلم من أن يقلدهم في ذلك فيكون منهم لقوله ﷺ: «.. **ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

وإنما قلت: «.. الواجبة» لأمره ﷺ بذلك، ونهيه عن الإخلال به، فكن مؤمنًا يأتمر بأمره ﷺ، وينتهي عما نهى عنه، ولا تبال بالمستهزئين الذين يصدون عن سبيل الله من حيث يشعرون أو لا يشعرون. اهـ.

• وعن عبد الله بن بسر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا من حواليها، وذروا ذروتها يبارك فيها**»[٣].

وقال: والحديث علم من أعلام نبوته ﷺ فقد فتح سلفنا أرض فارس والروم وورثنا ذلك منهم وطغى الكثيرون منا فأعرضوا عن الشريعة وآدابها التي منها ابتداء الطعام بـ «بسم الله»، فنسوا هذا حتى لا تكاد تجد فيهم ذاكرًا.

(١) صحيح: انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٩١).

(٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٧٦)، وقال: أخرجه الدارقطني في «الإفراد»، وأبو العباس الأصم، والبيهقي في «الشعب».

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود والبيهقي انظر: «صحيح الجامع» برقم (٤٥٠٤).

• وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت إذا ثردت غطته شيئًا حتى يذهب فورة، ثم تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه أعظم للبركة**»، يعني الطعام الذي ذهب فوره [(١)]، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤكل طعام حتى يذهب بخاره**» [(٢)].

٣٤- اللهج بالدعاء بالبركة اقتداءً بالنبي ﷺ شعار عُلاة الهمم:

اقتداءً بالنبي ﷺ، واتباعًا لهديه الكريم في الدعاء بالبركة في مواقف مختلفة، جعل علاة الهمم من الدعاء بالبركة شعارًا لهم ودثارًا.. وهذه بعض المواقف التي يُستحَبُّ الدعاء فيها بالبركة اتباعًا للرسول الكريم ﷺ:

أ- قبل وبعد الطعام:

• لحديث رسول الله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأبدلنا خيرًا منه، وإذا شرب لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلَّا اللبن**» [(٣)].

□ عن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قالت: «فخرجت فأتيت المدينة، فنزلت بقباء فولدت بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ، فوضعته

---

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٩٢) (٦٥٩) وقال أخرجه الدارمي (٢/ ١٠٠)، وابن حبان (١٣٤٤) والحاكم (٤/ ١١٨)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٤/ ٢) والبيهقي (٧/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٧٧)، وقال: صح عن أبي هريرة وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح كما بينته في «الإرواء» (٢٠٣٨).

(٣) حسن: أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والبيهقي في «الشُّعب»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨١).

في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بثمرة ثم دعا له وبرَّك عليه، وكان أول مولود في الإسلام»[(١)].

□ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «وبَرك عليه: أي قال: بارك الله فيه أو اللهم بارك فيه».

□ وعن أبي موسى قال: «ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة، ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى»[(٢)].

□ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يؤتى بالصِّبيان فَيُبرك عليهم ويُحنِّكُهم، ويدعو لهم»[(٣)].

ب- الدعاء للمتزوج:

• عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صُفرة فقال مَهْيَمْ أوْمَهْ قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال: «**بارك الله لك أولِمْ ولو بشاة**»[(٤)].

• ودعاء العروسين قد علمنا رسول الله أن ندعو لهم: «**بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير**»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» (٧/ ٢٤٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب «العقيقة» (٩/ ٥٨٧).

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود.

(٤) البخاري كتاب «الدعوات» (٨/ ١٠٢) ط. الشعب.

(٥) صحيح: انظر: «صحيح الجامع» برقم (٤٢٨).

□ وعن عائشة رضي الله عنها أنها يوم زفت إلى رسول الله ﷺ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر»[(١)].

ج- إذا اشترى شيئًا جديدًا:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادمًا أو دابة، فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها، وخير ما جبلت عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلت عليه، وإن كان بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه**»[(٢)].

د- الدعاء بالبركة إذا خيفت العين:

* قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الكهف].

• وعن سعيد بن حكيم قال: كان النبي ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئًا بعينه قال: «**اللهم بارك فيه ولا تضره**»[(٣)].

• وله شاهد من حديث سهل بن حنيف عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يمنع أحدكم إذا رأى من أخيه ما يعجبه في نفسه وماله فليبارك عليه؛ فإن العين حق**».

هـ- الدعاء لمن به وجع:

□ عن السائب بن يزيد يقول: «ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وقِعٌ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ

---

(١) أخرجه البخاري «مناقب الأنصار» (٧/ ٢٢٣).

(٢) حسن: أخرجه الحاكم والبيهقي انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٦٠).

(٣) حسن: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٠٧).

فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة»[١].

□ قال ابن حجر في «فتح الباري»: «وقع: أي وجع في القدمين».

وزر الحجلة: هي بيوت تزين بالثياب والأسرة والستور لها عرى وأزرار، وقيل: الطير.

و- الدعاء للأنصار والمهاجرين:

□ عن أنس رضي الله عنه قال: «جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الجهاد وما بقينا أبدًا

• والنبي ﷺ يجيبهم ويقول: «**اللهم إنه لا خير إلَّا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة**»[٢].

ز- الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة:

• عن أنس رضي الله عنه عن أم سليم رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله خادمك ادع الله له. قال: «**اللهم كثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته**»[٣].

□ قال أنس رضي الله عنه: «فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولدَ ولدي يتعادُّون على نحو من مئة اليوم».

• وفي رواية: «فالله أكْثَرَ مالي حتى إن لي كَرْمًا لي لحَمِلُ في السَّنَة مَرَّتَيْن.

---

(١) أخرجه البخاري في «الوضوء» (١/ ٢٩٦).

(٢) البخاري كتاب «الجهاد» (٦/ ٤٦).

(٣) البخاري كتاب «الدعوات» (١١/ ١٨٢).

ووُلِد لصلبي مئة وستة»[١].

ط- الدعاء عند الاستخارة:

• عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمى حاجته**»[٢].

أم المؤمنين جُوَيْرية بنت الحارث رضي الله عنها أعظم امرأة بركة على قومها:

• عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا قَسَّمَ رسول الله ﷺ سَبَايا بني المُصْطَلِق، وَقَعَت جُوَيْرية في سهم رَجُل، فكَاتَبَتْه، وكانت محلَوة مُلَّاحة، لا يراها أحدٌ إلَّا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه، فكَرِهْتُها – يعني: لحُسْنِها- فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، وقد كاتبتُ، فأعِنِّي. فقال: «**أَوَ خيرٌ من ذلك: أُؤَدِّي عنك، وأتزوَّجُكِ؟**»، فقالت: نعم. ففَعَلَ. فبلغ الناس، فقالوا: أصهارَ رسولِ الله! فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٢٢٨).

(٢) رواه البخاري – كتاب «الدعوات» (١١/ ١٨٣).

المُصْطَلِق. فلقد أُعتِقَ بها مئة أهل بيت. فما أعلم امرأةً كانت أعظمَ بركةً على قومِها منها»[١].

عُلاةُ همم مبارَكون يُسْتَسْقَى بهم:

الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ:

□ قال أنسٌ ﷺ: ما من ليلةٍ إلَّا وأنا أرى فيها حبيبي[٢]، ثم يبكي».

□ قال ثابت البناني: «جاء قَيِّمُ أرضِ أنس، فقال: عطِشَت أرْضُوك، فتردَّى أنس، ثم خرج إلى البَرِّيَّة، ثم صلى، ودَعَا، فثارت سحابة، وغشيت أرضه، ومَطرت، حتى ملأتْ صهريجَه، وذلك في الصَّيْف، فأرسل بعض أهله، فقال: انظر أين بلغتْ؟ فإذا هي لم تَعْدُ أرضَه إلَّا يسيرًا»[٣].

الأسود بن يزيد الجُرَشي من سادات التابعين يستسقي به معاوية بن أبي سفيان ﷺ:

□ عن سُليم بن عامر قال: خرج معاوية ﷺ يستسقي، فلما قعدَ على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطَّاهم، فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه ورفع الناس فما كان بأوشكَ مِن أن ثارت سحابة كالتُّرْس، وهبَّت ريح فَسُقِينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم»[٤].

---

(١) انظر: «ترجمة أم المؤمنين جُويرية في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦١- ٢٦٥).

(٢) يعني رسول الله ﷺ.

(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٢٨٩).

(٤) «السير» (٤/ ١٣٦- ١٣٧).

الإمام الرباني الواعظ شيخ أهل دمشق بلال بن سعد مجاب الدعوة:

□ قال عنه الأوزاعي: «كان من العبادة على شيءٍ لم نسمع أحدًا قوي عليه».

□ وقال الأوزاعي: «خرجوا يستسقون بدمشق، وفيهم بلال بن سعد، فقام فقال: يا معشر من حَضَر! ألستم مُقِرِّين بالإساءة؟ قلنا: نعم، قال: اللهم إنك قلت: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وقد أقررنا بالإساءة، فاعف عنَّا واسقنا. قال: فَسُقينا يومئذٍ»[(١)].

سيد العلماء أيوب السِّختياني ولي الله الرباني:

□ كان أيوب في طريق مكة، فأصاب الناس عطش حتى خافوا. فقال أيوب: أتكتمون عليّ؟ قالوا: نعم. فدوّر رداءه ودعا، فنبع الماء، وسقوا الجِمال، ورووا، ثم أمرَّ يده على الموضع فصار كما كان»[(٢)].

علم الزُّهَّاد، بركة العصر معروف الكرخي مجاب الدُّعاء:

□ عن ابن مسروق قال: «حدثنا يعقوب ابن أخي معروف، أن معروفًا استسقى لهم في يوم حارّ، فما استتمُّوا رَفْع ثيابهم حتى مُطِروا».

□ قال الذهبي: «وقد استُجيب دعاء معروف في غير قضية»[(٣)].

الإمام القدوة شيخ نيسابور أحمد بن حرب:

استسقى لهم ببخارى، فما انصرفوا إلَّا يخوضون في المطر رحمة الله

---

(١) «السير» (٥/ ٩٠- ٩٢).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥١٤- ٥١٥).

(٣) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٧١٥).

عليه[١].

القاضي الربَّاني منذِر بن سعيد البَلُّوطِيُّ مجاب الدعاء:

□ قال عنه الذهبي: «وقد استُسقِيَ غير مرَّة، فسُقي».

□ قال الحسن بن محمد: «قحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أيَّامًا وتأهَّب، واجتمع الخلْق في مُصَلَّى الرَّبَض، وقام لِيَخْطُبَ فلما رأى الحالَ بكى ونشجَ وافتتح خطبته بأن قال: سلام عليكم، ثم سكت شبة الحسير، ولم يكن من عادَته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] استغفروا ربكم وتوبوا إليه، وتقرَّبوا بالأعمال الصالحة لديْه، فضجَّ الناس بالبكاء، وجأروا بالدعاء والتضرّع وخطب فأبلغ، فلم يَنْفَضَّ القوم حتى نزل غيث عظيم»[٢].

شيخ الإسلام الحَجْرِي الأندلسي:

□ قال ابن سالم: «إذا ذُكِر الصالحون، فحيَّهلًا بابن عبيد الله»[٣].

□ قال الذهبي: «كان أهل سبتة يتغالَوْن فيه، ويتبرّكون برؤيته رحمه الله.

صادف وقت وفاته قحط، فلما وُضِعت جنازته سُقُوا، وما اختلف الناس إلى قبره مُدَّة الأسبوع إلَّا في الوحل.

□ وقال ابنُ فرتون: «ظهرت لأبي محمد بن عُبيد الله كراماتٌ، حدَّثنا

---

(١)«السير» (١١/ ٣٢- ٣٥).

(٢)«نزهة الفضلاء» (٢/ ١١٦١- ١١٦٢).

(٣)أي: الحجري.

شيخنا الراوية محمد بن الحسن بن غازٍ، عن بنت عمه -وكانت صالحةً، وكانت استُحيضت مُدَّة- قالت: حُدِّثت بموت ابن عُبيد الله، فشقّ عليَّ أن لا أشهده، فقلتُ: اللهم إنْ كان وَليًّا من أوليائِك، فأمسِكْ عني الدَّمَ حتى أُصلِّي عليه، فانقطع عني لوقته، ثم لم أرهُ بَعْدُ».

شيخ الإسلام الزاهد أبو عمر المقدسي:

استسقى مرّة، بالمغارة فحينئذٍ نزل غيث أجرى الأودية.

أهل الله المبارَكُون:

القدوة الفقيه الزاهد مسلم بن يسار:

□ قال العلاء بن زياد: «لو كنتُ متمنيًا، لتمنَّيْتُ فقه الحسن، وورعَ ابن سيرين، وصوابَ مُطرِّف، وصلاة مسلم بن يسار.

□ وعن معاوية بن قُرَّة قال: «كان مسلم بن يسار يَحُجُّ كُلَّ سَنة ويُحجِّج معه رجالًا من إخوانه، تعوَّدوا ذلك، فأبطأ عامًا حتى فاتت أيام الحج[١]، فقال لأصحابه: اخرجوا، فقالوا: كيف؟ قال: لا بد أن تخرجوا، ففعلوا استحياءً منه فأصابهم حين جَنَّ عليهم الليل إعصارٌ شديد حتى كاد لا يرى بعضُهم بعضًا، فأصبحوا وهُم ينظرون إلى جبال تهامة، فحمدوا الله، فقال: ما تعجبون من هذا في قدرة الله تعالى»[٢].

الإمام الرباني، شيخ الديار المصرية، حَيْوَةُ بنُ شُرَيح التُّجيبي:

□ قال ابن وهب: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ استخفاء بعمله من حَيْوَة،

(١) يعني فات: لمن يريد أن يخرج على راحلته من العراق إلى مكة لا يستطيع أن يدرك الحج.

(٢) انظر ترجمة مسلم بن يسار من «السير» (١/ ٤٣٥).

وكان يُعرَف بالإجابة، يعني في الدعاء.

□ قال ابن وهب: «كان حيوة يأخذ عطاءَه في السنة ستين دينارًا فلم يطلع إلى منزله حتى يتصدَّق بها، ثم يجيء إلى منزله، فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له، فأخذ عطاءه، فتصدَّق به كُله، وجاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئًا، فشكا إلى حيوة فقال: أنا أعطيتُ ربي بيقين، وأنت أعطيتَه تجربةً»[١].

□ وعن خالد قال: «كان حيوة بن شريح من البكائين، وكان ضيِّق الحال جدًّا يعني فقيرًا مسكينًا، فجلست وهو مُتَخَلٍّ يدعو. فقلت: لو دعوت الله أن يُوسع عليك؟! فالتفت يمينًا وشمالًا فلم ير أحدًا، فأخذ حصاة فرمى بها إليَّ، فإذا هي تبرة في كَفِّي، والله ما رأيتُ أحسنَ منها، وقال: ما خيرٌ في الدنيا إلَّا للآخرةِ. ثم قال: هو أعلمُ بما يصلحُ عباده. فقلت: ما أصنعُ بهذه؟ قال: استنفِقها فَهِبتُهُ والله أن أردَّها»[٢].

حَبْرُ القرآن أبو رويم نافع بن أبي نعيم أحد القرَّاء السبعة:

□ قال مالك رحمه الله: «نافع إمام الناس في القراءة، وقراءة نافع سُنَّة».

□ رُوي أن نافعًا كان إذا تكلَّم تُوجد مِن فيه ريح مسك، فسُئِل عنه قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم تَفَلَ في فِيَّ»[٣].

إبراهيم بن أدهم، الإمام القدوة العارف، سيد الزُّهَّاد:

□ قال سفيان الثوري: «كان إبراهيم بن أدهم يُشْبه إبراهيم الخليل،

---

(١) «السير» ترجمة الإمام حيوة (٦/ ٤٠٤- ٤٠٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٣٦- ٣٣٨).

ولو كان في الصحابة، لكان رجُلًا فاضِلًا».

□ قال عاصم بن روّاد: «سمعتُ عيسى بن حازم النيسابوري يقول: «كُنَّا بمكة مع إبراهيم بن أدهم، فنظر إلى أبي قُبَيْس، فقال: لو أن مُؤمنًا مستكْمِل الإيمان يهزُّ الجبل لتحرَّك، فتحرَّك أبو قبيس، فقال: اسكنْ ليس إياك أردتُ»[(١)].

شيخ الإسلام وعالم خُراسان يحيى بن يحيى التميمي:

□ قال أحمد بن حنبل رحمه الله: «كان يحيى بن يحيى عندي إمامًا، ولو كانتْ عندي نفقة لرحلتُ إليه».

□ قال الحاكم: «سمعتُ أبي: سمعت أبا عمرو العَمْرَوِيَّ والي البلد يقول: بينا أنا نائم ذات ليلة على السطح إذْ رأيت نورًا يسطع إلى السماء، من قبر في مقبرة الحسين، كأنه منارة بيضاء، فدعوتُ بغلام لي رامٍ، فقلت: ارم ذلك القبر الذي يسطع منه النور، ففعل، فلما أصبحتُ، بكَّرت بنفسي، فإذا النشَّابة في قبر يحيى بن يحيى رحمة الله عليه»[(٢)].

أحمد بن حنبل إمام أهل السُّنَّة المبارك:

□ عن فاطمة بنت أحمد بن حنبل قالت: «وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج بفتيَّة، فحملوا إليه جهازًا شبهًا بأربعة آلاف دينار، فأكلته النارُ، فجعل صالح يقول: ما غمَّني ما ذهب إلَّا ثوبٌ لأبي كان يصلي فيه أتبرَّكُ به وأصلي فيه. قالت: فطفِئَ الحريق، ودخلوا فوجدوا الثوب على سريرٍ قد أكلت النارُ ما حوله وسَلِمَ.

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٩٦).

(٢) انظر: «السير» (١٠/ ٥١٢- ٥١٩).

□ قال ابن الجوزي: «بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي أنه حكى أن الحريق وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلَّا كتابًا كان فيه شيء بخطِّ الإمام أحمد، قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، وغرقت كتبي، سَلِم لي مجلَّدٌ فيه ورقتان بخطِّ الإمام.

□ قال الذهبي: «قلتُ: وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عامَ على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز عُلُوَّ ذراعٍ، ووقف بقدرة الله، وبقيت الحصرُ حول قبر الإمام بغبارها، وكان ذلك آية»[1].

الإمام القدوة الوليّ الحافظ عبد الله بن مُنَير المروزي:

□ قال البخاري: «لم أر مثل عبد الله بن منير».

□ قال يحيى بن بدر القرشي: «كان عبد الله بن منير قبل الصلاة يكون بفَرَبر، فإذا كان وقت الصلاة يرَوْنه في مسجد آمل، فكانوا يقولون: إنه يمشي على الماء. فقيل له في ذلك، فقال: أما المشيُ على الماء فلا أدري، ولكن إذا أراد الله جمع حافتيّ النهر حتى يعبر الإنسان».

□ قال: «وكان إذا قام من المجلس خرج إلى البرية مع قوم من أصحابه، يجمع شيئًا من الأشنان وغيره يبيعه في السوق، ويعيش منه. فخرج يومًا مع أصحابه، فإذا هو بالأسد رابض فقال لأصحابه: قِفوا. وتقدَّم هو إلى الأسد، فلا ندري ماذا قال له، فقام الأسد، فذهب».

□ وسُئِل بن راهويه: «أيدخلُ الرجلُ المفازة بغير زاد؟ قال: إنْ كان

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٨١٩).

مثل عبد الله بن منير، فَنَعم»[(١)].

أم الإمام البخاري المباركة:

□ قال محمد بن أحمد بن الفضل البلخيُّ: «سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل البخاري في صِغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه، قد ردَّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك، شك البلخي، فأصبحنا وقد ردَّ الله عليه بصره»[(٢)].

بقيُّ بن مَخْلَد الإمام المبارك:

□ ذكر عبد الرحمن بن أحمد عن أبيه: «أن امرأة جاءت إلى بَقِيٍّ، فقالت: إنَّ ابني في الأسر ولا حيلة لي، فلو أشرتَ إلى مَن يَفديه، فإنني والهةٌ، قال: نعم، انصرفي حتى أنظرَ في أمره، ثم أطرق، وحرَّك شفتيْه، ثم بعد مُدَّة جاءت المرأة بابنها، فقال: كنتُ في يد مَلِكٍ، فبيْنَا أنا في العمل، سقط قيدي، قال: فذكر اليوم والساعة، فوافق وقت دعاء الشيخ. قال: فصاح علي المُرَسَّم بنا، ثم نظر وتحيَّرَ، ثم أحضر الحدَّاد وقيَّدني، فلما فرَغه ومَشَيْتُ سقط القيدُ فبُهِتوا، ودَعَوا رهبانهم، فقالوا: ألك والدة؟ قلتُ: نعم، قالوا: وافق دعاءها الإجابة»[(٣)].

محمد بن نصر المَرْوزي الإمام المبارك شيخ الإسلام[(٤)]:

□ قال الإمام محمد بن نصر: «خرجتُ من مصر ومعي جارية،

(١) «السير» (١٢/ ٣١٦- ٣١٧).
(٢) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٨٩٨).
(٣) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٩٧٣- ٩٧٤).
(٤) انظر ترجمته في «السير» (١٤/ ٣٣-٤٠).

فركبتُ البحر أريدُ مكة، فغرقتُ، فذهب مني ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا فيها أحدًا، وأخذني العطش فلم اقدر على الماء، فوضعتُ رأسي على فَخِذ جاريتي مستسلمًا للموت، فإذا رجلٌ قد جاءني ومعه كُوز، فقال لي: هاه. فشربتُ وسَقَيْتُها، ثم مضى، فما أدري من أين جاء؟ ولا من أين راح؟»[١].

شيخ الإسلام المبارك بُنَان الحَمَّال:

كان يُضرب بعبادته المثل.

□ قال الذهبي: «يروى أنه كان لرجل على آخر دَيْن مئة دينار، فطلب الرجلُ الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلى بُنان ليدعو له، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحبُّ الحلواءَ، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعوَ لك، ففعل الرجل وجاء، فقال بُنان: افتح ورقة الحلواء، ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال: هي وثيقتي. قال: خُذْها، وأطعم الحلواء صبيانك»[٢].

ونختم علُاة الهمم المباركين بشيخنا محمد بن إسماعيل المقدم:

ادخَّر الله لعصرنا ومصرنا هذا الشيخ المبارك الذي تكلم عن عقيدة سلفنا الصالح، ونظَّر للسلفية في مصرنا، تكلم وأجاد وأفاد، وانتشر الخير على يده بين شباب البلاد، وساق الشباب إلى الله سوْقًا جميلًا، ووقف كما الطود الشامخ أمام أهل البدع والزنادقة والعلمانيين وحمى بيضة الإسلام والاتباع، وأسلم بسبب محاضراته العشرات، واستقام على طريق الله على يديه الآلاف فصاروا أهل اتباع وحماة المذهب السلفي، وهو -والله-

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ١٠١٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٨٨- ٤٩٠).

كالغيث أينما حَلَّ نفع.. وكم له من آثار في فتح القلوب وإقبالها على الله، وهو من العبادة والحرص على الأذكار بالمحل الأعلى [١].

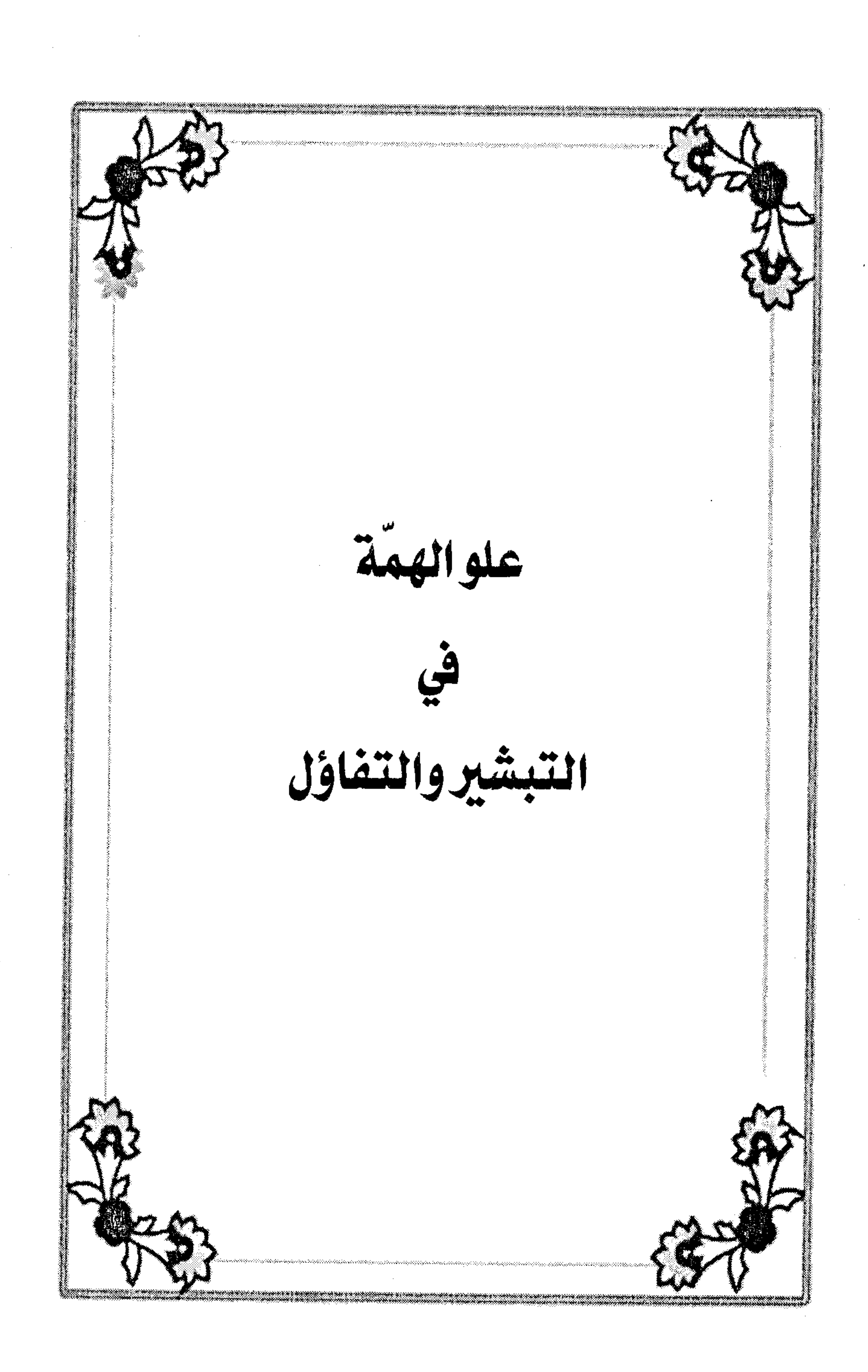
□ كانت ساحة الاتباع والسلفيَّة قد أجدبت، وصوّح نبتُها، وجَفَّت أغصانها، واسَّاقطت أوراقها، وانقطع ثمرها، والناس من فوقها ينظرون يمنة ويُسرة، عَلَّهم يروْن رجلًا يخلف الغابرين من أئمة سلفنا، فتعود أبصارهم كليلة حاسرة فقيَّض الله هذا الرجل الربَّاني- وهو نعمة جليلة، وهو من أولئك الأفذاذ الذين قلَّما يجود الزمان بمثله، فحمل الأمانة كأحسن ما يكون الحمل، ووفَّى لنبيه ﷺ ودينه كأعظم ما يكون الوفاء إن شيخنا المقدَّم حفظه الله راحلة علم عالية السنام، يَغدوا إليها رواحل العلم خِفافًا وخِماصًا، وتروح عنها ثقالًا بطانًا، وهو منارة عَلَتْ في سماء قرننا ومصرنا ضوَّأت آفاق الحياة، وأقبلت إليها ركائب طلَّاب المعرفة من البلدان، تنهل من معينها الثَّرِّ الصافي.

فهنيئًا لأمة أنبت الله فيها هذا الشيخ المبارك، ورزق الله شيخنا المقدَّم أعالي الفردوس ورفقة نبيه وحبيبه ﷺ..

لِيُسْق عهدكمْ عهدَ السرور فما كنتم لأرواحنا إلَّا رياحينا

(١) «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٤٨٦، ١٤٨٧).





علو الهمّة في التبشير والتفاؤل



علو الهمّة في التبشير والتفاؤل

✍ التبشير صفة النبيّين والمرسلين، وبه ينشرح الصدر ويفرح القلب، وتسكن النفس، ويرتاح البال، فأنعم، به صفةً ووصفًا لعُلاة الهمم أهل الكمال.

التبشير لغة:

□ يقول ابن فارسٍ: «الباءُ والشِّين والرَّاءُ أصلٌ واحدٌ: هو ظهور الشيءِ مع حسنٍ وجمالٍ، فالبشرةُ ظاهر جلد الإنسان. وسمِّي البَشَر بَشَرًا لظهورهمْ، والبشيرُ: الحسنُ الوجه، والبَشارَةُ الجمالُ، قال الأعشى:

وَرَأَتْ بِأَنَّ الشَّيْبَ جَا نَبَهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبَشَارَة

ويُقال: بشَّرْتُ فلانًا أُبشِّرُهُ تبشيرًا، وذلك يكون بالخير، وربَّما حُمِلَ عليه غيره من الشَّرِّ لضرْبٍ من التبكيتِ، فأمَّا إذا أُطْلِق الكلام إطلاقًا فالبشارةُ بالخير والنِّذارةُ بغيرِهِ».

□ ويقول الرَّازيُّ: «والبشارَةُ المطلقةُ لا تكون إلَّا بالخير، وإنَّما تكون بالشرِّ إذا كانت مقيَّدةً به كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران] وتباشَرَ القومُ: بشَّرَ بعضهم بعضًا، والبشرُ: المبشِّرُ، والمبشِّرَات: الرِّياحُ التي تُبشِّرُ بالغيث».

□ ويقول صاحبُ «اللِّسَانِ»: «والتَّبشير يكون بالخير والشَّر، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران] والاسمُ البشرى. وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]. والاسم البشارةُ بالكسْرِ والضمِّ، وتقولُ: أبْشر بخير، بقطع الألفِ،

وبشِرْتُ بكذا - بالكسر - أبشَرُ أي استبْشَرْتُ به، وتباشَرَ القوم: أي بشَّرَ بعضهم بعضًا، والبُشَارَةُ أيضًا: ما يُعْطَاهُ المبشِّرُ بالأمر، وفي حديث توبة كعبٍ «فأعطيتهُ ثوبيَّ بشارةً»، والبشيرُ: المُبَشِّرُ الذي يُبَشِّرُ القوم بأمرٍ خيرٍ أو شرٍّ.

□ وقال الزَّجَّاجُ: «معنى يَبْشُرُكَ: يسُرُّكَ ويفرحُكَ، وبَشَرْتُ الرَّجُل أبْشُرُه إذا أفرحْتَهُ. قال: وأصلُ هذا كله أنَّ بشرةَ الإنسان تنبسطُ عند السُّرور، ومنْ هذا قولهم: فلانٌ يلْقاني ببشْرٍ، أي بوجْهٍ منْبَسِطْ»(١).

واصطلاحًا:

كلُّ خبر صدْقٍ تتغيَّرُ به بشرةُ الوجه، ويستعمَلُ في الخير والشَّرِّ، وفي الخير أغلبُ(٢).

التبشير والبشارة في القرآن الكريم:

وردت البشارة في القرآن الكريم على اثني عشر وجهًا لاثني عشر قومًا بِاثْنَتَيْ عشرةَ كرامةً:

الأول: بشارةُ أربابِ الإنابة بالهداية: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ﴾ إلى قوله: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

الثاني: بشارةُ المخْبتين والمُخْلصين بالحفْظِ والرعاية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج].

الثالثُ: بشارَةُ المسْتقيمين بثباتِ الولاية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (١/ ٩٤)، و«لسان العرب» لابن منظور (١/ ٢٨٧)، و«مختار الصحاح» للرازي (٤٦)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٢٥١).

(٢) «التعريفات» للجرجاني (٤٥)، و«كشاف اصلاحات الفنون» للتهانوي (١/ ١٧١).

﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠].

الرَّابعُ: بشارةُ المتقين بالفوزِ والحمايةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [يونس].

الخامِسُ: بشارَةُ الخائفين بالمغفرة والوقايةِ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس].

السَّادسُ: بشارَةُ المجاهدين بالرِّضا والعناية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ إلى قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾ [التوبة: ٢٠-٢١].

السابع: بشارَةُ العاصين بالرَّحْمة والكفايةِ: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾

[الحجر: ٤٩-٥٦].

الثامن: بشارة المطيعينَ بالجنَّة والسعادة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ [البقرة: ٢٥].

التاسع: بشارةُ المؤمنين بالعطاءِ والشَّفَاعةِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢].

العاشر: بشارَةُ المنْكرين بالعذاب والعقوبة ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨﴾ [النساء]. ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران]. وهذه استعارَةٌ ولكن تنْبيهٌ أنَّ أسرَّ ما يَسْمعُونَهُ الخبر بما ينالُهم مِنَ العذابِ.

الحادي عشر: بشارةُ الصابرين بالصَّلواتِ والرَّحْمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾

[البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

الثاني عشر: بشارةُ العارفين باللقاءِ والرُّؤيةِ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب][1].

ووردتِ البشارَةُ وما اشْتُقَّ منها في القرآن الكريم في مواضع عديدةٍ، وجاءَتْ في بعض الآياتِ صفَةً للمولى ﷻ، وفي بعضها صفَةً للمصطفى ﷺ، ونُسبَتْ للرِّياح في بعض الآياتِ.

لقد اقترنتِ البشارةُ بالنذَارَةِ خاصَّةً في صفة الأنبياء والمرسلين، وانفردتْ وحدها في بعض الأحيان، أما المُبَشَّرون فقد كانوا أصنافًا عديدةً منهم المؤمنون والمحْسِنون والصابرون.

الآيات الواردة في البشارة والتبشير:

١- البشارة من الله ﷻ أو الملائكة:

* قال تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ

---

(١) «بصائر ذوي التمييز» للفيروزأبادي (٢/ ٢٠٠- ٢٠٢).

عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات].

* وقال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت].

والتبشير عمل النبيين والمرسلين عليهم السلام:

* قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦) ﴾ [الكهف: ٥٦].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾ [الصف].

* وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ [الصف].

والتبشير صفة نبينا ﷺ:

* قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة].

* وقال تعالى: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس].

* وقال تعالى: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم].

* وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج].

* وقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الفرقان].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا

(٤٧)﴾ [الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٩)﴾ [سبأ].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)﴾ [فاطر].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)﴾ [يس].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ [الفتح].

والبشارة من صفة القرآن الكريم:

* قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [فصلت].

* وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحقاف].

البشارة للشهداء وللمؤمنين:

* قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس].

* وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد].

* وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس].

أحاديث عَطِرة في البشارة والتبشير:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النَّبيَّ ﷺ فقال: «يا رسول الله،

هذه خديجةُ قدْ أتتْكَ[(١)] معها إناءٌ فيه إدامٌ[(٢)] أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتْكَ[(٣)] فاقرأْ عليها السلامُ مِنْ ربِّها ﷻ ومِنِّي، وبشِّرْها بِبَيْتٍ في الجنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[(٤)] لا صَخَبَ[(٥)] فيه ولا نَصَبَ[(٦)]»[(٧)].

• عنْ عمرِو بن عوفٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث أبا عُبيدةَ بن الجرَّاحِ إلى البحرين يأتي بجِزْيَتِهَا، وكان رسول الله ﷺ هو صالحَ أهْلَ البحرين وأمَّرَ عليهم العلاءَ بن الحضْرَميِّ، فقدِم أبو عبيدة بمَالٍ من البحرين، فسمعتِ الأنصارُ بقدومه، فوافقتْ صلاةَ الصُّبْح مع رسول الله ﷺ، فلمَّا انصرفَ تعرَّضُوا له، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ حِينَ رآهُمْ وقال: «أظنُكُمْ سمِعْتُمْ بقدوم أبي عبيدةَ وأنَّه جاءَ بشيءٍ». قالوا: أجلْ يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأمِّلُوا ما يسُرُّكُمْ، فوالله ما الفقرَ أخْشَى عليكم، ولكنْ أخْشَى عليكم أنْ تُبسَطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطتْ على مَنْ كان قبْلكم، فتنافَسُوها[(٨)] كما تنافسوها، وتُلْهيَكُم كما ألهتْهُمْ»[(٩)].

---

(١) قد أتتك: معناه توجهت إليك.

(٢) الإدام: ما يؤتدم به، تقول منه: أَدَمَ الخبز باللحم من باب ضرب.

(٣) فإذا هي أتتك: أي وصلتك.

(٤) من قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.

(٥) صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.

(٦) نصب: المشقة والتعب.

(٧) البخاري «الفتح» (٩/ ٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢) واللفظ له.

(٨) تنافس القوم في الشيء إذا رغبوا فيه، وقد حذفت التاء تخفيفًا، والأصل فتتنافسُوهَا بمعنى: تتنافَسُوا فيها.

(٩) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٢٥) وهذا لفظه، ومسلم (٢٩٦١).

• عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه أَنَّهُ توضَّأَ في بيْتِه ثُمَّ خرج، فقال: لألْزَمَنَّ رسول الله ﷺ ولأكُونَنَّ معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووَجَّهَ هاهُنا، فخرجْتُ على إثْرِهِ أسألُ عنه حتى دخل بئْرَ أريسٍ، فجلسْتُ عند الباب - وبابها مِنْ جَرِيدٍ - حتَّى قَضَى رسولُ الله ﷺ حاجتَهُ فتوضَّأَ، فقُمْتُ إليه، فإذا هو جالسٌ على بئْرِ أرِيسٍ[1] وتوسَّط قُفَّها[2] وكشَفَ عن ساقيه ودلَّاهُما في البِئْر، فسلَّمْتُ عليه، ثُمَّ انْصرفتُ فجلسْتُ عند البابِ، فقلتُ: لأكونَنَّ بوَّابَ رسولِ الله ﷺ، فجاءَ أبو بكرٍ فدفع البابَ، فقلْتُ: مَنْ هذا؟ فقال: أبو بكرٍ، فقلتُ: على رِسْلِكَ، ثمَّ ذهبْتُ فقلتُ: يا رسول الله، هذا أبُو بكْرٍ يستأذِنُ، فقال: «ائْذَنْ له وبشِّرْهُ بالجنَّةِ». فأقْبلْتُ حتى قلتُ لأبي بكرٍ: ادخلْ ورسولُ الله ﷺ يُبشِّرُكَ بالجنَّةِ. فدخل أبو بكرٍ فجلس عنْ يمين رسولِ الله ﷺ معه في القُف ودَلَّى رجليْهِ في البئْرِ كما صنَعَ النبيُّ ﷺ وكشف عنْ ساقيْهِ، ثمَّ رجعْتُ فجلسْتُ وقدْ تركتُ أخي يتوضَّأُ ويلحَقُنِي، فقلتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بفُلانٍ خيرًا - يريد أخاهُ - يأتِ به. فإذا إنسانٌ يُحرِّكُ الباب، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: عمرُ بن الخطَّابِ، فقلتُ: على رسلِكَ، ثم جِئْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فسلَّمْتُ عليه فقلتُ: هذا عمرُ بن الخطَّاب يستأذنُ. فقال: «ائذَنْ له وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ». فجئْتُ فقلت: ادخل وبشَّركَ رسول الله ﷺ بالجنَّةِ. فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفِّ عنْ يسارِهِ ودَلَّى رجلَيْه في البئرِ، ثمَّ

---

(١) أريس: بستان بالمدينة معروف. وهو بالقرب من قباء، في بئرها سقط خاتم النبي ﷺ من أصبع عثمان رضي الله عنه.

(٢) توسط قفها: بضم القاف وتشديد الفاء هو الدكة التي تجعل حول البئر، وأصله ما غلظ من الأرض وارتفع، والجمع قفاف.

رجعْت فجلسْتُ فقلْتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بفُلانٍ خيرًا يأتِ به، فجاءَ إنسانٌ يحرِّكُ الباب، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: عثمانُ بنُ عفَّان، فقلت: على رسلِكَ، فجئْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخْبَرْتُهُ، فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجنَّةِ على بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فجئتُهُ فقلتُ له: ادْخُلْ وبشَّرَكَ رسول الله ﷺ بالجنَّة على بَلْوَى تُصِيبُكَ. فدخل فوجَدَ القُفَّ قدْ مُلِئَ، فجلس وِجاهَهُ [(١)] مِنَ الشِّقِّ الآخرِ»[(٢)].

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ بعثَهُ ومعاذًا إلى اليمنِ. فقال: «**يسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وبشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتطاوَعَا**[(٣)] **ولا تختَلِفَا**»[(٤)].

• عَنْ عمرو بن العاصِ رضي الله عنه -وهو في سياقَةِ الموتِ- أنَّهُ بكَى طويلًا وحَوَّلَ وجْهَهُ إلى الجِدارِ، فجعل ابْنُهُ يقول: يا أبتَاهُ أما بَشَّرَك رسولُ الله ﷺ بكذا؟ أما بشَّرَكَ رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقْبل بوجْهِه فقال: إنَّ أفْضَل ما نُعِدُّ شهادةُ أَنْ لا إله إلَّا اللهُ وأنَّ محمدًا رسول الله، إنِّي قدْ كنْتُ على أطْبَاقٍ ثلاثٍ[(٥)] : لقدْ رأيْتُني وما أحدٌ أشدَّ بُغْضًا لرسولِ الله ﷺ منِّي ولا أحبَّ إليَّ أنْ أكُون قد استمْكنْتُ منه فقتلته، فلوْ مُتُّ على تلك الحال لكنْتُ من أهلِ النَّار، فلمَّا جعل اللهُ الإسلامَ في قلْبي أتَيْتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: ابسُطْ يَمينكَ فلأُبَايعْكَ، فبسَطَ يمينَهُ، قال: فقبضْتُ يدي، قال: «**ما لك يا عمرُو؟**» قال: قلت: أردْتُ أنْ أشْترِطَ، قال: «**تشترِطُ بماذا؟**»

---

(١) فجلس وجاهه: بضم الواو وبكسرها: أي مقابله.
(٢) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٦٧٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤٠٣).
(٣) تطاوعًا: أي: ليطع كل منكما لآخر.
(٤) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) واللفظ له.
(٥) كنت على أطباق ثلاث: أي على أحوال ثلاث.

قلتُ: أنْ يُغْفَر لي، قال: «أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلام يَهْدِمُ ما كان قبْله؟ وأنَّ الهجرة تَهْدِمُ ما كان قبلها؟ وأنَّ الحجَّ يهدم ما كان قبْله؟» وما كان أحَدٌ أحَبَّ إليَّ مِنْ رسول الله ﷺ ولا أجَلَّ في عيْنِي منه، وما كنتُ أُطيقُ أَنْ أمْلأَ عَيْنيَّ مِنْهُ إجْلالًا له. ولو سُئلْت أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لمْ أكُنْ أملأ عينَيَّ منْهُ، ولوْ مُتُّ على تلك الحال لرجوْتُ أنْ أكونَ من أهلِ الجنَّة، ثمَّ وَلِينَا أشياءَ ما أدْرِي ما حالي فيها، فإذا أنا مُتُّ فلا تصحَبْني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتُموني فشُنُّوا [(١)] عليَّ الترابَ شنًّا، ثُمَّ أقيمُوا حوْلَ قبْرِي قدْرَ ما تُنْحَرُ جزُورٌ ويقسم لحمُها؛ حتَّى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أُراجِع به رُسُلَ ربِّي» [(٢)].

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ هذه الآيةَ التي في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب] قال في التَّوْراة: «يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسلْنَاكَ شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، وحرزًا للأمِّيِّين أنت عبدي ورسولي سمَّيتُكَ المتوكِّل ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيئة بالسَّيئة، ولكنْ يعفو ويصفحُ، ولنْ يقْبضَه الله حتى يُقيم به الملَّة العوجاءَ بأنْ يقولوا لا إله إلَّا الله فيفْتَحُ بها أعيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلْفًا» [(٣)].

• عن سهلِ بن الحنظليَّة أنَّهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حُنيْنٍ فأطنبُوا السَّيْر، حتى كانتْ عشيَّةٌ، فحضرْت الصلاة عند رسول الله ﷺ،

---

(١) شَنَّ التراب على الشيء: فَرَّقه عليه من كل وجه.

(٢) مسلم (١٢١).

(٣) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٨٣٨).

فجاءَ رجلٌ فارِسٌ فقال: يا رسول الله، إنِّي انطلقْتُ بينَ أيديكمْ حتَّى طلعْتُ جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازنَ على بكْرة آبائهمْ بظُعُنِهمْ ونَعَمِهم وشائِهم اجتمعُوا إلى حُنَيْنٍ، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: «**تلكَ غنيمَةُ المسلمين غدًا إنْ شاء اللهُ**» ثم قال: «**مَنْ يحرُسُنَا الليلةَ؟**» قال أنسُ بنُ أبي مرْثَدٍ الغنويُّ: أنا يا رسول الله، قال: «**فارْكَبْ**» فركبَ فرسًا لهُ، فجاءَ إلى رسولِ الله ﷺ فقال له رسولُ الله ﷺ: «**اسْتَقْبِلْ هذا الشِّعْبَ** [١] **حتى تكونَ في أعْلاهُ، ولا نُغرَّنَّ** [٢] **من قِبَلك الليلةَ**» فلمَّا أصْبَحْنَا خرج رسولُ الله ﷺ إلى مُصلاهُ، فركع ركعتيْنِ، ثمَّ قال: «**هلْ أحْسَسْتُمْ فارسكُمْ؟**» قالوا: يا رسول الله، ما أحْسَسْنَاهُ، فثُوِّبَ بالصَّلاةِ [٣]، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يُصلِّي وهو يلْتَفِتُ إلى الشعبِ، حتى إذا قضى صلاتَهُ وسلم قال: «**أبشرُوا فقدْ جاءَكُمْ فارسُكُمْ**» فجعلنا ننظرُ إلى خلال الشَّجَر في الشِّعْب، فإذا هو قدْ جاءَ حتى وقف على رسولِ الله ﷺ، فسلَّمَ فقال: إنِّي انطَلَقْتُ حتى كنتُ في أعْلَى هذا الشِّعْب حيث أمرني رسولُ الله ﷺ، فلمَّا أصبحْتُ اطَّلعْتُ الشِّعْبين كليهما فنظرتُ فلمْ أرَ أحدًا، فقال لهُ رسولُ الله ﷺ: «**هَلْ نزلت الليلة؟**» قال: لا إلَّا مُصلِّيًا أو قاضيًا حاجةً. فقال له رسولَ الله ﷺ: «**قَدْ أَوْجَبْتَ** [٤] **فلا عليْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا**» [٥].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا اقتربَ الزَّمَانُ لمْ تكدْ**

---

(١) الشعب: الطريق بالجبل وجمعه شعاب.

(٢) لا نُغَرَّن من قبلك الليلة: أي لا نؤخذ على غرة من الناحية التي أنت بها.

(٣) ثُوِّبَ بالصَّلاة: أي أُقيمت الصلاة.

(٤) أوجبت: أي لنفسك الجنة.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠١)، وصححه الألباني (٢١٨٣).

رؤْيَا المسلم تكذِبُ، وأصدقُكُمْ رُؤْيا أصدَقكمُ حديثًا؛ ورؤْيا المسلم جُزءٌ من خمْسٍ وأرْبعينَ جُزْءًا من النُّبوَّةِ. والرُّؤْيا ثلاثةٌ: فرُؤيا الصَّالحةِ[١] بُشْرَى من الله، ورُؤْيَا تحزينٍ من الشيطان، ورؤيا ممَّا يحدِّثُ المرءُ نفسه. فإنْ رأى أحدكمَ ما يكره، فليقم فليصلِّ، ولا يحدِّثْ بها الناس»[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الدِّينَ يسرٌ، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبهُ. فسدِّدوا وقاربُوا وأبْشِروا، واستعينُوا بالغُدوة[٣] والرَّوحة وشيءٍ من الدُّلجةِ[٤]»[٥].

• عن بريدة الأسلميِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بشِّر المشَّائين في الظُّلم إلى المساجد بالنُّوم التَّام يوم القيامةِ»[٦].

• عنْ أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بشِّرْ هذه الأمَّة بالسَّناءِ والرفعة والنَّصْر والتَّمكين في الأرض، فمنْ عمل منهم عمل الآخرةِ للدُّنيا لم يكنْ له في الآخرةِ نصيبٌ»[٧].

---

(١) فرؤيا الصالحة: قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى الصالحة والحسنة حسن ظاهرها، ويحتمل أن المراد صحتها وهو من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته.

(٢) البخاري «الفتح» (١٢/ ٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣) واللفظ له.

(٣) الغدوة: السير أول النهار.

(٤) الدلجة: السير آخر الليل.

(٥) البخاري «الفتح» (١/ ٣٩).

(٦) أبو داود (٥٦١)، وصححه الألباني (٥٢٥)، والترمذي (١/ ٢٢٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٥٨) وقال محققه: حديث صحيح له شواهد كثيرة بمعناه وصححه الألباني، «صحيح الترمذي» (١٨٥).

(٧) «المسند» (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٤/ ٣١١)، وصححه، ووافقه الذهبي. وقال محقق «جامع الأصول» (٩/ ٢٠٣): حديث صحيح. و«شرح السنة» (١٤/ ٣٣٥).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النبيِّ ﷺ، سَمِعَ نقيضًا من فوقِهِ[(١)]، فرفع رأسه فقال: «هذا بابٌ من السماءِ فتحَ اليوم، لم يفْتح قطُّ إلَّا اليوم»، فنزل منه ملكٌ، فقال: «هذا ملكٌ نزل إلى الأرضِ لم ينزِلْ قطُّ إلَّا اليوم»، فسلَّم وقال: «أبشرْ بنورين أُوتِيتهما لم يُؤتهما نبيٌّ قبْلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سُورةِ البقرة، لن تقرأ بحرْفٍ منهما إلَّا أُعطِيته»[(٢)].

• عن أبي طلحة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ جاءَ ذات يومٍ والبشرى في وجهه فقلنا: يا رسول الله إنا لنرى البُشْرى في وجهك؟ فقال: «إنَّهُ أتاني الملكُ فقال: يا مُحمدُ، إنَّ رَبَّكَ يَقُولُ أمَا يُرْضِيكَ أنَّهُ لا يُصَلِّي عليْكَ أَحَدٌ إلَّا صَلَّيْتُ عليهِ عَشْرًا، ولا يُسَلِّمُ عليكَ أحدٌ إلَّا سَلَّمْتُ عليهِ عَشْرًا؟!»[(٣)].

• عن عمْرانَ بن حُصينٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ نفَرٌ منْ بني تميم إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «يَا بَنِي تَمِيم أَبْشِرُوا». فقالوا: بشَّرْتَنا فأعْطِنا فتغيَّرَ وجْهُه. فجاءَهُ أهْلُ اليمن، فقال: «يا أهْلَ اليَمَنِ اقْبَلُوا البُشْرَى إذْ لم يقبَلْهَا بَنُو تَمِيم»، قالوا: قبلْنَا. فأخذَ النَّبِيُّ ﷺ يُحدِّثُ بدْءَ الخلْقِ[(٤)] والعرش، فجاء رجلٌ فقال: يا عمران راحلتك تفلَّتتْ. فليتني لم أقم»[(٥)].

(١) النقيض: الصوت، ونقيض المحامل صوتها ونقيض السقف تحريك خشبه.
(٢) مسلم (٨٠٦).
(٣) النسائي (٣/ ٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٠) وصححه ووافقه الذهبي. وقال محقق «جامع الأصول» (٤/ ٤٠٥): وللحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن أو الصحيح.
(٤) يحدث بدء الخلق: بمعنى يتحدث عن بدء الخلق: والمعنى هنا من التحدث هو التحدث عن إلهام من الله عَزَّوَجَلَّ.
(٥) البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٩٠).

• عن أبي هريرة وأبي سعيدٍ رضي الله عنهما قالا: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «والذي نفسي بيده – ثلاث مراتٍ – ثُمَّ أكبَّ، فأكَبَّ كلُّ رجلٍ منا يبكي لا يدري على ماذا حلف، ثم رفع رأسهُ وفي وجهه البشرى، فكانت أحبَّ إلينا من حُمْر النعم، ثمَّ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ يُصلِّي الصلوات الخمسَ ويصومُ رمضان ويُخْرِجُ الزَّكاة ويجْتنبُ الكبائرَ السَّبْعَ، إلَّا فُتحتْ له أبوابُ الجنَّةِ، فقيل له: ادْخُل بسلام»[1].

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: خرجت ليلةً من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسانٌ. قال: فظننْتُ أنَّه يكره أنْ يمشي معه أحدٌ، قال: فجعلت أمشي في ظلِّ القمر، فالتفتَ فرآني فقال: «مَنْ هذا؟» فقلتُ: أبو ذرٍّ، جعلني الله فداءكَ. قال: «يا أبا ذرٍّ تَعالَ» قال: فمشيْتُ معه ساعةً. فقال: «إنَّ المُكْثِرينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيامةِ، إلَّا مَنْ أعطَاهُ اللهُ خَيرًا، فَنَفَحَ فيه يَمينَهُ وشِمَالَهُ، وبين يديْهِ ووراءَهُ، وعمِلَ فيه خيرًا» قال: فمشيت معه ساعةً، فقال: «اجْلِسْ هَا هُنَا» قال: فأجْلَسَني في قَاعٍ حوْلَهُ حجارةٌ، فقال لي: «اجْلِسْ هاهُنَا حَتَّى أرْجِعَ إلَيْكَ». قال: فانْطَلَقَ في الحَرَّةِ حتَّى لا أرَاهُ. فلَبِثَ عنِّي. فأطال اللُّبْث. ثُمَّ إنِّي سمعته وهو مقبلٌ وهو يقولُ: «وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى». قال: فلمَّا جاء لم أصبر فقلت: يا نبيَّ الله جعلني الله فداءك، منْ تُكلِّمُ في جانب الحرَّة؟ ما سمعت أحدًا يرجع إليك شيئًا. قال: «ذاكَ جِبْريلُ. عَرَضَ لي في جَانِبِ الحرَّةِ، فقال: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أنَّهُ مَنْ ماتَ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا دَخلَ الجَنَّةَ. فقلتُ: يا جبْرِيلُ وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى؟ قال: نعم. قال: قلْتُ: وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى؟ قال: نعم. قال: قلتُ: وإنْ

---

(١) النسائي (٥/ ٨)، وقال محقق «جامع الأصول» (٩/ ٥٤٣): وقال محققه: حديث حسن.

سَرَقَ وإنْ زَنَى؟ قال: نعمْ، وإنْ شَرِبَ الخَمْرَ»[١].

• عن عائشة رضي الله عنها زوْجِ النبي ﷺ؛ أنَّها كانت تقولُ: قال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وقارِبُوا، وأبْشِرُوا؛ فَإنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا، إلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ. واعْلَمُوا أَنَّ أحَبَّ العَمَلِ إلَى الله أَدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ»[٢].

• عنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيْتَ الرجُلَ يعمل العمل من الخيْرِ ويحمدُهُ النَّاسُ عليهِ؟ قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤْمنِ»[٣].

• عن عائشة زوجِ النبي ﷺ، قالت: كان أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤْيا إلَّا جاءتْ مثل فلق الصُّبْح، ثم حُبب إليه الخلاءُ، فكان يخلو بغار حراء يتحنَّثُ فيه -وهو التَّعَبُّدُ-[٤] الليالي أولاتِ العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثمَّ يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ. قال: ما أنا بقَارِئٍ. قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ. قال: قلتُ: مَا أَنَا بقارئٍ. قال: فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ منِّي الجهْد، ثمَّ أرسلني، فقال: اقرأْ. فقلتُ: ما أَنَا بقَارِئٍ، فأخذني فغطَّني الثالثة حتى بلغ منِّي الجهد، ثُمَّ

(١) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤) (ص٦٨٧) كتاب الزكاة- باب الترغيب في الصدقة.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨) واللفظ له.

(٣) مسلم (٢٦٤٢).

(٤) التحنث: أي التحنف وهو العبادة على دين إبراهيم عليه السلام.

أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]. فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زَمِّلُوني زَمِّلُوني» فزمَّلُوهُ، حتى ذهب عنه الرَّوعُ، ثمَّ قال لخديجة: «أي خديجةُ مالي؟»، وأخبرها الخبرَ. قال: «لقد خَشِيتُ على نَفْسِي»[(١)] قالتْ له خديجةُ: كلا. أبشِرْ. فوالله لا يخزيكَ الله أبدًا، والله إنَّك لتصِلُ الرَّحِم، وتصْدقُ الحديث، وتحْمِلُ الكَلَّ، وتكسِبُ المعدومَ، وتقرِي الضيفَ، وتُعينُ على نوائِبِ الحقِّ، فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ به ورقةَ بن نوفَلِ بن أسدِ بن عبد العُزَّى، وهو ابن عمِّ خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنَصَّرَ في الجاهليةِ، وكان يكتبُ الكتاب العربيَّ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أنْ يكتبَ، وكان شيْخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ خبر ما رآهُ، فقال له ورقَةُ: هذا النامُوسُ[(٢)] الذي أنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذَعًا[(٣)]، يا ليتني أكون حيًّا حين يُخْرِجُك قومك، قال رسول الله ﷺ: «أو مُخرِجِيَّ هُمْ؟» قال ورقةُ: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بما جئْت به إلَّا

---

(١) لقد خشيت على نفسي: والخشية هنا حملت على اثني عشر وجهًا، وقد اختار ابن حجر منها ثلاثة أوجه ورجحها، أولها: خشية الموت من شدة الرعب، وثانيها: خشية المرض، وثالثها: خشية استمرار المرض «الفتح» (١/ ٣٣).

(٢) هذا الناموس: هو جبريل عليه السلام. قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة صاحب سرًا خير، يقال: نمست السر أنمسه أي كتمته.

(٣) يا ليتني فيها جذعًا: الضمير يعود إلى أيام النبوة ومدتها، وجذعًا: يعني قويًّا، حتى أبالغ في نصرك.

عودي، وإنْ يُدْرِكْني يومُكَ أنصركَ نصرًا مُؤزّرًا»[١].

• عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا، أقرع بين نسائه، فأيَّتهنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. الحديث.. وفيه: قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ، وهو يضحكُ، فكان أول كلمةٍ تكلَّمَ بها أنْ قال: «**أَبْشِري يا عائشة أما الله فقد برَّأَكِ..**» الحديث[٢].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوفٌ خلف أبي بكرٍ فقال: «**أيها الناسُ إنَّه لم يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّة إلَّا الرؤْيَا الصالِحَةُ يراهَا المُسلِمُ، أَوْ تُرى له، ألا وإنِّي نُهيتُ أنْ أقْرأ القرْآنَ راكعًا أوْ ساجدًا، فأمّا الرُّكُوع فعظِّمُوا فيه الرَّبَّ عز وجل، وأمّا السُّجُودُ فاجتهدُوا في الدُّعاءِ، فقَمِنٌ**[٣] **أَنْ يُسْتَجَابَ لكُمْ**»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركةٌ، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسول الله إنِّي كنت أدْعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسْمعتْني فيك ما أكره فادْعُ الله أنْ يهدي أمَّ أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**»، فخرجْتُ مستبْشِرًا بدعوةِ نبيِّ الله ﷺ، فلما جئْت فصرْت إلى الباب، فإذا هو مُجافٌ[٥] فسمعت أمي

(١) البخاري «الفتح» (١/ ٣)، ومسلم (١٦٠) واللفظ له.
(٢) البخاري «الفتح» (٧/ ٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٣) فقمن: بفتح الميم وكسرها، ومعناه حقيق وجدير.
(٤) البخاري «الفتح» (١٢/ ٦٩٩٠) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٤٧٩) واللفظ له.
(٥) مجاف: مغلق.

خَشْفَ قدميَّ [(١)]، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماءِ [(٢)]، قال: فاغتسلتْ ولبِسَتْ دِرْعها وعجلتْ عنْ خمارها، ففتحت البابَ، ثُمَّ قالتْ: يا أبا هريرة أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسولهُ. قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله أبشرْ، قد استجابَ اللهُ دعْوتك وهدى أمَّ أبي هريرةَ. فحمِدَ الله وأثنى عليه وقال: خيرًا. قال: قلتُ: يا رسول الله ادْعُ الله أنْ يُحببني أنا وأمِّي إلى عبادِهِ المؤمنين، ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ حبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا** – يعني أبا هريرة – **وأمَّهُ إلى عبادكَ المؤمنين، وحَبِّبْ إليهم المؤمنين**» فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمع بي ولا يراني إلَّا أحبَّني [(٣)].

• عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت أنا وأصحابي، الذين قدموا معي في السَّفينة نزولًا في بقيع بُطْحان [(٤)] ورسول الله ﷺ بالمدينة، فكان يتناوبُ رسول الله ﷺ عند صلاةِ العشاءِ كلَّ ليلةٍ نفرٌ منهمْ [(٥)]. قال أبو موسى: فوافقنا رسول الله ﷺ أنا وأصْحَابي. وله بعض الشُّغْل في أمْرِه، حتى أعْتَمَ بالصلاة. حتى ابْهارَّ الليلُ [(٦)] ثُمَّ خرج رسول الله ﷺ فصلى بهمْ. فلمَّا قَضَى

---

(١) خشف قدمي: أي صوتها في الأرض.

(٢) خضخضة الماء: أي صوت تحريكه.

(٣) مسلم (٢٤٩١).

(٤) بقيع بطحان: البقيع من الأرض: المكان المتسع. وبطحان: موضع بعينه، وادٍ بالمدينة.

(٥) يتناوب رسول الله ﷺ نفرٌ منهم: أي أن جماعة من القوم كانوا يأخذون نوبتهم في الجلوس إلى رسول الله ﷺ في ليلة، فإذا كانت الليلة التالية جلست إلى رسول الله ﷺ جماعة أخرى منهم، وهكذا.

(٦) ابهار الليل: أي انتصف.

صلاتَهُ قال لمنْ حضرَهُ: «على رِسْلِكمْ[١]. أعْلمكُم، وأبشروا أنَّ مِنْ نعْمَةِ الله عليكم أنَّه ليس من الناس أحدٌ يصلِّي هذه الساعة غيركم»، أو قال: «مَا صلَّى هذه الساعة أحدٌ غيركمْ». قال أبو موسى: فرجعنا فرحين بما سمِعْنا منْ رسول الله ﷺ»[٢].

• عن مُعاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: كنت رِدْفَ[٣] النبي ﷺ على حمارٍ يقال له عُفيرٌ. فقال: «يا مُعَاذُ، هل تدري حقَّ الله على عبادِهِ، وما حقُّ العِبَادِ على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلمُ. قال: «فَإِنَّ حَقَّ الله على العِبَادِ أنْ يعْبُدُوهُ ولَا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقُّ العِبَادِ على الله، أنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا». فقلتُ: يا رسول الله: أفَلا أُبَشِّرُ به الناسَ. قال: «لا تُبَشِّرْهُمْ فيتَّكِلُوا»[٤].

• عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نَازِلٌ بالجعرانَةِ بين مكةَ والمدينةِ ومعه بلالٌ، فأتَى رسول الله ﷺ رجلٌ أعْرَابيٌّ، فقال: ألا تُنْجِزُ لي يا محمدُ ما وعدْتَني؟ فقال له رسولَ الله ﷺ: «أبْشِرْ». فقال له الأعرابيُّ: أكثرْت عليَّ مِنْ «أبشرْ»: فأقبل رسول الله ﷺ على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغضبانِ، فقال: «إنْ هذا قدْ رَدَّ البُشْرَى، فأقْبلا أنْتُمَا». فقالا: قبلْنا يا رسول الله. ثمَّ دعا رسول الله ﷺ بقَدَحٍ فيهَ مَاءٌ، فغَسَلَ يدَيْه ووجْهَهُ فيه، ومَجَّ فيه. ثمَّ قال: «اشْرَبَا مِنْهُ. وأَفْرِغَا على وُجُوهِكُمَا

---

(١) على رسلكم: أمر بالرفق والتأني.
(٢) البخاري «الفتح» (٢/ ٥٦٧)، ومسلم (٦٤١) واللفظ له.
(٣) كنت ردف: الردف: هو الراكب خلف الراكب.
(٤) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٨٥٦) واللفظ له، ومسلم (٣٠).

ونُحُورِكُما وأبْشِرَا». فأخذا القدح، ففعلا ما أمرهما به رسولُ الله ﷺ فنادتهما أمُّ سلمة مِنْ وراءِ السِّتْرِ: أفضلا لأمِّكُما ممَّا في إنائكُما. فأفضَلا لها منه طائفةً[(١)].

• عن المغيرة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربْتُهُ بالسَّيْف غير مُصْفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سعْدٍ، والله لأنَا أغْيَرُ مِنْهُ، واللهُ أغْيَرُ مِنِّي، ومِنْ أجْلِ غيْرَةِ الله حَرَّمَ الفواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ[(٢)] مِنَ الله، وَمِنْ أجْلِ ذلك بعَثَ المبشرينَ والمُنْذِرِينَ، ولا أحَدَ أحَبُّ إليه المِدْحَةُ مِنَ الله، وَمِنْ أجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الجنَّةَ»[(٣)].

• عن عبد الله الهوزني، قال: لقيتُ بلالًا مؤذِّنَ رسول الله ﷺ بحَلَبَ[(٤)]، فقلتُ: يا بلالُ، حدثني كيف كانت نفقةُ رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان له شيءٌ، كنت أنا الذي ألي ذلك منه منذُ بعثه الله إلى أنْ توفِّي، وكان إذا أتاهُ الإنسان مسلمًا فرآه عاريًا يأمرني فأنطلق فأستقْرض، فأشتري له البُرْدَةَ فأكسُوهُ وأطعِمُهُ، حتى اعترضَني رجُلٌ مِنَ المشركين، فقال: يا بلالُ، إنَّ عندي سعةً فلا تستقْرض منْ أحدٍ إلَّا منِّي، ففعلتُ، فلمَّا أنْ كان ذات يومٍ توضَّأْتُ ثمَّ قمْتُ لأؤذِّنَ بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابةٍ من التُّجارِ، فلما أنْ رآني قال: يا حبشيُّ، قلتُ: يا لَبَّاهُ، فتجهَّمني

---

(١) مسلم (٢٤٩٧).

(٢) العذر: والمعنى هنا التوبة والإنابة: وقال ابن عياض، المعنى بعث المرسلين للأعذار والإنذار لخلقه قبل أخذهم بالعقوبة.

(٣) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٤١٦) واللفظ له، ومسلم (١٤٩٩).

(٤) حلب: مدينة بالشام.

وقال لي قولًا غليظًا، وقال لي: أتدْري كم بينك وبين الشَّهر؟ قال: قلتُ: قريبٌ، قال: إنما بينك وبينه أربعٌ، فآخذك بالذي عليك فأردُّك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، حتى إذا صلَّيْت العَتَمَة[1] رجع رسول الله ﷺ إلى أهلِه، فاستأذنْت عليه، فأُذن لي، فقلتُ: يا رسول الله بأبي أنت وأُمِّي، إنَّ المشرك الذي كنت أتدَيَّنُ منه قال لي كذا وكذا، وليس عندك ما تَقْضي عني، ولا عندي، وهو فاضحي، فَأْذَنْ لي أَنْ آبَقَ [2] إلى بعض هؤلاء الأحْياء الذين قد أسلموا حتى يرزُقَ اللهُ رسولهُ ﷺ ما يَقْضي عنِّي، فخرجت حتى إذا أتيْتُ منزلي، فجعلت سيفي وجرابي ونعلي ومجنِّي عند رأسي، حتى إذا انْشَقَّ عمُودُ الصُّبح الأول أردْتُ أَنْ أنطلق، فإذا إنسانٌ يسعى يدعو: يا بلالُ، أجبْ رسول الله ﷺ، فانطلقت حتى أتيْتُهُ، فإذا أربعُ ركائب مناخاتٍ عليهنَّ أحمالهنَّ، فاستأذنت فقال لي رسول الله ﷺ: «**أَبْشِرْ فقدْ جاءَكَ اللهُ بِقَضَائِكَ**»[3]، ثم قال: «**أَلَمْ تَرَ الرَّكَائِبَ المُنَاخاتِ الأَرْبَعَ؟**» فقلت: بلى، فقال: «**إنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وما عليهنَّ فإنَّ عليْهِنَّ، كُسْوَةً وطعامًا أَهْدَاهُنَّ إليَّ عظيم فَدَكَ**[4]، **فاقبضهنَّ واقْضِ ديْنَك**» ففعلتُ، فذكر الحديث، ثم انطلقت إلى المسجد

---

(١) العتمة: الظلمة من الليل وتطلق على صلاة العشاء؛ لأنها تكون في وقت العتمة فسميت صلاة العتمة نسبة للوقت.

(٢) أبق العبد: أي هرب.

(٣) قضاءك: القضاء أصله القطع والفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإقصاؤه والفراغ منه.

(٤) فدك: قرية بشمال الحجاز قرب خيبر، انتصر فيها رسول الله ﷺ بلا قتال إذ أنَّه نُصِر بالرعب.

فإذا رسول الله ﷺ قاعِدٌ في المسجد، فسلَّمْتُ عليه، فقال: «ما فعل ما قِبَلَكَ؟» قلت: قدْ قضى الله كلَّ شيءٍ كان على رسول الله ﷺ فلمْ يَبْقَ شيءٌ، قال: «أفضلَ شيءٌ؟» قلت: نعم، قال: «انْظُرْ أَنْ تُريحَني مِنْهُ، فإنِّي لسْتُ بدَاخلٍ على أحدٍ منْ أهْلي حتَّى تُريحَني مِنْهُ»، فلما صلَّى رسول الله ﷺ العتمة دعاني فقال: «ما فعلَ الذي قِبَلَكَ؟» قال: قلتُ: هو معي لم يأتنا أحدٌ، فبات رسول الله ﷺ في المسجدِ وقَصَّ الحديث، حتى إذا صلَّى العتمة يعني من الغد دعاني قال: «ما فعَلَ الَّذِي قِبَلَكَ؟» قال: قلت: قدْ أراحكَ الله مِنْهُ يا رسول الله، فكبَّر وحمد الله شفقًا مِنْ أنْ يدركه الموتُ وعنده ذلك، ثمَّ اتَّبَعْته حتى إذا جاءَ أزواجَهُ فسلَّمَ عليهنَّ امرأةً امرأةً، حتى مَبِيته، فهذا الذي سألتني عنه [١].

• عن كعبِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: لم أتخلفْ عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاهَا قطُّ إلَّا في غزوة تبُوكَ، الحديث وفيه: فبينا أنا جالسٌ على الحالِ التي ذكر الله عز وجل منَّا. قد ضاقتْ عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحُبَتْ، سمعت صوت صارخٍ أوفى على سلْعٍ [٢]، يقول بأعلى صوتِهِ: يا كعب بن مالكٍ أبشر. قال فخررْتُ ساجدًا، وعرفْتُ أنْ قدْ جاء فرجٌ، قال فآذن رسولُ الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاةَ الفجْر، فذهب الناس يبشرُوننا. فذهب قبل صاحبيَّ مبشرون، وركَضَ رجلٌ إليَّ فرسًا، وسعى ساعٍ مِنْ أسلم [٣] قِبَلي، وأوْفَى الجبل، فكان الصوْتُ أسْرَعَ مِنَ الفرس فلمَّا

---

(١) أبو داود (٣٠٥٥) وصححه الألباني (٢٦٢٨).
(٢) أوفى على سلع: أي صعده وارتفع عليه. وسلع: جبل بالمدينة معروف.
(٣) ساعٍ من أسلم: أي من قبيلة أسلم.

جاءَني الذي سمعْتُ صوْتَهُ يُبَشِّرُني، فنزعْتُ له ثوبيَّ فكسوتهما إيَّاهُ ببشارَتِه، والله ما أمْلِكُ غيرهما يومَئِذٍ، واستعرْتُ ثوبين فلبسْتُهما، فانطلقت أتأمَّمُ[1] رسول الله ﷺ يتلقَّاني الناسُ فوْجًا فوْجًا، يهنئُونني بالتَّوْبة، ويقولونَ: لتهْنئكَ توبةُ الله عليكَ. حتَّى دخلْتُ المسجد، فإذا رسولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجدِ وحولهُ الناسُ، فقَامَ طَلْحَةُ بن عبيدِ الله يهْرِولُ حتى صافحني وهنَّأني، والله ما قامَ رجلٌ مِنَ المهاجرين غيرهُ، قال فكان كعبٌ لا ينْسَاها لطلحةَ. قال كَعبٌ: فلَمَّا سلَّمْتُ على رسول الله ﷺ قال وهو يبرُقُ وجهه من السُّرورِ ويقولُ: «**أبْشِرْ بخير يوم مَرَّ عليك منذُ ولدتْكَ أمُّكَ**». قال: فقلتُ: أَمِنْ عندك يا رسول الله أمْ مِنْ عنْدِ الله؟ فقال: «**لا بَلْ مِنْ عنْدِ الله**» وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ اسْتَنَارَ وجهه، كأنَّ وجهَهُ قطْعَةُ قَمَرٍ. قال: وكُنَّا نعرفُ له ذلك[2].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: ليلة أُسْري برسولِ الله ﷺ مِنْ مسجدِ الكعْبةِ أنَّهُ جاءَهُ ثلاثةُ نفرٍ قبل أنْ يُوحَى إليه وهو نائمٌ في المسجدِ الحرامِ فقال أوَّلُهُم: أيُّهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدُهُم: خُذوا خيرهم، فكانتْ تِلْكَ الليلة، فلمْ يرهُمْ حتَّى أتوهُ ليلةً أخرى فيما يرى قلْبُهَ وتنامُ عينه ولا ينَامُ قلبه، وكذلك الأنبياءُ تنامُ أعينهم ولا تنامُ قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملُوه، فوضعوه عند بئْر زمزمَ، فتولاه منهم جبريلُ فشَقَّ جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغَ مِنْ صدْرِه وجوْفِهِ، فغسلهُ مِنْ ماءِ

---

(١) أتأمم رسول الله ﷺ: أي أقصد إليه.

(٢) البخاري «الفتح» (٧/ ٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له.

زمزم بيده حتَّى أنْقَى جوْفَهُ، ثمَّ أتى بطَسْتٍ مِنْ ذهبٍ فيه توْرٌ مِنْ ذهبٍ[١] محْشُوًّا إيمانًا وحِكْمَةً، فحشَا به صدْرَهُ ولغَادِيدَهُ -يعني عُروقَ حلْقِهِ- ثمَّ أطبَقَهُ، ثمَّ عرَجَ به إلى السماءِ الدُّنْيا، فضَرَبَ بابًا منْ أبوابِهَا، فناداهُ أهْلُ السَّماءِ: مَنْ هذا؟ قال: جبْريلُ، قالوا: ومن معَكَ؟ قال: مَعِي مُحمَّدٌ، قال: وقدْ بُعِثَ؟ قال: نَعَمْ، قالوا: فمرحبًا بِهِ وأهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ به أهْلُ السَّماءِ».. الحديث[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إلَّا بُشِّرَ» قيلَ: يا رسول الله، بالجنَّةِ؟ قال: «نَعَمْ»[٣].

• عن عبادةَ بن الصَّامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لقَاءَهُ». قالت عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواجِهِ: إنَّا لنكْرَهُ الموتَ. قال: «لَيْسَ ذلكَ، ولكِنَّ المؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ الموْتُ بُشِّرَ برِضْوَانِ اللهِ وكَرَامَتِهِ، فليْسَ شَيْءٌ أحَبَّ إليْهِ مِمَّا أمَامَهُ، فأحبَّ لقَاءَ اللهِ وأحَبَّ اللهُ لقَاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذَابِ اللهِ وعُقُوبَتِهِ، فليْسَ شيءٌ أكْرَهَ إليهِ مِمَّا أمَامَهُ، فكرِهَ لِقَاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «الميتُ تَحْضُرُهُ الملائكَةُ، فإذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قالوا: اخْرُجي أيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيبةُ كانتْ في الجسدِ

---

(١) تور من ذهب: إناء كبير من ذهب.

(٢) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٥١٧)، واللفظ له، ومسلم (١٦٤).

(٣) قال الحافظ الدمياطي: رواه الطبراني بإسنادٍ جيد. انظر «المتجر الرابح» (ص٢٩٨)، وراجع «الصحيحة» (١٦٢١).

(٤) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٥٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٣).

الطَّيِّبِ، اخْرُجي حَمِيدَةً، وأَبْشِرِي بروْحٍ وريحَانٍ وربٍّ غير غضْبَانَ، فلا يزَالُ يقالُ لها، حتَّى تخرُجَ، ثمَّ يُعْرَجُ بهاً إلى السماءِ، فيفْتَحُ لها، فيُقَالُ: مَنْ هذا؟ فيقولون فُلانٌ. فيُقَالُ: مَرْحبًا بالنَّفْس الطَّيبةِ، كانتْ في الجسدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حميدةً، وأبْشرِي بروْحٍ ورَيْحَانٍ وربٍّ غير غضْبَان، فلا يَزَالُ يُقَالُ لها ذلك حتى يُنتهَى بها إلى السَّمَاءِ التي فيها اللهُ عَجَلَّ. وإذا كان الرَّجُلُ السَّوءُ قال: اخْرُجي أيتُها النَّفْسُ الخبيثَةُ كانتْ في الجَسَدِ الخبيثِ اخْرُجي ذَميمةً، وأبْشري بحَميم وغَسَّاقٍ وآخَرَ مِنْ شكْلِهِ أزوَاجٌ. فلا يزالُ يُقالُ لها ذلك حتَّى تخرُجَ، ثمَّ يُعْرَجُ بها إلى السماءِ، فلا يُفْتَحُ لها، فيُقالُ: مَنْ هذا؟ فيُقَالُ: فُلانٌ. فيقالُ: لا مرْحَبًا بالنَّفْسِ الخبيثةِ كانتْ في الجسَدِ الخَبيثِ، ارْجعي ذميمةً، فإنَّها لا تُفْتَّحُ لك أبْوابُ السماءِ، فيُرْسَلُ بها من السماءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إلى القبْرِ»[1].

• عن أبي هريرة ﷺ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللهَ النَّاسَ يومَ القيامَةِ في صَعِيدٍ واحدٍ، ثُمَّ يطَّلِعُ عليهم رَبُّ العالمينَ فيقولُ: ألا يَتْبَعُ كُلُّ إنْسَانٍ ما كانوا يعْبُدُونَ، فيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ، ولِصَاحِبِ التَّصاويرِ تصاويرُهُ، ولصاحبِ النَّارِ نَارُهُ، فيتبَعُونَ ما كانوا يعبدونَ، ويبْقَى المسلمون فيَطَّلِعُ عليهم رَبُّ العالمينَ، فيقولُ: ألا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فيقولون: نعُوذُ باللهِ مِنْكَ، نَعُوذُ باللهِ مِنْكَ، اللهُ رَبُّنَا، وهذا مكانُنَا حتَّى نَرى رَبَّنَا وهو يأمُرهم وَيُثَبِّتُهُمْ، ثم يتوارَى، ثمَّ يَطَّلِع فيقول: أَلا تتَّبِعُونَ الناسَ؟ فيقولون: نَعُوذُ باللهِ مِنْكَ، نَعُوذُ باللهِ مِنْكَ، اللهُ رَبُّنَا، وهذا مكانُنَا حتَّى نَرَى

---

(١) النسائي (٤/ ٨)، وابن ماجه (٤٢٦٢) واللفظ له، وصححه الألباني. «صحيح سنن الترمذي» (٣٤٣٧).

رَبَّنَا، وهو يأْمُرهم ويُثَبِّتُهم»، قالوا: وهَلْ نَرَاهُ يا رسولَ الله؟ قال: «وهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القمَرِ لَيلةَ البَدْرِ؟» قالوا: لا يَا رَسُولَ الله، قال: «فإنَّكُمْ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعةَ، ثُمَّ يَتَوارَى ثُمَّ يَطْلُع فيُعرِّفُهُم نفْسَهُ، ثم يقول: أنَا رَبُّكُمْ فاتَّبِعُوني فيقومُ المسْلِمُونَ، ويُوضَعُ الصِّرَاطُ، فيمُرُّونَ عليه مثل جِيَادِ الخَيْلِ والرِّكَابِ[١] وقوْلهُم عليه: سلِّمْ سَلِّمْ، ويبْقَى أَهْلُ النَّارِ فيُطْرَحُ مِنْهم فيها فوْجٌ، ثمَّ يُقالُ: هلِ امْتَلأْتِ؟ فتقولُ: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ ثمَّ يطْرَحُ فيها فوْجٌ، فيُقالُ: هل امْتَلأْتِ، فتقُولُ: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ حتَّى إذا أُوْعِبُوا فيها[٢] وَضَعَ الرحمنُ قَدمَهُ فيها وأزْوَى بعضها إلَى بعْضٍ، ثُمَّ قال: قَطْ، قالتْ: قَطْ قَطْ[٣]، فإذا أدْخَلَ اللهُ أهْلَ الجنَّةِ الجَنَّةَ وأهْلَ النَّارِ النَّارَ، قال: أُتِيَ بالموتِ مُلَبَّبًا، فيُوقفُ على السُّورِ الذي بيْنَ أهْلِ الجنَّةِ وأهْلِ النَّارِ، ثمَّ يُقالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فيَطَّلِعُونَ خَائِفينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يا أهلَ النارِ: فيطَّلِعُون مُسْتَبْشِرِينَ يرْجُونَ الشَّفَاعَةَ، فيُقَالُ لأهْلِ الجنَّةِ وأهْلِ النَّارِ: هَلْ تعْرِفُونَ هذا؟ فيقولونَ - هؤلاءِ وهؤلاءِ -: قدْ عَرفْنَاهُ، هوَ المَوْتُ الذِي وُكِّلَ بِنَا، فيُضطجَعَ فيُذْبَحُ ذَبْحًا على السُّورِ الذي بيْنَ الجنَّةِ والنَّارِ، ثمَّ يُقَالُ: يا أهْلَ الجنَّةِ خُلُودٌ لا مَوْتَ، ويا أهلَ النَّارِ خُلُودٌ لا مَوْتَ»[٤].

• عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الله: يا آدَمُ، فيقُولُ: لبيكَ وسعْديكَ، والخيرُ في يَدَيْكَ، قال: فقول: أخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ،

(١) الركاب: هي الرواحل من الإبل.
(٢) حتى إذا أوعبوا فيها: حتى جاؤوا جميعًا ولم يتخلف منهم أحد. «النهاية» (٥/ ٢٠٦).
(٣) قَطْ: بمعنى حسب أو كفى.
(٤) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، والترمذي (٤/ ٢٥٥٧) واللفظ له. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قال: مِنْ كلِّ ألفٍ تسعمئةٍ وتسعةً وتسعين، فذَاكَ حينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملها، وتَرى الناسَ سُكَارَى وما هم بسُكَارَى ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ. فاشْتَدَّ ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنَا ذلك الرَّجلُ؟ قالَ: «أبشِرُوا، فَإنَّ من يَأجوجَ ومأْجُوجَ ألْفًا، ومنْكُمْ رجُلٌ. ثُمَّ قال: والذي نفْسِي بيدِهِ، إنِّي لأطْمَعُ أنْ تكونوا ثُلُثَ أهْلِ الجنَّةِ. قال: فحمِدْنا الله وكبَّرْنا. ثُمَّ قال: والذي نفسي بيدِهِ، إنِّي لأطْمَعُ أنْ تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنَّةِ، إنَّ مثلكمْ في الأُمَمِ كمثَلِ الشعْرَةِ البيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأسْودِ، أو كالرُّقْمَةِ في ذرَاعِ الحمارِ[(١)]»[(٢)].

• عن أبي هريرة ﷺ قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ يومًا بلَحْم. فرُفِعَ إليهِ الذراعُ وكانتْ تعْجِبه. فنَهَسَ[(٣)] منها نَهْسَةً فقال: «أنَا سَيِّدُ الناسِ يوْمَ القِيَامَةِ..» الحديث، وفيه: «ثمَّ يُقَالُ: يا مُحمدُ ارْفَعْ رَأسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ. اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فأرْفَعُ رَأْسِي فأقولُ: يا رَبِّ أُمَّتِي، فيقَالُ: يا محمدُ أدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عليه من الباب الأيمنِ منْ أبوابِ الجنَّةِ، وهمْ شُركَاءُ النَّاسِ[(٤)] فيما سِوَى ذلك مِنَ الأبوَابِ، والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ إنَّ مَا بَيْنَ المصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ[(٥)] لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وهَجَرَ[(٦)] أوْ كما بيْنْ

(١) الرقمة في الأصل هي: النقش على القماش، وهي هنا: الهَنَة القائمة في ذراع الدابة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها. «النهاية» (٢/ ٢٥٤).

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) فنهس: أي أخذ بأطراف أسنانه.

(٤) شركاء الناس: يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب.

(٥) إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة: المصراعان جانبَا الباب.

(٦) هجر: مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين.

مَكَّةَ وبُصْرَى[(١)]»[(٢)].

• عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا أصابَ مِنَ امرأةٍ قُبلَةً، فأتى رسولَ الله ﷺ فذكر ذلك له، فأُنْزِلتْ عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ قال الرَّجُل: أليَ هذه؟ قال: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي؟»[(٣)].

• عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطِيَنَّ هذه الرَّايَةَ رَجُلًا يفْتَحُ اللهُ على يديْهِ، يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ**». قال: فباتَ الناسُ يدُوكُونَ[(٤)] ليلتَهُمْ أيُّهُم يُعْطاها، قال: فلمَّا أصبح الناس غدوْا على رسول الله ﷺ. كُلُّهم يرجُو أنْ يُعْطَاها، فقال: «**أيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «**فأرْسِلُوا إليه**». فأتِيَ به، فبَصَقَ رسولُ الله ﷺ في عيْنَيْه، ودعا له فبَرَأَ. حتَّى كأنْ لم يكن به وجعٌ. فأعطَاهُ الرَّاية. فقَال عليٌّ: يا رسول الله أقاتِلُهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ[(٥)] حَتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسلام، وأخبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ، فَوالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خيرٌ لك مِنْ أنْ يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ[(٦)]**»[(٧)].

---

(١) وبصرى: مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل.

(٢) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٤) يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك.

(٥) انفذ على رسلك: أي انفصل وامض سالمًا. «النهاية» (٥/ ٩٤).

(٦) حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه.

(٧) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

• عن مالك بن صَعْصعَةَ رضي الله عنه أنَّ نبي ﷺ حدَّثَهُ عنْ ليْلَةِ أسْرِي به قال: «بَيْنَمَا أنَا في الْحَطِيم -وربما قال في الحجر مضطجعًا إذْ أتاني آتٍ فقَدَّ- قال وسمعته يقولُ: فشقَّ - ما بين هذه إلى هذه».. الحديث. وفيه: «ثمَّ فُرِضتْ عليَّ الصلاةُ خمسينَ صلاةً كُلَّ يوم، فرَجَعْتُ فمرَرْتُ على مُوسَى، فقال: بِمَ أمِرْتَ؟ قال: أُمِرْتُ بخمْسِينَ صلاةً كُلَّ يوم. قال: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خمسينَ صلاةً كلَّ يوم، وإنِّي والله قَدْ جَرَّبْتُ الناسَ قبْلَكَ، وعالَجْتُ بَنِي إسرائيلَ أشَدَّ المُعَالَجَةِ، فارْجِعْ إلى ربِّكَ فاسألْهُ التخْفِيفَ لأمَّتِكَ، فرجعْتُ، فوضَعَ عَنِّي عشْرًا، فرجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَهُ. فرجعْتُ فوَضَعَ عَنِّي عشْرًا، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مثلَهُ، فرجعْتُ فوَضَعَ عَنِّي عشْرًا، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مثلهُ، فرجعتُ فأُمِرْتُ بعشْرِ صلواتٍ كُلَّ يوم، فرَجَعْتُ فقال مثلهُ، فرجَعْتُ فأُمِرْتُ بخَمْسِ صلواتٍ كلَّ يوم، فرَجَعْتُ إلى موسى فقالَ: بِمَ أُمِرتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بخَمْسِ صلواتٍ كُلَّ يوم، فقال: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صلواتٍ كُلَّ يوم، وإنِّي قدْ جَرَّبْتُ الناسَ قبْلَك، وعالجْتُ بَنِي إسرائيل أشَدَّ المعُالجةِ. فارْجِعْ إلى ربِّكَ فاسألْهُ التَّخْفِيفَ لأمَّتِك. قال: سألْتُ رَبِّي حتى اسْتَحْيَيتُ، ولكنْ أرْضَى وأسَلِّمُ». قال: «فلمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أمضيتُ فَرِيضَتي، وخففْتُ عنْ عِبَادي»[١].

• عن أبي هريرةٍ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال لبلالٍ عنْدَ صلاةِ الفجرِ: «يا بلالُ حدِّثْني بأرْجَى عملٍ عمِلْتَهُ في الإسلامِ؛ فإنِّي سمِعْتُ دَفَّ[٢] نعْلَيْكَ

(١) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٤).

(٢) الدَّفُّ: الحركة الخفيفة والسير اللين.

بين يديَّ في الجنَّةِ؟». قال: ما عملتُ عملًا أرْجى عندي أنّي لم أتطهَّرْ طهُورًا في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ إلَّا صلَّيتُ بذلك الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أصلِّيَ[1].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الميِّتَ يَصيرُ إلى القبْر. فيُجْلَسُ الرجُلُ الصَّالِحُ في قَبْرِه، غيرَ فزِعٍ ولا مَشْعُوفٍ[2]. ثم يُقالُ لهُ: فِيمَ كُنْتَ؟[3] فيقول: كنتُ في الإسلامِ. فيُقَالُ له: ما هذا الرَّجُلُ؟ فيقولُ: محمدٌ رسولُ الله ﷺ جاءَنا بالبيناتِ مِنْ عِنْدِ الله فصدَّقْناهُ، فيُقَالُ لهُ: هَلْ رأيتَ اللهَ؟ فيقولَ: ما يَنْبغي لأحدٍ أَنْ يرى اللهَ، فيُفْرَجُ له فُرْجةٌ قِبَلَ النَّارِ، فينْظُرُ إليها يحطمُ بَعْضُهَا بعضًا[4]، فيقالُ لهُ: انْظرْ على مَا وَقَاكَ اللهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ له قِبَلَ الجنَّةِ، فيَنْظُرُ إلى زَهْرَتِها وما فيها، فيُقالُ لهُ: هذا مقعَدُكَ، ويقالُ له: على اليقِينِ كنْتَ وعَلَيْهِ مُتَّ، وعليه تُبْعَثُ إنْ شَاءَ اللهُ[5] ويجلَسُ الرَّجُلُ السَّوءُ في قبْرِهِ فزِعًا مشْعُوفًا، فيقالُ لهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فيقولُ: لا أدْرِي، فيُقالُ لهُ: ما هذا الرَّجُلُ؟ فيقولُ: سَمِعْتُ الناسَ يقولونَ قولًا فقُلْتُهُ، فيُفْرَجُ له قِبَلَ الجنَّةِ، فينْظُرُ إلى زهرتها وما فيها، فيقال لهُ: انْظُرْ إلى ما صَرَفَ اللهُ عنكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لهُ فُرْجَةٌ قبلَ النَّارِ، فينْظُرُ إليهَا، يَحْطِمُ بعضُهَا بعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هذا مَقْعَدُكَ على الشَّكِّ كُنْتَ، وعليهِ مُتَّ، وعليه تُبْعَثُ،

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١١٤٩).

(٢) مشعوف: الشعف شدة الفزع والخوف حتى يذهب بالقلب.

(٣) فيم كنت: أيْ في أيِّ دِين.

(٤) يحطم بعضها بعضًا: أي تَضْطرب وتَمُوج ويكسرُ بعضها بعضًا.

(٥) إن شاء الله: للتبرك لا للشك.

إنْ شَاءَ اللهُ تعالى»[١].

• عن أبي ذرٍّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي لأعلمُ آخِرَ أهْلِ الجنَّةِ دخُولًا الجنة، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُروجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى به يوم القيامةِ، فيُقَالُ: اعْرِضُوا عليهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وارْفَعُوا عنهُ كِبَارَها، فتُعْرَضُ عليهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فيُقَالُ: عَمِلْتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا، وعَمِلْتَ يَوْمَ كذا وكذا، كذا وكذا، فيقولُ: نعَمْ، لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وهو مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عليْهِ، فيُقَالُ لهُ: فَإِنَّ لَكَ مكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حسنةً، فيقولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أشْيَاءَ لا أَرَاهَا ها هُنَا» فلقدْ رأيت رسول الله ﷺ ضحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ[٢].

• عن أنس بن مالكٍ ﵁ قال: بعثَ رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ عيْنًا[٣] ينْظر ما صنعتْ عِيرُ أبي سفيان[٤]، فجاء وما في البيتِ أحدٌ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ- قال: لا أدْرِي ما استَثْنَى بعضَ نسائِهِ- قال: فحدَّثَهُ الحديث، قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلَّمَ، فقال: «إنَّ لَنَا طَلِبَةً[٥] فمنْ كان ظَهْرُهُ[٦] حاضرًا فليركبْ معنَا»، فجعل رجالٌ يستأذنُونَهُ في ظُهْرانهم[٧] في عُلْوِ المدينةِ، فقال: «لا إلَّا مَنْ كان ظهرُهُ حاضِرًا» فانطلق

(١) ابن ماجه (٢/ ٤٢٦٨) وصححه الألباني، «صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٣).
(٢) مسلم (١٩٠).
(٣) عينًا: أي متجسسًا ورقيبًا، وبُسَيْسَة اسم رجل من الصحابة.
(٤) عير أبي سفيان: هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره.
(٥) طلبة: أي شيئًا تطلبه.
(٦) ظهره: الدواب التي تُركب.
(٧) ظهرانهم: أي مركوبًاتهم.

رسول الله ﷺ وأصْحابه، حتَّى سَبقُوا المشركينَ إلى بَدْرٍ، وجاء المشركونَ، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُقَدِّمَنَّ أحدٌ منكُمْ إلى شيءٍ حتَّى أكُونَ أنَا دُونَهُ[1]» فدَنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**قُومُوا إلى جَنَّةٍ عرْضُها السَّماواتُ والأرْضُ**» قال: يقول عُمَيرُ بن الحمامِ الأنصَارِيُّ: يا رسول الله جنَّةٌ عرْضُها السماواتُ والأرضُ؟، قال: «**نعمْ**»، قال: بَخ بَخ[2]، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ على قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**»، قال: لا، والله يا رسول الله إلَّا رجاءَةَ [3] أَنْ أكُونَ مِنْ أهلها، قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**» فَأَخْرَج تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ [4]، فجعل يأكل مِنْهنَّ، ثم قال: لئنْ أنا حييتُ حتى آكُلَ تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلةٌ، قال: فرمى بما كان معه من التَّمْرِ، ثم قاتلهم حتى قُتل[5].

• عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأممَ فأخَذَ النبيُّ يمُرُّ مَعَهُ الأمَّةُ، والنَّبِيُّ معهُ النَّفَرُ، والنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، والنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَه الخَمْسَةُ، والنَّبِيُّ يَمُرَّ وحْدَهُ، فنظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كثيرٌ، قُلتُ: يا جبْرِيلُ هؤلاءِ أمَّتِي؟ قالَ: لا، ولكِنِ انظر إلى الأُفُقِ، فنظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كثيرٌ، قالَ: هؤُلاءِ أمَّتُكَ، وهؤلاءِ سَبْعُونَ ألْفًا قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَليهمْ ولا عَذَابَ،**

---

(١) حتى أكون أنا دونه: أي قدامه متقدمًا في ذلك الشيء.

(٢) بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، وفيها لغتان: سكون الخاء وكسرها منونًا.

(٣) إلَّا رجاءة: أي والله ما فعلته لشيء إلَّا رجاء أن أكون من أهلها.

(٤) قَرَنِهِ: جعبة النشاب.

(٥) مسلم (١٩٠١).

قُلْتُ: وَلِمَ؟ قالَ: كانُوا لا يكْتَوُونَ، ولا يسْتَرقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُون [(١)]، وعلى ربِّهِمْ يتَوَكَّلُونَ»، فقَامَ إليهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يجْعَلَني مِنْهُمْ، قال: «اللهمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثم قَام إليه رجلٌ آخرُ، فقال: ادْعُ اللهَ أنْ يجعلني منهم، قال: «سبقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[(٢)].

• عن خرشةَ بن الحُرِّ، قال: كُنْت جالسًا في حلقةِ مسجد المدينةِ، قال: وفيها شيخٌ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سلامٍ، قال: فجعل يحدثهم حديثًا، قال: فلما قام قال القوم: مَنْ سرَّهُ أن ينْظُرَ إلى رجُلٍ مِنْ أهلِ الجنَّةِ فليَنْظُرْ إلى هذا، قال: فقلتُ: والله لأتبعنَّهُ فلأعلمنَّ مكان بيته، قال: فتبعْتُهُ، فانطلق حتى كادَ أنْ يخرجَ من المدينةِ، ثمَّ دخل منزلَهُ، قال: فاستأذنت عليه فأذن لي، فقال: ما حاجتكَ يا ابن أخي؟ قال: فقلتُ له: سمعتُ القوم يقولون لك لما قمْتَ: منْ سرَّهُ أنْ ينظر إلى رجلٍ من أهْل الجنة فلينظر إلى هذا، فأعجبني أنْ أكونَ معك، قال: اللهُ أعلم بأهل الجنَّةِ، وسأُحدِّثُك مِمَّ قالوا ذاك؟ إنِّي بينما أنا نائمٌ، إذْ أتاني رجلٌ فقال لي: قُمْ، فأخذ بيدي فانطلقْتُ معه، قال: فإذا بجوادَّ عَنْ شمالي، قال: فأخذتُ لآخذَ فيها، فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال، قال: فإذا جوادُّ مَنْهَجٌ [(٣)] على يميني، فقال لي: خذ هاهنا، فأتَى بي جبلًا، فقال لي: اصعد، قال: فجعلتُ إذا أردْتُ أن أصْعَدَ خَرَرْتُ على اسْتِي، قال: حتى

(١) لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون: وصف للسبعين ألفًا بأنهم تَامُّو التوكل على الله، فلا يسألون غيرهم أن يكويهم أو يَرقِيَهُم، ولا يتشاءمون من شيء.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٥٤١)، ومسلم (٢١٦).

(٣) جَوَادٌّ منهج: الجوادُّ جمع جَادَّة وهي الطرق المسلوكة، أما المنهجُ فالمراد به الطريق وكأنه تفسير للجوادّ، وقد جاء لفظ الطريق في رواية النسائي.

فعلت ذلك مرارًا، قال: ثمَّ انْطلق بي حتى أتى بي عمودًا، رَأْسُه في السماءِ وأسْفَله في الأرض، في أعلاه حلقةٌ فقال لي: اصعدْ فوق هذا، قال: قلتُ: كيف أصعدُ هذا ورأسه في السماء؟ قال: فأخذ بيدي فزَجَل بي[(١)]، قال: فإذا أنا متعلقٌ بالحلقةِ، قال: ثمَّ ضرب العمودَ فخَرَّ، قال: وبقِيتُ متعلقًا بالحلقة حتى أصبحتُ، قال: فأتيتُ النبي ﷺ فقصصْتُها عليه، فقال: «أمَّا الطُّرُقُ التي رَأَيْتَ عنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرقُ أصْحَابِ الشمَالِ، قال: وأمَّا الطُّرُقُ التي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِي طُرُقُ أصْحَابِ اليمينِ؛ وأمَّا الجبَلُ فهو منْزِلُ الشُّهدَاءِ، ولَنْ تَنَالَهُ؛ أمَّا العمُودُ فهُوَ عَمُودُ الإسلامِ؛ وأمَّا العُرْوَةُ فهي عُرْوَةُ الإسلامِ، ولَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بها حتى تَمُوتَ»[(٢)].

• عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩٣] فقال لي رسول الله ﷺ: «أنْتَ مِنْهُمْ»[(٣)].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: وقفَ النبيُّ ﷺ بعرفاتٍ وقدْ كادَتِ الشمسُ تغْربُ فقال: «يا بِلَالُ أنْصِتْ لِيَ النَّاسَ»، فقامَ بلالٌ، فقال: أنصِتُوا لرسول الله ﷺ فنصتَ الناسُ، فقال: «يا مَعْشَرَ الناسِ أَتَاني جِبْرِيلُ آنِفًا فَأَقْرَأَني مِنْ ربِّي السلامَ وقال: إن اللهَ عز وجل غفَرَ لأهْلِ عَرَفَاتٍ وأهْلِ المَشْعَرِ الحَرَامِ وضَمِنَ عَنْهُمْ التَّبِعَاتِ[(٤)]» فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) فزجل بي: أي رَفَعَني.

(٢) البخاري «الفتح» (١٢/ ٧٠١٠)، ومسلم (٢٤٨٤) واللفظ له.

(٣) الترمذي (٣٠٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أي حمل عنهم المظالم التي بينهم.

فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصَّةً؟ قال: «هذا لَكُمْ ولِمَنْ أتى بَعْدكُمْ إلى يَوْمِ القيامةِ»، فقال عمر بن الخطابِ: كثُرَ خَيْرُ اللهِ وطَابَ [(١)].

علو همة الرسول ﷺ في التبشير:

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إذا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إذا وَفَدُوا، وأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إذَا أَيِسُوا [(٢)]، لوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلى رَبِّي وَلا فَخْرَ» [(٣)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كُنَّا قعودًا حوْلَ رسول الله ﷺ معنا أبو بكرٍ وعمر في نفرٍ، فقام رسول الله ﷺ مِنْ بين أظهرِنَا فأبْطَأَ علينا وخشينا أن يُقْتطع دوننا وفزعْنَا فقمْنَا، فكنْتُ أوَّل مَنْ فزعَ فخرجْتُ أبْتغِي رسول الله ﷺ حتى أتيْتُ حائطًا للأنصار لبني النَّجَّارِ، فَدُرْتُ به عَلَّ أجدُ له بابًا فلم أَجِدْ ،فإذا ربيعٌ يدخل في جَوْفِ حائطٍ مِنْ بئْرٍ خارجة – والرَّبيعُ الجدْوَلُ [(٤)]، فاحْتفَزْتُ [(٥)] كما يَحْتَفِزُ الثعْلبُ، فدخلْتُ على رسول الله ﷺ، فقال: «أبو هريرةَ؟» فقلتُ: نعمْ يا رسول الله، قال: «ما شَأْنُكَ»، قلتُ: كُنْتَ بين أظْهُرِنا فقُمْتَ، فأبْطَأْتَ علينا، فخشينا أن تُقتطع دُوننا، ففزعْنَا فكُنْتُ أوَّل مَنْ فَزِعَ، فأتَيْتُ هذا الحائِطَ فاحْتَفزتُ كما يحتَفِزُ الثعلبُ

(١) قال الحافظ الدمياطي: رواه ابن المبارك بإسناد جيد، ورواته ثقات أثبات. انظر: «المتجر الرابح» (ص٣١١).

(٢) أَيِسَ مقلوب يَئِسَ من اليأس بمعنى القنوط.

(٣) الترمذي (٣٦١٠) وقال: حديث حسن غريب. وقال محقق «جامع الأصول» (٨/ ٥٢٨): حديث حسن وله شواهد يتقوى بها.

(٤) الجدول: النهر الصغير.

(٥) احتفزت: تضاممت ليسعني المدخل.

وهؤلاءِ الناسُ ورَائِي فقال: «يا أَبَا هُرَيْرَةَ» - وأَعْطَانِي نعْلَيهِ- قال: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ ورَاءِ هذا الحائِطِ يشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله مُستيْقِنًا بها قلبه فبشره بالجنَّة».. الحديث[1].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجينِ في سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبوابِ الجَنَّةِ: يا عَبْدَ الله هذا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كان مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَام دُعِيَ مِنْ بابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِن أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنْتَ وأمِّي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعِيَ مِنْ تلك الأبواب من ضرورةٍ[2] فهل يدْعَى أحدٌ مِنْ تلك الأبوابِ كُلِّها؟ قال: «نَعَمْ، وأرجُو أَنْ تكُونَ مِنْهُمْ»[3].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ افْتَقد ثابت بن قَيْسٍ، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أنا أعلمُ لك علْمَهُ، فأتاهُ فوجدهُ جالسًا في بيته مُنكِّسًا رأسَهُ، فقال له: ما شأْنُكَ؟ فقال: شَرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوْتِ النبيِّ ﷺ فقدْ حَبِطَ عمَلُهُ وهو مِنْ أهلِ النارِ، فأتَى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأخْبرَهُ أنَّهُ قال كذا وكذا، فرجع إليه المرَّةَ الآخرةَ ببشَارَةٍ عظيمةٍ، فقال: «اذهب إليه فقُل له: إنَّك لسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، ولكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[4].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيْلًا قبل نَجْدٍ،

---

(١) مسلم (٣١) وللحديث بقية.

(٢) من ضرورة: أي من ضرر.

(٣) البخاري «الفتح» (٤/ ١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) واللفظ له.

(٤) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٨٤٦) واللفظ له، ومسلم (١١٩).

فجاءَتْ برجُلٍ مِنْ بني حنيفة يُقال له ثُمامَةُ بْنُ أثَالٍ سيدُ أهْلِ اليمامة، فَربطُوهُ بساريةٍ مِنْ سوَارِي المسجد فخرجَ إليـه رسول الله ﷺ فقال: «مَاذَا عِنْدَكَ يا ثُمامَةُ؟»، فقال: عندي يا محمد خيرٌ، إنْ تقتلْ تقْتُلْ ذا دَمٍ، وإنْ تُنعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ، وإنْ كنت تريد المال فسلْ تُعْطَ منه ما شئْتَ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغَدِ فقال: «مَا عِنْدَكَ يا ثُمامَةُ» قال: ما قلت لك: إنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ، وإنْ تقتُلْ تَقْتُلْ ذا دمٍ، وإنْ كنت تريد المال فسَلْ تُعطَ منه ما شئْتَ، فتركه رسول الله ﷺ حتَّى كان من الغَدِ فقال: «ماذا عِنْدَكَ يا ثُمامَةُ؟» قال: عندي ما قلتُ لك: إنْ تُنعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ، وإنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دم وإنْ كنت تريد المال فسلْ تُعْطَ منه ما شئْتَ، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقُوا ثُمامَةَ»، فانطلق إلى نَخْلٍ قريبٍ من المسجدِ فاغْتَسَلَ ثمَّ دخل المسجد فقال: أشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، يا محمَّدُ والله ما كان على الأرضِ وجْهٌ أبْغضَ إليَّ مِنْ وجْهكَ، فقدْ أصْبح وجهك أَحَبَّ الوجوه كلِّها إليَّ، والله ما كان مِنْ دينٍ أبْغض إليَّ مِنْ دينكَ، فأصْبح دِينُكَ أحبَّ الدِّين كلِّه إليَّ، والله ما كان مِنْ بلدٍ أبغض إليَّ مِنْ بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلادِ كلِّها إليَّ، وإنَّ خيْلَكَ أخذتْنِي وأنا أريد العمْرَةَ، فماذا ترى؟ فبَشَّرَهُ رسولُ الله ﷺ وأمرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فلمَّا قَدِمَ مكَّةَ قال له قائِلٌ: أَصَبَوْتَ[1]؟ فقال: لا ولكني أسلَمْتُ مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأْتِيكُمْ مِنَ اليمامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[2].

(١) أي رجعت عن دين آبائك وأجدادك.

(٢) مسلم (١٧٦٤).

□ قال عبد الله بن زيدٍ الأنصاريُّ [(١)]:

أَحْمَـدُ اللهَ ذَا الجَـلَالِ وَذَا الإِكْـــ رَامِ حَمْـــدًا عَـــلَى الأَذَانِ كَثِـــيرًا

إِذْ أَتَـــانِي بِـــهِ البَـــشِيرُ مِـــنَ اللهِ فَـــأَكْرِمْ بِـــهِ لَـــدَيَّ بَـــشِيرَا

فِي لَيَـــالٍ وَالَى بِهِـــنَّ ثَـــلَاثٍ كُلَّـــمَا جَـــاءَ زَادَنِي تَـــوْقِيرَا

□ قال الرَّافعِيُّ [(٢)]:

إِذَا أَمْـــسَى فِـرَاشِي مِـنْ تُـرَابٍ وَصِرْتُ مُجَـاوِرَ الـرَّبِ الـرَّحِيمِ

فَهَنُّـــونِي أَحِبَّـــائِي وَقُولُـــوا: لَكَ البُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَـرِيمِ [(٣)]

---

(١) انظر «سنن ابن ماجه» (١/ ٢٣٣).

(٢) «دليل الفالحين» لابن علان (٢/ ٣٦١).

(٣) من بركة العلم عزوه إلى قائله.. ومن أول هذا الفصل إلى هنا مُلَخَّصٌ من «نضرة النعيم من أخلاق النبي الكريم».

التفاؤل

التفاؤل حسن ظن بالله ﷻ، وترويح للمؤمن وسرورٌ له، جالبٌ للسعادة للنفس والقلب، مُقَوٍّ للعزائم، ومُعِين على الظَّفَرِ، وباعثٌ على الجِدِّ، واقتداءٌ بالنبي ﷺ؛ فهو الأسوة الحسنة حيث كان التفاؤل شعاره ودثاره.

الفأل لغةً:

ضِدُّ الطِّيرةِ[١] والجمع فُؤولٌ، وتفاءَلْتُ به[٢] والفأْلُ: أنْ يكون الرَّجُل مريضًا فَيَسْمَعَ آخرَ يقولُ: يا سالم، أوْ يكونَ طالبَ ضالَّةٍ فيسْمَعَ آخر يقولُ: يا واجِدُ، فيقولُ: تفاءَلْتُ بكذا، ويتوجهُ له في ظَنِّه كما سَمِعَ أَنَّهُ يَبْرَأُ مِنْ مرضه أو يجد ضالَّتهُ، والفألُ يكون فيما يحسن وفيما يسوءُ

- قال أبو منصور: «مِنَ العرب مَنْ يجعلُ الفألَ فيما يكْرَهُ أيضًا».
- وفي نوادرِ الإعرابِ يُقال: «لا فأْلَ عليك بمعنى لا ضَيْرَ عليك ولا طيْرَ عليك ولا شَرَّ عليك».

• وفي الحديث: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، ويُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ**».

والفَأْلُ الصالِحُ: الكلمةُ الحسنةُ.

---

(١) الطيرة المشار إليها هنا من الصفات المذمومة وهي الاسم من قولهم: تطيرت من كذا وبه أي تشاءمت به، وهي من الفأل الرديء. انظر: «الصحاح» (٢/ ٧٢٨).

(٢) والتفاؤل هو المصدر من هذا الفعل يقال: تفاءلت تفاؤلًا، والصيغة هنا تدل على المطاوعة (وهي قبول أثر الفعل) أي أن المتفائل قد قبل وتأثر بما رأى من فأل حسن، أو سمع من كلمة طيبة. انظر في معاني صيغة تفاعل «شرح الشافية» للرضي (١/ ٩٩).

وقال: وهذا يَدُلُّ على أنَّ مِنَ الفأْلِ ما يكون صالحًا، ومنه ما يكون غير صالحٍ، وإنما أحبَّ النبيُّ ﷺ الفأْلَ؛ لأنَّ الناسَ إذا أمَّلُوا فائِدَةَ الله ورجَوْا عائِدَتَهُ عند كُلِّ سببٍ ضعيفٍ أو قويٍّ فهم على خيْرٍ، ولو غلِطُوا في وجْهَةِ الرجاءِ فإنَّ الرجاءَ لهم خيرٌ، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءَهم مِنَ الله كان ذلك مِنَ الشرِّ؟ وإنما أخْبَرَ النبيُّ ﷺ عن الفطْرَةِ كيف هي وإلى أي شيءٍ تنْقَلِبُ[(١)].

□ قال الماوَرْدِيُّ: «فأمَّا الفأْلُ ففيه تقويةٌ للعزمِ، وباعِثٌ على الجدِّ، ومعونةٌ على الظفرِ؛ فقد تفاءَلَ رسولُ الله ﷺ في غزواته وحروبه».

• وروى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سمع كلمةً فأعجبتْهُ، فقال: «**أخذْنا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ**».

• فينْبَغي لمنْ تفاءَلَ أنْ يتأوَّلَ الفأل بأحْسَنِ تأويلاتِه، ولا يجعل لسوءِ الظنِّ على نفسه سبيلًا، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ البَلاءَ مُوكَّلٌ بالمنْطِقِ**».

• ورويَ أنَّ يوسف عليه السلام شكا إلى الله تعالى طُولَ الحَبْسِ، فأوْحَى اللهُ تعالى إلَيْه: يا يوسفُ، أَنتْ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حيْثُ قلتَ: «رَبِّ السِّجنُ أحبُّ إليَّ»، ولو قلتَ: العافيةُ أحَبُّ إليَّ لَعُوفِيتَ.

□ وحُكِيَ أن المؤَمَّلَ بن أميلِ الشاعر لما قال يوم الحيرَةِ:

شَفَّ المُؤَمَّلَ يَوْمَ الحِيرَةِ النَّظَرُ ... لَيْتَ المؤَمَّلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ

عمِيَ، فأتاهُ آتٍ في منامه، فقال له: هذا ما طَلَبْتَ»[(٢)].

---

(١) «لسان العرب» (١١/ ٥١٣- ٥١٤).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين»، و«نضرة النعيم» (٣/ ١٠٤٥- ١٠٤٦).

واصطلاحًا:

الفأْلُ هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الطيبةُ أو الكلمة الحسنة، مصْدَاقُ ذلك ما جاء في الحديث الشريف من أنَّه ﷺ سُئِلَ ما الفأْلُ؟ فقال: «**الكلِمةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أحَدُكُم**».

□ وجاء في حديث أنسٍ ﵁: أنَّ الفأْلَ: الكلمةُ الحسنَةُ والكلِمَةُ الطَّيبةُ، ومن ثَمَّ يكون المرادُ بالتَّفاؤلِ: انْشِراحَ قلب الإنسان وإحسانَهُ الظنَّ، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيبِ.

□ قال ابن عباسٍ ﵄: «الفرْقُ بين الفألِ والطيرةِ أنَّ الفألَ مِنْ طريقِ حسْنِ الظَّنِّ بالله، والطيرةُ لا تكون إلَّا في السُّوءِ؛ فلذلك كُرِهَتْ»[١].

□ قال الحلِيميُّ: «كان النبيُّ ﷺ يُعْجِبه الفأْلُ؛ لأنَّ التشاؤُمَ سوءُ ظَنٍّ بالله تعالى بغير سببٍ محقَّقٍ، والتفاؤُلُ حسْنُ ظَنٍّ به، والمؤمنُ مأمُورٌ بحسن الظَّنِّ بالله تعالى على كُلِّ حالٍ»[٢].

□ قال الطيبِيُّ: «معنى التَّرَخُّصِ في الفأْلِ والمنْعِ مِنَ الطيرة هو أنَّ الشخص لو رأى شيئًا فظنَّهُ حسنًا محرِّضًا على طلب حاجته فليفعلْ ذلك، وإنْ رآهُ بضدِّ ذلك فلا يقْبَلْهُ بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضيِّ فهو الطيرةُ التي اختُصَّتْ بأنْ تستعمل في الشؤْمِ»[٣].

أحاديث في التفاؤل:

• عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ، سَمِعَ كلمةً فأعجبَتْهُ فقال:

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٥).
(٢) المرجع السابق (١٠/ ٢٢٦).
(٣) المرجع السابق (١٠/ ٢٢٦).

«أخذنا فَأْلَكَ مِن فيك»[١].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**كان يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطِيِّرة**»[٢]، و«كان ﷺ يتفاءل ولا يتطير، وكان يحب الاسم الحسن»[٣].

فالفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجدِّ، ومعونة على الظَّفر، وهذا رزق حسن يُرزقه العبد، «**وخير الفأل: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**».

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**لَا طِيَرَة وخيرُها الفَأْلُ**»، قيل: يا رسول الله: وما الفَأْلُ؟ قال: «**الكَلِمَةُ الصالحةُ يسمَعُها أَحَدُكُمْ**»[٤].

• وعن أنس رضي الله عنه أن نبيَّ الله ﷺ قال: «**لا عَدْوَى ولا طِيَرَة، ويُعجِبُني الفأل: الكلمِةُ الحَسَنَةُ، والكَلِمةُ الطَّيِّبَةُ**»[٥].

وهذه الكلمات لغةٌ قائمة بذاتها، لا يفهمها إلَّا أهلها الذين يرزقهم الله

---

(١) صحيح: رواه أبو داود عن أبي هريرة، وابن السني وأبو نعيم معًا في «الطب» عن كثير ابن عبد الله عن أبيه عن جده، والديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عمر، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٢٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٣)، و«صحيح سنن أبي داود» (٣٣١٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والحاكم في «المستدرك»، وصححه عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٦١)، وفي «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن ابن عباس، وكذا رواه الطيالسي، وأبو الشيخ، والبغوي، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٧٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٧٨٠).

(٤) رواه البخاري (٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٥) رواه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

إياها، وقاموسها ضخم، ونَحْوُها فيه رفع ونصب، وليس فيه خفض وكسر، والمبتلى بالموازين المادية هو عن هذا الذوق بمعزل، والحمد لله أن هذا الذوق ذوق سُني.

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم – كأنا في دار عقبة بن رافع، فأُتينا برُطَب من رطب ابن طاب [(١)]، فأوَّلتُ: الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب» [(٢)].

• وقال رسول الله ﷺ: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس ناسًا مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه» [(٣)].

• وقال رسول الله ﷺ: «عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير» [(٤)].

• عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يتطيَّرُ من شيءٍ، وكان إذا بعثَ

---

(١) نوعٌ من الرُّطب معروفٌ يُقال له: رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وابن طاب رجل من أهل المدينة.

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٠).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٣٢)، و«صحيح الجامع» (٢٢١٩).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة» عن سهل بن سعد، وكذا أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي عاصم، والخرائطي، والطيالسي، والمروزي عن أنس، وحسَّنه الألباني في «تخريج السُّنَّة» رقم (٢٩٦، ٢١٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٩٨٧).

عاملًا سأل عَنِ اسمه: فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورُؤِيَ بشرُ ذلك في وجهه، وإنْ كَرِهَ اسمه رُؤِيَ كراهيةُ ذلك في وجْهه، وإذا دخل قريةً سأل عن اسمها، فإنْ أعجبهُ اسمها فرحَ بها، ورُؤِيَ بشْرُ ذلك في وجْهِه، وإنْ كَرِهَ اسمها رُؤِيَ كراهةُ ذلك في وجهه[1].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «ليلةَ أسريَ برسول الله مِنْ المسجد الكعبة أَنَّهُ جاءَهُ ثلاثةُ نفرٍ قبل أنْ يُوحى إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرام فقال أوَّلهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهُمْ حتى أَتَوْهُ ليلةً أخرى فيما يرى قلْبُه وتنامُ عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياءُ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلِّموه حتى احْتَمَلُوه فوضعوه عند بئْرِ زمزم، فتولاهُ منهم جبريل فشَقَّ جبريل ما بين نَحْرِه إلى لَبَّته حتى فرغَ مِنْ صدره وجوفه فغسله مِنْ ماء زمزم بيده حتى أنْقَى جوفهُ ثم أتى بطَسْتٍ مِنْ ذهبٍ فيه توْرٌ من ذهبٍ محشُوًّا إيمانًا وحكْمَةً، فحشا به صدْرَهُ ولغَادِيدَهُ – يعني عُرُوقَ حَلْقِهِ– ثمَّ أطْبَقَهُ ثمَّ عرَجَ به إلى السماءِ الدنيا فضرب بابًا مِنْ أبوابها فناداهُ أهلُ السماءِ: مَنْ هذا؟ فقال: جبريلُ، قالوا: ومنْ معك؟ قال: مَعِيَ محمَّدٌ، قالوا: وَقَدْ بُعِثَ؟ قال: نعمْ، قالوا: فمرحبًا به وأهلًا، فيستبْشِرُ به أهل السماء لا يعلم أهلُ السماءِ بما يُريد اللهُ به في الأرضِ حتى يعْلِمَهُمْ فوجدَ في السماءِ الدُّنيا آدم فقال له جبريلُ: هذا أبُوكَ فسلِّمْ عليه فسلَّمَ عليه وردَّ عليه آدمُ وقال: مرحبًا وأهلًا يا بُنَيَّ نعم الابن أنْتَ، فإذا هو في السماءِ الدُّنيا بنهْرَيْنِ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٣١٩)، و«الصحيحة» (٧٦٢).

يَطَّرِدَانِ، فقال: ما هذانِ النَّهْرَانِ يا جبْرِيلُ؟ قال: هذان النِّيلُ والفُرَاتُ عنصُرُهما ثُمَّ مَضَى به في السماءِ فإذا بنهرٍ آخر عليه قصْرٌ من لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدٍ فضرب يدهُ فإذا هو مِسْكٌ أذْفَرُ قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوْثَرُ الذي خبَّأَ لك ربُّكَ ثمَّ عرج إلى السماءِ الثانية، فقالت الملائكةُ له مثل ما قالت له الأولى: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ، قالوا: ومَنْ معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قالوا: وقدْ بُعِثَ إليهِ؟ قال: نعمْ، قالوا: مرحبًا به وأهْلًا، ثمّ عُرِجَ به إلى السماءِ الثالثةِ وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانيةُ، ثمَّ عُرِجَ به إلى الرابعةِ فقالوا له مثل ذلك، ثمَّ عُرِجَ به إلى السماءِ الخامسةِ فقالوا مثل ذلك، ثمَّ عُرِجَ به إلى السادسةِ فقالوا له مثل ذلك، ثُمَّ عُرِجَ به إلى السماءِ السابعةِ فقالوا له مثل ذلك كُلُّ سماءٍ فيها أنبياءُ قدْ سمَّاهُمْ فوعَيْتُ منهم إدْريسَ في الثانية وهارُونَ في الرَّابعة وآخر في الخامسة لم أحفظِ اسمه، وإبراهيم في السادسةِ وموسى في السَّابعةِ بفضْلِ كلامهِ لله، فقال موسى: ربِّ لم أظُنَّ أنْ ترفع عليَّ أحدًا ثمَّ علا به فوقَ ذلك بما لا يعلمه إلَّا الله، حتى جاءَ سِدْرَة المنتهى ودَنَا الجبَّارُ ربُّ العزَّةِ فتدَلَّي حتى كان مِنْهُ قاب قوسين أو أدْنَى فأوْحَى الله فيما أوحى خمسين صلاةً على أُمَّتكَ كلَّ يومٍ وليلةٍ ثمَّ هَبَطَ حتى بلغ موسى فاحْتبَسَهُ موسى فقال: يا محمدُ، ماذا عَهِدَ إليك رَبُّك؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاةً كُلَّ يومٍ وليلةٍ، قال: إنَّ أُمَّتك لا تستطيعُ ذلك، فارْجعْ فلْيُخَفِّفْ عنك رَبُّك وعنهم، فالتفتَ النبيُّ ﷺ إلى جبريل كأنَّهُ يستشِيرُهُ في ذلك فأشَارَ إليه جبريلُ أنْ نعمْ إنْ شِئْتَ، فعلا به إلى الجبَّارِ، فقال وهو مكانه: يا ربِّ خفِّفْ عنا فإنَّ أُمَّتي لا تستطيعُ هذا فوضع عنْهُ عشْرَ صلواتٍ ثُمَّ رَجَعَ إلى موسى فاحْتَبَسَهُ فلم يزل يردِّدُهُ موسى إلى ربِّه حتى صَارَتْ إلى خَمْسِ صلواتٍ، ثم احتبسهُ موسى عند الخمسِ فقال: يا

محمدُ، والله لقد راودْتُ بني إسرائيلَ قومي على أدْنَى مِنْ هذا فضعُفُوا فتركوه، فأُمَّتُكَ أضْعَفُ أجْسَادًا وقلوبًا وأبْدانًا وأبْصَارًا وأسماعًا، فارْجِعْ فليُخَفِّفْ عنك ربُّكَ، كُلَّ ذلك يلتفتُ النبيُّ ﷺ إلى جبريلَ لِيُشِيرَ عليه ولا يكره ذلك جبريلُ، فرفَعَهُ عند الخامسةِ فقال: يا ربِّ إنَّ أُمَّتي ضَعَفَاءُ أجسادُهُمْ وقلوبهم وأسماعهم وأبْدَانهم فخَفِّفْ عنَّا، فقال الجبَّارُ: يا محمدُ، قال: لبيكَ وسعْدَيْكَ، قال: إنَّهُ لا يُبدلُ القول لديَّ كما فَرَضْتُ عليك في أُمِّ الكتابِ، قال: فكُلُّ حسنةٍ بعَشْرِ أمثالِها فهي خمسونَ في أُمِّ الكتابِ وهي خمسٌ عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيفَ فعلْتَ؟ فقال: خَفَّفَ عنَّا، أعْطَانا بكُلِّ حسنةٍ عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودْتُ بني إسرائيل على أدْنَى مِنْ ذلك فتركُوهُ، ارجعْ إلى ربِّكَ فليُخفِّفْ عنْك أيضًا، قال رسول الله ﷺ: يا موسى، قدْ والله استَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إليه، قال: فاهْبطْ باسْمِ الله، قال: واسْتَيْقَظَ وهُوَ فِي مَسْجدِ الحَرَامِ»[1].

أخي: يا ابن الإسلام:

• لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الشفيف عندما نستطيع أن ندخل الثقة ونبث الأمل في نفوس المسلمين، وقد قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُرْبة..»[2].

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٧).

(٢) حسن: رواه ابن الدنيا في «قضاء الحوائج»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧٤).

✍ من يقيننا بوعد الله ينبثق الفجر وينداح، نعيش لنرقب هذا الفجر الوضيء، والأفق العالي والمثال السامي.

إن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا، والذي يعيش يرقب ببصر فؤاده ذلك النور فإنه يعيش كبيرًا.

✍ عندما نعيش مع هذا الفجر، ولهذا الفجر، ولمجد بني الإسلام، فإننا نعيش حياة مضاعفة بقدر ما يتضاعف إحساسنا بالمسلمين.

✍ عندما نعيش للإسلام فإن حياتنا تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت البشرية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض.

• عن أبي عنبة الخولاني قال: قال رسول الله ﷺ:«**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»[1].

هذا غرس الله، ومن أحسن من الله صبغة، ويأبى الغرس إلَّا طبيعته، والحمقى هم الذين يريدون أن يخرج هذا الغرس نكدًا، وكأنهم يقولون لشجر التفاح: لا تخرج إلَّا حنظلًا.

فهذا الغرس ليس له نظيرُ — وحاشا أن يكون له نظيرُ
بماء الذكر يُسقى كل يوم — وفي أحضانه تنمو البذور[2]

أمل وضيء ومبشرات للغد الآتي:

نعم لأمل بسَّام نعيش به، ولا للمنى فهي رؤوس أموال المفاليس

(١) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، والبخاري في «التاريخ»، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢)، و«صحيح الجامع» (٧٥٦٩).
(٢) من قصيدة: «نحن وهم» من ديوان «لأنك مسلم» لمحمود مفلح (ص٦١).

والنَّوكى[(١)].

أمل وضيء في وسط ظلام واقعنا الحالك، يطمئن في وسط الزلازل، وثقة لا تتزعزع في وعد الله.، نستشرف النصر من بعيد، ونراه رأي العين، ونوقن أن البشرية في طريقها إلى ربيعها المونق المزهر الذي يملأ حياتها بالعطر والدفء والنور،. ربيع الإسلام.

«ونكتفي في هذا الموضع بعرض عبرة من الواقع التاريخي للإسلام، لعلّها أنسب العبر في هذا المقام: بينما كان «سراقة بن مالك» يطارد رسول الله ﷺ وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه وهما مهاجران خُفيةً عن أعين قريش،. وبينما كان سراقة يعثر به فرسه كلَّما همّ أن يتابع الرسول وصاحبه، طمعًا في جائزة قريش المغرية التي رصدتها لمن يأتيها بمحمد وصاحبه أو بخبر عنهما،. وبينما هو يهمّ بالرجوع وقد عاهد النبي ﷺ أن يكفيهما مَن وراءه.

في هذه اللحظة قال النبي ﷺ: **«يا سراقة، كيف بك وسواري كسرى؟»**. يَعِدُه سوارَي كسرى شاهنشاه الفرس! (ملك الملوك!).

والله وحده يعلم ما هي الخواطر التي دارت في رأس سراقة حول هذا العرض العجيب، من ذلك المطارد الوحيد.. إلَّا من صاحبه الذي لا يغني شيئًا عنه[(٢)]، والمهاجر –سرًّا– معه!.

ولكن الرسول ﷺ كان عارفًا بالحق الذي معه، معرفته بالباطل الذي عليه الجاهلية في الأرض كلها يوم ذاك.. وكان واثقًا من أن هذا الحق لابد أن ينتصر على هذا الباطل، وأنه لا يمكن أن يوجد«الحق» في صورته هذه،

---

(١) النوكى: الحمقى.

(٢) لا يغني عنه شيئًا: أي من حيث القوة المادية.

وأن يُوجد «الباطل» في صورته هذه، ثم لا يكون ما يكون.

كانت الشجرة القديمة قد تآكلت جذورها كلها، بحيث لا يصلها رِيٌّ ولا سماد.. كانت قد خبثت بحيث يتحتم أن تجتث.. وكانت البذرة الطيبة في يده هي المهيأة للغرس والنماء.. وكان واثقًا من هذا كله ثقة اليقين»[1].

* وفي يوم الأحزاب، ويا له من يوم!! يقول الله تعالى عنه: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب]. في هذه الساعات الرهيبة والرسول مع الصحابة يسهم في حفر الخندق، وبهم من الخوف والجوع ما الله به عليم، كان النبي ﷺ يستشرف النصر من بعيد، ويراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول، يحدّث النبي أصحابه عن الغد المأمول والمستقبل المرجو بفتح بلاد كسرى، وبلاد قيصر، وبلاد اليمن حديث الواثق المطمئن الذي أثار أرباب النفاق عند الزلزلة، فقال أحدهم وهو معتِّبُ بن قشير أخو بني عمرو بن عوف في ضيق وحنق - مصورًا حالة المنافقين جميعًا-: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!».

«نحن اليوم في مثل هذا الموقف بكل ملابساته، وكل سماته، مع الجاهلية كلها من حولنا، فلا يجوز - من ثم - أن ينقصنا اليقين في العاقبة المحتومة.. العاقبة التي يشير إليها كل شيء من حولنا على الرغم من جميع المظاهر الخادعة التي تحيط بنا.

(١) «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب (٩٣- ٩٥).

إن حاجة البشرية اليوم إلى هذا المنهج، ليست بأقل من حاجتها يومذاك.. وإن وزن هذا المنهج اليوم - بالقياس إلى كل ما لدى البشرية من مناهج -لا يقل عنه يومذاك، ومن ثم ينبغي ألا يخالجنا الشك في أن ما وقع مرة في مثل هذه الظروف لا بد أن يقع»[(١)].

الإرهاصات في أن المستقبل للإسلام كثيرة، والمبشرات لفجر الإسلام ونصره نوقن بها أكثر من يقيننا بوجودنا.

✍ لقد كتبتُ هذه الموسوعة «صلاح الأمة في علو الهمة» ليكون تسكينها للقلب أعظم، وتسليتها للحزين اليائس أبلغ، ولتكون انتشالًا من وهدة، وتوجيهًا في ساعة حيرة، وأذانًا في نيام، وسلوة بين أحزان، ونبلًا عندما يسفل الواقع، وسموًّا إذا نطق الإغراء، ووفاءً في ساعة النكوص، واقتحامًا في مواطن الانخزال، ودفعًا للانزواء الذي كلكل على اليائسين القانطين، وترطيبًا للنفوس بعد اليبوسة والجفاف، وتثبيتًا لأفئدة المؤمنين، وبعثًا للأمل، وترجمانًا لأشواق الصحوة التي تسري في ضمير الأمة، كما تسري جداول المياه العذبة في الرمال العطشى.

✍ نُنَقِّبُ في الماضي نستخرج السوابق، وتسطر دمعات القلم العِبَرَ من نبع الكتاب والسنة الصافي؛ لتجفّ دمعات قلوب التائهين البائسين اليائسين القانطين، ويكون ثَمَّ ابتسام وأمل في فجرنا الآتي المضمّخ بطيب القرآن غيث قلوبنا ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

يقولون إن المطرْ

---

(١) «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب (٩٣- ٩٥).

يترجمُ أشواقه أنهُرا

يغوص ببطن التراب

ليسكن قلب الثرى

ويخرج ينبوع ماء نمير

يفيض نماء

يفيض عطاءً

يعطر هام الروابي

ويبهجها منظرا منظرا

لقد جعل الله هذا المطر

حياة لكل النفوس

مشاعًا لكل البشر

غديرًا.. لتشرب منه الزهور

لتنقر منه الطيور

لتعكس فيه الضياءَ البدورُ

ليملأ تلك الجداول والأنهرا

فيا مطرًا غاب عن أرضنا أدهرَا

تحنّ إليك النفوس

ويشتاق كل الورى

تعالَ إلينا

تحنّ إليك ضروع اليباس

تحن إليك البذور بكل التراب

وكل ربوع اليباب

لتنقذها من جيوش التراب

وتغسل بالحب وجه الثرى

✍ كتبتُ هذه الموسوعة ليعقل ساذج، ويتململ راقد، ويتنافس قاعد، ويتأنى متهور، ويفرح هامد يائس بائس، لتغمر القلبَ بُرودةُ السكينة بوعد الله، بعد حرارة القلق، ولذعات الحيرة، ومرارة اليأس والقنوط، وتفرج أسارير الوجه عن ابتسام وضّاء، بعد عبوس أو ذهول.

✍ إن ابتسامة من يبتسم من الناس وبثّ الأملِ لن يأتي سهلًا أبدًا في هامد قانط، والذين ما زالت أفواههم تفغر حيرة ليسوا بقادرين على تصور ابتسامة تبتسمها الصفحات، ولا على فهم دور الأقلام المؤمنة ودموعها الباسمة في وجه قلم أسود مأجور غريق، تائه لا يبدو له طريق..

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو لطّخت وجهك بالمداد

اللَّهم اجعل لنا نصيبًا وافرًا في جهاد المنافقين المارقين والغلظة عليهم بهذا الأمل الذي نبثه في بني الإسلام لفجرهم المرتقب بذكر مبشراته وإرهاصاته، وتثبيت أفئدة المؤمنين بتجلية حقيقة هذا الدين العظيم وشرف الانتساب إليه، وقَدْر هذه الأمة العظيمة واصطفاء الله لها وكرامتها عليه..

بنو الإنسان ينتظرون فجرًا ... بليل الوهم يخترق الضبابا

وقد لاحت أشعته وضاءً ... وإرهاصاته انطلقت شهابا

غـدًا تمـشي الـشعوب عـلى هـداه ونـــور الله يحــدوها ركابــا

✍ أما الشانئ الأبتر الذي يظن أن الإسلام لن تعلو له راية، ولن تشرق له شمس مرة أخرى، ولن يكون له فجر فنقول له: «اخسأ فلن تعدو قدرك».

✍ نقول له:

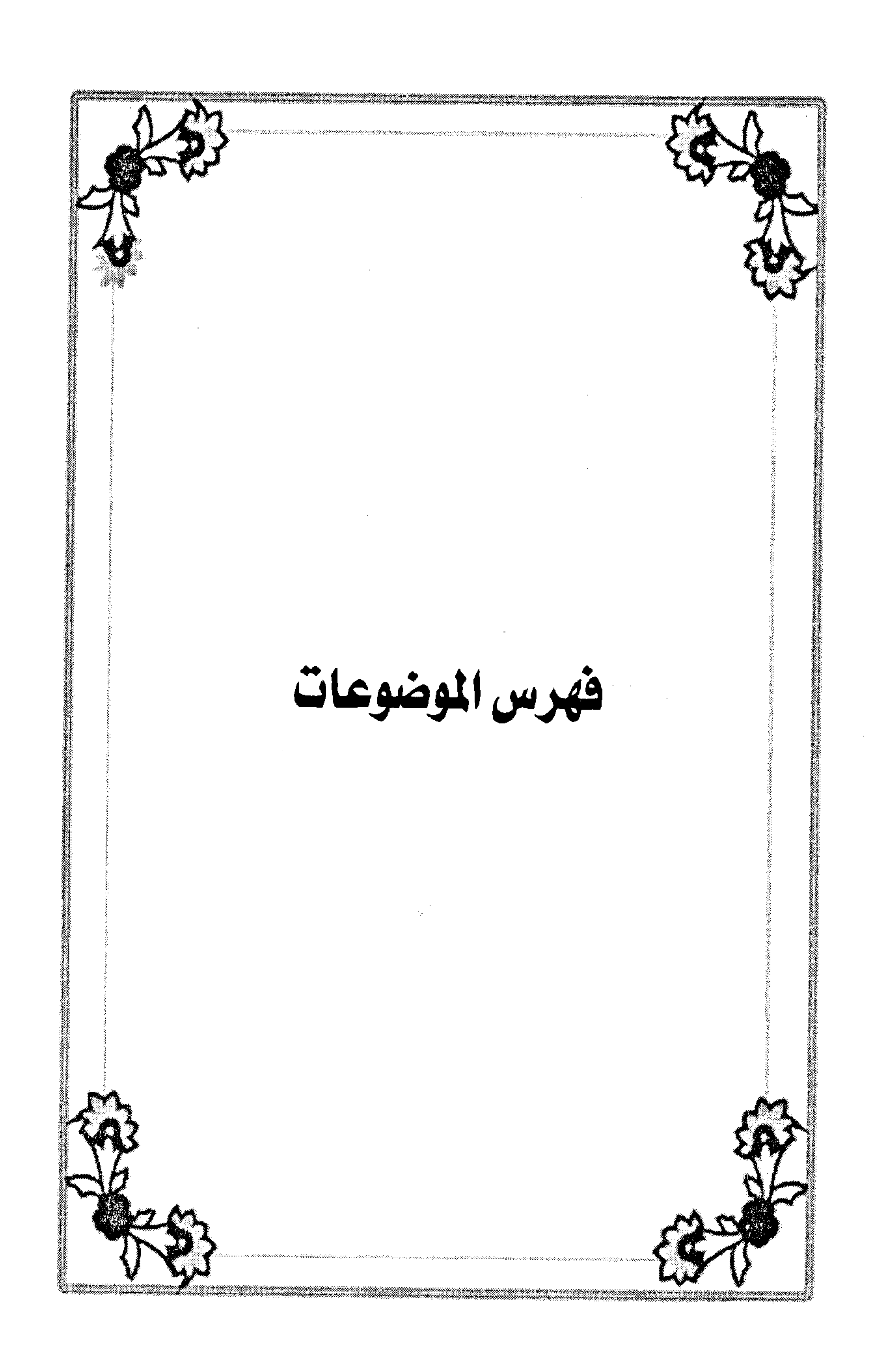
سنمــضي والنجــوم لنــا دليــل متى أصـغى الـسحاب إلى النّبـاح

فقـــد ولّى زمانُــــكَ يـــا أُبيٌّ كـــما ولّى زمانُــكِ يــا سَـــجاح

✍ ونقول له:

لا تُهَـــيِّءْ كَفَنـــي يـــا عــاذِلي فأنا لي مـع الفجـرِ مواثيـقٌ وعَهْـدُ





فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

كمبيوتر الصديق

محمول/٠١٦١٩٠٣٦٨٥

٠١٨٤٤١٩٢٥٠

ت/٢٦٤٣٢٨٣٧